

فتوح إفريقية

Futūḥ ‘ifriqiya

أبو محمد عبد الله بن عمر الواقدي (130هـ / 747م207-هـ 822م)

جمع نصوصه ونشره عبد الرّحمان الصّنادلي (1848 أو 1935-1850)

ينتمي الكتاب إلى صنف المغازي، وهو من تأليف أحد أوائل المؤرّخين الذين اعتمدوا على مرويّات شفويّة يصعب الوثوق بها. وهو لم يزر إفريقيّة، وله تصوّر جغرافيّ ضبابيّ عن حدودها، إذ أنّ الأخبار التي يوردها تتعلّق بالمهدية، وسوسة، وسبيبة، وحيدرة، وتبسة، وقسنطينة، وسطيف ، والزاب، ونقاوس ومراكش.وقد نشر الكتاب عبد الرّحمان الصّنادلي صاحب جريدة الزّهرة (1959-1890). وجاء في خاتمة الكتاب : "وكان طبعه بالمطبعة العموميّة، الكائنة بشارع سيدي أبي منيجل بحاضرة تونس المحميّة، وقد تضوّع مسك الختام في أواخر ذي الحجّة الحرام، عام خمسة عشر وثلاثمائة وألف من هجرة سيّد المرسلين، صلّى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه إلى يوم الدّين."وتوجد في المكتبة الوطنيّة التّونسيّة 4 مخطوطات بعنوان "فتوح افريقية" للواقدي.

المؤلف : أبو محمد عبد الله بن عمر الواقدي

تاريخ النشر : 1898

الناشر : المطبعة العمومية

اللغة : العربية

الوصف المادي للوثيقة : ج.1 (158 ص.) ؛ ج.2 (148ص.) ؛ 24 سم

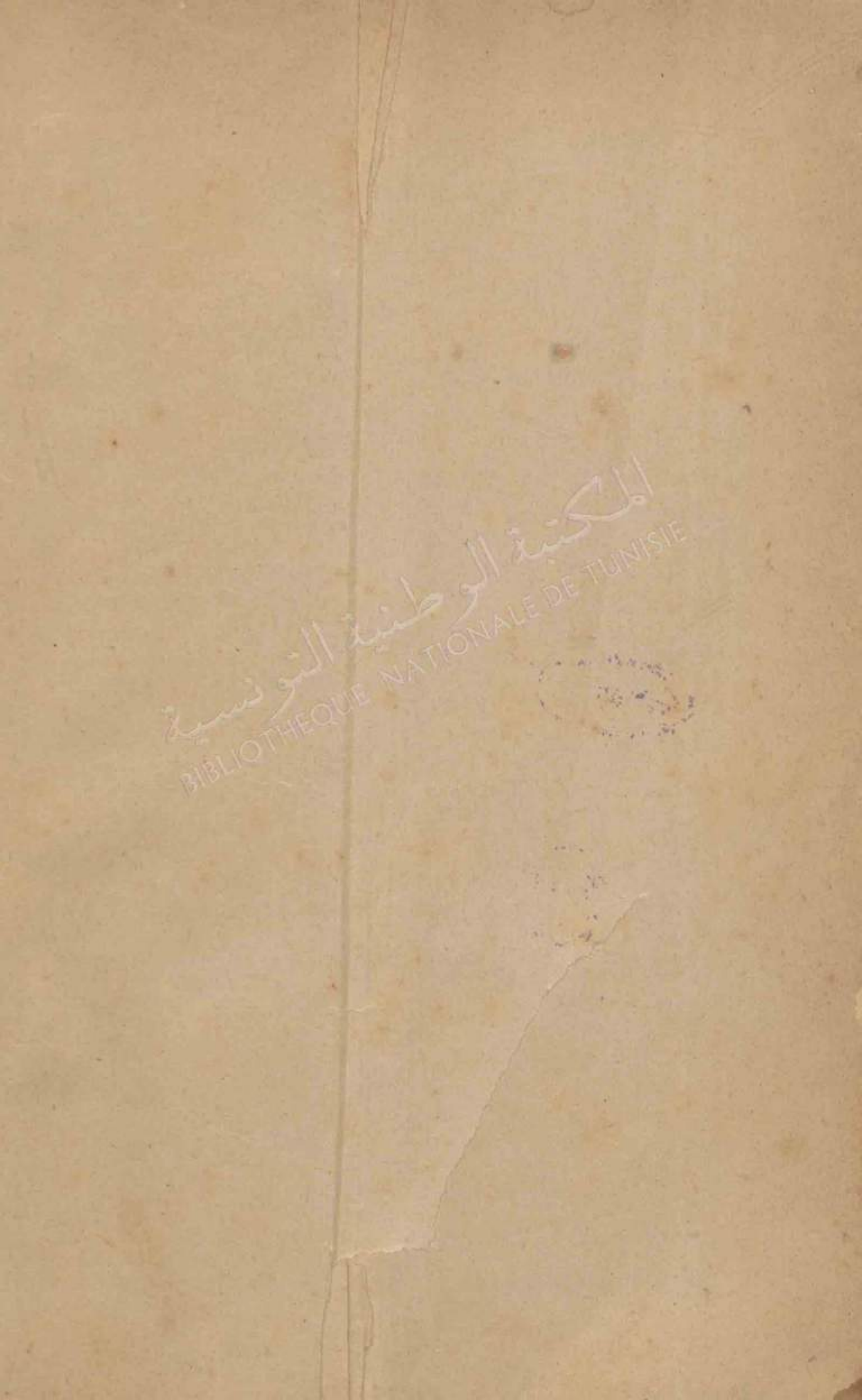
الموضوع : فتح شمال إفريقية

المؤسسة : دار الكتب الوطنية

الكلمات المفتاحية : المغازي- الواقديّ- فتح إفريقية- التاريخ - إفريقية – تونس- عبد الرّحمان الصّندلي– السرد – العنف - الخلدونيّة الرقمية - الإنسانيّات الرّقميّة.

المخطوط : هنا تذكر رموز المخطوطات الأربعة





(فهرست الجزء الاول من فتوح افريقية للعلامة الواقدى)

صحيفة

صحيفة

صحيفة

(ترجمة العلامة الواقدي رحمه الله تعلى)

ابو محمد عبد الله بن عمر بن واقد الواقدي المدني مولى بني هاشم
وقيل مولى بني سهم بن أسلم

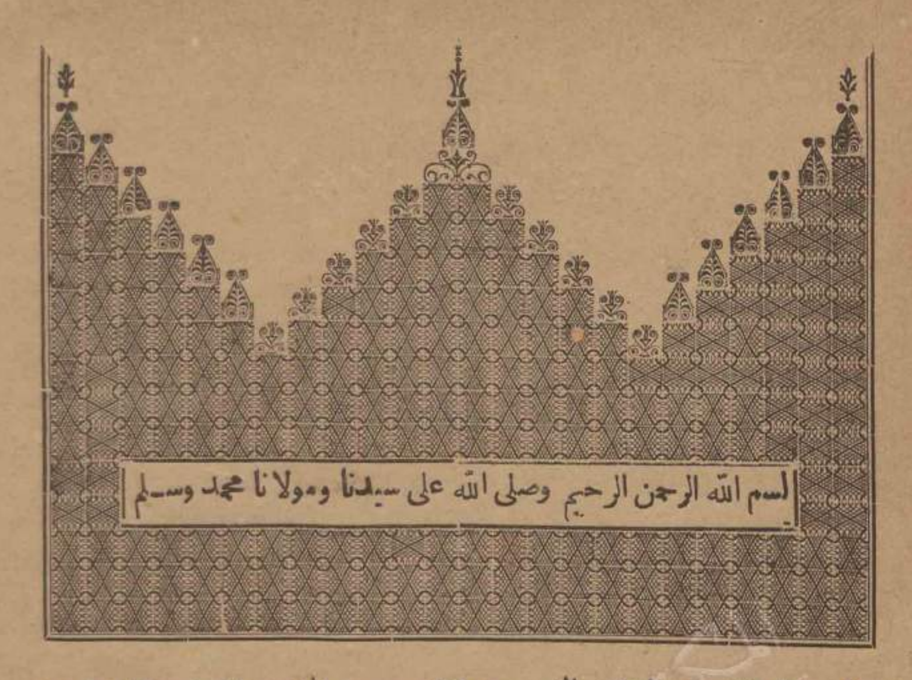
كان اماما عالما له التصانيف في المغازي وغيرها وله كتاب الردة ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ومحاربة الصحابة رضى الله عنهم لطليحة ابن خويلد الازدي والاسود العنسي ومسيلمة الكذاب وما اقصر فيه سمع من ابن ابي ذئب ومعمر بن راشد ومالك بن انس والثوري وغيرهم وتولى القضاء بشرقي بغداد وولاه المامون القضاء بعسكر المهدي وضعفوه في الحديث وتكلموا فيه وكان المامون يكرم جانبه ويبالغ في رعايته وكتب اليه مرة يشكو ضائقة لحقته وركبه بسببها دين وعين مقداره في قصته فوقع المامون فيها بخطه فيك خلتان سخاء وحياء فالسخاء اطلق يديك بتبذير ما ملكت والحياء حملك ان ذكرت لنا بعض دينك امرنا لك بضعف ما سالت وان كنا قصرنا عن بلوغ حاجتك فبجنا يتك على نفسك وان كنا بلغنا بغيتك فزد في بسطة يدك فان خزائن الله مفتوحة ويده بالخير مبسوطة وانت حدثتني حين كنت على قضاء الرشيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال للزبير يا زبير ان مفاتيح الرزق بازاء العرش ينزل الله سبحانه للعباد ارزاقهم على قدر نفقاتهم فمن كثر كثر له ومن قلل قلل عليه قال الواقدي وكنت نسيت الحديث فكانت مذاكرته اياى اعجب الي من صلته وكانت ولادة الواقدي في اول سنة ثلاثين ومائة وتوفي عشية يوم الاثنين حادي عشر ذي الحجة سنة سبع ومائتين وهو يومئذ قاض ببغداد في الجانب الشرقي وصلى عليه محمد بن سماعة التميمي ودفن في مقابر الخيزران وقيل مات سنة ست ومائتين والاول اصح وقال الخطيب في تاريخ بغداد في اول ترجمة الواقدي انه توفي في ذي القعدة وقال في آخر الترجمة انه مات في ذي الحجة والله اعلم رحمه الله تعلى

الجزء الاول من فتوح افريقية

للامام العلامه الحبر البحر
الفهامه سيدى محمد
الواقدى رحمه
الله تعلى   ولد ١٣٠ ومات ٢٠٧

طبعة اولى

طبع بالمطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية سنة ١٣١٥



الحمد لله المنزه عن النظير والقرين * المقدس عن الوزير والمعين * المبرا عن الزوج والبنات والبنين * الذى خلق سبع سموات وسبع ارضين * وخلق الانسان من طين * وجعله من ماء مهين * تلك قدرة رب العالمين * فتبارك الله احسن الخالقين * واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الذى هدانا الى الاسلام والدين * واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله ارسله الى الخلق اجمعين * صلى الله عليه وسلم على ممر الايام ودوام السنين * واستغفر الله رب العالمين *
(قال الامام الواقدى رحمه الله) لما آلت الخلافة الى سيدنا عثمان بن عفان رضى الله عنه تذكر قول النبى صلى الله عليه وسلم له وما اوصاه به من فتح افريقية فبعث فى طلب سيدنا عقبة بن عامر رضى الله عنه فلما حضر قال له اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ابعث الجيش لفتح افريقية وانت امير عليهم لانك رجل كبير ومن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له سمعا وطاعة لله ثم لك يا امير المومنين قال له اذًا فبادر فى طاعة الله ورسوله لان الموت آت والعهد قريب ولا تتوان وخذ معك ستين الف فارس من ابطال العرب غير الرجال وخذ معك خمسمائة فارس من بنى هاشم يكونون تحت امرة عبد الله بن جعفر ومثلهم من بنى مخزوم بامرة رافع بن الحارث والباقى من اخلاط العرب مثل غسان ولخم وجذام

وجذام وطيء وحمير وهذيل وربيعة فلما اجتمع الجيش اوصاهم سيدنا عثمان رضى الله عنه وسيدنا علي كرم الله وجهه بامتثال اوامر اميرهم عقبة بن عامر وان لا يخالفوا قوله ثم قال لهم عقبة سيروا على بركة الله فودعوه هو وسيدنا عليّ ورحلوا يجدون السير فى الفيافى والقفار ومتون الجبال وبطون الاودية الى ان وصلوا ارض افريقية وكان اول نزولهم بالقيروان (قال الواقدى) وسميت القيروان قيروانا لان العرب اقرت رحلها فيها لان جيش عثمان بن عفان رضى الله عنه لما حل بارضها قال الجند لعقبة بن عامر رضى الله عنه ايها الامير انا دخلنا ارضا كثيرة العمارة قوية الجيش وجيوشها اقوى من جيوشنا وجيوش الشام ومصر وبلادنا بعيدة منا ومعنا من الرجال كثير وليس لنا مقر تقيم فيه نساؤنا وتحفظ فيه اموالنا وكانوا ذلك الوقت فى المكان الذى بنيت فيه القيروان وقالوا له ابن لنا بلدة فى هذا الموضع فقال لهم الامير عقبة رضى الله عنه ان هذا الموضع كثير الاشجار قالوا له نحرقه بالنار ونبنى فيه فقال لهم يا قوم ان الوحوش والهوام ودواب الارض كثيرة بهذه الارض واخاف ان احرقها بالنار فيحاسبنى الله عز وجل عليها ولكن اذا كان ءاخر النهار انادى فى هذا الموضع باعلى صوتى ايتها الوحوش الساكنة فى هذا المكان ارحلوا منه فانى اريد حرق اشجاره بالنار لان المسلمين يريدون ان يبنوا فيه بلدة لتستقر فيها رجالهم ونساؤهم وفى ءاخر النهار نادى عقبة رضى الله عنه فى الوحوش بالارتحال فما اتم النداء حتى رفعت الوحوش اولادها فى افواهها من غزلان وذئاب ونمور وغيرها وبقى ينتظر خروجها مدة ثلاثة ايام لم يكن داب الناس فيها الا الفرجة واللعب فلما كان اليوم الرابع امر بالنار فاطلقت فاكلت الاشجار عن ءاخرها ثم امر بالبناء فبنيت فيها مدينة وسميت القيروان (قال الراوى) ثم امر الامير عقبة رضى الله عنه بالرحيل فرحلوا وجدوا السير الى ان نزلوا بالمهدية وكانت يومئذ لابن الملك الاكبر صاحب المعلقة وكان يركب فى مائتى الف فارس من ابطال قومه

ذكر غزوة المهدية

(قال الراوى) ولما نزل الامير عقبة على المهدية بستين الفا من جيش عثمان رضى الله عنه بعث ملكها الى ابيه بالمعلقة وكان يركب فى اربعمائة الف من صناديد قومه فاعلمه فبعث ابوه الملك الاكبر الى ملوك النصارى بافريقية وقال لهم فى كتابه

معاشر بنى الشمامسة اعلموا ان اصحاب محمد بن عبد الله فتحوا الشام والعراق ومصر وقد طمعوا فى ارضكم وتعلمون انكم اشد منهم باسا وقد قال لهم نبيهم فى كتابه الذى انزل عليه يا ايها الذين ءامنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار فوعدهم بامتلاك الشام وانتم لم يخبر عنكم انهم يملكونكم وكتب بذلك الى صاحب حيدرة وصاحب تبسة وصاحب قسنطينة وصاحب رومة يستنجد جميعهم فلما وصلت كتبه كان اول قادم اليه صاحب حيدرة فاتاه فى مائة الف فارس ومعه الف طبل كبار من النحاس وخمسين الفا من الرجال وكان ملكهم يسمى سيطار بن دليق واتاه صاحب تبسة فى مائة واربعين الف فارس وركب اليه صاحب قسنطينة فى مائة وخمسين الف فارس ومعه ثلاثة ءالاف طبل ومائة الف رجل وعشرة ءالاف مطية واتاه من صاحب رومة ثمانون الفا فى مائة سفينة واجتمعت هذه الجيوش الجرارة بالمعلقة عند الملك الاكبر اما الامير عقبة فلا يزال بالمهدية ولم يحدث عليه حادث ما سوى ان ابن الملك بعث اليه من المهدية يقول ايها الامير ابعث رسولك الى ابى بالمعلقة واعلمه بالذى تريد لعل رب السموات يهدله به الى الحق لانى تحت نظره ولا يمكننى ان اجيبك بغير هذا (قال الراوى) ولم يقصد ابن الملك بهذا القول الا الاستعداد للحرب وهى حيلة وخديعة منه فبعث عقبة الى اصحابه فلما حضروا بين يديه وهم عبد الله بن جعفر وعبد الله بن اويس وعبد الله بن رافع وعبد الله بن حنظلة ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعبد الله بن العباس وغيرهم من مثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين شاورهم فيما قال ابن الملك فقالوا كلهم نعم ما قال الا عبد الله بن جعفر فانه قال له لا تفعل ايها الامير لانه اراد ان ياخذ على نفسه وهذه حيلة منه ولم يزالوا يتفاوضون حتى اتفق رايهم على ان يبعثوا رسولا الى الملك الاكبر فكتب مسروق كتابا قال فيه (بسم الله الرحمن الرحيم من عقبة بن عامر الى الملك اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانا قد كتبنا لك فيما يحبه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وهو ان تقول لا اله الا الله محمد رسول الله فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا او تودى الجزية او القتال والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الامير عقبة الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وقال من يمضى بهذا الكتاب الى الملك وانا ضامن له على الله الجنة ان شاء الله تعلى فلم يجبه احد الا عبد الله بن جعفر

فانه

فانه قال انا امضى به ان شاء الله تعلى فقال له انت لها يا ابن عم رسول الله ولكن
اذا دخلت على الملك فلا تعظمه ولا تهب مملكته وكن سريع الجواب ثم ودع
المسلمين وسار نحو الملك وجد السير يوما ونصفا الى ان وصل للحلقة فلما رءاه اهلها
تسابقوا اليه وقالوا له من اى الناس انت امن اصحاب الصليب قال لهم انا من اصحاب
محمد الحبيب قالوا له الى اين تريد قال لهم اريد ملككم فدخلوا على الملك وقالوا له ان
شابا حسن الوجه من اصحاب محمد قد اتى اليك ولاشك انه من هذا الجيش الذى نزل
على المهدية فقال ادخلوه فدخل بابا بعد باب حتى استكمل عشرين بابا مختلفة
الالوان بعضها مذهبة واخرى مفضضة فوجد الملك جالسا على سرير طوله عشرون
ذراعا من العاج المرصع بالدر والياقوت له مائة قائمة مصنوعة من الرخام مختلفة
الالوان وكانت له ابنة حسنة بديعة الجمال اديبة عارفة بالعلوم والتواريخ وكان
ابوها قد صنع لها قبة طولها الف ذراع فى الهواء راسها من الزجاج الاحمر
وقد خطبها ملوك افريقية كلهم فابت وءالى ابوها على نفسه ان لا يزوجها الا من
ارادت وكانت صفة عبد الله بن جعفر كصفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
راته بنت الملك افتتنت به لفرط حسنه وجماله (قال الواقدى) ولما دخل عبد الله
على الملك قام له اجلالا وتعظيما وقال له ايها الشاب لا شك انك من نسل محمد لان
صفتك كصفته قال له انا ابن عمه فقال له انت ابن على او ابن جعفر قال له انا ابن
جعفر ثم قال له عبد الله كيف عرفتهما فهل رايتهما قال له لا ولكن صفة محمد
عندنا فى التوراة والانجيل قال له عبد الله ولاى شئ لم تؤمنوا به قال له ديننا
قديم ودينكم حادث وعيسى افضل من محمد فقال له عبد الله كذبت تلك اللحية
الخسيسة فغضب الملك حينئذ وقال له ايها الشاب لولا انك رسول الى لقتلتك شر
قتلة فقال عبد الله لا تقدر على قتلى الا ان يحل اجلى قال له من بعثك الى قال بعثنى
عقبة بن عامر امير الجيوش وقد نزلنا على ابنك بالمهدية ولم نقاتله حتى نسمع جوابك
قال له كم انتم من الخيل قال ستون الف فارس فضحك الملك بقهقهة فقال له عبد
الله ما اضحكك قال ضعف عقولكم حيث ظننتم اننا كاهل الشام او العراق او مصر
وما دريتم اننا اقوى عددا واكبر منهم مملكة وانتم فى ستين الفا من صعاليك
العرب ورعاة الابل وانا عندى ممن ياكلون خبزى مائة الف غلام واربعمائة الف
فارس من صناديد النصارى الذين يركبون معى ما عدا اربعة الاف واربعمائة

امير بأجنادهم فانتم تحدثون انفسكم بالهذيان فقال له عبد الله نحن لا نقاتلكم بالكثرة انما نقاتلكم بالله عز وجل وبحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلله در اصحاب رسول الله وسيأتيك خبرهم ان شاء الله تعالى وترى منهم فى افريقية العجب العجاب قال له الملك اتيت لى بكتاب ام بجواب قال اتيت بكتاب وجواب وكان ملوك افريقية عارفين بلسان العرب فناوله عبد الله الكتاب ففكه وقراه ثم نادى مناد فى ازقة المدينة فاجتمع عنده الف وخمسمائة امير من اهل بساطه وقرا عليهم الكتاب فغضبوا وقالوا كيف يكتب لنا بهذا صعاليك العرب مع قلة عددهم ونحن فى هذا العدد العظيم واكثر قوة من اهل الشام والعراق ومصر فوحق المسيح عيسى بن مريم لا يكون بيننا وبينهم الا الحرب والقتال فقال لهم عبد الله اذاً هلاكتم لا محالة وكان ينظر الى السرير ويطيل النظر فيه فقال له الملك اراك تكثر من النظر للسرير فقال عبد الله انى تخيلت كيف تجلس عليه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فتغيرت وجوه اصحابه من كلام عبد الله وقالوا له ايها الملك لا شك ان هذا الشاب من اقارب محمد بن عبد الله فقال لهم هو ابن عمه قالوا صفته كصفته فقال لهم عبد الله بن جعفر اسمعوا كلام ناصح فوحق صاحب الشفاعة يوم القيامة لا بد لنا ان نملك ما تحت استاركم ولقد كان هرقل صاحب الشام اكثر منكم مالا وعددا وضياعا وبلادا ومع هذا خرج عنها كاللص الليل وانتم لا يخرج منكم احد فتعجبوا من كلام عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ومن فصاحته وكتبوا الى عقبة كتابا قالوا فيه ليس بيننا وبينكم الا القتال فافعلوا ما شئتم وكانت ابنة الملك فى قبتها فارسلت رجلا من خدامها وقالت له اذا خرج الشاب العربى من عند ابى ادخله علي سرًّا فلما خرج عبد الله رضى الله عنه والكتاب بيده وهو متقلد سيفه تقدم اليه الرجل وقال له ان ابنة الملك تاذنك بالدخول عليها لانها حنت الى الاسلام واحتوى حبه على قلبها فقال له عبد الله لا يمكننى ذلك ولكن قل لها تصبر حتى نفتح بلاد ابيها فقال له لم تامرنى بذلك وهى مشتاقة لرؤيتك قال له اخاف ان اهلك قال له لا خوف عليك ثم سار مع الرجل حتى دخل عليها فوجدها جالسة على سريرها فقامت بين يديه وسلمت عليه فتعجب من حسنها وجمالها وقال تبارك الله احسن الخالقين ثم قالت له اجلس عندى وانا اخفى امرك واكتب الى اصحابك ياتون اليك ان كنت تعرف فيهم فرسانا يطيقون الحرب وقد رايت فى منامى

محمدا

محمدا صلى الله عليه وسلم ورايت صفتك ورايت الجنة ونعيمها ورايت جهنم وعذابها وقد آمنت بالله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله وانت ابن عمه قال لها الحمد لله الذى الهمك الله سبحانه وتعالى الهداية ثم حبا وكرامة وكتب كتابا قال فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى فرسان المسلمين منهم سليمان بن خالد ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة الى ان ذكر اثنين وعشرين فارسا احد عشر فارسا من بنى هاشم واحد عشر فارسا من بنى مخزوم وقال ائتونى بجواد من عتاق الخيل ومطيتى وفى موضع كذا ربوة محجرة تستقرون هنالك الى ان ناتيكم يوم كذا فى وقت كذا وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناوله بنت الملك فاعطته للخادم صاحب سرها بعد ان دفعت له الف دينار من عندها وقالت له سر بهذا الكتاب الى المهدية وسل عن فسطاط سليمان بن خالد ورافع بن الحارث وادفعه لهما (قال الراوى) فاخذ الكتاب وسار حتى وصل الى المهدية فسال عن فسطاط سليمان بن خالد ورافع بن الحارث فارشد اليه فدخل عليهما فحياهما وناولهما الكتاب ففكاه واذ عاينا البسملة عرفا اسراره فقرءاه سرا ولم يعلما به احدا ثم استدعى سليمان اصحابه المذكورين معه فى الكتاب فلما حضروا قال لهم ورد علينا كتاب من عبد الله بن جعفر وقراه عليهم وقال لهم ما عندكم من الراى قالوا الراى عندنا ان نركب ونسير مع الذى اتانا بالكتاب لئلا يطلع علينا احد فقال له اصحابه والله ما لاحد علينا امارة (قال الراوى) ثم بلغ الامير عقبة خبر الرجل الذى ورد بكتاب عبد الله بن جعفر الى سليمان بن خالد ورافع بن الحارث فسار اليهما وقال لهما ما هذا الكتاب الذى ورد عليكما من عبد الله بن جعفر ولم تطلعانى عليه فقالا له ايها الامير منعنا الحياء من ان نطلعك عليه فقال لهما لا بد من ذلك لئلا يكون امير غيرى فقال له سليمان ورافع ايها الامير ما اتينا معك الا برضى منا فى طاعة الله ورسوله واما الامارة فما لك علينا الا برضاء انفسنا اذ الناس لم تتفق على خلافة عثمان بن عفان فكيف انت قال لهما عقبة نكتب بذلك الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فقالا لا نكتب لاحد ولا لاحد علينا امارة فقام عقبة رضى الله عنه وتبعه اصحابه ثم بعد ذلك اجتمع عنده بنو امية فاخبرهم بما جرى فقالوا له دع عنك صبيان بنى هاشم وبنى

مخزوم حتى لا تكون وهنة بين المسلمين فقال له عدنان بن سعيد الطائى ايها الامير
انى اقول الحق ولا ابالى فوالله ما فى جيشك سوى ما ولد هاشم ومخزوم دع الامر
ودعهم لئلا يحدث ما يؤدى لانصرافهم عنك فيبقى جيشك دلو بلا حبل وما اريد
بذلك الا صالح المسلمين والله شاهد على ولا تسمع قول قائل فقال له موسى بن
عون والله لقد عظمت قوما لا خلاق لهم قوم يتبعون اهواء انفسهم وانت تعظمهم
اذا لا شك انك من حلفائهم قال له عدنان يا ابن عون انت والله تعلم اذا ضاق الامر
لا يوسع عليك ولا على غيرك سواهم دع نفسك وهواها فانتهر عقبة موسى بن
عون ثم ركب عدنان وسليمان ورافع وحازم وكندة بن ربيعة وحنظلة بن المغيرة
ومسروق بن زيد وعلقمة بن صفوان وعبد الله بن عكرمة بن ابى بكر وركب من
بنى هاشم عروة بن يزيد وعبد الله بن مرة وعبد الله بن العباس وضرار بن نافع
وهمام بن القاسم وحسان بن مرة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم تعلى اجمعين
فكانوا اثنين وعشرين فارسا احدى عشر من بنى هاشم واحدى عشر من بنى مخزوم
وساروا رضى الله عنهم نحو المعلقة ودروعهم مدخلينها فى وسط قصبة من قصب
العراق مطوية طيا محكما وهى اشد بياضا من الثلج اذا اطلقت من طيها يسمع لها
صوت كانه الرعد وتحزموا كلهم بالبرد اليمانية وكان رافع بن الحارث راكبا جوادا
ابيض شديد البياض طويل القوائم واسع الكفل مدور الحوافر عليه حلتان وقد ضفر
له بشراريب حمر وعليه شليل من الحرير الاسود فيه ثلاثون سطرا بيضا منقوشة
بالفضة وركابه من الذهب الوهاج وعلى راس رافع تاج من اللؤلؤ الاحمر لم يكن
احسن منه فيا له من امير ما اشد باسه ولما وصلوا المكان الذى عينه لهم عبد الله بن
جعفر وهو مقطع البحر بالقرب من المعلقة نزلوا هناك وبعثوا رفيقهم الذى اتاهم
بالكتاب وقالوا له اخبر عبد الله بن جعفر بقدومنا فذهب الرجل واستخفوا هم فى
بعض الشعوب بالمكان المذكور (قال الراوى) وكان عند الملك كاهن ماهر عارف
بعلم الفلك والتنجيم فاستدعى به وقال له ايها العارف هل رايت لنا ولهولاء العرب
شيئا فقال له ايها الملك نخبرك بما هو اعظم من هذا الامر قال له وما هو ايها الاب
الرحيم وهل عندك امر اخفيته عنى قال له ايها الملك اقول لك كما ظهر لى قال وما
هو يرحمك المسيح قال الرجل العربى الذى اتاك رسولا وخرج من عندك لم يزل فى
بلدك مستخفيا قال له الملك وهل تعرف مكانه الذى هو فيه قال نعم قال له اين هو

قال

قال عند ابنتك نفسها (قال) وكانت ابنة الملك استدعت خراطا نخرط لها قائمة
من قوائم سريرها وادخلت عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فيها ولم ترد بذلك الا
خراب ملك ابيها ولما سمع الملك كلام المنجم غضب غضبا شديدا وقال لوزرائه اطلبوا
القبة فتوجهوا اليها وفتشوها فلم يجدوه فيها فقال الملك للمنجم سر انت واخرجه من
حيث تعرفه فسار ولم يكن معه احد ودخل القبة وقال لابنة الملك اين صاحب
محمد الذى عندك قالت له من معك قال لها ما اتى معى احد قالت له مهلا عليك حتى
يخرج اليك ثم قالت يا عبد الله اخرج الى عدو الله ورسوله واضرب عنقه فخرج اليه
عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وضرب عنقه ورماه فى جب كان داخل القبة ومسح
هو وابنة الملك الدم بحيث لم يبق من اثره شئ وكتما امره ثم عاد عبد الله الى
مكانه بالسرير فاستبطأ الملك المنجم فارسل لابنته يسالها عنه فاجابت بانها لم تر احدا
ولم يات اليها احد قط فاعلموا الملك بما قالت ابنته فقال لقد هرب حين كذب عليّ
فيا ويح نفس ائتمنت النساء فمعرفتهن سيئات ومعرفة الرجال حسنات لكن
الرجال ليسوا سواء فرجل معرفته رفعة وشرف وءاخر معرفته سوء واسف فعليك
بمعرفة اهل الخير فانها عروة قوية يتمسك بها ولقد قال لقمان لابنه يا بنى لا تجالس
حدادا فتحترق ثيابك وقال النبى صلى الله عليه وسلم ما نفعنى مال من الاموال الا
ابو بكر الصديق رضى الله عنه اذ هو صاحب كريم فاضل معرفته كنز من الكنوز
وقال لقمان لابنه وهو يعظه يا بنى محبة النساء لازواجهن كيد فلا تغرنك
مشورتهن ولا تشاورهن الا مجازا وقد قيل شاورهن وخالفهن وقال لقمان
ايضا لابنه من احب امراته فليخف محبته لها ولا يظهرها لئلا يصغر قدره
عندها (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم وصل رسول عبد الله بن جعفر الذى
بعثه بكتابه الى اصحابه فدخل على ابنة الملك واعلمها بالخبر وقال لها ان اصحاب
عبد الله قد اتوا وهم كلهم صبيان صغار السن مرد كما بدا عذارهم كانهم من
اولاد عزرائيل ملك الموت راكبين على خيول يتمنى الناظر ان ينظر اليهم
فعند ذلك خرج عبد الله من المكان الذى كان فيه وقال لابنة الملك ما الراى
عندك قالت تلبس لبس النسوة ونخرج فى زى النسوان فالبسته لباس النساء
ولبست هى مثله وخرجا من القبة فى صفة متنزهتين كبقية نساء المدينة فصارا
ينتقلان من شارع الى ءاخر الى ان خرجا من باب البلد وسارا الى الموضع الذى

كمن فيه اصحاب عبد الله بن جعفر فلما راوهما قادمين عليهم قصدوهما على خيولهم ولما اقتربوا منهما ترجلوا وسلموا عليهما واكرموا لقيا ابنة الملك وعظموها وقالوا لها نحن لك وبين يديك وقريش لك غلمان فقالت لهم حاشا لله انا لكم بمنزلة الامة وقد تمسكت باذيالكم وتعلقت بشرفكم لما سمعت عنكم من الفضل وانى قد وهبت نفسى لابن عمكم هذا ولكنى اخشى ان يعلم بكم اهل البلد والملك فيخرجون فى اثرى واخاف عليكم منهم لانكم قليلون فتبسم رافع بن الحارث وقال لها والله ما بغيتنا الا الحرب قالت لهم اذا خذوا على انفسكم (قال الراوى) وبينما هم كذلك اذ الغبار قد ثار وخرجت من تحته الخيل كانها الريح او النمل لكثرتها وسبب ذلك ان الرجل صاحب سر ابنة الملك بعد ان اتى الى عبد الله بن جعفر واعلمه بوصول اصحابه ذهب الى الملك واخبره بالقصة فخرج الملك فى حينه وركب جوادا ابيض فى وسط المدينة وامر بضرب النواقيس وكثر النفير والزعيق وخرج عدو الله ورسوله فى اثنين وعشرين الف فارس وتبعه خلق لا يحصى عدده الا الله (قال) فلما راى اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الغبار قالت لهم ابنة الملك أواه اليوم يفتضح امرى بين بنات الملوك يا ءال غالب هبوا اليوم انفسكم لى وعظموا قدرى قالوا لها لا خوف عليك ثم ركبوا خيولهم واخرجوا دروعهم من القصبات واطلقوها من طيها وركب عبد الله بن جعفر واركبوا ابنة الملك المطية التى اتوها بها ونزلوا دروقهم وتحزموا ببرودهم ولبس عبد الله درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى يا ءال عبد مناف يا ءال غالب يا ءال هاشم يا ءال مخزوم تذكروا فعل ابائكم الذين سلفوا فلا خير فيمن يشبه اباه ولا خير فى ولد يكون سيئة وابوه حسنة فقالوا له نحن قد وهبنا انفسنا لله ثم لك فشكرهم على ذلك ثم لحقت الخيل بهم فقالوا لعبد الله بن جعفر اتبع زوجتك وسر بها ونحن نكفيك امرهم ان شاء الله تعلى قال معاذ الله انى استحى ان يرانى الله عز وجل موليا الادبار وانتم فى القتال قالوا من يبقى معها قال لا ادرى قالوا لعمر بن حمزة اتبعها ونحن نكفيك امر القتال قال لا ارضى بذلك وعرضوا على غيره فابى ولم يرض منهم احد بترك الجهاد فقالت لهم بنت الملك انا اسير مع الطريق حتى تلحقوا بى قالوا لها تقدمى واخفى نفسك ولا تخافى فنحن حائلون بينك وبينهم فسارت على مطيتها ولم يكن غير قليل حتى لحقت الخيل باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فتصايحوا

ببعضهم

يعضهم بعضا ونادى سليمان بن خالد رضى الله عنه معاشر المسلمين الجنة تحت ظلال السيوف والله عز وجل مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم والمسلمون منتظرون لاخباركم وما يصل من عندكم اليوم هبوا انفسكم لله ورسوله صلى الله عليه وسلم ولا تجزعوا من الموت واطلبوا الموت خير لكم من الحياة وها انا قد وهبت نفسى لله ورسوله صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى) فحملت النصارى على المسلمين حملة واحدة منكرة فصبروا لها صبر الكرام وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله الدمار وكثر النزال ووقع القتال والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والملاث فى اثرهم يحرض الناس على القتال وداروا باصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم دوران الرحى وهم فى وسطهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود فلم يجدوا ملجئا يلجاون اليه فصاح عبد الله ابن جعفر باصحابه وقال لهم اكثروا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وعظموا الله الذى لا اله الا هو واياكم تولون الادبار لان الله عز وجل قال يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الاية وقال تعلى يا ايها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال تبارك وتعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الواقدى) فبينما هم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا بعمر بن حمزة رضى الله عنه قد اقبل فى ثلاثين من الخيل من بنى عبد المطلب فحال بينهم وبين البلد ونادى باعلى صوته انا عمر بن حمزة بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحينئذ صاح اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجانب الاخر وكثر الصياح على الكفار وكان صايحا يصيح فيهم بالادبار فادبروا ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وتبعهم الصحابة رضى الله عنهم يتصايحون بعضهم بعضا ويقولون يا ءال مناف ارضوا الله تبارك وتعلى بسيوفكم فانتم اول طايعة طلعت للمسلمين وساروا فى اثر الاعداء كالسباع فى اثر الغنم واعتزل بنو مخزوم عن بنى هاشم فاخذ هولاء ميمنة وهولاء ميسرة وصدوهم صدة واحدة الى ان ادخلوهم باب البلد فقتل بنو مخزوم ثلاثة الاف واربعمائة وعشرين كافرا وقتل بنو هاشم اربعة الاف ومائة وثلاثين وجرح عبد الله بن جعفر احد عشر جرحا وكان رضى الله عنه اذا انجرح تلتئم جروحه فى ليلة واحدة وجرح مسروق بن زيد اربعة جروح وجرح عمر بن حمزة ثلاثة جروح

وفشت الجراحات فى بنى هاشم وجرح من بنى مخزوم رافع وصعصعة وحسان ومقدام واستشهد منهم كندة بن عمرو بن نويفل وابن الاخنس ومرة بن رافع وعكرمة بن ابى جهل ومات ثلاثة من الخيل وغنم بنو هاشم ثلاثمائة فرس ومائة مطية وجدوها داخلة للبلد واخذ بنو مخزوم من الات الحرب ما لا يحصى ثم رجع الصحابة رضى الله عنهم وجدوا السير حتى لحقوا بابنة الملك فوجدوها نازلة عن مطيتها وقد تغير لونها فلما اقبلوا عليها استنار وجهها وسكن روعها وظهر لها كانهم كانوا يخوضون فى بحر من دم فقالت لهم لعل الله تبارك وتعلى لم يفضحنى فيكم فقال لها رافع بن الحارث ما خلقت الرجال الا للموت فلو قطعنا اربا اربا ما ازددنا الا حبا لله تعلى ولا نبالى بالموت ولا الهموم ولا لك عندنا الا الرضا ونحن بين يديك وطوع امرك فشكرتهم ثم نظرت الى عمر بن حمزة وقالت لهم هذا له شبه بعبد الله بن جعفر فقالو لها هو ابن عمه فسلمت عليه ثم ساروا قاصدين المهدية وقد علموا ان بنى امية يتجسسون اخبارهم ويقولون عنهم انهم صبيان لا يطيقون الحرب ولا يرجع منهم احد ولا يزالون يجدون السير يدون ان يلحق بهم احد الى ان لحقوا بجيش المسلمين بالمهدية فانزلوا ابنة الملك فى فسطاط رافع بن الحارث لان زوجته كانت معه وساروا الى ان دخلوا على الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه فسلموا عليه وطلبوا العفو والصفح عما صدر منهم فعفا عنهم وهناهم وفرح بقدومهم وحمد الله على سلامتهم وكذلك المسلمون فانهم اجتمعوا عليهم وفرحوا بسلامتهم واسلمت بنت الملك وباتوا تلك الليلة فى راحة وانشراح فلما كانت صبيحة الغد بلغ ابن الملك ان اخته اتى بها المسلمون فغاظه الامر وعظم عليه ثم بعث له الامير عقبة بن عامر يعلمه بما كتب اليه ابوه الملك الاكبر (قال الراوى) فلما كانت صبيحة الغد امر عقبة الجيش ان يقربوا من باب المهدية اما ابن الملك فانه جمع ارباب دولته لاستشارتهم وقال لهم كيف يحاصركم صعاليك العرب اخرجوا اليهم وقاتلوهم على دين اباءكم ودين عيسى بن مريم فقالوا سمعا وطاعة (قال) فركب ابن الملك فى مائة الف فارس كانوا لابسين الفخر اللباس ومعه جيش عظيم فرتبهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وخرجت كل امراة كانت فى المهدية وكن متزينات احسن زينة فكثن على اسوار المدينة وحلف ابن الملك بالتوراة والانجيل ان لا يرجع حتى ياتى باخته وبعبد الله بن جعفر اسيرا معها لانه سحرها وسلب عقلها

عقلها ورتب المسلمون جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل الامير عقبة
على الميمنة رافع بن الحارث وعلى الميسرة مسروق بن زيد وعلى القلب عبد الله بن
جعفر وتامر الامير عقبة على طي ولخم وجذام وغسان وباقي المسلمين ثم خرج ابن
الملك في جيشه وطبوله تضرب وهي الف طبل والصلبان امامهم وكثر يومئذ الزعيق
وعظم الضجيج فعند ذلك نادى الامير عقبة رضي الله عنه قائلا معاشر المسلمين رحمكم
الله اكثروا بالصلاة والسلام على البشير النذير وعظموا الله الذي لا اله الا هو وقدموا
الموت واخروا الحياة واعلموا ان المسلمين ناظرون اليكم والى غنيمة تصل من
عندكم ثم استدعى الامراء فاعطى راية لسليمان وراية لرافع وراية لشداد فكانت
الرايات في صف بني مخزوم مائة وفي بني هاشم مائة وعشرين ثم استدعى رافع بن
الحارث وقال له حرض الناس وامرهم بالبراز ونادى عقبة ايضا في بني هاشم وقال
يا عبد الله بن جعفر مر اصحابك بالبراز وعند ذلك ارتفع الغبار ونادى رافع بن
الحارث بعدنان وقال له خذ الراية حتى اطلب البراز فاخذ الراية من يده وسار رافع
حتى وصل بين الصفين وقال يا معاشر الاشقياء اللئام عند ذوي الافهام من يبارز
العرب الكرام فقال ابن الملك من يخرج الى هذا العربي ويكفينا امره فخرج اليه
بطريق عظيم اسمه سيطور وهو ابن عم الملك الاكبر وكان فارسا شديدا مشهورا
في افريقية وكان راكبا جوادا اصفر اللون وعليه حلة عجيبة ثمينة وكل ما على جواده
من الذهب الوهاج فنادته بنت صاحب حيدرة وهي زوج ابن الملك الاكبر وقالت
له يا سيطور انت لم يكن مثلك في افريقية اظهر اليوم شجاعتك وانصح طايعة
العرب وكانت ابنة الملك زوجة عبد الله بن جعفر تنظر الى رافع بن الحارث وقالت
له يا سيدي بيض اليوم وجهي لافتخر بكم على بنات النصارى ويكون في ذلك رفعة
لي ولكم فقال لها لا بد ان اريك اليوم ما يدهش العقول ببركة رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم نادت بنت صاحب حيدرة وقالت يا سيطور لا تطلب البراز الا من
عبد الله بن جعفر فقال سيطور لرافع ارجع الى خلف فلا يبارزني اليوم الا عبد الله
ابن جعفر فقال له رافع لا يكون ذلك ابدا فنادى عدو الله باعلى صوته اين عبد
الله بن جعفر ليخرج الى مبارزتي ولا يبارزني اليوم غيره فسمعه عبد الله وقال له
لبيك مهلا عليك اني خارج اليك قال رافع انا خرجت اليه فلا ارجع عنه قال له
عبد الله وحق صاحب الشفاعة يوم القيامة لا يبارزه غيري لانه دعاني للبراز واستحي

ان برانى الله تبارك وتعالى قاصرا عن برازه (قال الراوى) فبكت ابنة الملك وقالت يا عبد الله من لى بعدك هذا فارس مشهور ليس عند ابى بالمعلقة ولا فى افريقية افرس منه فقال لها عبد الله طيبى نفسا وقرى عينا فوالله لابيضن اليوم وجهك ووجوه بنات العرب ان شاء الله تعالى ثم كرر اللعين النداء وقال من يبارزنى لا يلومن الا نفسه اين عبد الله بن جعفر الذى حدث نفسه بزواج بنت الملك الاكبر فاجابه مهلا انى خارج اليك ان شاء الله (قال) وسمعت نساء المهدية ان عبد الله خارج لمبارزة سيطور فاتين كلهن للتفرج عليه هل هو جميل وهل هو فارس شديد وليشاهدن قتله لما يعلمنه من بسالة سيطور وكانت بنت الملك واقفة وقد تغير لونها خوفا على عبد الله وبكت ودعت قائلة اللهم انى ما تمسكت بالاسلام الا حبا فى نبيك محمد صلى الله عليه وسلم واصحابه فاسالك اللهم بقدره عندك ان لا تفضحنى اليوم فى عبد الله بن جعفر لانهم ما طلبوا برازه الا ضدا لى وشماتة بى فاجب ندائى يا سامع السر والنجوى ويا مجيب الدعوات ثم بكت بكاء شديدا حتى غشى عليها (قال) وركب عبد الله جوادا ابيض ولبس ثيابا بيضا وجعل ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلى جسده ولبس درعا كان لجده ابى طالب وخرج الى لقاء عدو الله ورسوله فلما دنا منه قال له سيطور انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له اانت الذى اتيت بابنة الملك وتزوجتها قال له نعم قال له هل من راى فى ان تردها خير لك من قتلك فضحك عبد الله من كلامه وقال له يا عدو الله ايخاطنى مثلك بهذا الكلام ولكن سترى اذا انقشع الغبار اعلى جواد راكب انت او حمار فناداه الامير عقبة بن عامر يا عبد الله انت اول طليعة تقدمت للمسلمين والناس ناظرون اليك من كل جانب ومكان وكانت بنت الملك واقفة تنظر اليهما ونادت كل امراة كانت حاضرة من نساء المهدية يا سيطور لا تخيب ظن الناس فيك واكسر اليوم طليعة العرب وافضح ابنة الملك فى صاحبها ولا تقبلها اذا اتت اليك ثم حمل عدو الله ورسوله على عبد الله حملة شديدة وضربه ضربة منكرة اخذها عبد الله فى درقته بدون ان يؤثر السيف فيها شيئا فنادى رافع بن الحارث يا عبد الله ايقظ نفسك ولا تجزع من عدو الله ورسوله فحمل عبد الله عليه حملة هاشمية وطعنه على هامته فقسمها نصفين فخر فى الارض ميتا فكبر عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وكبر المسلمون واخذ جواده وسلاحه وملابسه وكانت من الذهب قيمتها نحو

عشرة

عشرة الاف دينار ففرحت بنت الملك فرحا شديدا وتباهت بزوجها على بنات الملوك ثم طلب عبد الله البراز ثانيا فقالت له بنت الملك لا تفعل واترك عنك البراز فلم يلتفت اليها فنادى ابن الملك فى قومه ايكم يبرز الى هذا العربى فلم يجبه احد فقال انا ابرز له بنفسى فلما تحقق لدى قومه انه بارز الى عبد الله بن جعفر اتى اليه فارس يقال له ديلاق بن طارق كان امره على نصف الجيش وقال له انا ابرز اليه واكفيك امره وآتيك باختك فقال له ان انت فعلت هذا فلك عندى ابنتى وخراج بلاد الجريد ثم خرج ديلاق الى عبد الله ولما دنا منه قال له ما حال ابنة الملك عندكم قال هى فى نعمة وسرور قال له اى شئ تاكل عندكم هل تطعم غير الشعير وحليب الابل وفراش الرمل ووساد الحجارة فبعد ان كانت فى ارغد العيش واطيب الحياة صارت الان عائشة كالدواب قال له عبد الله يا عدو الله هل نحن عندكم بهذه المنزلة ثم حمل عليه وضربه على هامة راسه فقطع بعضه مع اذنه فخر الى الارض صريعا فكبر عبد الله وكبر المسلمون وانشرح صدر ابنة الملك ومن شدة فرحها ان خرجت واظهرت نفسها حتى رآها اخوها واهل المهدية واخذ عبد الله سلبه ولم يزل يطلب البراز مرة بعد اخرى الى ان قتل ثمانين بطلا من صناديدهم واخذ سلبهم فعند ذلك سار بنو امية وعقبة بن عامر اليهم الى عبد الله فقبله عقبة وقال له انت والله اتيت على طريق الاوائل فقال له عبد الله ذلك من فضل الله وفضل رسوله ومن سعادتك ايها الامير ثم اقسم عليه عقبة ان يرجع عن البراز فرجع عبد الله وخرج مكانه رافع بن الحارث فقال معاشر الاشقياء اللئام عند ذوى الافهام من يبارز العرب الكرام فعند ذلك نادى ابن الملك اين الذين ياكلون خراج الملك اين الذين يجلسون على بساط الملك اما تنظرون الى هولاء العرب الاحداث الجياع كيف فعلوا فينا اما تستحيون من الصليب اما تخافون غضب المسيح اتريدون ان يغضب عليكم كما غضب على هرقل ملك الشام واخرجه من بلاد ابيه (قال الراوى) فاجتمع عليه ارباب دولته وقالوا له ايها الملك انا لم نتاخر عن طلب البراز ولكن هولاء قوم ما اخذوا البلاد الا بالعدل قوم يصومون النهار ويقومون الليل ولا يتكبرون على ضعيفهم والغنى والفقير عندهم سواء ولذلك نصرهم الله تعلى علينا فقال لهم ابن الملك افعلوا مثلهم وصوموا النهار وقوموا الليل وقدموا صلبانكم امامكم وبخروها بالمسك والعنبر تنالوا السرور والحبور فاتفقوا على ذلك كله ثم

خرج منهم فارس شديد تضرب به الامثال فى جميع افريقية وهو ابن صاحب قسطل واسمه زوجاح بن ديراج وكان شابا عظيم الهيبة والوقار ولما قرب من رافع بن الحارث قال له من اى الناس انت قال من قريش قال له اى قريش قال من بنى مخزوم قال له ان الك شبها بخالد بن الوليد قال هو عمى ثم قال له من اين تعرفه فهل رايته قال نعم رايته فى فتوح الشام وانا صبى صغير السن اذ مضيت مع ابى الى حج بيت المقدس وكان لى اخ اكبر منى سنا قتله عبد الرحمن بن ابى بكر وكان الناس يتحدثون عن عمك ورجع ابى ورجعت معه والان خرجت لاخذ ثار اخى منك ففز بنفسك قبل ان افضحك بين اقرانك فغضب رافع من كلامه وحمل عليه وضربه ضربة شديدة على عاتقه فقطع نصف ظهره فاختلطت امعاؤه فوقع ميتا ثم خرج اليه فارس آخر فقتله ولم يزل رافع يطلب البراز وكل من خرج اليه قتله حتى قتل مائة وعشرين فارسا واخذ سلبهم فتقدمت اليه قريش وشكروا صنيعه واخذ عبد الله بن جعفر بعنان جواد رافع ورده الى مكانه بعد ما اقسم عليه ان يستريح وبقى النصارى حيارى مما شاهدوه من اصحاب رسول الله (قال) ثم التفتت بنت الملك الى عبد الله بن جعفر وقالت له يا سيدى ان قلبى قد قوى بالله ثم بك فاخرج للبراز واطلب اخى عسى ان تاخذه اسيرا فاذا اسرته اطلقه انا بيدى فيكون لى فى ذلك رفعة لشانى ولشانكم بين بنات الملوك ونساء النصارى فقال لها حبا وكرامة ثم خرج رضى الله عنه وطلب البراز فقال انا عبد الله بن جعفر ابن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرج الى الا ابن الملك الاكبر (قال) فعند ذلك قالوا للملك اتسمع ما يقول هذا العربى فقال لهم ما يقول ليوهم انه لم يسمعه قالوا يطلبك للبراز ويقول لا يخرج اليه غيرك فانظر الى هولاء العرب كيف يهينون الناس ولا يوقرون احدا كبيرا كان او صغيرا فهم قوم لا خلاق لهم قال لهم ما ذا ترون من الراى انه قد دعانى الى البراز قالوا افعل ما تشاء فنحن لك من التابعين قال لهم انى عولت على مبارزته لانى اذا لم اجبه اخشى الفضيحة والعار بين ابناء الملوك وغضب ابى للآن وحق عيسى بن مريم لامكنن منه ولاخذن منه الثار واقتك منه اختى لانه سحرها وسلب عقلها لان العرب لم ياخذوا البلاد الا بالسحر ثم قال ائتونى بحسام ابى وملابسه ليتبرك بلبسها ويتيمن بها لان اباه ملك المعلقة وهو مشهور بالديانة وكثرة العبادة وجميع بلاد افريقية

تحت

تحت سلطنته واهلها يتبركون به ويقسمون باسمه حيث يعتقدون فيه الصلاح العدل وفرط دیانته (قال) فلبس حسام ابيه وآلة حربه وخرج للبراز والناس يتضرعون اليه ويقولون كيف تخرج الى عربي راعي ابل لا شرف له ولا امارة ولا حسب ولا نسب ولا هو معروف بمملكة قال لهم وحياة ابي ما كان يخطر ببالي مبارزته وكنت استحى ان اخرج اليه لولا انه دعاني فلا يجمل بي ان اتأخر عنه وانا افرس منه واشد باسا واعظم قدرة على ضرب الحسام ثم خرج كانه برج من ذهب وحوله مماليكه ينظرون والناس واقفون يترقبون ما تئول اليه المبارزة وابنة الملك واقفة وقد اوجست في نفسها خيفة وندمت على ما فرط منها مخافة ان يقتل بعلها او اخوها فبكت عند ذلك وكتمت امرها فلما دنا ابن الملك من عبد الله بن جعفر قال له انت الذى سحرت اختى وسلبت لبها قال له عبد الله نحن قوم مؤمنون لا نعرف سحرا ولا نحن من اهله وانما انا الذى دخلت بلاد ابيك واتيت باختك حين حبب الله تبارك وتعالى لها الاسلام ودخلت في دين محمد عليه الصلاة والسلام وهو دين شريف وانتم تعلمون ذلك في كتابكم واننا افضل منكم ولكنكم تنكرون فقال له ابن الملك اقصر الكلام فان ملك الموت واقف ليقضي امره ويذهب لغيرنا قال له عبد الله حبا وكرامة اتحمل عليّ ام احمل عليك قال انا احمل عليك لاني افضل منك قال له عبد الله الان يظهر لك اينا افضل (قال) فحمل على عبد الله حملة شديدة وضربه ضربة منكرة اخذها في درقته ثم تأخر عبد الله وحمل عليه حملة منكرة وضربه على هامته بصفح السيف فانقلب عن جواده الى الارض فنزل اليه عبد الله واوثقه كتافا واخذه اسيرا واخذ جميع ما عليه ثم حمل بنو مخزوم على اهل المهدية وساعدهم بنو هاشم وطى وغسان ولخم وجذام وباقي المسلمين وهللوا وكبروا تكبيرة واحدة وارتفع الغبار وطلع النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار فولوا الادبار وركنوا الى الفرار فاسرع بنو مخزوم الى قطع طريق الفرار عنهم فحالوا بينهم وبين البلد وحصروهم لبني هاشم واحاطوا بهم يمينا وشمالا وفتكوا بهم فتكا ذريعا ومن نجا منهم دخل البلد (قال الواقدی) اخبرنی اویس بن عامر الكلابي عن صفوان بن حسان وكان حاضرا يوم اخذ عبد الله ابن الملك اسيرا قال حين انهزم اهل المهدية وركنوا الى الفرار حال بنو مخزوم بينهم وبين البلد ووضعوا السيف فيهم هم وبنو هاشم

من الجهتين معا فقتل منهم بنو مخزوم ثلاثة الاف وخمسمائة وعشرين فارسا وبنو هاشم اربعة الاف واربعمائة واربعين فارسا غير الرجال وسبوا من النساء والولدان ما لا يحصى ومات كثير من الازدحام وكان يوما عظيم الهول واغلقت ابواب المهدية بعد هذا الانكسار وطلع الناس على الاسوار ينظرون ما يصنع عبد الله بابن الملك وغنم المسلمون اشياء كثيرة وكثيرا من الخيل والدواب وجمعوها واقتسموها فكان الذى صح للفارس منهم عشرة الاف دينار والراجل خمسة الاف (قال الراوى) وسار عبد الله بن جعفر رضى الله عنه بابن الملك الى فسطاطه واكرمه غاية الاكرام ودخلت عليه اخته واطلقته من وثاقه وسلمت عليه وسلم عليها وقال لها بلغته كلمى عبد الله لئلا يقتلنى اميرهم قالت له لا باس عليك فقال الحمد لله الذى نجانى الله بسببك يا اختى ثم دخل عليه عبد الله بن جعفر ورافع ابن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد فقامت بنت الملك بين ايديهم وقالت لهم يا سادات العرب اياكم واخى فقالوا لها رضى الله عنهم عار علينا ان نمس اخاك بسوء فوالله لو اخذنا ما ولد العيص بن اسحاق اسراء وكنت انت حاضرة لاطلقناهم جميعا اجلالا لك فكيف باخيك وهو اليوم اقرب الينا من كل قريب فشكرت فضلهم ثم ردوا له جميع ما اخذوه منه وقالوا له سر الى بلدك اجلالا لاختك قال لهم اتمم لها يا سادات العرب ولكن اطلب من كرمكم أن ترخصوا لاختى تمضى معى قالوا نعم فقاموا وسار وسارت معه اخته حتى دخلا البلد فمكثت عنده ثلاثة ايام كانت فيها محل الرعاية والتبجيل وفى اليوم الرابع خرج بها بعد ان اعطاها الف مطية محمولة بالخز والجواهر والديباج وعلى كل مطية الف دينار ذهبا والف اوقية من المسك ومائة جواد من عتاق الخيل وعادت بنت الملك على غاية السرور والانشراح وقد علا شانها عند بنات الملوك ونساء النصارى اللاتى صرن يقلن نعم ما اختارت ونعم ما تزوجت بنت الملك وقالت الحمد لله الذى انعم الله تبارك وتعلى عليّ بالاسلام ولما استقرت فى فسطاطها هناها بنات العرب وفرحن بها وبات الناس تلك الليلة فى راحة وسرور ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ثم استدعى عبد الله بن جعفر واصحابه رضى الله عنهم اجمعين فحضروا بين يديه فقال لهم قد فعلتم مع ابن الملك ما فعلتم ولكن ابعثوا اليه واسالوه عما يكون بعد هذا فقالوا له ايها الامير اكتب اليه انت بان

يودى

يودى الجزية او الاسلام او القتال قال لهم اكتبوا انتم واما انا والله ما اكتب اليه وليس بينى وبينه كلام (قال) فاستدعى رافع بن الحارث بدواة وقرطاس وكتب كتابا يقول فيه بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم من رافع بن الحارث وكافة المسلمين الى ابن الملك الاكبر اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد قضى الله باسرك عندنا وبانفصالك عنا وما اطلقناك الا اجلالا لاخيك والان لا نفاصلك ولا نرتحل عنك الا باحد امور ثلاثة اما الاسلام فيكون لك ما لنا وعليك ما علينا او الجزية او القتال وليس عندنا غير هذا والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه لمرة بن كثير الطائى وقال له انجز بالجواب فسار الى ان دخل البلد فقالوا له اين تريد قال الى ابن الملك فتقدموا اليه واخبروه فقال لهم ادخلوه علي (قال) فدخل مرة على ابن الملك فوجده جالسا على سرير ملكه وطوله خمسون ذراعا وهو من العاج مرصع بالدر والياقوت فلما رآه قام اليه تعظيما وسلم عليه وقال له كيف حال عبد الله بن جعفر قال هو بخير وعافية قال له ولاى شئ اتيت قال اتيت اليك بكتاب وناوله اياه ففكه وقراه ثم قال لوزرائه ما عندكم من الراى قالوا له اقراه لنا الكتاب فلما قراه عليهم قالوا لا نقبل واحدا من هذه الشروط ولا نسلم بلادنا بغير قتال فقال لهم اصبتم فيما قلتم ثم قال لمرة بن كثير الطائى سر الى عبد الله بن جعفر وعمر بن الحارث وقل لهما ينتظرانى فى صبيحة غد لاتحدث معهما وارجو من الله تبارك وتعالى ان يكون فى ذلك صلاح وخير فنهض مرة وخرج من عند ابن الملك بعد ان اعطاه جوادا من عتاق الخيل وسار نحو المسلمين ثم قال ابن الملك لاصحابه فى صبيحة غد انا اخرج اليهم واتحدث معهم لعلى اخدعهم لان الحرب خداع قالوا له افعل ما تريد ولكن اياك والخداع فى ديننا فقال لهم كيف نخادع ديننا (قال) فلما كانت صبيحة غد ركب ابن الملك على مطية بيضاء وقال لاهل البلد انى ذاهب الى عقبة امير الجيش لاتحدث معه واجادله عن ديننا ولا شك ان ديننا اصح لانه قديم ودينهم حادث وكان عارفا بالانجيل قالوا له لا تكثر من الجدال وكن سريع الجواب واعلم ان العرب لم تات الى هنا الا لامتلاك جميع البلاد الافريقية لان نبيهم وصفها لعثمان بن عفان واوصاه على فتحها فقال له ان البرد الشديد والحر العظيم لاهل افريقية فاعدل يا عثمان

اليها بجيشك ولقد اخبرني جبريل عليه السلام ان افريقية يحشر منها سبعون الف عابد يدخلون الجنة بغير حساب وفيها باب من ابواب الجنة واذا بعثت جيشك اليها فامره ان لا ينزل بوادي مجردة ولا يشرب منه لان من شرب من مائه طبع الله على قلبه وتحدث بافريقية بلدة تسمى ترشيش من دخلها راى فيها جالا بارعا ولباسا حسنا ومن تزوج فيها بكرا فقد ملك بدرا وملوك الغرب يتقاتلون عليها فاذا ادركت الخلافة يا عثمان فعليك بها (قال الراوى) فسار ابن الملك الى لقاء المسلمين ومعه الف غلام فلما قرب منهم قال السلام عليكم قالوا له وعليك السلام ان كنت من اهله وبادر اليه الصحابة رضى الله عنهم فعظموه فنزل هو ونزل عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وكانوا متقلدين سيوفهم ثم جلسوا يتحدثون والعبيد واقفون صفا فلما راتهم عبيد العرب قال لهم كبيرهم واسمه دهايس بن دامس الذى فتح ابوه قلعة حلب وهو في الشام يا ءال العبيد هشوا على عبيد الملك فاجابوه وتقدم دهايس وتقدمت العبيد في اثره الى ان قرب منهم فقال لهم دهايس حولوا بينهم وبين البلد وكانوا مائة وعشرين عبدا بيد كل واحد منهم عصا بطرفها كرة من الحديد فلما رآهم عبيد ابن الملك قال بعضهم لبعض ما لهولاء قادمين الينا لعلهم اتوا للصلح اولا كرامنا فقال لهم كبيرهم ليس لهم وجوه صلح ولا وجوه خير فقال عبيد المسلمين لاميرهم اسمعت ما قالوا قال نعم (قال) واختلط العبيد بالعبيد وحمل دهايس على امير عبيد ابن الملك فضربه بكرة عصاته على هامته فانفطر راسه فوقع ميتا فلما راى العبيد ما حل باميرهم ولوا الادبار فتبعهم عبيد العرب الى ان قتلوا منهم مائة وستين غلاما وادخلوهم الباب فقال ابن الملك للصحابة رضى الله عنهم غدرتم بعد الكرم والاحسان قالوا له الغدر ليس من شيمتنا ولكن عبيدكم ظلموا عبيدنا وفرق ذلك فالعبيد كلهم كالدواب ثم قالوا له ألا تعلم ايها الملك ان الله تعلى امرنا بقتالكم او الجزية او الاسلام فانظر حينئذ اى الحالات تريد وتختار قال لهم صفوا لى محمدا واخلاقه وءادابه لارى ان كان وصفكم يوافق وصف الانجيل قال له عبد الله بن جعفر رضى الله عنه نبينا عليه الصلاة والسلام لا بالطويل ولا بالقصير ابيض الوجه بحمرة تطرقه اجعد الشعر ازج الحاجبين افصح العرب لسانا واسخاهم جودا لا متكبر ولا متجبر الكبير والصغير عنده سواء يطحن مع الخادم ويعجن معها ويوقد النار بيده ويضع القدر على

النار

النار بيده ويجلس على الارض ويركب الحمار ويحلب الشاة بيده ويلبس الصوف اديب لبيب حسيب نسيب كريم ذكى عاقل مكين انصح قريش واطولهم باعا صلى الله عليه وسلم فقال له ابن الملك كم له من اسم عندكم قال له عبد الله اسمه فى السماء احمد وفى الارض محمد وفى الجنة ابو القاسم وفى التوراة الحامد والماحى والحاشر والنذير البشير التهامى العربى وهى تنتهى الى تسع وتسعين قال له صدقت يا عبد الله ثم ادخل ابن الملك يده فى جيبه واخرج الانجيل واوقف اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على صفته عليه الصلاة والسلام واخلاقه وءادابه واسمائه وانه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف وابوه يموت وهو فى بطن امه وترضعه امراة من بنى سعد اسمها حليمة بنت ابى ذويب السعدى فقال له الصحابة حيث كان هذا موجود عندكم فى الانجيل فلاى شئ لم تسلم قال خوفا من ابى وقومى لئلا يقتلونى فقالوا له رضى الله عنهم اخف اسلامك ونتركك على بلادك الى ان نفتح بلاد ابيك قال لهم اتفعلون ذلك قالوا نعم واعطوه عهد الله وميثاقه على ان يوفوا بهذا العهد فنطق بالشهادتين وقال اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقالوا له الحمد لله الذى الهمك الله الى دين الاسلام ثم قال لهم انا اذا امضى واكتموا هذا الامر لان الناموس ما خلا منه احد وقفل راجعا ولم يكن معه احد ولما رآه اهل البلد قادما اغلقوا الابواب فقال لهم ما هذا الامر قالوا له قد ثبت لدينا انك صبوت الى دين العرب فاقسم لهم انه لا يزال على دينه فلم يصدقوه فرجع الى المسلمين ولما قرب من الفساطيط خرج اليه الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه والمسلمون معه للقائه ثم دخل على اخته ففرحت به فرحا شديدا وعظم امر اسلامه على اهل المهدية فاجتمعوا وذهبوا الى ام الملك ودخلوا عليها فى قصر ابنها وقالوا لها ارايت ما صنع ابنك وكيف صبا الى دين العرب قالت لهم ان ذلك من المستحيل ولا يتصور ان يصدر مثل هذا من ولدى قالوا لها قد فعل قالت لهم عليه اللعنة ثم كتبوا الى الملك الاكبر بالمعلقة بما كان من ولده وقالوا ارسل الينا ملكا غيره يتولى امرنا ونخشى ايضا على زوجتك من اتباع ابنها وبادر بالجواب (قال الراوى) وارسلت زوجة الملك تطلب قسيسا عالما مشهورا ينتهى اليها وكانت تكرم جانبه وتبالغ فى رعايته ولما حضر لديها قالت له سالتك بالمسيح عيسى بن مريم الا ما اخبرتنى بالحق قال لها عن اى شئ تسالين قالت ما قولك فى دين هولاء العرب

ونبيهم قال لها لقد سالتنى عن امر عظيم غير انى اخاف ان ينكشف سرى ويطلع الناس على امرى قالت له كيف ينكشف سرك وانا السائلة عنه والمطلعة عليه فقال لها وحق من رفع السماء بغير عمد ليس على وجه الارض افضل من محمد بن عبد الله ودينهم خير الاديان فقالت له حيث انكم تعلمون ذلك فلماذا لم تتبعوه قال حرمان من الله ولم يرد الله بنا خيرا قالت له اذاً نسلم انا وانت ونتبع دينهم القويم قال لها فهل عزمت على ذلك قلت نعم قال لها الله شاهد عليك قالت ها انا ابدا بنفسى واقول امامك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ففرح القسيس باسلامها ونطق هو ايضا بالشهادتين (قال) فلما اسلما معا قال القسيس للملكة ما الحيلة حينئذ فقالت له عليّ تدبير الامر اذا كان فى صبيحة غد اجمع اهل البلد كبارا وصغارا رجالا ونساء واصعد الى قبة الوعظ واكثر من السب والطعن فى دين العرب وفضل دين المسيح على جميع الاديان حتى يعلموا منك النصيحة وقل لهم فى الختام انى اود ان ابعث بناتى مع نسوة من نساء المدينة بقصد ان يجتمعن مع بنت الملك ويسالنها عن اخبارها لعل عيسى بن مريم يردها علينا هى واخاها وان كنا متيقنين انهما مخادعان لدينهما ولم اقدم على فعل ما ذكرت لكم لانى توقفت على مشورتكم والله يعلم انى ناصح لدين عيسى فقالوا له يا ابانا الدين دينك ونحن نتحقق نصحك فافعل ما بدا لك فنزل من المنبر وسار حتى دخل على زوجة الملك واخبرها بما فعل ففرحت بذلك فرحا شديدا (قال) وكان للقسيس اربع بنات يقرأن الانجيل فى نسخة واحدة وبهذه النسخة اوراق كان ابوهن الصقها ببعضها بعضا واوصاهن بعدم مسها او فتحها فاشغلت وصيته بال البنات ورغبن كلهن فى الاطلاع على كنه اسرارها وفى ذات يوم اتفق رايهن على فتحها للاطلاع على ما فى طيها ففتحنها فوجدن فيها ان الله تبارك وتعلى يبعث فى آخر الزمان نبيا من تبعه نجا وسعد ومن خالفه شقى وبعد وهو خير الانبياء وسيد المرسلين وامام المتقين صاحب الشفاعة يوم القيامة محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف يتوالد بمكة ودار هجرته المدينة ويفتح الارض طولا وعرضا وامه آمنة ابنة وهب وسترضعه امراة من بنى سعد اسمها حليمة بنت ابى ذويب فلما اطلع البنات على هذه الاوراق قلن لبعضهن بعضا هذا دين الله حقا ويجب علينا اتباعه ولكنا نكتم امرهن الى ان اسلم ابوهن (قال) اما زوجة الملك فانها قالت

للقسيس اذا كانت صبيحة غد اخرج بناتك فى مائة وخمسين امراة واكتب كتابا الى سليمان بن خالد ورافع بن الحارث وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم ان ياتوا فى عشرة من الرجال يتزيون بزى النساء وربما قال لكم اهل البلد يلزم ان تدخلوا بالعد وتخرجوا بالعد فامرهم ان لا يدخلوا جملة من باب واحد ويدخلون من ابواب متفرقة اثنين وثلاثة وخمسة مع النسوان وكل من دخل منهم يذهب الى امراة الملك ويعلمها بنفسه ثم خرج القسيس ودخل على بناته فاعلمهن بما اتفق عليه مع امراة الملك وباسلامها واسلامه فقلن له الحمد لله الذى هداك الله تعالى لدين الاسلام وخير الاديان فقال لهن من اين عرفتن انه خير الاديان فقلن له اطلعنا على الاوراق الملتصقة التى فى الانجيل وقراناها فوجدنا فيها الحقيقة وقد اسلمنا كلنا قال الحمد لله على ذلك ثم كتب الكتاب وناولهن اياه واوصاهن باخفائه وقال لهن اذا قدمتن على ابنة الملك تسلمنه لها وتتلوه عليها عبد الله بن جعفر سرا وتاتى الصحابة معكن سرا فى زى النسوان ولا تدخلوا البلاد من باب واحد وادخلوا من ابواب متفرقة كما قال يعقوب لابنه واذهبوا كلكم الى امراة الملك واذا خرج من عندها النسوة تاخرتم انتم والصحابة واوصيكن يا بناتى باخفاء امرهم (قال) وقال القسيس فى كتابه الى عبد الله واصحابه ابعثوا الينا بعشرة فرسان ممن يطيقون الحروب ويتفانون فى الله ورسوله واعلموا بانى قد اسلمت انا وبناتى القادمات عليكم وامراة الملك واكتموا هذا الامر عندكم وامروا اصحابكم ان يدخلوا كما يقول لهم البنات وان يقدموا فى مشيهم الرجل اليسرى على اليمنى كما تفعل النسوة لكيلا يعرفهم احد (قال) ثم اذن النسوة بالذهاب مع البنات فخرجن فى مائة وعشرين امراة ومائة خادم وكثير من البنات وسرن نحو المسلمين ولما اقتربن منهم تقدمت اليهن خادم عبد الله بن جعفر وادخلتهن فسطاط بنت الملك فقامت اجلالا لهن وسلمت عليهن واكرمت جانبهن ثم دفع بنات القسيس الكتاب سرا الى عبد الله بن جعفر ففكه وقراه وسار به الى عقبة بن عامر واطلعه عليه فقراه وفرح بذلك فرحا شديدا وقال نسير اليهن ونرفع شانهن فسارت الصحابة رضى الله عنهم الى ان وصلوا فسطاط عبد الله بن جعفر فخرج النسوة اليهم فسلموا عليهن وقالوا لهن اهلا وسهلا ببنات النبلاء الاعيان فقلن لهم وبكم ايها الامراء الكرام وكان اذ ذاك الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه متقشفا عليه جبة من صوف تساوى ثلاثة دراهم وعمامة

سوداء تساوي درهما ونصفا فقالت النساء لعبد الله هذا اميركم قال نعم فقلن له كيف يكون اميركم ويلبس هذا اللباس الرث قال لهن عبد الله هكذا امراؤنا فقلن له كيف يتامر عليكم وانتم احسن منه وجها ولباسا واضرب حساما واعلى حسبا ونسبا فقال لهن نحن لا نرضى بالامارة الا على الجيش ثم ذبح لكل واحدة منهن شاة وامر لهن بيسر الجهاز المطبوخ في الزيت وقصاع الشهد وخبز السميد ولم يكن غير قليل حتى استوى الطعام وقدمت طواجن اللحم والبيض المطبوخ واواني الماء وهي من النحاس واحضرت الاباريق والمناديل ووقف الامراء بالفساطيط لتوزيع الطعام واعطوا كل امراة طعامها وحدها وخادما خاصة بها واقفة بين يديها فاكلن وشربن وشكرن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واردن الرجوع الى البلد فلم يسمح لهن بذلك الامير عقبة واقسم عليهن ان يمكثن وفي اثناء مكثهن ذهب رضي الله عنه الى فرسان المسلمين وقال لهم ما قولكم في كتاب القسيس قالوا له نحن اتباع لك وتحت امرك ونهيك قال ابن عبد الله بن جعفر قال لبيك قال له ما رايك قال دعني ايها الامير انا الاخير فقال له حزام بن طراز الطائي ايها الامير ان هذا الامر خديعة ومكر من النصارى فسكت عنه الامير عقبة وقال من له راي فليبده فاجاب غسان ولخم وجذام وطيئ وهذيل وربيعة بانهم لا يريدون الدخول للبلد وهم في ذلك على عكس راي بني مخزوم وبني هاشم فعند ذلك نهض رافع بن الحارث وابن عمه صعصعة بن ابي جهل وقالا ايها الامير هذا راي من لم يرد نصرة المسلمين ونصرة دين الله ورسوله ونحن قد وهبنا انفسنا لله ورسوله قال لهما الامير عقبة رضي الله عنه اصبتم فيما قلتم بارك الله فيكم هكذا كان والله سلفكم ثم التفت الى عبد الله ابن جعفر وقال له ما رايك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له ليس عندي سوى ما قال بنو مخزوم فقال له عقبة جزاك الله خيرا ولكن انتخب من يليق بك لوقت الشدة والضيق قال له عبد الله اني اعرف رجالا يتصدقون بانفسهم في سبيل الله ورسوله ثم نادى عبد الله يا رافع بن الحارث ويا سليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد فقالوا لبيك ما تريد قال لهم نسير مع النسوة الى المهدية اهل الله تبارك وتعلى يجعل الخير على ايدينا قالوا نعم ثم استاذن النسوة من عبد الله في الرجوع الى البلد فاذن لهن بعد ان اختلى ببنات القسيس واخبرهن بما عزموا عليه فقلن له حبا وكرامة ثم جعل لاصحابه من الزينة واللباس

ما

ما صبرهم كالنسوة التى عندهم وامرهم عقبة ان يدخلوا متفرقين اثنين وثلاثة وخمسة وبعد ذلك ساروا مع جملة النساء فاما وصلوا الباب دخل فى الصف الاول عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وفى الثانى عمر بن حمزة ومسروق بن زيد والباقون بعدهم رضى الله عنهم اجمعين وكان حصل الاتفاق بين اهل البلد على ان من يدخل البلد من النسوة لا بد ان يتوجه الى امراة الملك فتوجهن كلهن اليها وسلمن عليها فاقبلت عليهن وفرحت بهن ثم انصرفن الى منازلهن وتاخرت بنات القسيس مع الصحابة فاغلقت امراة الملك ابواب قصرها وتقدمت الى الصحابة فكشفت عن وجوههم وسلمت عليهم ورفعت شانهم وهم ايضا سلموا عليها وعظموا قدرها واخبروا بذلك القسيس فاتى الى القصر ودخل على الصحابة رضى الله عنهم وسلم عليهم واسلم القسيس وبناته وامراة الملك على ايديهم وحسن اسلامهم وحمدوا الله سبحانه وتعلى على ذلك (قال الواقدى رحمه الله) اما ابن الملك فلا يزال مقيما عند المسلمين وبقيت المهدية بدون امير فلما كان ءاخر الليل ورد من عند الملك الاكبر على طريق البحر عامل ءاخر عوضا عنه وهو ابن صاحب باجة ومعه الف رجل فتلقاه اهل البلد ثم فتحوا له القصبة وذهب الى القصر يريد النزول فيه فاغلقت امراة الملك دونه الابواب وقالت له كيف تدخل عليّ وتهتك حرمتى قال لها ننظر لك مسكنا ءاخر غير القصبة فقالت له انا لا اخرج من قصرى ابدا فقال العامل الجديد لمن معه من اهل البلد لا يمكن اخراج امراة الملك من قصرها لان الملك الاكبر لم يامرنى بذلك ولكن انظروا لى مكانا لائقا بينكم فقالوا له فى بلدنا اماكن كثيرة وذكروها له فاختر منها ما تريد فقال اريد قصر بالود بن عاصور وكان له قصر مشيد شاهق طوله الف ذراع مبنى بالرخام الابيض والاحمر والاصفر والاسود وفيه مائة بيت من العاج مزوقة بالذهب والفضة وفيه صهريج عذب ماؤه فى وسطه زورق من العاج مصبوغ احمر وكان بالود صاحب القصر ابن عم الملك الاكبر فقال لهم العامل ارسلوا الى بالود لياتى الى لاخاطبه فى ذلك فقالوا له انه لا ياتى اليك لانه لا يعبا باحد فقال لهم كيف لا يعبا بى وانا ولى امره قالوا له نحن لا نتداخل فى ذلك فارسل اليه انت حتى ترى كلامه فبعث اليه رجلاً من عنده وقال له سر اليه وقل له ان صاحب الامر بالبلد يدعوك للحضور عنده فسار الرجل اليه فوجده جالسا فى محل جلوسه

فسلم عليه وقال له ان ولى الامر يقرئك السلام ويدعوك الحضور بين يديه للمذاكرة معك فقال له انصرف لعنك الصليب وغضب عليك المسيح انت ومن بعثك الى ثم امر خدامه بضربه ضربا وجيعا فضربوه اكثر مما امرهم به سيدهم واخرجوه على اسوا حال فسار ودماؤه تسيل الى ان وصل لسيده فوجد عنده اهل البلد فقالوا له ما وراءك قال لهم ورائى كل شر واما الخير فهو بعيد منى ثم كشف لهم عن جسده واطلعهم على آثار الضرب واعلمهم بما جرى له وما قاله بالود فقال العامل لمن حوله ارايتم ما فعل بالود قالوا له قد علمنا هذا من قبل لان الرجل غير راض باحد ولا هو ممن يحضر مع احد ويعبا باحد فغضب العامل حينئذ وقال ان هذا والله لبئس الفعل ولكن انظروا الى مسكنا آخر اسكن فيه حتى اكتب بما وقع الى الملك الاكبر فهو صاحب الامر على وعليه فقال له رجل يقال له حيسان بن دبراس انا اخرج لك من دارى حتى تجد دارا غيرها فشكره على ذلك ثم كتب الى الملك الاكبر يخبره بما صدر من بالود بن عاصور فلما وصل كتابه الى المعانقة وقراه الملك غضبا على بالود غضبا شديدا وكتب اليه ان يخرج من قصره ويسلمه للعامل وكتب الى العامل ان يخرجه من القصر والى اهل المهدية ليكونوا فى اعانته فلما وصلت المكاتيب الى العامل احضر اهل البلد واعلمهم بما تضمنه مكتوب الملك فاتفقوا على العمل بمقتضاه ثم ارسل العامل مكتوب الملك الى بالود بن عاصور ففكه وقراه وقبله ومسح به وجهه وقال لهم سمعا وطاعة ولكن انظرونى الى صباح غد حتى نخرج اثاثى وينبغى ان يحضر العامل ويعاهدنى على ان لا يسكنه الا على وجه الاعارة وذلك حيلة منه وخديعة (قال الراوى) ولما انصرف الجمع كتب بالود الى امراة الملك كتابا يطلب منها ان تاذن له فى الحضور لديها ليشكو لها امره وما وقع له مع العامل الجديد فلما بلغها الكتاب وقراته علمت ان امر خروجه من قصره قد عظم عليه فارسلت اليه تستحضره وكتب هو كتابا آخر لامير البلد يستاذنه فى الذهاب الى امراة الملك ليطلب منها مسكنا يستقر فيه ففرح الامير بكتابه هذا وكتب اليه ان اعجل بذلك فذهب فى الحين الى القصبة ففتحت له امراة الملك الباب وادخلته القصر واجلسته بقربها فمكثا يتحدثان ساعة ثم قال لها ارايت ما فعل بى هولاء يريدون ان يخرجونى من قصر ابى فاشيرى علىّ ماذا اصنع معهم قالت له وماذا تريد انت قال لها نكتب الى ابنك ونساله عن دين هولاء العرب

وعن

وعن سيرتهم غير انى لا اشك انهم على الحق وان دينهم افضل الاديان واصح من
ديننا قالت له هل عزمت على ذلك قال لها نعم ولن اخرج من قصرى ابدا قالت
له واى شئ تصنع اذا انا ادخلت عليك جماعة منهم فى هذه الساعة قال لها واى
سعادة اعظم من هذه فعند ذلك قالت لامة لها قل للسادات العرب يدخلون علينا
فمضت اليهم واعلمتهم فدخلوا على امراة الملك وبالود بن عاصور (قال) ودخل
الصحابة رضى الله عنهم وحمائل سيوفهم تجر فى الارض وكلهم شبان مرد كما بدا
لهم العذار فلما رءاهم بالود قبل الارض بين ايديهم وسلم عليهم وفرح بهم فرحا
شديدا وعرفتهم به امراة الملك وقالت لهم ان زوجته اخت صاحب حيدرة ثم
قص عليهم بالود حديثه وشكا لهم امره وما وقع له مع العامل والملك الاكبر فقالوا
له انصر قصرك ولا يسكنه احد غيرك فقال لهم نكتب كتابا الى اميركم ليرسل
الينا مائة فارس من صناديد قومكم يأتوننا فى ظلام هذه الليلة وانا نفتح لهم
البلد لان فيها بابا انا موكل به ومفاتيحه عندى فيدخلون منه ونضع السيف
فى اهل البلد ولا نترك منهم احدا قالوا له نحن نكتب عنك ونعلم اميرنا بالخبر
ونطلب منه فرسانا يرسلهم الينا فقال حبا وكرامة ثم استدعى عبد الله بن جعفر
بدواة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله
وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر اما بعد فانى
احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ايها الامير ان
الله قد من علينا بالدخول الى البلد فوجدنا اختلافا بين اهلها فساعة وصول
الكتاب اليك ترسل لنا مائة فارس من ابطال المسلمين منهم شداد بن عامر الطائى
واويس بن ضرار وحنظلة بن ساعد واويس بن ظافر ومثل هولاء السادات رضى
الله عنهم اجمعين وطوى الكتاب ودفعه الى بالود فبعثه مع احد غلمانه الى الامير
عقبة بن عامر رضى الله عنه فلما اتصل به واطلع على ما فيه استدعى بفرسان
المسلمين فاتوا اليه فقرأه عليهم فهللوا وكبروا وقالوا السمع والطاعة لله ولرسوله
ولك ايها الامير ثم كتب كتابا الى عبد الله بن جعفر يقول فيه اذا انتصف الليل
ترى الخيل ان شاء الله واقفة عند الباب وهو باب قصر بالود بن عاصور ثم جلس
المسلمون يتحدثون مع الامير عقبة بن عامر الى ان صلوا صلاة العشاء (قال
الراوى) وكان بالود فى اجتماعه مع عبد الله بن جعفر واصحابه فى قصر امراة

الملك اعطاهم دروقا ودروعا وسيوفا عديمة النظير وبعد ذلك توجه الى امير البلد وقال له فى صبيحة غد حول اثاثك ومتاعك الى القصر ففرح بذلك وشكره شكرا جزيلا وكذلك اهل البلد فانهم فرحوا بخروج بالود من القصر ودخل الامير على اهله فاعلمهم بذلك واستعدوا كلهم للانتقال ولما ذهب جزء من الليل سار بالود الى الباب المكلف هو به وقال للحراس قد اضناكم السهر طول هذه المدة ويشق عليّ ان اراكم تاعبين فاستريحوا هاته الليلة وانا اقوم بحراسة الباب بنفسى ففرح الحراس بذلك ودعوا له وانصرفوا الى ديارهم وجلس هو داخل الباب وكان الباب من حديد (قال) ولما انتصف الليل ركب فرسان المسلمين وساروا الى ان وقفوا بالباب فسمع بالود دمدمة الخيل فعرف انها خيل المسلمين فخرج الى لقائهم فقالوا له انت بالود قال نعم فنزلوا كلهم وسلموا عليه ثم قال لهم ادخلوا على بركة الله وبركة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم ونادوا باعلى صوتكم لا اله الا الله محمد رسول الله فركبوا ودخلوا ونادوا باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله فسمعهم اصحابهم الذين عند امراة الملك واجابوهم بالتهليل والتكبير وكان امير البلد ساعة تهليل وتكبير المسلمين جالسا مع مشايخ البلد (قال الواقدى رحمه الله) ولما سمع الامير ذلك قال للمشايخ ما هذا الصياح هل هو داخل البلد ام خارجها قالوا لا علم لنا قال لهم من منكم يأتينا بالخبر فقالوا كلهم والله لا يقدر منا احد على ذلك والذى يملك البلد نحن له فغضب عليهم غضبا شديدا وقال لهم وحق المسيح عيسى بن مريم لاعاقبنكم فى صبيحة غد باشد العقاب ثم قال لغلمانه اخرجوا وائتونى بالخبر فخرج مائة غلام واتبعوا الاصوات ولما وقفوا على حقيقة الحال ولوا فازعين وتشتتوا هاربين ولم يرجع اليه منهم احد وسمع اهل البلد صيحة الصحابة وهم فى دياوهم فاخذهم الرعب وتمكن منهم الفزع فحصنوا ابوابهم ولم يخرج منهم احد وسار بالود بن عاصور فى عشرة فرسان من المسلمين الى ان دخل على الامير فوجده جالسا مع مشايخ البلد فلما راى بالودا قام اليه ورحب به ثم قال له اجلس فقال له انى اتيتك لاعلمك بحضور القصر لترحل اليه ثم جرد سيفه وضربه على هامته فشطرها شطرين وهجم الصحابة رضى الله عنهم وقتلوا من معه وملكوا داره واخرجوا منها فى تلك الليلة مائة صندوق من الفضة مملوءة بالذهب ثم وضع اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فى اهل البلد وكسروا الابواب

وبينماهم

وبينما هم كذلك اذ اقبل عليهم الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه ومعه ابن الملك صاحب المهدية الذى كان نزيل جيش المسلمين بعد قيام رعيته عليه لاسلامه ثم ان المسلمين راوا فى جهة من البلد قصر بالود بن عاصور وهو من ابدع القصور فلما دخلوه تعجبوا من حسن منظره وزينته واتقان صنعه وعجيب شكله فتغير اذ ذاك وجه بالود خوفا على قصره من العرب لانه رءاهم معجبين به ففهم من وجهه ذلك الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه فقال له لا باس عليك القصر قصرك ولا يسكنه احد سواك ففرح وقال نعم الوفاء ونعم الدين وذهب ابن الملك الى امه ودخل عليها فى قصره ففرحت به وحمدت الله على سلامته واسلامه واعلمته باسلامها فهناها بذلك (قال الراوى) وامتلات المسلمون المدينة واعاد القسيس وبشاته وامراة الملك وبالود بن عاصور اسلامهم بين يدى الامير عقبة بن عامر واصحابه رضى الله عنهم اجمعين وولى الامير عقبة ابن الملك على المهدية كما كان قبلا وبنى عقبة فيها جامعا وجعل عليها قاضيا من عرب طئ اسمه حسان بن عدنان واقام المسلمون بها سبعة ايام حتى احتفلوا بدخول عبد الله بن جعفر بابنة الملك وعلموا الذين اسلموا امور دينهم ثم ارتحلوا عنها يريدون سوسة بعد ان دعا الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه وقال اللهم يا من لا يماثله موجود ويا من ليس له والد ولا مولود ويا من كل شئ عنده باجل محدود نسالك ونتوجه اليك ان تصلى على سيدنا محمد وعلى آله عدد ما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولمن احسن الينا ولمن اسانا اليه ولمن اوصانا بالدعاء ولجميع المسلمين والمسلمات اجمعين وصل بجلالك وفضلك على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيئين وامام المرسلين وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين *

ذكر غزوة سوسة

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وارتحل المسلمون من المهدية قاصدين سوسة فنزل عليها عبد الله بن جعفر فى اليوم الاول بعشرين الف فارس واتى اليها رافع بن الحارث فى اليوم الثانى فى عشرين الف فارس ونزل عليها فى اليوم الثالث مسروق ابن زيد مع الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه ببقية المسلمين رضوان الله عليهم اجمعين وكان اهل البلد ينظرون الى جيوش المسلمين حين يردون عليهم وينزلون اليهم ويتفرجون عليهم ويتعجبون منهم وكان بالمدينة ملك يقال له كلباص وكان

ذا سطوة بالبلاد الافريقية وكان الملك الاكبر يوقره ويحترمه ولا يكلفه بشئ مما يكلف به غيره من الملوك لغلظ حجابه وكبريائه (قال) فلما نزل جيش المسلمين على المدينة جمع الملك اعيانها عنده وقال لهم ما عندكم من الراى هذه العرب قد حلت بارضنا يريدون امتلاك بلادنا فقالوا اكتب الى الملك الاكبر بالملاقة عسى ان ينفعنا ويمدنا بنجدة فقال لهم ويحكم انه لم ينصر ولده ملك المهدية ولم ينفعه فكيف ينصركم انتم او انا ولكن فى صبيحة غد تخرج اليهم بجيشى وابطالى ونصدهم عن مرادهم قالوا له ايها الملك انت تعلم ان العرب ما دخلوا ارضا الا اهلكوها لان هذا زمان لا يعلو فيه الا الاوباش والامر اليك فافعل ما تريد فنحن لك اتباع وعبيد فلما كان فى صبيحة غد بعث الملك الى ارباب دولته فحضروا بين يديه فقال لهم انتم تعلمون انى لم انفق مالى الا فى صالحكم واصلاح شئونكم والان قد اقتضى الحال ان ندافع عن بلادنا بارواحنا ونذود عنها بسلاحنا فخذوا على انفسكم واخرجوا معى الى هولاء العرب لعلى اكفيكم امرهم وادفع عنكم شرهم ونردهم على اعقابهم خاسرين قالوا له ايها الملك ان هولاء قوم يختارون الموت على الحياة وانت عندهم غنيمة وسلامة واكثرهم شبان صغار قال لهم وهذا الذى اطمعنى فيهم وها انا خارج اليهم بنفسى وابطش بهم واقتل عبد الله بن جعفر الذى سحر بنت الملك واخرجها من بلاد ابيها واجعل حبلا فى عنق اميرهم عقبة بن عامر واتيكم به اسيرا قالوا له انت لها ايها الامير لما يعلمون فيه من الشجاعة والفروسية (قال الراوى) فضرب الطبل وقرعت النواقيس ولم يكن غير قليل حتى اجتمع جيش جرار ثم خرج عدو الله الى المسلمين فى مائة الف فارس من صناديد قومه وطلعت الرماة على الاسوار فلما راهم المسلمون نادى عقبة بن عامر رضى الله عنه يا ءال المسلمين وكتائب الموحدين اشغلوهم حتى ياخذ الناس على انفسهم ثم قال اين عبد الله بن جعفر قال لبيك قال له خذ معك ما يلزم من الرجال واشغلوا هولاء الاعداء بالحرب حتى ياخذ الناس مراكزهم فسار عبد الله بن جعفر وشداد بن اويس وظافر بن عقبة وعامر بن ظافر واويس بن حنظلة وعمر بن حمزة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين واخذوا يشاغلونهم بالحرب واخذ عقبة فى ترتيب الجيش وتقسيمه وقسم المسلمين الى ثلاثة اقسام فجعل على ميمنة القسم الاول رافع بن الحارث وعلى الميسرة سليمان بن خالد وعلى القلب عبد الله بن الزبير وجعل على ميمنة القسم الثانى مسروق بن زيد وعلى

الميسرة

الميسرة حزام بن ضرار وعلى القلب عبد الله بن علقمة الحميرى وجعل على ميمنة القسم الثالث هاشم بن رافع الحميرى وعلى الميسرة علقمة بن غسان وعلى القلب مروان بن الحكم ثم نادى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه يا عبد الله اوص الناس فقال له سمعا وطاعة ولكن ينبغى قبل ذلك ان تعطى الرايات للامراء وتعطى راية خالد بن الوليد لولده سليمان وراية صخر بن حرب لحزام بن ضرار فاعطاهما الامير عقبة الرايتين المذكورتين ولما ترتبت جيوش المسلمين خرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه من بين الصفوف وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اعلموا ان الله عز وجل مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم والصحابة رضى الله عنهم منتظرون لاخباركم والى غنيمة تصل من عندكم وقد قال النبى صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف والله تبارك وتعلى يقول يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال تعلى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وقال عليه الصلاة والسلام كلكم تفتنون فى قبوركم الا من قتل فى سبيل الله وقال عز وجل ولا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله اموات بل احياء عند ربهم يرزقون وقال تبارك وتعلى ان الله اشترى من المومنين انفسهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله وقال تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعلى ان يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين واعلموا ان الموت لابد منه والعجلة الى لقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن معاشر الامراء رحمكم الله تعلى ان الجيش لا يقاتل الا بالامير فاذا ثبت الامير ثبت الجيش واذا انهزم الامير انهزم الجيش فاثبتوا فى مواضعكم بارك الله فيكم واصبروا فان الصبر مفتاح لكل خير وها انا خارج لاطلب البراز واسال الله سبحانه وتعلى ان يرزقنا الشدة بمنه وكرمه انه سميع مجيب فناداه عقبة بن عامر بارك الله فيك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فخرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه بين الصفين وقال معاشر الاشقياء اللئام عند ذوى الافهام من يبارز الكرام انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمع اعداء الله ورسوله صوته وقالوا لا شك ان هذا هو الذى تزوج بنت الملك الاكبر ووقف الناس على الاسوار يتفرجون على بهائه وكماله وحسنه وجماله ويتعجبون من فروسيته وكان عبد الله راكبا جوادا

من عتاق الخيل احمر اللون وبيده درقة وعليه درع رسول الله صلى الله وقد تقلد بسيف غمده من ذهب وكان ركابه وجميع ما على جواده من ذهب وهو لم يقصد بذلك الا اظهار النعمة والافتخار على اعداء الله ورسوله فاندهش اهل سوسة مما راوه من الفصاحة والكمالات التى جمعها الله فى عبد الله بن جعفر وكانوا كبيرا وصغيرا ينظرون اليه من الاسوار (قال) فاجيب عبد الله ان امسك الاعنة ها نحن خارجون اليك ثم نادى كلباص اين الذين ياكلون طعامى ويتمتعون بخيراتى اين طيران بن صيفان قال له لبيك قال اخرج اليه واكفنا امره قال له نعم ولكن بشرط قال وما شرطك قال ان تعطينى خراج ساحل البحر قال له نعم اشهد كم عليّ انه اذا قتل هذا الشاب الذى هو عبد الله بن جعفر فله عندى خراج الساحل فعند ذلك خرج طيران لعبد الله بن جعفر وقال له اانت الذى اخذت بنت الملك الاكبر من بلاد ابيها وتزوجتها قال نعم قال له ما انت من شكلها فقال له كيف تبين لك انى لم اكن من شكلها قال له لانك لم تقم بحقها اذ انها كانت تجلس على السرير وتلبس الحرير وتاكل اشهى الاطعمة والذها واليوم تنام على الارض وتاكل الشعير ولحم الابل وتشرب من قربة الجلد وهذا اكثر ما عندكم فقال له عبد الله نحن قوم لا نشتغل بالدنيا ولا بزينتها ولا بلذائذها الفانية ونحن عند الله افضل منكم فقال له اللعين كيف لا تميلون الى زينة الدنيا ولا تكترثون بنعيمها مع انكم تزعمون ان الله انزل على نبيكم قل من حرم زينة الله التى اخرج لعباده والطيبات من الرزق الاية وكيف تكرهون شيئا احله الله اذاً انتم مخالفون لما امركم الله به فقال له عبد الله نحن ما كرهناه ولكن اذا وجدت النفس زينة الدنيا زادت فى جوعها قال له اللعين اذا كانت النفس غالبة عليكم فلا فائدة فى دينكم فغضب عند ذلك عبد الله بن جعفر وقال يا عدو الله لقد طال لسانك وكثر هذيانك وحمل عليه وضربه ضربة شديدة على راسه فلم تؤثر فيه شيئا ثم حمل عليه عدو الله حملة منكرة وضربه بعامود من حديد زنته ستون رطلا فراغ له عبد الله فلم يصبه ثم التوى عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية على يده صفحا فسقط منها العامود فوثب عليه عبد الله واخذه اسيرا واوثقه كتافا وسلمه للمسلمين فلما اخذوه رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وتعجب اهل سوسة من فروسية عبد الله ثم حمل رضى الله عنه على اعداء الله ورسوله فبددهم يمينا وشمالا فتكاثرت عليه النصارى

واحاطوا

واحاطوا به ولما راى ذلك المسلمون حملوا عليهم فلله درهم ولله در ما ولد هاشم ومخزوم ونادى عقبة بالمسلمين ياءال هاشم ياءال مخزوم ياءال حمير ياءال غسان ياءال امية تذكروا اوائلكم بارك الله فيكم واعلموا ان الله وعدكم النصر وايدكم بالملائكة فلا تطمعوا العدو فيكم وانصروا الله ينصركم فحملوا بعنان واحد وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله الدمار والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وتكاثرت النصارى على بنى هاشم وبنى مخزوم حيث لقوا الصدمة العظيمة التى فيها الملك واصحابه وهى القلب وكان به ثمانون الف فارس من صناديد النصارى وبقت العرب ميمنة وميسرة وكان طى وغسان ولخم وجذام مما يلى المشركين وهذيل وبنى ربيعة مما يلى الميسرة فقال حزام بن ضرار ياءال حمير بارك الله فيكم اثبتوا فى مواضعكم وتذكروا اوائلكم وقول الله تبارك وتعلى يا ايها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقوله عز وعلا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الراوى) وتلاحم الناس بعضهم ببعض وكثر الصياح وكانت اسما بنت ياسر زوجة الامير عقبة رضى الله عنهما تنادى باعلى صوتها معاشر المسلمين الجنة تزخرفت وهى تحت ظلال السيوف والله مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم وها انا شاهدة عليكم واياكم ان تفضحوا ءاباءكم وهذه اول طليعة طلعت للمسلمين لعثمان بن عفان رضى الله عنه فكونوا عند مرضاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وفضيحة الدنيا اعظم عند الناس وفضيحة ذوات الخدور لا تنجلى ابدا اين عبد الله بن جعفر اين رافع بن الحارث اين سليمان ابن خالد اين عمر بن حمزة اين عبد الله بن الزبير وامثال هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ثم نادت ياءال هاشم ياءال مخزوم ياءال حمير ياءال امية ياءال غسان ياءال لخم ياءال طى وبعد ان ايقظت الناس من سنة الغفلة قالت رضى الله عنها تحرضهم على الجهاد اين الذين يريدون بنات العرب بلا مهر سوى الضرب بالحسام والصبر على المقام (قال) وازداد تكاثر النصارى على المسلمين وبينماهم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا برجال عقبة قد ولوا الادبار وتقهقروا عن مواضعهم وانكشف مكانهم الذى كانوا فيه واقتفى اثرهم الاعداء بمزيد قوة فعند ذلك نادت اسما بنت ياسر رضى الله عنها يا عبد الله بن جعفر

ادرك الامير عقبة لئلا يفتضح امرهم وكانت على موضع مرتفع فسمعها عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فنادى بابن عمه عمر بن حمزة وقال له خذ الراية من يدى حتى ندرك الامير عقبة فاخذ الراية من يده وسار عبد الله راكبا جوادا كانه اسد ودرقته بيده وحمل على اعداء الله ورسوله وقال انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وابلى بهم بلاء حسنا وصدهم منهزمين الى مراكزهم بعد ان قتل منهم عشرين فارسا وقال لعقبة اما قرات ايها الامير فى كتاب الله عز وجل ما جاء فى الصبر على الجهاد والثبات فى القتال ونحن ايها الامير لا نقاتل الا بك فلم يجبه عقبة بشئ (قال) وصبر اعداء الله صبرا جميلا وتزايدت حملاتهم على جهة بنى مخزوم ثم امر اللعين الرماة ان يرموا اقواسهم دفعة واحدة وكانوا عشرين الف رام فاضروا بالمسلمين وعظم عليهم امر النبال المطورة عليهم وارسل عبد الله بن جعفر الى رافع بن الحارث يقول له الساعة يفتضح حال المسلمين من كثرة النبال ولكن اخرج انت ومن تعتقد فيه الاباقة وحل بينهم وبين البلد فقال له حبا وكرامة ثم نادى عبد الله بفرسان المسلمين وحملوا على اعداء الله حملة منكرة حتى ادخلوهم البلد فاغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار ومات يومئذ من النصارى خلق كثير ومات من المسلمين مائة فارس من لخم وغسان وجذام وهذيل وربيعة ورحل عقبة من موضعه ونزل بقرب البلد وافترق الفريقان وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بن عامر بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الرحمن ولما فرغ من صلاته نادى اين عبد الله بن جعفر اين رافع ابن الحارث اين مسروق بن زيد اين عمر بن حمزة اين سليمان بن خالد قالوا لبيك وسعديك ما تريد قال هل عندكم علم بان هذا اللعين صاحب سوسة قد قتل منا بالامس مائة فارس فكيف اللحوق بالبلدة والوصول اليها وفيها من الرماة عشرون الفا قال له عبد الله ان لهذا الملعون فرسانا اشداء واشير عليك ايها الامير براى عسى يكون وراءه الفرج قال له وما هو يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان المدينة حصينة ورماتها كثيرون لا نقدر على فتحها الا بحيلة وهى ان ندخلها من جهة البحر بعشرة رجال اكون انا بينهم ونرجو من الله تبارك وتعلى فتحها على ايدينا فقال له عقبة افعل ما تريد (قال) فلما كان بعد صلاة العشاء الاخيرة نادى عبد الله بن جعفر اين رافع بن الحارث اين سليمان بن خالد اين عمر

ابن

ابن حمزة ابن مسروق بن زيد ابن حزام بن ضرار ابن عبد الله بن الزبير ابن ضرار ابن علقمة ابن شداد بن عدى ابن عدنان بن حاتم فقالوا له لبيك وسعديك قال لهم معاشر المسلمين رحمكم الله ان اعداء الله ورسوله قد قتلوا من فرساننا بالامس مائة نفر واضر بنا رماتهم وتحصنوا علينا بمدينتهم وهى منيعة جدا لا نستطيع فتحها من الخارج وقد راينا ان نأتيها من جهة البحر عسى الله ان يمن علينا بفتحها فسيروا معى بارك الله فيكم وان يعتقد كل منا ان لا امل له فى العود الى الدنيا ولا يقدم معنا على هذا الامر الا من قدم الموت على الحياة قالوا له رضى الله عنهم كلنا يعتقد ذلك ولا يطمع فى الرجوع قال لهم اذا انتصف الليل نخرج ان شاء الله تعلى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم انصرفوا لاصلاح شانهم ولما انتصف الليل سار اليهم عبد الله بن جعفر واحدا بعد واحد واجتمعوا كلهم معه وسار عبد الله واصحابه معه الى ان وصلوا الى القلعة فالقوا اسماعهم اليها فاذا فيها الغناء والرقص فجلسوا تحتها ساعة وبينما هم جالسون اذ راوا اناسا اتوا بالخمر لمن فى القلعة فشرب القوم وسكروا فقال عبد الله لاصحابه كيف السبيل الى الصعود لهذه القلعة قالوا له الراى ما تختاره انت ونحن لك اتباع قال لهم خذوا رماحكم واربطوها ببعضها بعضا فلما فعلوا قال لهم انصبوها على الجدار حتى اصعد عليها فنصبوها وصعد عبد الله الى اعلى القلعة فلله دره ما اشد باسه وتقدم قليلا فوجد القوم سكارى نائمين ووجد عند رؤوسهم امراة تبكى وتتفكر وعليها اثر غم وحزن عظيم وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنه متنكرا لابسا لباس النصارى وكان يعرف لغتهم وقد تعلمها فى الشام فقال لها مالى اراك باكية كئيبة قالت من اجل هولاء العرب لان اخى وبعلى وابنى اسراء عندهم وقد قيل لى ان فيهم شابا من اعيانهم فعولت على ان اسير اليه واشكو له حالى لعله يشفق بى ويرثى لى فيطلق لى اخى وبعلى وابنى واعطيه ما يتمنى علىّ ويشتهى من المال غير انى اخاف ان يقتلنى العرب او يأخذونى اسيرة عندهم وهذا الذى تركنى حائرة متفكرة فقال لها عبد الله بن جعفر تعلمين ان هذا الرجل من اصحاب محمد بن عبد الله وهو لا يقبل الا شيئا واحدا وهو الدخول فى دينه لانه مشغوف بحبه حريص على نشره ورفع شانه اما رايت ابنة الملك كيف اسلمت واخوها كذلك وهما الان فى عز وسرور ولا شك ان دينهم اقوم من ديننا لان نبيهم نال ما لم ينله

احد وقد اخبرهم انهم يملكون الشام والعراق ومصر وقد كان جميع ذلك وقد زويت لنبيهم اليوم الدنيا من مشارقها ومغاربها وستبلغ دعوته حيثما شاء وقد راينا صفته عندنا فى التوراة والانجيل فقالت العجوز انا لى المام بما ذكرت ولقد اطلعت على صفته واسم امه وابيه وجده وبنى عمه فقال لها عبد الله كيف وجدت اسمه قالت وجدت اسمه احمد ومحمد وابو القاسم وابنته فاطمة الزهراء ويتزوجها علي ابن ابى طالب ويرزق منها ولدين اسمهما الحسن والحسين ويعطيه الله تعلى سيفا يسمى ذا الفقار لا يقدر على حمله احد غيره ويرفعه الله عند موت النبي وهو اخر معجزات النبي ولعلي بن ابى طالب اخ اسمه جعفر وهو ابو هذا الولد الشاب المسمى بعبد الله بن جعفر ويتزوج محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اختهم ام هانى بنت عبد المطلب ويعرج به الى السماء وهو محمد بن الله بن عبد المطلب بن هاشم ابن عبد مناف وابوه يموت وهو فى بطن امه وترضعه امراة من بنى سعد اسمها حليمة السعدية واما صفته لا بالطويل ولا بالقصير شاب ابيض الوجه تطرقه حمرة اجعد الشعر صبيح مليح اديب لبيب حسيب نسيب كريم زكى عاقل مكين افصح قريش لسانا واطولهم ذراعا حسن الخلق مطاع وله الامانة والسيادة من اباء كرام وامهات عظام وله عشر خصال لم تكن لغيره وهى ليس له ظل ويرى من خلفه كما يرى من امامه وليس فى رجليه خمص ولا يتثاءب قط ولا ظهر له غائط وليس له اثر جرة فى الارض قط ويضع رجله حيث يبلغ بصره ويقطع جيشه مسافة شهر كامل فى اليوم الواحد ولا يتساوى قط واذا لبس ثوبا اتى على قدره ولو كان طوله الف ذاع او شبر واحد وهذه من معجزاته صلى الله عليه وسلم ثم قالت لعبد الله هل لك من راى ان نسير الى هذا الشاب وندخل فى دينه قال لها هل عزمت على ذلك قالت له نعم فقال لها وماذا يهون عليك اعطاؤه بشارة لو جئتك به فى هذا المكان قالت كل نفيس عندى قليل فى ذلك ان كان حقا ما تقول فقال لها ابشرى انا عبد الله بن جعفر قالت له لعلك تهزا بى قال لها والله انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت له اكشف لى عن فيك وعن خدك لان فى فيك سن ازرق وفوق خدك الايمن خال فكشف لها عن وجهه فوجدت فيه تلك الصفة وتحقق عندها انه عبد الله بن جعفر فسلمت عليه واسلمت على يديه ثم قالت له باى شئ تكافئنى اذا انا مكنتك من البلد قال لها الذى تريد

قالت

قالت له اريد ان اكون امينة على السماذين قال لها ولاى شئ اخترت هذه الخطة فقالت اعلم يا سيدى انى كنت اشترى السميذ كل ليلة من امراة هى كبيرة على باعة السميذ فمضيت اليها ذات ليلة لاشترى منها كعادتى فوجدت الناس مزدحمين عليها فباعت لهم كلهم وانصرفوا وامتنعت من البيع لى فتنازعت معها وتطاولت بالكلام عليها فقال لها الحاضرون اعطيها شيئا لئلا يتوغر صدرها غيظا عليك وربما تستولى مكانك فتنتقم منك وهم يريدون بذلك الاستهزاء بى وصرت من ذلك اليوم كلما دخلت السوق ينادوننى يا امينة السماذين اقضى بيننا فقال لها عبد الله بن جعفر رضى الله عنه لك علىّ ذلك ان شاء الله تعلى (قال الواقدى رحمه الله) ثم قامت ومعها عبد الله بن جعفر الى خارج القلعة وقالت له سر معى لندخل قصر الملك قال لها وكيف يمكن الوصول اليه قالت انا خادمة فى القصر ومكلفة به فتزيى عبد الله بزى النساء بعد ان قدمت له العجوز الملابس اللازمة وسار معها واستبطاه اصحابه وتحيروا من اجل ذلك فقال لهم رافع بن الحارث احسنوا الظن بالله تعلى (قال الراوى) ولما وصلا الى القصر تقدمت المراة فوجدت رجالا عند الباب فقالت لهم ما لى اراكم واقفين هنا قالوا ننتظر قدومك قالت ها انا اتيت ما شانكم وما تريدون قال لها واحد منهم من معك قالت امراة من اهل البلد قال لها اما الهيئة فهيئة امراة واما المشية فمشية رجل قالت له ومن انباك بهذا قال لقد خطر ببالى وبال رفقائى انه عبد الله بن جعفر وان المدينة تفتح على ايديكما وانت اسلمت وصرت امينة على السماذين ثم قال وانا يا عبد الله ماذا تفعل معى قال له الذى تريد قال اجعلنى امينا على الزياتين قال له نعم قال ادخل يا عبد الله تنال مرادك ان شاء الله قال فدخلت بابا بعد باب حتى اكملت احد عشر بابا فوجدت شيخا عند الباب الاخير فلما رآنى تبسم وقال لى قرب الامر وجاء النصر قلت له ما الذى تقول قال يا عبد الله انا اعرفكم اكثر مما تعرفون انفسكم ولكن يا عبد الله اشترط عليك شرطا واحدا قلت له وما هو قال ان امضى معك الى زيارة محمد صلى الله عليه وسلم ويكون الزاد والنفقات عليك قلت له حبا وكرامة قال ادخل تنال مرادك ان شاء الله تعلى فدخلت الباب الذى يلى مجلس الملك كلباص فوجدت امراة واقفة بالباب فقالت لى اهلا وسهلا بك يا عبد الله بن جعفر فقلت لها ومن اعلمك باسمى قالت اعلمنى محمد رسول الله سيد الاولين والاخرين الساعة فى منامى وقال لى قومى تجدى ابن

عمى عبد الله بن جعفر امامك فانتبهت واتيت فوجدتك فعلمت انه حق فادخل تنال مرادك لان الرجل قضى نحبه قال فدخلت فوجدته مذبوحا يخوض فى دمائه فقلت لها ومن فعل به هذه الفعلة قالت انا قلت لها ومن انت قالت انا ابنة صلبه وقد قتلته لانى كنت رايت فى كتبنا ان البلد يفتح على يد امراة تقتل اباها فى عام كذا فى شهر كذا فى جمعة كذا فى ليلة كذا فاحببت ان استاثر بذلك لا كون غدا من اصحاب محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم قال ففرحت وشكرتها واثنيت عليها ثم قلت لها وماذا نفعل الان مع اهل البلد فاشيرى على بما تراه نافعا لاعمل بمقتضاه قالت لى اجلس مكانك ساعة وتملك البلدة ان شاء الله تعالى قلت لها انها حصينة وفى فرسانها بسالة وثبات قالت يا عبد الله انت والله اعظم منهم بالله عز وجل وبحرمة رسوله صلى الله عليه وسلم قال فبقيت متفكرا فى ذلك الى مطلع الفجر فرايت وقتئذ قوما واقفين عند الباب فقلت لها من هولاء الواقفون قالت جماعة من اهل البلد ولكن يا عبد الله انتظر الحاجب فاذا جاء نتذاكر معه لعله يساعدنا على بلوغ مادبنا قال فبينما نحن نتحدث فى هذا الشان واذا بالحاجب قد اقبل فقال السلام عليك يا ابن جعفر فقلت له ومن اعلمك باسمى قال علمت ذلك وانت فى بطن امك وها انا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا عبده ورسوله قال ففرحت باسلامه ثم قالت له بنت الملك ما الحيلة الان قال لها انى وجدت طريقة تضمن لى الفوز والنجاح بحول الله وقوته وقال يا عبد الله الان تاتى ارباب الدولة فادخلهم انا عليك فرادى واحدا واحدا وكل من يدخل عليك اقتله والقه فى هذا الجب قلت له افعل قال فاخذ ينادى الحاضرين واحدا بعد واحد وكل من دخل ضربت عنقه الى ان قتلت مائة وثمانين فلما استكملت عدتهم دخل على وقال لى هل قضيت نحبه قلت له نعم ثم جلس وقال يا عبد الله اكتب لاصحابك ياتون فى مائة فارس فى ظلام هذه الليلة (قال الراوى) وكان اصحاب عبد الله بن جعفر الذين صاحبوه الى القلعة واعانوه على الصعود اليها برماحهم مكثوا ينتظرونه فلما ولى الليل وادركهم النهار رجعوا الى المسلمين واعلموهم بما كان من امر عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ففرحوا واستبشروا ودعوا له بالفوز والتاييد ثم ان الحاجب اتى عبد الله بدواة وقرطاس وقال اكتب لاصحابك وبادر بذلك فان للتاخير آفات فاخذ القرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا

ومولانا

ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى امير المؤمنين عقبة بن عامر وكافة المسلمين اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انى دخلت البلد وبلغت قصر الملك بحول الله وقوته وذكر رضى الله عنه جميع ما وقع فى ليلته الماضية وما كان من بنت الملك ثم قال فساعة وقوفكم على كتابى هذا جهزوا مائة فارس من ابطال المسلمين منهم رافع بن الحارث ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وسليمان بن خالد ومرة بن زيد وعبد الله بن الزبير ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين يكون قدومهم علينا آخر الليل بامرة رافع بن الحارث والسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للحاجب من يمضى بهذا الكتاب فاخذه ودفعه الى احد غلمانه وقال له سر به الى امير جيش المسلمين فسار الغلام الى ان لحق بالخيام وكان الناس اذ ذاك فى قلق عظيم من اجل بطء عبد الله بن جعفر يترقبون اخباره كل حين فلما راوه تسابقوا اليه وقالوا له من اين اتيت قال من عند الملك احمل كتابا الى الامير عقبة فاوصلوه الى فسطاطه واعلموه به فاذن له فى الدخول فدخل وسلم عليه وناوله الكتاب ففكه وقراه وقال الله اكبر الله اكبر ما اشد باسه من شاب وفرح فرحا شديدا واجاب بمكتوب ودفعه للغلام واستدعى بعد ذلك بفرسان المسلمين فحضروا بين يديه فقرا عليهم الكتاب فهللوا وكبروا وقالوا سمعنا واطعنا ثم قال عقبة لرافع بن الحارث انتخب من الفرسان من تعلم فيهم الشدة والثبات وسر بهم آخر الليل الى عبد الله بن جعفر فقال سمعا وطاعة ونادى ابن سليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد الى ان ذكر مائة فارس من الصناديد الابطال فلما حضروا امرهم بالاستعداد لدخول البلد بالليل واوصاهم بالصبر والثبات فقالوا نحن لا نطلب الا الموت ونجود بحياتنا فى مرضاة الله ورسوله (قال الراوى) وبعد ان ارسل الحاجب مع الغلام كتاب عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنهما جمع اعيان البلد وقال لهم ان الملك قد عقد اليوم فى قصره مجلسا من رجال دولته وهم لا يزالون عنده واجمع رايهم على طلب الصلح وقد ارسل الى هولاء العرب لياتوا هذه الليلة فى مائة فارس ليذاكرهم فى هذا الشان فقالوا نعم الراى وقال للبوابين الذين كانوا حاضرين عنده لا تغلقوا الباب الذى بيننا وبين العرب ليدخل منه فرسانهم هذه الليلة ولما قرب وقت مجئ المسلمين ركب الحاجب

للقائهم وكانوا قادمين فلما رايه مقبلا اسرعوا اليه وقالوا له يا عدو الله تسابقت الى المنايا فقال لهم انما عدو الله من خالف امر الله ورسوله واما انا فانى عبد الله ورسوله فقالوا له الحمد لله الذى انت منا ونحن منك ثم قال له رافع لعلك الحاجب قال نعم فعند ذلك ترجل وترجلت فرسان المسلمين وسلموا عليه وعظموه فسر الحاجب من حسن اقبالهم وتواضعهم (قال) وكان اهل البلد مجتمعين ينتظرون وصول العرب وبايديهم الشموع موقدة فى الطرقات فلما وصل الفرسان الى القصر قال لهم الحاجب انزلوا وادخلوا على بركة الله وبركة رسوله فدخلوا بابا بعد باب الى ان استوفوا الاحد عشر بابا ثم دخلوا على عبد الله بن جعفر فوجدوه جالسا على سرير الملك كلباص فقام اليهم وسلم عليهم وحمد الله تعلى على قدومهم وسلامتهم وقدم لهم الحاجب الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله ثم دخلت عليهم بنت الملك فقام لها عبد الله بن جعفر وقام الصحابة لقيامه وعظموها وذكر لهم عبد الله مزاياها وجميع ما فعلت فشكروا حسن صنيعها واثنوا عليها فقالت لهم الا اخبركم ايها السادات بامر لا تعلمونه قالوا بلى وما هو ايها السيدة قالت انى كنت اعلم من بعض صحفنا اسماءكم ووقت مجيئكم ومكان جلوسكم والساعة التى تدخلون فيها وذكرت اسماءهم واحدا واحدا فتعجب الصحابة رضى الله عنهم من فصاحتها ثم قالت لهم اعلموا رحمكم الله ان الله سبحانه وتعلى قد قضى بما هو كائن ونفذ حكمه فاشهدكم علىّ الان انى استخلفت عبد الله بن جعفر عن نفسى وجعلته عوضا عن ابى وبدلا من شخصى فقال لها عبد الله رضى الله عنه رضيت بذلك ولكن يلزمك ان تكونى معنا او تتزوجى هنا قالت انى لم استخلفك الا لهذا فعند ذلك قال عبد الله لاصحابه ايكم يحتاج الى امراة يتزوجها قال رافع بن الحارث انا فقال عبد الله بن جعفر اشهدكم على انى زوجته اياها فقال رافع قبلت (قال) فشهد المسلمون على النكاح وجلسوا يتحدثون ولما اصبح الله بخير الصباح دخل الحاجب وقال لهم اركبوا خيولكم على بركة الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم وخذوا القوم على حين غفلة ولا تاخذكم فيهم رهبة فقام عبد الله واصحابه فركبوا على خيولهم كانهم شعلة نار وجعلوا راس الملك كلباص فى رمح لاشهار موته وصاحوا لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فى اهل البلد وقتلوا منهم نحو عشرة الاف نفر فلما راوا ما حل بهم نادوا الامان الامان وجنحوا للسلم فامنهم عبد الله ورفع السيف عن عاتقهم ثم اتى اعيان البلد

وعلماء

وعلماء دينهم اليه ودخلوا تحت ذمامه وامانه فاكرم لقياهم وازال ارتياعهم وامنهم
وبذلك تم للمسلمين امتلاك سوسة وفتحوا ابوابها للامير عقبة بن عامر رضى عنه
فدخل ومعه المسلمون وفتحوا الخزينة فوجدوا بها ثلاثمائة الف دينار ذهبا
ومائتى قنطار من الفضة وعشرة الاف درع ومثلها سهام واقتسموا هذه الاموال
والغنائم بينهم بعد ان اخرج منها خمس بيت مال المسلمين واقاموا فيها سبعة ايام
احتفلوا فى اثنائها بدخول رافع بن الحارث رضى الله عنه بابنة الملك وبنى عقبة
رضى الله عنه فيها مسجدا وجعل رفاعة بن كثير الطائى قاضيا واولى عليها اميرا
وهو عقبة بن يزيد الغسانى ثم ارتحل المسلمون يريدون سبيبة وبارحوا سوسة
بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير

ذكر غزوة سبيبة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وبعد ان تم للمسلمين امتلاك سوسة امر الامير عقبة
ابن عامر رضى الله عنه بالرحيل فرحلوا وساروا نحو سبيبة وكان بها ملك يقال له
طيروس بن صيراف وهو ابن اخ الملك الاكبر صاحب المعلقة وكان قوى الشان ذا
شوكة وسطوة فى البلاد الافريقية وله خبرة تامة باحوالها وما وقع فيها منذ مجئ
العرب اليها وكان الملك الاكبر يحترم جانبه ولا يكلفه بما يكلف به غيره من الملوك
الاخرين وكان طيروس فارسا شديدا وبطلا صنديدا (قال) وكان عبدالله بن جعفر
فى مقدمة الامراء ومعيته اربعون الف فارس وخلفه الامير عقبة بن عامر فى ثلاثين
الفا من اخلاط العرب مثل غسان ولخم وطئ وجذام وربيعة وبنى امية فقال عبد
الله بن جعفر لامراء الجيش جدوا السير لعلنا نجد غنيمة نفوز بها ان شاء الله
تعلى فجدوا السير يومهم ذلك فلم يجدوا شيئا ولا وقفوا على خبر وكان لصاحب
سبيبة عيون ياتونه بالاخبار فاتوا اليه واخبروه بان المسلمين قادمون اليه وكانت
البلدة كثيرة البنيان والاشجار وكانت هذه الارض تسمى الخضراء لخصبها وحسن
منبتها والعرب سموها افريقية وكان بها جيش عظيم تضرب به الامثال فى
افريقية وكان ملكها يركب فى مائة وثمانين الفا من ابطال الفرسان المشهودين
بالثبات وشدة الباس (قال الراوى) فجمع الملك طيروس اهل بلده وقال لهم ان
هولاء اللئام قد اقبلوا نحونا يريدون الاستيلاء علينا وانتم ممن تضرب بكم الامثال
بهذه الاقطار فى الشجاعة وقوة الباس فماذا ترون الان من الراى قالوا له ايها

الملك انت ادرى منا بنا وبصالحنا وصالح البلاد فافعل ما بدالك فنحن طوع اوامرك فقال لهم اذاً خذوا على انفسكم واستعدوا للقتال وبادروا بالخروج اليهم لعلنا نعثر على شرذمة منهم فنقتلهم ونغنم سلبهم (قال) فضربت الطبول وقرعت النواقيس لجمع الجيوش فلم يكن غير قليل حتى ركب عدو الله فى ثلاثين الفا من صناديد قومه مدرعين كلهم بالدروع وسار بهم على غير الطريق الجادة وكان عمه ملك المعلقة يحبه حبا شديدا وقد عهد اليه ولاية ملك المعلقة بعد وفاته لما يعلمه من حسن رايه وفروسيته وشدته وعزمه وكثرة خديعته ومكره وكانت زوجته بنت صاحب رومة وقد خطبها الاف من الملوك والامراء وبذلوا فى الحصول على زواجها الاموال العظيمة والجواهر الثمينة وابى ابوها ان لا يزوجها الا لابن اخ الملك الاكبر صاحب سبيبة واختاره من بينهم لشدة عزمه وماضى حزمه وكمال عقله ودرايته وثبوته فى الاهوال فزوجه اياها وجهزها جهازا لم يسبق بمثله فارسل معها فى البحر الف مركب مشحونة بالفرش المنقوشة المزخرفة بالذهب وكثير من الملابس الرفيعة والمصوغ ومن جملة ذلك فرس مصوغة من ذهب وعيناها من الياقوت وسرجها من الفضة اذا نظر اليها الرائى يخالها فرسا حقيقية وارسل صاحب رومة مع ابنته حاجبا من حجابه والف خادم ولما دخل بها طيروس لم يراجل منها (قال) واراد الملك بالخروج عن الطريق الجادة ان يدرك المسلمين من خلفهم وياخذهم على حين غفلة ولم يكن عند المسلمين خبر بما فعل عدو الله وسار يومه كله الى ان غربت الشمس فالتقى فى طريقه جمعا من ابناء ملته فقال لهم هل رايتم فى طريقكم شيئا قالوا راينا خيلا حسانا ظاهرة الفروسية يبلغ مقدارها نحو الاربعين الفا مرت من الطريق وكان عقبة تخلف مع الظعن والاموال والنسوان ومعه ثلاثون الفا من اخلاط العرب وعرب حمير كلهم معه الا اميرهم حزام بن ضرار لانه تقدم مع عبد الله بن جعفر وبينما هم فى الشعوب والاودية والغابات يمشون ويتفرجون والنسوة اولادهن خلفهن وعلى ظهورهن والجميع فى بسط وانشراح واذا بغبرة قد ظهرت مما يلى سبيبة كانها ليل مظلم فقال عقبة ما هذه الغبرة التى ظهرت فنظر اليها المسلمون واذ انجلت ظهر من ورائها خيل كانها النمل من كثرتها فعند ذلك صاح عقبة وقال الله اكبر اصبنا ورب الكعبة ثم نادى معاشر المسلمين رحمكم الله هذا جيش قدم علينا ولا ينجيكم منهم الا الضرب بالحسام

والصبر

والصبر على المقام وها انا قد حبست نفسى لله ورسوله فبينما هم كذلك واذا بعدو الله قد حمل عليهم كانه شعلة نار وحمل على عقبة رضى الله عنه والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد القتال واجتمع النساء فاخذن الاعمدة بايديهن وقاتلن على اولادهن قتالا شديدا وكثر النزال وكثرت النصارى على المسلمين فولوا الادبار وملك اعداء الله الظعن كله وسبوا جميع النسوة والاطفال الا زوجة عبد الله بن جعفر فانها هربت واختفت فى شعبة تحت شجرة ومات من المسلمين مائة فارس اكثرهم من حمير وتشتت المسلمون فى الاودية والشعوب (قال) وكان عبد الله واصحابه يجدون السير نحو سبيبة وهم لا يعلمون ما حل باميرهم واخوانهم من اعداء الله ورسوله فلحق بهم رجل من سكان شقب نار (وهى المسماة الان بالكاف) فقال لهم عبد الله اسالوا هذا من اين اتى فسالوه فقال لهم انه من شقب نار وذاهب الى المهدية وانه بلغه ان صاحب سبيبة كسر العرب الذين فى اثركم وقتل منهم خلقا كثيرا وغنم الظعن كله وسبى النسوة والاولاد فصاح عبد الله بن جعفر واندهش وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم يا ليتنى كنت معهم ولم افارقهم ثم نادى ابن رافع بن الحارث فقال لبيك قال ما ترى من الراى قال الراى عندى ان نسير انا وانت فى مائة فارس ونلحق باعداء الله ورسوله قبل لحوقهم البلد ونحول بينهم وبين البلد لعل الله تعلى يفرج على المسلمين مما حل بهم ان شاء الله تعلى فعند ذلك صاح عبد الله بمن يعرف فيهم الشجاعة التامة من الفرسان فحضروا وكانوا مائة فركب عبد الله ورافع امامهم وساروا سيرا حثيثا من الطريق الغير الجادة فلقوا فى طريقهم رجلا من اهل سوسة فسالوه عن الجيش فاخبرهم بان الملك طيروس قد مر فى جيش عظيم وسار فى غير الطريق الجادة واخاف ان يسبقكم الى البلد (قال الراوى) فجدوا السير هنيهة واذا بهم قد سمعوا دمدمة الخيل وبكاء النسوة والاطفال فلم يستطيعوا صبرا عند ذلك وتصايحوا بعضهم بعضا وزحفوا على اعداء الله ورسوله وصاح عبد الله بن جعفر فيهم عند الحملة وقال

الجن تفزع يوم الحرب من فزعى * اذا اتيت الى الهيجا بلا جزع
يا ويح من صنع الارصاد يخدعنا * ونحن جرثومة الامكار والخدع
لارضين الهى فى جهادهم * وقتل ابطالهم بالسيف والدرع

يا ويل كلاب العدا الطيروس ان وقعت * عيني عليه لارديه الى المنزع
عيب عليّ اذا ما النقيه هذا * وافاق الراس منه غير مرتدع

ثم صاح رافع بن الحارث رضى الله عنه وقال انا مهلككم عن اخركم انا مميت اطفالكم انا مخرب ديار كم وانشد

الا اننا السادات من نسل هاشم * ليوثا ذوى بطش شديد العزائم
لنا تشهد الابطال فى كل معرك * وتذكر عنا اهل كل المواسم

(قال) فلما سمعت اسماء بنت ياسر زوجة الامير عقبة رضى الله عنه صوت عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث رضى الله عنهما عرفتهما وصاحت قائلة انا نا نصر الله لا اله الا الله محمد رسول الله الا ان نصر الله قريب من المومنين ادركنا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجابها عبد الله رضى الله عنه لبيك وسعديك فالتفت الملك خلفه فراى المسلمين محدقين به من كل جانب فصاح فى قومه وحمل على المسلمين حملة منكرة ثم صاح عبد الله بن جعفر انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاح رافع بن الحارث انا ابن الحارث الفارس الدعاس وصاح عمر بن حمزة انا ابن حمزة بن عبد المطلب بن هاشم ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك صاح بقية الفرسان رضى الله عنهم اجمعين ونادى عبد الله بن جعفر ياءال مخزوم ياءال هاشم اليوم ولا بعده ولن تنالوا الجنة الا بالمكاره وانشد

وللہ فى عرض السموات جنة * ولكنها محفوفة بالمكاره

واعلى الدرجات درجة الشهادة * فارضوا عالم الغيب والشهادة * وهذا الجهاد قد قام على ساقه * وكسد النفاق فى اسواقه * وانتم اصحاب النبي الكريم * والرسول العظيم * بشروا روح المصطفى بثباتكم * وقوموا العزم بصفاء نياتكم * واياكم ان تولوا الادبار * فتستوجبوا عذاب النار وغضب الجبار * فوالذى قدر الاقدار * وادار الفلك الدوار * وكل شئ عنده بمقدار * لقد تزينت لكم الحور العين * بايديهم اباريق وكاس من معين * فمن طاب دار البقا * هان عليه ما يلقى * فحققوا حملتكم تنالوا بغيتكم * واطعنوا الصدور * تنالوا الحور * وشرعوا الاسنة تنالوا الجنة * واغتنموا الصبر يكتب لكم الاجر * بشروا المومنين بحسن عملكم * واياكم ان تضلوا عن سبيلكم * واقتدوا بفعل اسلافكم واسمعوا ما نزل فى القرءان من اجلكم * وعد الله الذين ءامنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الارض كما

استخلف

استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم امنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ومن كفر بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون احملوا فانتم الغالبون واجتهدوا فقد فاز المجتهدون يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وانتم مسلمون وانصروا دين الله وشرع نبيه صلى الله عليه وسلم واياكم والجزع فما قضاه ربنا قد امضاه واياكم ثم اياكم ان يراكم الله منهزمين فتبوءون بغضب من الله (قال) وقال عبد الله لاصحابه احملوا واكثروا من الصلاة على البشير النذير وكان بيده الراية فهللوا وكبروا وحملوا على الملك واشتبكت الحرب واختلط الفريقان واقتتلوا قتالا شديدا ما عليه من مزيد ونصر الله المومنين فبددوا شملهم وهدموا بنيان جموعهم ذات اليمين وذات الشمال وحل بهم الدمار وولوا الادبار فعند ذلك نادت اسماء بنت ياسر باعلى صوتها لا انجى الله ابطالا لم يكونوا هكذا فاجابها عبد الله بن جعفر وقال يا ابنة ساعد وكاها بيدها انظرى فعل الكرام الذين باعوا انفسهم فى رضا الله ورسوله فقالت جزاكم الله خيرا (قال) وتقهقر جيش النصارى نحو ثلاثة اميال وقتل منهم الف وخمسمائة فارس وهرب الملك وهو يقول يا للنجاة ما اجهلنا بهذه القوم ويكرر ذلك الى ان وصل باب البلد ورجع عبد الله واصحابه عن اقتفاء اثر المهزومين لجمع شتات جيش الامير عقبة بعد ان استرجعوا جميع ما غنمه منهم النصارى وافتكوا جميع النساء والصبيان واستشهد يومئذ من المسلمين عشرون فارسا منهم صابر بن جابر الغسانى وعبد الله بن صفوان الحارثى وعمر بن عدنان الطائى وصابر بن سعيد الحميرى ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم ورحمهم اجمعين وفرحت نساء المسلمين بخلاصهن فرحا عظيما (قال) وساروا رضى الله عنهم بالغنائم المردودة والنسوة والاولاد قاصدين جهة الامير عقبة وكان رضى الله عنه قد اتاه رجل هاربا من جيش الملك صاحب سبيبة فوقع بين يديه وهو يقول الامان الامان فقال له ما خبرك يا هذا قال كنت سائرا مع قسم من الجيش بالغنائم والنسوة الى سبيبة فلم نشعر الا وقد احاط بنا نحو مائة فارس كانهم شعلة نار فقتلوا منا خلقا كثيرا وافتكوا الغنائم والنسوة والاولاد وهزموا الجيش كله وساروا فى اثره قدر ثلاثة اميال وهرب الملك وهم قادمون عليكم وقد جئتكم مستجيرا وطالبا للامان فامنونى وانا اقول بين ايديكم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عقبة لا باس عليك وكن مطمئن

البال وانت الان صرت منا لك ما لنا وعليك ما علينا وفرح الامير عقبة ومن معه بهذا الخبر فرحا شديدا واخذ رضى الله عنه فى جمع اصحابه من الاودية والشعوب حيث كانوا مشتتين وهو يقول انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم مالى وجه اقابل به عبد الله واصحابه ثم قال له اصحابه ان عبد الله قادم اليك فقال هو والله مفرج الكربات وسار رضى الله عنه بجيشه للقاء عبد الله بن جعفر فلحق به والحياء متمكن منه فلما قابل عبد الله ورأى ذلك فى وجهه ترجل وتبعه رافع وبقية الفرسان رضى الله عنهم اجمعين وقبلوا يديه وسلموا عليه وازالوا عنه الخجل وقالوا له انما هذا كمال الاجر والثواب للعبد لان الله تبارك وتعلى قال ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين الاية ثم ان النسوة اتين الى ابن كثير وقلن له والله لا يرانا الله ان نسير معكم فى سيرة كهذه ابدا (قال الراوى) وبعد ذلك اجتمع فرسان المسلمين وتحدثوا مع بعضهم بعضا ثم قالوا لعقبة ايها الامير نحن الان قد توسطنا فى كبد البلاد الافريقية وهذا البلد الذى نحن قادمون عليه به جيش عظيم وهو اشد باسا مما لقينا والاولى ان تكتب كتابا الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ليمدنا بالفى فارس قال حبا وكرامة فقال لهم عبد الله بن جعفر نصرة الله اقرب الينا من نصرة امير المومنين فاحسنوا الظن بالله ينصركم الله قال له عقبة وكيف يكون الامر فقال رافع بن الحارث الامر ان ننزل على هذا اللعين ونستعين بالله عز وجل وبعناية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويقضى الله امرا كان مفعولا واجاب بمثل ذلك عبد الله بن جعفر فقال لهما عقبة حبا وكرامة ثم ساروا الى ان غربت الشمس وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وعزم على الرحيل فقال له عبد الله ايها الامير ان الاقامة اليوم احسن لنستريح وتستريح خيلنا فاستحسن اشارته وامر الناس بالاقامة ذلك اليوم (قال الراوى) وكان بلغ الملك الاكبر صاحب المعلقة فى وقته ان المسلمين ملكوا المهدية وان ولده اسلم وانهم استولوا بعد ذلك على سوسة ورحلوا منها يريدون سبيبة فغاظه امر ذلك وعظم عليه ثم جمع ارباب دولته وعماله فحضر عنده الف وخمسمائة امير ممن يودون له الخراج وخراج كل منهم مائة الف دينار لان الملك الاكبر كان علك افريقية كلها وقطع منها ممالك وولى عليها امراء لاتساع ملكه ولما تمثلوا بين يديه قال لهم ان العرب قد اتوا بلادنا وطمعوا فى امتلاكها بعد ان

اخرجوا

اخرجوا اهل العراق والشام ومصر من ديارهم بالسحر وحق المسيح عيسى بن مريم لئن لم تكفونى امر هولاء الجياع رعاة الابل لاخرجن اليهم بنفسى ولاجعلن الحبل فى عنق اميرهم عقبة بن عامر وناتى به اسيرا ومعه عبد الله بن جعفر الذى دخل بلدى وسحر ابنتى وسلب عقلها وتزوجها بغير رضائى واذنى وانى نخاطبنى لكم فى هذا الشان ودعوتى اياكم اليه قد راعيت المحافظة على ناموسى واحترام مقامى كما فعل عثمان بن عفان لنفسه حيث انه بعث عقبة بن عامر ولم يات هو لافريقية ولولا ذلك لما بقيت ساكنا ولكنت خرجت بنفسى من قبل الان فقال له الامراء نحن نكفيك امرهم ونردهم على اعقابهم خاسرين قال اذاً فخذوا على انفسكم الخروج اليهم وتاهبوا للزحف عليهم بارك فيكم المسيح قالوا له سمعا وطاعة ثم استدعى بوزيره الاعظم واسمه ديلاق بن صيراف وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا ممن تضرب بهم الامثال فى البلاد الافريقية فامره بالخروج لقتال العرب وقال له لا بد ان تطردهم من هذه الارض حتى لا تقوم لهم قائمة بعد الان وتاتى باميرهم عقبة بن عامر اسيرا وكذلك ابن عم محمد عبد الله بن جعفر الذى اخذ بنتى واغتصبها تاتى به اسيرا واخرج فى صبيحة غد وخذ معك من جيوشنا ومن النجدات التى وردت لنا من ممالك افريقية ورومة اربعمائة الف فارس ومائة الف راجل من الاخلاط وعشرة الاف من العرب المتنصرة مع جبلة بن الاهيم وكان جبلة امير العرب المتنصرة الذين خرجوا من الشام على عهد هرقل الى مصر ومنها الى افريقية وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا ومائة الف رجل بمائة الف درقة والف قبة على المطايا لبنات الملوك ونساء الامراء واجل من الرايات الملونة اربعمائة (قال الراوى) فلما كان فى صبيحة الغد ارسل الملك الاكبر الى ديلاق يستحضره ولما حضر قال له هل اعددت ما امرتك به قال نعم ان الجيش كله حاضر وعلى اهبة السفر قال له سر على بركة المسيح عيسى بن مريم فخرج وخرج امامه الف قسيس بالف كتاب من الانجيل والف راهب بايديهم الصلبان يدعون له بالنصر والظفر على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وخرج الملك الاكبر لوداعه وجعل يوصيه فقال اذا لقيت العرب فاستعن بالمسيح وقدم التوراة والانجيل والزم الصبر ولا تظلم عبدا من عبيد الله ولا تستكبر على احد ولا تطع هوى نفسك وابعث عيونك ياتونك بالاخبار ولا تكثر النظر لمحارم المخلوقات وليكن فسطاطك استاره مرخية الاطناب ولا تكثر

الجلوس مع اوباش الناس واكثر منه مع اهل الدين والشجاعة والسخاء واهل الحكم والعلم لتزداد فى كل يوم فنا وعلما تستعين به على كل خصلة واكثر الصمت واكرم سفهاءك واكثر من اطعام الطعام ولا تعظم نفسك ثم استتر عند الاكل ولا تكثر الاجابة فى اكل الطعام الا عند الفضلاء من الناس ولا تضع شيئا ولا تحدث امرا الا بمطالعة اصحابك ولا تفعل شيئا بدون مشورة ولا تكتف برايك ولا تكثر مجالستك مع اهلك ونسوتك فتقل هيبتك ولا تكثر الانبساط معهن فيقل اعتبارك عندهن ولا تجاوز صبيا ولا شيخا ولا احدا الا وتسلم عليه واذا لقيت احدا من المساكين فى مسيرك فلا تروعه ولا تترك احدا ينتهرهم ومن انتهر واحدا منهم من جيشك فالزمه العقوبة والادب واطعمهم اذا وجدتهم واذا وعدت فلا تخالف واذا عاهدت فلا تخن ولتكن اكثر الناس تواضعا واذا دخل عليك احد فقم بين يديه اذا علمت انه من افاضل الناس واذا دخل عليك سفيه او لئيم فلا تقم اليه لئلا تعينه على طريقته واذا توليت قوما فلا تجالسهم فتقل هيبتك عندهم ولا تعف عن الصغير من الزلل لئلا ياتى باكبر منها فى اثرها وقدم الصبر واخر الجفاء واكثر من تلاوة الانجيل والصلاة على عيسى بن مريم عليه السلام واذا تكرمت فاجمل ولا تمنن فى عطائك حتى لا يكون ذلك وهنة فى حقك واذا تكلمت فلا تعجل فى كلامك واذا امرت بشئ فانجز فى احضاره ولا تتوان لئلا يكون ذلك طعنا فى امارتك ويكون الانجاز لك ردعا فى اصحابك ولا تعف عمن وجب عليه الحكم لئلا يكون ذلك امرا فى تكرار الفعل ولا تكثر الضحك ولا يكون ضحكك الا تبسما واذا تكلمت فالزم الصدق ولا تجاور عن يمين فسطاطك ولا يساره الا اهل الحكم والمروءة والعفة والشجاعة واكرم شجعان جيشك وفضلهم على من سواهم من عساكرك ليكون ذلك وعظا لغير فارس وميزهم فى الغنيمة وفى الجلوس للطعام ولا تقتل من اعدائك صبيا ولا شيخا ولا امراة ولا عالما من العلماء واياك ان تكثر السلب فى الحرب ولتكثر من الامر بالمعروف والنهى عن المنكر ولا تكثر اكل اللحم لانه يزيل الهم من القلب ولتكثر من اكل الحلاوة والعسل فانه يزيد فى المروءة والعقل ولا تاكل وانت ممتلئ ولا تمد رجليك بين احد من الناس واظهر البشاشة والتواضع لكل احد ولا تنس خيرا اذا فعل فيك ولا تنتظر احدا دونك او اكبر منك الا بداءته بالسلام واذا اصابتك مصيبة فاحمد الله عليها واياك ان تكون ممن

يحمده

يحمده فى الخير ولا يحمده فى الشر فتكون من الخاسرين واذا سبك احد فلا ترد عليه ولتكن من الامرين بكل خير ولا تشاور سفيها ولا امراة ولا صبيا ولا غلاما ولا تومر على جيشك صبيا حديث السن ولا عبدا ولتساو بين الناس فى الغنيمة عند قسمها الا اهل السيف فميزهم عن غيرهم ولا تكلف احدا فى نزولك عند قوم فتكون جبارا عنيدا ولتاكل ما احضر لك ولا تمدن يدك للطعام قبل غسلها فربما يكون عليها نجاسة واذا اكلت فاغسل يديك وفاك عند فراغك من الاكل لئلا تكون فيه رايحة كريهة واذا امرت بالرحيل فقدم جيشا واخر جيشا وخذ المهل على رجليك للرفق بضعفائك ومن مات له جواد فاشكره ومن انجرح فعظمه واذا سمعت بمن شكر فى الحرب او فعل فعلا حسنا فابعث اليه وزده فى شكره فى ملا من الناس ليكون ذلك حسنا ونفعا لكل سامع ولا تحكم الا بشهود ولا تصدق ناقل الشر الا ان يتواتر ولا تفش سرك الا لمن هو صديقك او قريبك وليكن حلمك فى المحسن ولا تعف عن المسئ ولا تحمل قلبك ما لا يطيق ولا تعاند من هو اعلى منك ولا تنازعوا فيما بينكم ولتامر الناس باليقظة ولتكن انت المولى على الحكم واذا عظم على الناس امر فتولاه انت بنفسك واذا اتفقوا على راى فلا تخالفهم فيما ارادوا ولتكاتبنى بما يكون من الاخبار والسلام ثم ودعهم الملك الاكبر وانصرف (قال الراوى) فسار عدو الله ورسوله فى قوة عظيمة وجدوا السير وسار معه خلق كثير من التجار وكانت الرايات تخفق كانها اجنحة طيور والقسيسون والرهبان يتلون التوراة والانجيل وامامهم الصلبان والمسلمون لا يعلمون من كل ذلك شيئا غير انهم بينما كانوا يريدون النزول على سبيبة اذ برجل قادم مع الطريق فتسابقوا اليه وسالوه من اين اتى قال لهم من المعلقة فقالوا له ما الخبر عندكم وما يفعل الملك الاكبر قال تركت وزيره الاكبر ديلاق بن صيراف خرج فى خلق كثير لا يحصى له عدد قالوا له واين يريد قال متوجه للعرب واليوم ينزل على باجة فلما علموا ذلك استدعى عقبة بفرسان المسلمين فحضروا بين يديه الا عبد الله بن جعفر لانه كان بعيدا من الجيش مشتغلا بفرس كدوم بفيه ضراب بيديه لا يقربه احد وكان عنده عشرة من الخيل كلها هكذا فشاورهم عقبة رضى الله عنه فى امر ذلك فقال غسان ولخم وجذام وبنو امية ننزل على سبيبة حتى ياتوا الينا ويقضى الله امرا كان مفعولا فقال لهم عقبة بن عامر معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى من عنده راى فليتكلم

فاتفق رايهم كلهم على ما قال غسان ومن قال بقولهم الا بنو هاشم وبنو مخزوم فلم يتكلموا ومكثوا ينظرون الى امرائهم فقال لهم عقبة وانتم ما عندكم من الراى يا بنى هاشم وبنى مخزوم فقال له رافع بن الحارث ايها الامير شاور عبد الله بن جعفر وما يراه هو راينا فالتفت عقبة الى عبد الله بن جعفر وقال له ما عندك من الراى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم او تقول ما يقول هولاء العرب قال عبد الله بئس ما قالوا ليس الامر كذلك وانما نسير الى لقائهم ليكون ذلك رفعة لنا عند الله ورسوله فقال رافع ايها الامير حسن ما قاله عبد الله ثم قال عبد الله لعقبة ايها الامير مر الناس بالرحيل ونبعث عيونا يا تونا بالخبر قال له حبا وكرامة فعين سبعة من الفرسان ليتجسسوا لهم الاخبار وقال لهم عبد الله اذهبوا الى جيش العدو الاتى من طريق المعلقة وانظروا ما يصنعون والى اين وصلوا واتونى عاجلين فسار السبعة فرسان (قال الراوى) وتغيرت وجوه المسلمين مما سمعوه عن قوة العدو وخامرهم الخوف وداخل الامير عقبة من ذلك الجزع والخوف على المسلمين ونزلوا بعيدا عن سبيبة وبلغهم ان صاحبها سمع بخروج جيش الملك الاكبر لقتال العرب وانه فرح بذلك فرحا شديدا وبات المسلمون تلك الليلة فى كدر عظيم وهم يقراون القرءان طول ليلهم رضى الله عنهم ثم دخل رافع بن الحارث على عبد الله بن جعفر وهو فى فسطاطه وقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الامر عظيم فكيف يكون الراى وهذا الجيش قد وصل الينا وتعلم ان ما فى جيشك سوى بنى هاشم وبنى مخزوم ونخاف ان نهلك ونلقى الصدمة بانفسنا فقال له عبد الله احسن الظن بالله عز وجل لاننا ما خرجنا الا فى رضا الله ورسوله قال له رافع بن الحارث لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم جلسا يتحدثان وكثر البكاء والنحيب عند النسوان والولدان مما سمعوا من كثرة اعداء الله ورسوله ثم اقبلت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها ودخلت على عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث فوجدتهما يتحدثان فقالت لهما انعم الله عليكما بالسلام وادام لكما الانعام بالاكرام فقال لها عبد الله وعليك انت بالصباح والفلاح فى كل المساء والصباح فقالت لهما والله لقد اتيت لاشكو لكما ما لحق المسلمين من الجزع والخوف من كثرة اعداء الله ورسوله اما سمعتما البكاء والنحيب قال لها عبد الله ابن جعفر يا اسماء طيبى نفسا وقرى عينا والله انك لتنظرين تبديد شملهم

وتفريق

وتفريق جمعهم ان شاء الله تعلى بحول الله وقوته وبفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت ان هذا الخلق الوارد عليكم كثير والنفوس والله قد جزعت وخافت منه انهزامنا واسرتنا عند سيبية ولولاك بفضل الله ورسوله ما قامت لنا قائمة وليس بيننا وبين الهزيمة الا ان يقتل واحد منكما فنكون غنيمة لهم قال لها رافع احسني الظن بالله ولا يكون ان شاء الله الا الخير والسرور والعاقبة الحسنة فسيرى ولا تخافى ولا تكن نفسك الا طيبة ففرحت بكلامهما وطابت نفسها وخرجت وكان نساء المسلمين ينتظرنها وهن اللاتى بعثنها لتختبر عبد الله ورافع عن امر الحرب وهل عندهما جزع اولا فاعامتهن اسماء بنت ياسر بما قالا لها وما راته من حالهما وقالت لهن والله انى رايت قوما ليس عندهم من الخوف والجزع شئ وهم فارحون لجهاد ففرحن بذلك فرحا شديدا وسمع الامير عقبة رضى الله عنه بكاء النساء وعويلهن فقام يسعى على قدميه ودخل على عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وهما يتحدثان فقاما اليه ووقفا بين يديه فجلس واذن لهما بالجلوس وذكر لهما حالة النسوة وما هو عليه من الحيرة من اجل ذلك وقال لهما وهو مرتاع ان الخطب لشديد علينا ولا ادرى ما اصنع لانى اخشى ان يهلك المسلمون وهم فى عهدتى وليس لى عذر اعتذر به لامير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه قال له عبد الله بن جعفر ايها الامير اوكل الامر لعهدتنا وابق مطمئن البال ولا نريد منك الا ان تقف وتحرض المسلمين على القتال ولا تترك احدا يولى الادبار فهذا جيش عظيم لم يكن مثله بارض الشام ولا بمصر ولا بالعراق ولا يحصى عدده الا الله فانهض بنفسك واجتهد فى حث رجالك على الجهاد واكثر الدعاء لنا فى المساء والصباح ولا تظهر للناس من الخوف شيئا وليروا منك الشجاعة والاقدام والثبات واحسن الظن بالله فخرج عقبة وبات الناس تلك الليلة ينتظرون ما ياتى به الصباح (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح بعث الامير عقبة الى الامراء يستحضرهم فلما حضروا قدم لهم الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تبارك وتعلى ثم قال لهم رضى الله عنه معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اننا دخلنا بلاد افريقية وهى بعيدة عن بلادنا ولا صارخ يصرخ الا الله تعلى فاستعينوا بالله واصبروا لله فان الصبر مفتاح كل خير كما قال الله تبارك وتعلى يا ايها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وقال ايضا جل وعلا كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله

والله مع الصابرين وتعلمون اننا لما كنا فى فتوح الشام كانت راية محمد صلى الله عليه وسلم بالقرب منا والكتائب كل يوم ترد علينا لقرب المسافة ونحن الان فى ارض تبعد عنا بعدا كبيرا ولا ينجيكم من اعداء الله الا الضرب بالحسام فاستعينوا بالله ورسوله ولا تاخذكم فى الله لومة لائم وكفى بالله شهيدا وكان رضى الله عنه يوصي المسلمين وهو يبكى شفقة عليهم وعلى دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فاجابه المسلمون وقالوا ايها الامير نحن نقاتل عليك وعلى المسلمين ودين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حتى نموت بين يديك وسترى ان شاء الله تبديد شملهم وتفريق جموعهم بفضل الله ورسوله وفضل امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه والان ننتظر وصول عيوننا الذين ارسلناهم لاستطلاع اخبار العدو فاذا اتوا الينا نرحل فى الحين حتى نلحق بهم بين بلدتى ابة واربص لان تلك الارض صالحة لمجال الخيل (قال الراوى) فبينما هم كذلك واذا بالعيون قد اقبلوا فقال عبد الله بن جعفر لمن حوله بادروا اليهم وادخلوهم علينا قبل ان يكلموا احدا من الناس لئلا يروعوهم فساروا اليهم وادخلوهم على الامير عقبه بن عامر رضى الله عنه وكان عنده امراء المسلمين فسالهم عبد الله بن جعفر عن الخبر بعد ان ابعد الناس عن الاستماع فقالوا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم راينا جيشا عظيما ما راينا قط اكثر منه عددا منذ خلقنا الله تعلى وفيه ابطال كالعقبان وفرسان كالاسود ولو سلموا انفسهم عاما كاملا ما فرغنا من قتالهم وها نحن اعلمناكم فخذوا على انفسكم وهم اليوم ينزلون بوادى الكلخ قال لهم عبد الله بن جعفر اكتموا الخبر لئلا ترهبوا الناس واذا سالكم احد فقولوا ما راينا الا جيشا ضعيفا قالوا سمعا وطاعة ولما خرجوا سالهم النسوة اللائى كن ينتظرن خروجهم عن الخبر فقالوا راينا جيشا قليل العدد سيكون غنيمة لنا ان شاء الله تعلى فاستبشرن وانصرفن مسرورات ثم خرج عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث رضى الله عنهما وحمائل سيفيهما مجرورة فى الارض وهما يتبسمان حتى وصلا الى فسطاط اسماء بنت ياسر زوجة الامير عقبة بن عامر رضى الله عنهما فقالا لها يا اسماء ابشرى بنصر الله وعونه ولابد ان شاء الله ان نبدد شملهم ونفرق جمعهم وتلبسى من ثياب الملقة وتجلسى على اسرتهم وتجعلى فى يديك اساورهم بحول الله تعلى وقوته فقالت ذلك بفضل الله ورسوله ثم بضرب حسامكم جزيتما خيرا يا ابن جعفر ويا ابن الحارث هكذا والله كان ابواكما يهونان

علينا

علينا فى فتوح الشام هون الله عليكما فى الدنيا والاخرة ثم قاما وولولت النساء عليهما اشعارا بسرورهن منهما وتعظيما لهما وسارا الى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه وازالا عن القوم ما يخامرهم من الارتياع ثم قالا له ايها الامير مر الناس بالرحيل فامر بذلك وكان المسلمون فى غم عظيم مما تعلق باذهانهم عن كثرة الاعداء غيرانهم اخفوا الكدر واظهروا السرور بالخروج للقتال ولما ركب الناس واستووا على ظهور الخيل وانتظمت هيئتهم تقدم عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فى الف فارس من صناديد الابطال واوصى رافع بن الحارث رضى الله عنه وقال له كن انت فى واخر الناس والظعن والنساء والاولاد مع الامير عقبة فقال له سمعا وطاعة وكان بلغ عبد الله بن جعفران عدو الله ورسوله ديلاق بن صيراف رئيس جيش ملك المعلقة قد رحل من باجة ونزل بوادى الكلخ (قال) فسار المسلمون يجدون السير الى وسط النهار ثم نزلوا باثر كثيب وبات المسلمون تلك الليلة حائرين واجلين لانهم دخلوا ارضا لا خبرة لهم بها وبسبب كثرة اعدائهم فلما سمع عدو الله ورسوله بقدوم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم اليه غضب غضبا شديدا وقال عجبا لهولاء القوم يا تون اليّ وانا الطالب لهم وما ذلك الا ليوهموا الناس انهم اشد باسا منا ثم امر بالرحيل فى تلك الليلة وبات سائرا الى ان اصبح الصباح وطلعت الشمس ولا يزال سائرا حتى وصل الى شقب نار ونزل بها (قال) ورحل المسلمون ذلك اليوم فنزلوا على بلد ابة للاستراحة واراحة خيلهم وكان ذلك فى زمن الربيع وكانت المزارع حسنة والاعشاب كثيرة فاطلقوا خيلهم وابلهم للرعى ونزل عبد الله بن جعفر للوضوء بواد هناك فبينما هو بالوادى اذ اقبل عليه فارس وقال السلام عليك يا ايها الرجل قال له عبد الله وعليك السلام ايها الشاب من اين اقبلت قال من هذه البلدة المسماة ابة التى حللتم بها وقد سمعنا بقدوم جيش عظيم لمحاربتكم وفى هذا اليوم يلحق بكم وانتم اراكم قليلين جدا بالنسبة لاعدائكم وتعلمون ان الله يحاسب على افساد الزرع فارجو من فضل الله وفضلكم ان ترحلوا عنا الى فج شقب نار حتى يقع القتال بينكم فى تلك الارض فقال له عبد الله لا فبارحكم حتى تعطونا العهود والمواثيق على انكم لا تقاتلونا اذا نحن رجعنا اليكم وان تدخلوا تحت ذمامنا قال له نعم انا ما اتيتك مبعوثا من اهل البلد الا لهذا الامر فقال له عبد الله وهذا الجيش الذى ذكرت أيلحق بنا اليوم ام لا قال اليوم يلحق بكم وهو جيش عرمرم

ما راى الراءون اكثر منه عددا وبه تضرب الامثال فى جميع البلاد الافريقية ثم قال لعبد الله وهل تسمح لى ايها السيد بان اسالك عن شئ قال له سل عما تريد قال انت عبد الله بن جعفر قال له نعم ومن اين تعرفنى قال نعرف صفتكم كلكم يا بنى عبد المطلب ويا بنى هاشم ونعرف مومنكم وكافركم ونعلم انكم تملكون بلادنا قال له عبد الله ولاى شئ لم تؤمنوا بنا وبنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قال حتى يشاء الله ربنا واما انا فقد امنت حين سمعت انكم بنيتم بلدتكم المسماة بالقيروان لانى تحققت فى ذلك اليوم ان التواريخ التى عندى صحيحة وايقنت انكم تملكون بلادنا طولا وعرضا وانا مؤمن بهذا النبي محمد صلى الله عليه وسلم وانت عبد الله ابن جعفر بن ابى طالب وابو طالب اسمه عبد مناف وانما كنى بابى طالب لان ولده اسمه طالب ولكن يا عبد الله خذوا على انفسكم فان هذا الجيش الزاحف عليكم قوى جدا واسال الله لكم الظفر والنصر على اعدائكم واوصيك بكتم امر اسلامى ولا تعلم به احدا من اصحابك اذ ربما ينتقل الخبر للبلد فيقتلنى اهلها لانى ابن اميرهم واطلب منك اذا ملكت بلدنا ان تجعلنى اميرا عليها فقال له عبد الله وما اسمك قال قد سميت نفسى محمدا تبركا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم لعله يكون لى شفيعا يوم القيامة وبينما هما يتحدثان واذا بفارس قد اقبل من عند الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه يستدعى عبد الله للحضور عند الامير فودع عبد الله بن عامر رضى الله عنه ابن صاحب ابة بعد ان وعده بالانتقال من تلك الارض الى الارض التى ذكرها له وسار الى الامير عقبة ودخل عليه فوجد عنده رافع بن الحارث وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار وهم يتحدثون فى امر الاقامة بابة فاعلمهم عبد الله بخبر الرجل ابن صاحب ابة وما ذكره واوصاهم بكتم اسراره وقال لهم يلزم ان نرحل من هذا المكان لئلا يفسد زرعه لان جيش العدو يصل اليوم الى هنا وانا وعدت اهل البلد بالرحيل وقد ذكر لى ابن اميرهم موضعا اخر يصلح لمجال الخيل وهو فج شقب نار فوافقه الامير عقبة على ذلك وامر بالرحيل (قال الراوى) وبينما كانوا يتهياون للرحيل اذ قال لهم ابو يزيد الغفارى انى ارى غبرة ثائرة مما يلى شقب نار ولا شك ان الجيش الوارد لقتال المسلمين هو الذى اثارها ثم انجلت الغبرة فظهر من ورائها رايات خافقة مختلف الوانها كانها اجنحة طيور ونحو مائة الف فارس كانوا فى مقدمة الجيش يتقدمهم ثلاثمائة فارس من

الابطال

الابطال الشداد ومعهم الاف من الطبول فعند ذلك قال الامير عقبة لعبد الله بن جعفر رضى الله عنهما ما قولك أنقيم هنا ام نسير قال ارحل بنا واعدل عن زرع هذه البلدة التى عاهدناها وتزاحم العدو عند بلد اربص فساروا وارتفع الغبار وصار النهار ليلا مظلما واشفق المسلمون مما راوا من كثرة اعداء الله ورسوله وايقنوا بالهلاك وعند ذلك قال عبد الله بن جعفر لعقبة ايها الامير مر الناس بالنزول (قال الراوى) فنزل المسلمون وقرب اللعين بجيشه واخذ الناس يهرعون اليه من كل حدب واتى لاعانته من مائة حى الف فسطاط من كل حى وعظم الامر على المسلمين واشتد الهول والفزع وودعوا بعضهم بعضا وهم يقولون لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وبينما هم يدعون والى الله يتضرعون واذا بغبار قد صعد مما يلى سبيبة كانه الليل البهيم فازداد خوف المسلمين وجزعهم وبكت نساؤهم واولادهم ثم انكشف الغبار فظهر من ورائه خيل عربية حسان فى اولها فارس راكب جوادا احمر وعليه درع وبيده رمح طويل فقال عبد الله لاصحابه هل عرفتم من هذا الفارس الذى فى اول الخيل قالوا ما عرفناه قال لهم عبد الله والله انها لطلعة عبد المطلب وانه الفضل بن العباس ففرح المسلمون وهللوا وكبروا واكثروا من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وظهر لهم خلف الفضل بن العباس رضى الله عنه الف فارس قد اتى بهم من الحجاز منهم مائتان من بنى هاشم ومائتان من بنى مخزوم والباقى من اخلاط العرب لحمير والخزرج واويس ولخم وجذام وطئ وغيرهم ولما قرب الفضل بن العباس من عبد الله بن جعفر ترجل فاسرع اليه عبد الله وقال له اهلا وسهلا بك يا رايحة عبد المطلب وتعانقا وسلما على بعضهما بعضا ثم اقبل المسلمون وسلموا على الفضل بن العباس ومن معه وفرحوا بقدومهم وقالوا لهم ان مجيئكم الينا فى مثل هذا الوقت الشديد من علائم النصر والظفر ان شاء الله تعالى ثم نزلت كل قبيلة عند اختها وسالوهم عن الصحابة وعن امير المومنين عثمان بن عفان وعلي بن ابى طالب رضى الله عنهم اجمعين ولما اجتمعوا عند الامير عقبة بن عامر ناوله الفضل بن العباس كتاب امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ففكه وقراه على المسلمين فاذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من عثمان بن عفان الى عقبة بن عامر سلام عليكم اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد بلغنى ان جيشك عماده

كله ما ولد عبد مناف وبنو هاشم وبنو مخزوم واما انت ومن معك لم اسمع عنكم خبرا يسرنى ولم يكن ظن المسلمين فيكم هذا اما قرات قول الله عز وجل يا ايها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وقوله تعالى قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون اما حضرت الجهاد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كانك عار من جميع الامور اما تستغفر الله فيما صدر منك حين تنظر لصبيان بنى هاشم الذين لم يدركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا نظروا وجهه ولا حضروا القتال معه ومع ذلك لولاهم ما قامت لكم قائمة ابدا مع بنى الاصفر وهم عدد يسير ولولا القلادة التى قلدنى الله بها لاتيت انا بنفسى ابتغاء الجهاد فى رضا الله ورسوله ولكن اوصيك بتفضيل اهل السيف على غيرهم من الناس ومراعاتهم فى جميع الامور وكاتبنى بكل ما يكون والسلام عليكم وعلى جميع المسلمين ورحمة الله (قال الراوى) فلما سمع المسلمون كتاب امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فرحوا به وزال ما فى قلوبهم من الخوف بقدوم الفضل بن العباس واصحابه وبقوا متعجبين من اعداء الله لكونهم مع كثرتهم لم يطلبوا القتال واذ كانوا يتحدثون مع بعضهم فى هذا الشان راوا غبرة كانها ليل مظلم ثم خرج من تحتها خلق كثير فحققوا النظر اليهم فظهر لهم ان الخيل خيل نصارى وهم يقصدون المسلمين ثم خرجت بنت الملك الاكبر وتاملت فيهم وقالت لزوجها عبد الله بن جعفر اما عرفت هذا الفارس الذى خرج من تحت الغبار قال لها الله ورسوله اعلم قالت له انه اخى وابن امى وابى ففرح عبد الله بقدوم ابن الملك الاكبر وكان معه ثلاثون الف فارس من ابطال قومه رضى الله عنه وفرح المسلمون وازدادوا سرورا على سرورهم وذهب الامير عقبة والامراء للقائه وعند ما اقتربوا من بعضهم بعضا ترجلوا وترجل ابن الملك وسلموا عليه وعظموه واكرموا لقياه وفرحوا به لما علموا فيه من الفروسية والشجاعة وانزلوه بفسطاط الامير عقبة ووفد المسلمون اليه للتسليم عليه وهو يحرضهم على القتال وقال لهم اذا اهلكتم هذا الجيش لا تقوم بعد ذلك قائمة لاهل افريقية وسمع الوزير ديلاق بن صيراف بقدوم ابن الملك لنصرة المسلمين فكتب كتابا الى الملك الاكبر وقال له ان ابنك اتى لنصرة المسلمين فى ثلاثين الف فارس من الذين اسلموا معه فاذا مكنت منه هل اقتله ام لا فكتب اليه يقول اذا مكنت منه احرقه بالنار وتكون عندى من الفائزين (قال الراوى)

فلما

فلما كان فى صبيحة غد والناس يصلون آخر ركعة من صلاة الصبح وعقبة يقرأ الفاتحة واذا بالنصارى قد ضربوا طبولهم دفعة واحدة كأنها الرعد وكان عددها ثلاثين الف طبل حتى صار الناس لا يسمعون صوت من يليهم وضعفت قلوبهم فخفف عقبة فى الصلاة وسلم ثم نادى وقال اركبوا اركبوا يا آل المسلمين وكتائب الموحدين فاول من ركب الفضل بن العباس رضى الله تعالى عنه وعبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وعمرو بن حمزة ومسروق بن زيد وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم اجمعين فقال لهم الامير عقبة انظروا كيف يكون الامر قال له الفضل ايها الامير افرد كل قبيلة بنفسها فقالت له اسماء بنت ياسر اصبت الراى يا ابن العباس ثم ان عقبة عقد راية واعطاها للفضل بن العباس وامره على بنى هاشم وعقد راية ودفعها لرافع بن الحارث وامره على بنى مخزوم وعقد راية ودفعها لحزام بن ضرار وامره على حمير وعقد راية ودفعها لمروان بن الحكم وامره على بنى امية وعقد راية ودفعها لمرة وامره على غسان وعقد راية ودفعها لجابر بن عمر وامره على طىّ وعقد راية ودفعها لعبد الله بن سعيد وامره على جذام وعقد راية ودفعها لسليمان بن زيد وامره على لخم وعقد راية ودفعها لابن الملك الاكبر صاحب المهدية وامره على من اسلم معه من النصارى ثم قال عبد الله بن جعفر ايها الامير ان هذا اللعين قد قرب منا وجيوشه كثيرة والراى عندى ان تنحى كل قبيلة عن اختها وتقاتل بانفرادها فقالت له اسماء بنت ياسر تالله لقد اصبت الراى قال عقبة انى اخاف على المسلمين من هذا الانقسام ولكن انتم يا بنى هاشم ويا بنى مخزوم وزعوا انفسكم على قبائل العرب قال له الفضل بن العباس لا يكون ذلك ابدا قال عقبة ان الامر امرى وانا امير الجيش فقال له الفضل بن العباس نحن اهل الخلافة ونحن وهبناها لعثمان بن عفان رضى الله عنه ووهبنا انفسنا لله ورسوله فوالله ما لك علينا يد ولا نقاتل الا منقسمين كل قبيلة لنفسها ثم اخذ بنو هاشم الميمنة وبنو مخزوم القلب وكان فى ميمنة النصارى مائتان وثمانون الفا مع حاجب الملك ديلاق بن صيراف وفى الميسرة مائة وثمانون الفا من الابطال الصناديد وكان فى ميمنة المسلمين ستمائة فارس من بنى هاشم وفى القلب ستمائة من بنى مخزوم وتقدمت حمير ولخم وغسان وجذام وهذيل وربيعة وبنو امية للميسرة بعد نزاع ثم دعا الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه بعبد الله بن

جعفر وقال له افتح باب الحرب واطلب البراز فقال سمعا وطاعة وتقدم عبد الله بين الصفوف وكان عدو الله ديلاق بن صيراف نصب سريرا عاليا قائما على قضبان من الذهب وجلس عليه وهو مرتفع عن جميع الناس كاشف عليهم (قال الراوى) وتقاربت صفوف الجيش من بعضها بعضا وعند ذلك نادى الفضل بن العباس امسكوا الاعنة واطلبوا البراز فتقدم عدو الله فى ثلاثة آلاف قبة فيها بنات الملوك والاعيان بين الصفوف وامرهن باظهار زينتهن ثم خرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وجال ما بين الصفين وقال باعلى صوته معاشر الاشقياء اللئام عند ذوى الافهام من يبارز العرب الكرام انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يبرز اليه فلا يلومن الا نفسه ثم انشد يقول

اليوم طاب الطعن فى اللئام * والضرب فى الاعناق بالحسام
وأنصر الاسلام باهتمام * ولم ازل عن سادتى احامى
انا الشجاع الفارس الهمام * ومردى الاعداء فى الحمام

(قال الراوى) فلما سمع ديلاق بن صيراف كلام عبد الله بن جعفر رضى الله عنه قال اين الابطال الذين يا كلون خبز الملك اين الذين يجلسون على بساط الملك وكان عنده الف وخمسمائة بطريق من عظمائهم فتسابقوا اليه وقالوا نحن بين يديك فامر بما تريد قال لهم ايكم يخرج الى هذا العربى ويكفينا امره قال سيراز بن طيراز انا اخرج اليه وكان سيراز من اعظم البطارقة شانا واشدهم باسا وكانت تضرب به الامثال فى افريقية فقال له الحاجب ديلاق بادر لمبارزته وائتنى به اسيرا واذا فعلت هذا فانا ضامن لك على الملك الاكبر الرفعة والمكانة قال سمعا وطاعة لكن على شرط قال وما شرطك قال ان تعطينى بلاد كسرى قال له نعم لك ذلك ان اتيت به اسيرا ولم تقتله قال اذا انا آتيك به وكان سيراز عالما بعلوم دينهم وله سعة اطلاع على التواريخ وكان اديبا كثير الفهم خبيرا بالاحوال ممن يرجع اليه فى فصل المعضلات وحل المشكلات الدينية فخرج الى عبد الله بن جعفر وهو متدرع بدرعين وعلى راسه بيضة حديد تلمع فى شعاع الشمس كانها كوكب وتقدم الى ما بين الصفوف كانه برج من ذهب فلما رآه الفضل بن العباس رضى الله عنه خرج اليه وقال لعبد الله يا ابن العم دعنى ابارزه قال له عبد الله انا قد خرجت اليه ولا ارجع عنه ابدا قال الفضل بن العباس وحق المضطجع بيثرب لا يبارزه غيرى

فعند ذلك رجع عبد الله وتركه لابن عمه الفضل بن العباس فلما راى الحاجب ذلك قال مالى ارى ابن عم محمد راجعا عن القتال لا شك انه خاف وجزع من سيراز فقال له اصحابه ان هذا الذى خرج الان هو ابن عمه الذى اتى من الحجاز وقد رده ليبارزهو (قال) فلما قرب سيراز من الفضل بن العباس رضى الله عنه قال له انت الفضل بن العباس قال نعم قال له وما حملكم على قتالنا قال الله ورسوله لان نبينا قد طويت له الارض طولا وعرضا حتى راى مشارقها ومغاربها وستبلغ دعوته حيث راى فقال انا نعرفكم اكثر مما تعرفون انفسكم قال له الفضل بن العباس ولاى شئ لم تؤمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم قال لو شاء الله لفعل ذلك لان الله قال فى كتابه الذى انزل على نبيكم ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة فقال له الفضل قد قيل لى عنك انك اعلم اهل زمانك وانك صاحب الفتوى والمرجع فى هذا العصر قال نعم صحيح ما قلت قال له الفضل انى اتوسل اليك برب الخضراء وعيسى بن مريم الا ما اعلمتنى هل عندكم صفة محمد صلى الله عليه وسلم فى الانجيل قال لقد سالتنى بعظيم نعم ان صفته عندنا وفى كتبنا ان الله يبعث نبيا بالحجاز اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن مرة بن كعب بن فهر ابن قصى حتى تنتهى الى تسعة وتسعين اسما ويتزوج من النساء تسعا وان شئت اسميهن لك قال له الفضل ان كنت صادقا فسمهن لى قال اول ما يتزوج خديجة بنت خويلد ويلد معها اربع بنات وثلاثة ذكور اما البنات ففاطمة الزهراء ويتزوجها علي بن ابى طالب والثانية زينب ويتزوجها عثمان بن عفان وتموت عنده ثم يتزوج اختها الثالثة وهى ام كلثوم وتموت عنده والرابعة رقية ويتزوجها عمر بن الخطاب واما الذكور ابو القاسم وابو الطيب وابو الطاهر ويموتون من سبعة ايام ويتزوج بعدها عائشة بنت ابى بكر وميمونة وهى من العرب وحفصة بنت عمر ابن الخطاب وام هانى وسودة بنت ابى زمعه وزينب بنت جحش وبنت الملك صاحب خيبر قال له الفضل صدقت قال وتخبرك ان الله اسرى به الى السماء فقال له الفضل وهل تعلم تفصيل الاسراء قال نعم اعلم كيف اسرى به من مكة الى بيت المقدس وصلى بالنبيئين واسرى به غير انى اود ان اسمعه منك قال له الفضل حبا وكرامة ان الله لما اراد ان يشرفه على اهل الكونين باقترابه من قاب قوسين نودى فى عالم الملكوت تاهبوا ثم نادبوا فهذه ليلة الدنو والاقتراب هذه ليلة عتق الرقاب

وافرشوا فرش الاظلال وقوموا على اقدام الاسترسال يا جبريل زخرف الجنان وزين الحور والولدان يا جبريل انزل بالتهانى الى بيت ام هانى ايقظ حبيب مملكتنا واركبه على براق قدرتنا لنريه من آياتنا فاخذ جبريل مطية خلقها عجيب ونعتها غريب فالجمها بلجام القرب واسرجها بوكب الحب وسار بها فى ميدان الجلال وهو ينادى سبحان الذى اسرى فلما وقف ببابه ورفع حجابه ونظر واذا هو مدثر بعباءة تذلله متوسد بوسادة عمله قد انحله الشوق واذابه التوق فنشر عليه انوار السعد وبشره بانجاز الوعد فقال له يا ايها المدثر قم على قدم همتك وقم بوارد عزيمتك واركب الى السماء وارق واصعد معراج الدنو والارتقاء فقام السيد واتشح وجسمه من الحياء قد رشح وقد باح باستسلامه وركب مركب تحيته وسلامه ورفع على راسه سحابة الاحترام واسرى به من البيت الحرام ذكره جليسه وفكره انيسه وشوقه دليله وجبريل خليله فلما ولج دائرة المقدس وحصل فى فناء المسجد الاقصى دخل فجايت عليه ارواح الانبياء فى حلل انوار البهاء فبادروا الى سلامه وتحيته واكرامه وجلبت بين يديه واثنوا بالصلاة عليه واراد كل منهم ان يصف منزلته ويذكر فضيلته فقال ءادم الحمد لله الذى خلقنى بيده ونفخ فى من روحه واسجد لى ملائكته واسكننى دار كرامته وقال ادريس الحمد لله الذى رفعنى مكانا عليا وبوانى مجلسا سنيا وقال نوح الحمد لله الذى نجانى من القوم الظالمين وجعلنى ابا للمومنين وقال ابراهيم الحمد لله الذى اتخذنى خليلا وجعل النار بردا علي وسلاما واصلح زوجى بعد ما كانت عقيما وقال موسى الحمد لله الذى اعطانى تسع ءايات بينات وكتب لى فى الالواح من كل شئ موعظة وتفصيلا لكل شئ واهلك عدوى فرعون ونجى قومى وفلق لى البحر وكلمنى تكليما وقال لى انى انا الله وقال سليمان بن داود الحمد لله الذى سخر لى الانس والجن والطير والريح وعلمنى منطق الطير واتانى ملكا لا ينبغى لاحد من بعدى وقال عيسى الحمد لله الذى لم يخلقنى من نطفة قذرة واحيا لى الموتى وابرأ لى الاكمه والابرص فلما افتخروا بجميع كراماتهم قال النبى صلى الله عليه وسلم الحمد لله الذى خلقنى من انوار البهاء ورفع قدرى فى الارض والسماء وكتب اسمى على ساق عرشه وقرن اسمى باسمه ونزه ذكرى فى معالم قدسه وشرح لى صدرى ويسر لى امرى ورفع قدرى وغفر لى ما تقدم من ذنبى وما تاخر وايدنى على من كفر

وبعثنى

وبعثني بالرعب وارسلني بالحنيفية ونصرني وجعل امتي خير الامم وفرض طاعتي على العرب والعجم وجعل لي الارض مسجدا وترابها طهورا وشفعني يوم القيامة في امتي ونسخ سائر الشرائع بشريعتي وادخل سائر الامم في شفاعتي وجعل الكعبة قبلتي واسمعني صلاة امتي من بعدي لاشهد لهم يوم القيامة وجعلني شاهدا وامتي شهودا على من جحد وظلم وكتب اسمي على الافلاك وقال جل وعلا انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا (قال) فلما سمع البطريق من الفضل بن العباس هذا الكلام قال والله ما في دينكم مراء وانتم على الحق فجزاك الله عني خيرا يا ابن العباس لقد كنت السبب في هدايتي وسعادتي وحصولي على نعمة الاسلام وها انا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم وحسن اسلامه فناداه الحاجب بصوت رفيع ما هذا الخطاب وما هذا الحديث الطويل فعند ذلك قال سيراز للفضل بن العباس احمل عليّ واقتل جوادي لاعتذر بذلك ولكي ادفع عني شبهة الاسلام قال له الفضل احمل عليّ انت واقتل جوادي قال معاذ الله ان اقتل الجواد بغير حق ولكن لا حاجة لي بالاعتذار اليهم وانتظرني قليلا حتى ارجع اليك وسار سيراز حتى قرب من النصارى ونادى اين ابن الحاجب فقال ما تريد قال اخرج الي لاكلمك فلما خرج ودنا منه ضربه ضربة شديدة فوقع في الارض ميتا ثم قال امام النصارى بصوت عال ايها الناس انا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واخذ سلبه وعاد به الى الفضل بن العباس ودفعه له وكانت قيمته نحو الف دينار ذهبا ثم عاد وطلب البراز فقال له الفضل بن العباس استرح وانا ابارز مكانك قال وحق محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يطلب البراز احد غيري فرجع الفضل بن العباس وتركه وطلب سيراز البراز والمسلمون يدعون له بالظفر والنصر على اعداء الله ورسوله (قال) فغضب الحاجب لموت ولده غضبا شديدا وقال لمن حوله ايكم يخرج لهذا ويقتله حتى ينال الجائزة والدرجة العليا عند الملك الاكبر فلم يجبه احد لما يعلمون من بطشه وفروسيته فعند ذلك قال انا اخرج اليه بنفسي واقتله شر قتلة فتعرضوا له وقالوا كيف تخرج اليه وانت امير الجيش قال قد اضطررت لذلك لانكم لم تكفوني امره وكان عنده بطريق صنديد اسمه زارق بن لاوق فقال له اخرج اليه وبارزه قال نعم ولكن بشرط قال له وما شرطك قال ان تعطيني باز وعفرة وكسرى

قال له اذا انت قتلته او اتيت به اسيرا فلك ما طلبت (قال) فلبس درعين وجعل على راسه بيضة وخرج اليه وكان فارسا مشهورا ودنا منه وقال له يا مبدل دين عيسى بدين العرب فقال له دين عيسى دين الله لكن محمدا صلى الله عليه وسلم افضل من عيسى وقد بشر به فقال ومبشرا برسول ياتى من بعدى اسمه احمد وانت تعلم ذلك ولا تجهله قال قد علمته ولكن لا ادرى هل هو هذا ام لا قال له كذبت اوما علمت ان الله يبعث من بطاح مكة نبيا اسمه محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصى بن مرة بن فهر بن لوى بن غالب بن مضر قال نعم ولكن الاسماء تشابه بعضها بعضا (قال الراوى) فناداه الحاجب لا بارك المسيح فيك ما هذا الجدال اهذا وقت الكلام فعند ذلك حمل عليه عدو الله حملة منكرة وضربه بالسيف على هامته فاخطاه ولم يصبه فنادى الامير عقبة رضى الله عنه يا سيراز ايقظ نفسك فحمل عليه سيراز وضربه ضربة شديدة فوقع صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فاخذ سلبه وكل ما عليه وعلى جواده كان من الذهب ثم طلب البراز وكل من خرج اليه يقتله الى ان قتل عشرين بطريقا فسار الفضل ابن العباس اليه ورده عن القتال بعد ان اقسم عليه واتى به الى المسلمين ففرحوا به واثنوا عليه وانزله الامير عقبة عند عبد الله ابن الملك الاكبر صاحب المهدية ففرح به وقدم له الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى (قال الراوى) فلما راى الحاجب ما حل باصحابه من سيراز غضب غضبا شديدا وامر بضرب الطبول والاستعداد للقتال فنصبت الرماة اقواسها واصطفت الصفوف فدعا الامير عقبة بعبد الله بن جعفر وقال له رتب الجيوش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين لان هذا اللعين يريد الزحف علينا فرتب عبد الله بن جعفر قبائل العرب وانضمت كل قبيلة الى اختها وتامر عليهم امراؤهم ولما ترتبت صفوفهم واخذوا مواضعهم تقدم الفضل بن العباس رضى الله عنه بين الصفوف وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اعلموا ان الجيش لا يقاتل الا بالامير فاذا ثبت الامير ثبت الجيش واذا انهزم الامير انهزم الجيش واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا انه متكفل بتاييدكم ونصركم واياكم ان تؤتى المسلمون من قبلكم واتبعوا سنن الذين فتحوا الامصار من قبلكم فمن ولى الادبار كان ماواه النار وغضب عليه الجبار قال الله تعلى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار واعلموا

ان

ان الله فرض عليكم الجهاد وقتل الاعداء وان الاحب الى الله عز وعلا قطرتان قطرة دم جرت فى سبيل الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهـذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا فى هذه المواطن وايا كم والفشل فتذهب ريحكم وقوموا شريعة نبيكم واعلموا ان الله مع الصابرين ولا يضيع اجر المحسنين قال الله تعلى وكان حقا علينا نصر المومنين وها انا خارج الى ميمنة المشركين وانتم يا بنى امية اذا رايتم واحدا منا ولى الادبار فلا تقبلوا له عذرا (قال الراوى) ثم دنت الميمنة من الميمنة والميسرة من الميسرة والقلب من القلب والجناح من الجناح وحملوا على بعضهم بعضا واشتعلت نيران الحرب وطلع دخانها ووقع القتال الشديد وكثر النزال وارتفع الغبار ورمت اعداء الله ورسوله بنبالها المسلمين وصارت تنزل عليهم كالمطر وهم يتلقونها فى دروقهم وصبروا لهم صبر الكرام وعند ذلك نادت نساء العرب يا ءال هاشم يا ءال مخزوم يا ءال حمير يا ءال غسان يا ءال لخم يا ءال جذام يا ءال طى يا ءال امية يا ءال هذيل يا ءال ربيعة اليوم ولا بعد اليوم ثم نادت اسماء بنت ياسر يا ءال هاشم تذكروا اوائلكم الذين سلفوا ولا خير فى خلف لم يكونوا احسن من سلف فاجابها الفضل بن العباس رضى الله عنه وقال والله لارضين اليوم الله ورسوله ولا بيضن وجوه بنات العرب فقالت له جزيت خيرا يا ابن العباس انتم لها ولا فخر (قال) وكثر الصياح والزعيق ووضعت السيوف فى الاعناق ولم تمض ساعة على هذا الحرب الشديد والقتال العتيد حتى ضعضعت ميسرة المشركين وولوا الادبار وكانت ميسرتهم مما يلى بنى هاشم غير انهم تكاثروا فى القلب على بنى مخزوم فلما راى ذلك عبد الله بن جعفر قال للفضل بن العباس خذ الراية من يدى عسى الله ان ينصرنى عليهم فاردهم عن بنى مخزوم لان اللعين فى القلب ومعه ابطال شداد فاخذ الفضل منه الراية وحمل عبد الله على اعداء الله ورسوله وقال انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فابلى فيهم بلاء حسنا وصبر المشركون يومئذ صبرا جميلا ثم تقهقروا امامه وهو فى اثرهم كالاسد فى اثر الغنم وتشتتت جموعهم وادرك الجميع الظلام فافترقوا ورجعوا الى مواضعهم وتفقد المسلمون بعضهم بعضا فوجدوا انه قد مات من حمير عشرون فارسا ومن لخم ثلاثون فارسا ومن بنى مخزوم عشرة فوارس ومن بنى هاشم ثلاثون فارسا ومات من غيرهم ايضا وكانت جملة الذين نالوا الشهادة فى ذلك اليوم

ثلاثمائة واربعين فارسا رحمهم الله اجمعين وفشت الجراحات فى المسلمين وانجرح عبد الله بن جعفر ثلاثة جروح ورافع بن الحارث مثله واما الفضل بن العباس فقد عصمه الله من ذلك ومات من النصارى خلق كثير لا يحصى وفى تلك الليلة نزلت امطار غزيرة كافواه القرب فعطلت الناس عن استئناف القتال من الغد وفرحوا بذلك ليستريحوا وتلتئم جروحهم وعظم امر كثرة الكفار على المسلمين (قال) ولما اصبح الصباح واشرقت الشمس تعذر على الناس المشى فى الطين ولم يطلب النصارى من المسلمين القتال وكتب الحاجب الى الملك الاكبر بالمعلقة يعلمه بصبر جيشه واثنى عليهم الثناء الجميل ولما وصل كتابه الى الملك وقراه فرح بذلك فرحا شديدا وايقنوا بالنصر على المسلمين وازدادوا كفرا على كفرهم ثم اجتمع فرسان المسلمين عند الامير عقبة رضى الله عنه وتحدثوا عن كثرة الاعداء وصبرهم على الحرب فقال لهم عقبة لا تخافوا ولا تحزنوا واصبروا ان الله مع الصابرين واثبتوا فان الصبر والثبات جندان لا يغلبان ولقد دعا لنا بالنصر على الاعداء امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وقال الله تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال الراوى) وكثر الكلام بين بنى هاشم وبنى امية فى امر الحرب واشار بنو امية الى ما وقع بين علىّ وعثمان رضى الله عنهما فقال مسروق بن زيد يا بنى امية انتم مثلكم كمثل السراب فى الصحراء يحسبه الناظر ماء حتى اذا جاءه لم يجده شيئا وامركم لا يزال هكذا معنا حيث تزعمون انكم الامراء والناس تحت ذمامكم ونحن بالامس كنا فى الميمنة وبنو فى مخزوم فى القلب فاردتم ان تكونوا فى القلب على انكم احق به واولى من الغير وما ذلك الا لكونكم تحدثون انفسكم بانكم اهل الخلافة فقال شداد والامر كذلك نحن اهلها فلما سمع مسروق بن زيد منه ذلك اغتاظ وقال وحق صاحب الشفاعة محمد صلى الله عليه وسلم لا يقاتل فى القلب سواكم يا بنى امية ولا يقاتل فيه بعد الان واحد منا لانكم لم تحمدوا الله على ما فعلنا معكم ولم تعترفوا لنا بشئ من ذلك قال شداد قد علمنا ذلك لما دخلكم الخوف والجزع من الفرسان الذين كانوا بالامس فى القلب مع الحاجب ولذلك صرتم تطلبون سببا تنجون به قال له رافع يا شداد انتم تعرفون اهل الفعل الجميل اذا ضاقت عليكم الارض وبلغت القلوب الحناجر ثم قام مسروق بن زيد وقام لقيامه بنو هاشم وبنو مخزوم وساروا الى الى فسطاط عبد الله بن جعفر رضى الله

عنه

عنه ثم سارت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها الى ان دخلت على بنى امية وقالت
لهم يا بنى امية لم لا تحمدون الله تبارك وتعلى على ما فعله معكم العرب ولكن لسانكم
ناطق وفعلكم قاصر فوالله ورسوله صلى الله عليه وسلم لولا الطائفتان بنو هاشم
وبنو مخزوم ومن تبعهم ما قامت لكم ولا للمسلمين قائمة ابدا ولكانت بنات العرب
اليوم خادمات عند النصارى اما تستحيون من العار اما تخافون ديان يوم الدين
ثم خرجت عنهم وتركتهم ثم قال عقبة لشداد لقد اسات فى كلامك لمسروق فوالله
ان فعلهم لحسن وهم لذلك اهل فغضب شداد وقال انتم تعظمون قوما لا خلاق لهم
يرون الناس دونهم منزلة ورتبة (قال الراوى) وعظم على المسلمين مشاجرة شداد
مع بنى هاشم وبينما هم كذلك واذا بعدو الله ورسوله قد ضرب طبوله جميعها فى
وقت واحد كانها الرعد فخرجوا لينظروا عبد الله واصحابه وما يصنعون فوجدوهم
ساكنين فى مواضعهم ولم يتحرك منهم احد فعند ذلك دعا الامير عقبة بابن الملك
صاحب المهدية فاتى اليه فقال له سر الى عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس
ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وخاطبهم لعلك تزيل ما فى
قلوبهم ان شاء الله تعلى قال له ابن الملك لقد اساء شداد فى خطابه لمسروق بن
زيد لان افعال بنى هاشم لا تنكر ونحن فى افريقية لا نسمع الذكر الجميل الا عنهم
وعن بنى مخزوم فقال له عقبة احوال الناس معلومة عند الله والناس ثم سار ابن
الملك الى فسطاط عبد الله بن جعفر ودخل عليه فوجد عنده الفضل بن العباس
وعمر بن حمزة ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد فلما راوه قاموا بين يديه وقابلوه
بالتعظيم والاجلال رضى الله تعلى عنهم اجمعين فقال له الفضل بن العباس ان الكلام
يلوح على وجهك لا شك ان الامير عقبة بعثك الينا قال نعم قال له وما ذكر لك فقال
ابن الملك ايها الاخوان رحمكم الله تعلى انتم تعلمون ان الجهاد فريضة فرضها
الله عليكم واخاف ان يكون جهادكم لغير الله تعلى فان كان جهادكم لبنى امية
انا اصلح بينكم وبينهم وان كان جهادكم لله تعلى فلا تاخذكم فى الله لومة لائم
اما قراتم قوله عز وجل ولا تنازعوا فتفشلوا الاية قالوا نعم ان الجهاد لله تعلى ليس
لاحد ونحن جعلنا انفسنا حبسا لله ولرسوله وهم يعظمون انفسهم ولكن من الان
نصاعد لا نقاتل معهم ونقاتل يوما بيوم حتى ننظر ما يكون بيننا وبينهم قال
لهم ابن الملك هذا عمل غير صالح لان القوة فى الاجتماع والقوم لا يعجزون اذا

اقصدوا وليس فى افتراقكم الا الضعف والوهن والشوة للاعداء فقال له الفضل احسنت جزاك الله خيرا ولم يزل ابن الملك ساعيا فى الوفاق والالتئام حتى ازال الوحشة من النفوس ثم قام وقام معه الفضل بن العباس ورافع بن الحارث وساروا حتى دخلوا على الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه فقام اليهم ورفع مجلسهم ثم قال يا بنى هاشم لا تنظروا الى بنى امية ولا تعظموهم ولكن انظروا الى انا وعظموا هاته الشيبات التى كانت تجلس بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى الفضل بن العباس وقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم قام الفضل ودخل فسطاطه وهو يبكى فسار اليه عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة فوجدوه يبكى فقبل عبد الله بن جعفر يده وقال له يا اخى نستغفر الله فيما صدر منا ثم قام بنو هاشم وبنو مخزوم وابن الملك الاكبر حتى دخلوا على عقبة بن عامر رضى الله عنه وهو جالس فى فسطاطه وكان فسطاطه لخالد بن الوليد رضى الله عنه غنمه من بنى الاصفر فى فتوح الشام وتركه لابنه سليمان وسليمان اهداه الى الامير عقبة فقام اليهم واجلسهم واكرمهم ثم قال عبد الله بن جعفر ايها الامير ان السبب فى هذا كله شداد ونحن ما اتينا من الحجاز الا ابتغاء مرضاة الله والجهاد فى سبيله وها نحن بين يديك وعند السمع والطاعة لله ولرسوله ولك ايها الامير فقبل اعتذارهم وقدم لهم الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ثم اتى شداد الى عبد الله واصحابه مستغفرا وقبل ايديهم وقال لهم انا بين ايديكم وتحت امركم وبذلك زالت الوحشة التى بينهم وفرح المسلمون باصلاح ذات البين بين الفريقين وتفرق الناس لاصلاح شئونهم وسار عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وابن الملك الاكبر صاحب المهدية الى فسطاط رافع بن الحارث وتحدثوا بينهم ثم قال لهم ابن الملك ما رايكم لو نركب الان ونسير الى جهة ابة لعلنا نجد غنيمة ان شاء الله تعلى قالوا وكيف السبيل الى ذلك قال قوموا بنا على بركة الله انا اعرف الطريق ونخاطب القوم عنكم قالوا حبا وكرامة ثم ركبوا خيلهم وخرجوا متفرقين مخافة ان يعلم بهم احد ثم اجتمعوا بعد ذلك بعيدا من معسكر المسلمين وهم عبد الله ورافع وابن الملك الاكبر وكانت اذ ذاك الطبول تضرب عند الحاجب بسبب هدايا وردت اليه ولانه بلغه ان صاحب حيدرة قادم لانجاده بجيش عظيم ثم ساروا متنكرين فى زى عرب متنصرة الى ان وصلوا قريبا

من

من بلدابة فالتقوا هناك بقافلة متوجهة الى الحاجب فرجعوا معها فقال لهم واحد من اهل القافلة ايها العرب المقتصرة ما بالكم رجعتم معنا قال لهم ابن الملك ان الحاجب بعثنا للعلوفة فلما رايناكم قدمتم بها رجعنا معكم وكان فى القافلة الف مطية تحمل السميذ والعسل والاطعمة الحسنة وغير ذلك من الماكولات والف شاة من الضان ومائة راس من البقر المعلوفة وخمسمائة جفنة بالطعام المطبوخ الشهي ومعها مائة فارس (قال الراوى) فسار الثلاثة معهم ساعة زمانية ثم كلمهم ابن الملك بلغتهم وقال لهم ان العرب مشغولون اليوم فى امرهم لانهم تنازعوا مع بعضهم بعضا وبينما كان ابن الملك يتحدث معهم واذا بفارس فى اثرهم قادما من بلدابة وهو يركض ويصيح بالنصرانية عليهم فوقفوا حتى لحق بهم وسار معهم هنيهة ثم التفت الى عبد الله بن جعفر وضحك وقال ايها الامير العربى انى اريد ان اجتمع بك فقال له عبد الله ما شانك وما تريد قال اريد ان اتحدث معك قال له قل فقرب النصرانى من عبد الله وسرّ اليه فى اذنه وقال له انت عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم ومن اين عرفتنى قال نظرت البارحة فى الفلك فعرفت انك تاخذ القافلة اليوم وتبين لى من قبل انكم على الحق وان دينكم دين صحيح ولذلك اتيت لاسير معكم وانا الان مومن بابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم اقول لا اله الا الله محمد رسول الله واظن هذا الذى معك ابن الملك قال له نعم ففرح به وسلم عليه ثم ساروا وسار معهم الى ان وصلوا الى طريق تخالف المسالك حيث يوجد طريقان احدهما يودى الى شقب نار والاخر الى اربص فاراد اهل القافلة ان يقصدوا معسكر الحاجب ويسيروا من طريق اربص فكشف عبد الله عن وجهه اللثام وقال لهم معاشر الارذال الى اين اما علمتم انى عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى رافع بن الحارث باسمه ونادى ابن الملك باسمه وجردوا سيوفهم وصاحوا باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما راى المشركون ذلك هربوا وتركوا القافلة بلا قتال فاقتفوا اثرهم وظفروا بثلاثة وعشرين فارسا منهم فقتلوهم وفر الباقون هاربين الى الحاجب وسار عبد الله واصحابه بالقافلة الى ان وصلوا الى خيام المسلمين فخرجوا اليهم وولولت النسوة فرحا بذلك ثم قسموا الغنيمة بينهم فاخذ عبد الله خمسين مطية واعطوا صاحبهم الذى اسلم مثل ذلك واخذ رافع وابن الملك مثلهما واعطى الباقى الى الامير عقبة

ابن عامر رضى الله عنه فاعطى منه للفضل بن العباس ولعمر بن حمزة ومسروق ابن زيد وسليمان بن خالد ووزع الباقى على المسلمين (قال الراوى) فلما بلغ الحاجب خبر القافلة غضب غضبا شديدا وبات فى حزن عظيم وعند الصباح امر بضرب الطبول والاستعداد للقتال فنصبت الاقواس واصطفت الصفوف وركبت القباب ونصب له سرير مرتفع على قضبان من الذهب والفضة وركبت الفرسان خيلهم وتهيا لهم المسلمون فاعتزلت كل قبيلة لنفسها وكان بنى هاشم لا يزال فى نفوسهم شئ من الكدر نحو بنو امية فاخذ بنو هاشم الميمنة وبنو مخزوم الميسرة وتركوا القلب فلم يسع بنى امية الا ان تقدموا اليه واقسمت القبائل على ثلاثة فانحاز الى الميمنة حمير وطى والى الميسرة لخم وجذام وغسان والباقى الى القلب ولما رتبت الصفوف خرج ابن الملك صاحب المهدية وطلب البراز وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا فعرفه النصارى واخبروا بذلك الحاجب فقال ابن طيران قال له نعم قال انت تعرف ابن الملك وكنت تضادده حين كان عند ابيه فى المعلقة فاخرج اليه واقتله لتنال الجائزة والمكانة من الملك قال ايها الحاجب كيف اقتله وهو ابن الملك قال له اقتله ولا تخف لان اباه قد امر بقتله وحرقه بالنار ولا يضرك من ذلك شئ حيث ان عيسى بن مريم اباح دمه لانه بدل دينه وانا ضامن لك على الملك الرفعة والجائزة (قال) فخرج طيران لبراز ابن الملك ولما دنا منه قال له اسلمك المسيح وابقاك الصليب كيف تركت دين ءابائك واجدادك قال له ابن الملك بل لعنك الله انت ودينك وصليبك وءاباءك واجدادك فى الدنيا والاخرة فقال طيران كيف تلعننى وانت بدلت دينك ودين ابيك قال انى اخترت الاخرة على الدنيا وان دين محمد صلى الله عليه وسلم لافضل الاديان ونبينا افضل الانبياء كلهم فناداه الحاجب احمل عليه ولا تطل الكلام (قال) فحمل عليه وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية ثم ضربه ابن الملك ضربة شديدة على صدره فالقاه فى الارض ميتا ثم طلب البراز مرة ثانية فخرج اليه اخو الميت وحمل عليه من غير ان يكلمه وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه ابن الملك وضربه ضربة قوية فازال راسه عن جسده وطلب البراز مرة اخرى فخرج اليه ثانى اولاد الحاجب فقتله ايضا فلما راى الحاجب ولده قتيلا غضب غضبا شديدا وقال وحق المسيح ان لم تكفونى امر هذا التارك لدينه لاخرجن اليه بنفسى ولاقتلنه قتلة ما مات احد مثلها فقال له

قومه انت لها ومن شدة غضبه حمل على قومه وقتل منهم واحدا وحمل ثانية فقتل مطية فقالوا له بئس ما فعلت واجتمع عليه الامراء وقالوا له هذا الفعل لا يرضاه احد الا انت ولم يفعله احد قبلك ولا بعدك ولا يصبر عليه كريم فان كنت ترى نفسك فارسا صنديدا فابرز الى ابن الملك واقتله فلما انكر عليه قومه فعلته خاف ان يكتبوا بذلك الى الملك الاكبر وندم على ما فرط منه واستعذر لهم وقال ان ذلك صدر منى فى حالة الغضب فقالوا له ايها الحاجب انما انت كالطريق ترشد الناس الى العمارة لا الخلاء كل ذلك وقع وابن الملك لا يزال يطلب البراز فلله دره من بطل لقد قام بواجب الاسلام احسن قيام رضى الله تعلى عنه (قال الراوى) فاشفقت عليه اخته زوجة عبد الله بن جعفر فبكت وقالت لبعلها لو كان واحدا منكم لما تركتموه الى الان قال لها عبد الله ما تركناه الا حبا فى الجهاد ولانا آثرناه على انفسنا قالت اقسم عليه ورجعه فسار اليه عبد الله واقسم عليه ان يرجع ورده الى فسطاطه ثم خرج عبد الله مكانه وقال بصوت رفيع معاشر الاراذل اللئام عند ذوى الافهام من يبارز العرب الكرام انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اتم كلامه حتى خرج اليه عروة بن جبلة بن الايهم الغسانى وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا وكان قدومه الى افريقية خوفا من عقاب عثمان بن عفان رضى الله عنه لانه اذنب فى الحجاز ففر الى الشام ومنها لمصر ثم الى المعلقة ولما قرب من عبد الله قال له يا عروة كيف تركت دين محمد بن عبد الله وقد فتحنا الشام والعراق ومصر ونحن الان بصدد فتح هذه البلاد الافريقية ان شاء الله تعلى وانت قائم فيها ومشارك لاهلها اما علمت ان دين محمد على الحق فقال يا عبد الله قد علمت ذلك وتحققت صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به ولكن ما اوصلنا الى هذا الحال الا عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما ثم قال يا عبد الله كيف تركتم الحجاز قال بخير ونعمة من الله قال اذا انا اسلمت فهل تضمن لى يا عبد الله السلامة من جهة عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب قال نعم انا اضمن لك ذلك من كافة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين قال واذا مشيت معك اين يكون مستقرى قال له عبد الله عندى واعطيك فسطاطا خاصا بك لكن ان كانت لك زوجة واولاد فارجع اليهم وائتنا بهم هذه الليلة قال له وكيف ارجع الى الجيش بدون مناسبة ولا سبب ولكن احمل عليّ واقتل جوادى او اجرحه ليكون

ذلك عذرا لى عندهم قال له عبد الله كيف اقتل الجواد او اجرحه بغير موجب فتدبر غير هذا وانظر كيف تحتال على امرك (قال) فسار عروة وهو يقول من رجع الى الحق لا يخاف الا من الله تعلى وذهب الى فسطاطه كانه يريد قضاء حاجة واخرج اولاده واهله ثم حمل على الميمنة فقتل خمسة انفار وحمل على الميسرة فقتل سبعة ورجع الى المسلمين فحملت عليه النصارى بعنان واحد وكانوا الف فارس فلما راى بنو هاشم وبنو مخزوم انهم قاربوا ان يدركوه حملوا عليهم بعنان واحد وحالوا بينهم وبينه بعد ان اشفق عروة الغسانى على نفسه واهله واولاده وقتلوا منهم ثلاثمائة فارس واسلم يومئذ عروة واراد الاقامة مع غسان قبيلته فاقسم عليه عبد الله بن جعفر ان لا يقيم عند احد غيره فنزل عنده وفرح المسلمون به وباسلامه ولم يكن فى ذلك اليوم قتال اكثر من ذلك (قال الواقدى رحمه الله تعلى) فلما كان فى صبيحة غد دعا الحاجب بالامراء ولما حضروا قال لهم لا تطلبوا اليوم برازا ورتبوا جيوشكم واحملوا باجمعكم قالوا سمعا وطاعة ثم امر اللعين بضرب الطبول فضربت دفعة واحدة ورتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون ايضا جيشهم كذلك وجعلوا فى الميمنة بنى مخزوم بامرة رافع بن الحارث رضى الله عنه وفى الميسرة بنى امية بامرة حسان بن عدنان رضى الله عنه وفى القلب بنى هاشم بامرة الفضل بن العباس رضى الله عنه وجعلوا فى الجناح الايمن طى ولخم وجذام وغسان بامرة عروة بن جبلة بن الايهم الذى اسلم بالامس وفى الجناح الايسر هذيل وربيعة وحمير بامرة حزام بن ضرار ولما كمل ترتيب الجيوش دعا عقبة بن عامر رضى الله عنه باسماء بنت ياسر وقال يا اسماء خذى معك ما شئت من النسوة وقفوا خلف الصفوف ونادى بما تريدين من الكلام ومتى رايت احدا ولى الادبار فاندبيه باسمه فان زاد فودعيه واشهدى بنات العرب عليه فاستدعت اسماء رضى الله عنها برابعة بنت عدنان ومسروقة بنت كثير وغيداء بنت حسان وعائشة بنت عباد الهاشمى وحفصة بنت ضرار وعاتكة بنت رافع وميمونة بنت عروة وفاطمة بنت حسان ورابعة بنت عبد الله وام هانى بنت يزيد ومياسة بنت زايد وحسناء بنت كثير وسالمة بنت تبوك وزينة بنت عروة بن جبلة بن الايهم لانها كانت اسلمت مع ابيها وهى ذات حسن وجمال وزينب بنت عبد الله الغالب الغسانى والزهرة بنت حامد ورمانة بنت زيد وحمدة بنت غفار

وحسنساء بنت مسعود وبنت الملك الاكبر زوجة عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وعالقة بنت صفوان وغابة بنت عروة الهاشمى وام زايد وكثير من غيرهن من نساء وبنات الامراء والاعيان (قال) فلما اجتمع النسوة عند اسماء بنت ياسر اعلمتهن بما امرها به الامير عقبة فقلن حبا وكرامة ثم سارت اسماء بهن الى اعلى الصفوف ونادت باعلى صوتها معاشر المسلمين اعلموا ان الله مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم فثبتوا انفسكم ولا يغرنكم كثرة الاعداء فانتم الغالبون وقد قال الله فى كتابه المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين فاحسنوا نياتكم وثبتوا عزائمكم وها انا شاهدة عليكم وتشهد معى عليكم ذوات الخدور فاعتصموا بالصبر ولا تولوا الادبار فتنالوا غضب الجبار ثم انشدت تقول

يا معشر الناس والسادات والهمم * ويا اهيل الصفا يامعدن الكرم

فسددوا العزم لا تبغوا به فشلا * ومكنوا الضرب فى الهامات والقمم

وخلفوا القوم فى البيداء مطرحة * على الثرى خشا بالذل والنقم

ثم جعلت رضى الله عنها تحرضهم فقالت وابشروا بالحور والولدان فى غرفات الجنان فقد قال الله فى كتابه المبين وكان حقا علينا نصر المومنين ثم نادى الامير عقبة يا عبد الله فقال لبيك قال له اخرج الى الامراء وحرضهم فخرج عبد الله اليهم وحرضهم فقال باعلى صوته معاشر المسلمين رحمكم الله تعالى اعلموا ان الله عز وعلا مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم فاثبتوا فى قتال المشركين واصبروا ان الله مع الصابرين ولا تفترقوا فتذهب ريحكم واتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا ان الاعداء يجتمعون عليكم والنساء يرجمنكم والشباب يقاتلونكم واياكم ان تطمعوا احدا فى بحار الحروب بل اصبروا على مر الكرب والضرب وانما يتبين صبر الرجال عند ملاقاة الاهوال وما نحن ممن يفزع بهجوم الاجال لانا قد تحققنا ان لكل منا اجلا لا يتعداه ومن خاطر بعظيم نال عظيما ولا تنال الجنة الا بالاعمال وانتم ايها الامراء اعلموا ان الجيش لا يقاتل الا بالامير فاذا ثبت الامير ثبت الجيش واذا انهزم الامير انهزم الجيش اثبتوا رحمكم الله وها انا قد جعلت نفسى حبسا لله ورسوله ثم رجع عبد الله بن جعفر رضى الله عنه الى موضعه وتقربت النصارى من المسلمين وامر اللعين بالرماة فرمت بنبالها فكانها خرجت

من قوس واحد وصارت تنزل على المسلمين كالمطر وكثر الصياح فيهم من كثرة النبال والاصابات فعند ذلك نادى الفضل بن العباس رضى الله عنه يا بنى هاشم ويا بنى مخزوم اليوم ولا بعد اليوم رحم الله عبدا رمى رمحه وسل سيفه فاحملوا بسيوفكم رحمكم الله فوت السيوف ولا موت النبال (قال) فسمعه بنو هاشم وبنو مخزوم وحملوا على من يليهم من النصارى فلله در ما ولد هاشم ومخزوم وقتلوا منهم فى الحين مائة وثلاثين فارسا وتلقاهم النصارى بثبات وجلد واتت حمير لمساعدة بنى هاشم وبنى مخزوم ونادت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها يا ءال هاشم يا ءال مخزوم تذكروا اوائلكم ولا خير فيمن لم يشبه اباه اصبروا بارك الله فيكم ونادت نساء العرب وبناتهم كذلك وكن عاريات الوجوه سادلات الشعور وصرن ينادين كل قبيله باسمها فحملوا كلهم حملة واحدة وهللوا وكبروا وجالوا فى ميدان الحرب كالاسود وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وكثر النزال واشتد القتال وزاد الفضل بن العباس وعبد الله بن جعفر ومسروق ورافع فى الحملة وهانت عليهم نفوسهم ابتغاء رضوان الله رضى الله عنهم اجمعين واسماء تنادى وبنات العرب ينادين بندائها فتارة ينادين يا ءال هاشم واخرى يا ءال مخزوم وطورا يا ءال حمير ويا ءال غسان وحرضن عروة بن الايهم وقلن له كفى ما قد مضى يا ابن الايهم وهو بين الاعداء يصول كالاسد الغضبان ومثله عبد الله بن جعفر واصحابه رضى الله عنهم وكانت دروقهم على رؤوس خيلهم ثم حمل عبد الله بن جعفر وعروة بن الايهم ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة حملة واحدة شديدة وصبر لهم النصارى صبرا جميلا ولم يتزحزحوا عن مواضعهم كانهم يحملون على الحجر وبينما هم فى شدة الحرب والقتال واذا بميسرة بنى امية قد ولت الادبار فنادت اسماء بنت ياسر معاشر المسلمين ان امراءكم بنى امية قد تقهقروا عن مواضعهم يا بنى امية ما هذا الحال وما الذى اصابكم حتى تقهقرتم امام هولاء الكفرة وانتم الحماة البررة واهل القرءان وعباد الرحمن اما سمعتم قوله عز وجل ومن يولهم يومئذ دبره الا متحرفا لقتال او متحيزا الى فئة فقد باء بغضب من الله وماواه جهنم وبئس المصير وقال الله تبارك وتعلى ان الله اشترى من المومنين انفسهم بان لهم الجنة وانتم تزولون من مواضعكم وتولون الادبار تالله انه لعار وبئس العار

العار الى اين تنهزمون والى اين تفرون من الله ومن جنته وهو مطلع عليكم اما تنظرون عن يمينكم وعن شمالكم ما يفعل العرب فلم يلتفت بنو امية الى قولها كانهم لا يسمعون من شدة ما اصابهم من الاعداء فقالت لهم ارجعوا انتم الى مواضعكم ونحن الان نقاتل مكانكم ثم سارت بالنسوة الى جهة بنى هاشم وصاحت وصحن فيهم واخذن يحرضنهم على القتال والاخذ بثار بنى امية فلما سمعوا اصوات النساء خلفهم هللوا وكبروا وزادوا فى حملاتهم رضى الله عنهم اجمعين ونكوا بالنصارى نكاية عظيمة حتى لم يستطيعوا معهم صبرا وكانت النسوة تولول خلفهم وصاح عبد الله بن جعفر ببنى هاشم تذكروا اوائلكم وعظموا الله الذى لا اله الا هو وسارعوا الى معانقة الحور العين وما من موطن احب الى الله من هذا الموطن الا وان الصابرين قد فضلهم على غيرهم الذين لم يشهدوا مشهدهم واياكم ان تولوا الادبار فزادوا على النصارى فى الحملة باعانة بنى مخزوم وصدموهم صدمة منكرة وابعدوهم عن بنى امية وانكشف القلب بين يدى بنى هاشم ووصلوا الى سرير الحاجب فحمل عليهم ثلاثمائة الف فارس من صناديد النصارى بعنان واحد وصار المسلمون فى وسطهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود ولما راى بنو هاشم الاعداء قد احدقوا بهم من كل جهة وجانب قاوموهم مقاومة شديدة ثم تاخروا خوفا على انفسهم لانهم توغلوا فى قلبهم وتركوا الميمنة والميسرة خلفهم وذلك بعد ان غنموا ثلاثمائة قبة بها بنات النصارى وارسلوهن مع طائفة منهم الى مركزهم وقتلوا الفين وخمسمائة فارس وعند ذلك قالت اسماء بنت ياسر بصوت عال الاقبح الله فرسانا لم يكونوا هكذا وسمع ذلك بنو مخزوم فحملوا على من يليهم حملة منكرة ونادى سليمان بن خالد رضى الله عنه يا بنى مخزوم اطلبوا الموت خير لكم من الحياة وتفكروا فيما فعل اوائلكم ولا خير فيمن لم يشبه اباه (قال) فحملوا رضى الله عنهم حملة شديدة حتى وصلوا الى القلب وحصروا النصارى الى بنى هاشم واخذ هولاء الميمنة وهولاء الميسرة وجعلوهم بينهم فى الوسط ونكلوا بهم نكاية عظيمة واستولوا لهم على ستمائة قبة بها نساؤهم وبناتهم ولما نظر ذلك بنو امية حملوا على من يليهم واشتبكت الحرب بينهم وقتلوا منهم مائة وثلاثين فارسا ولكنهم لم يملكوا منهم شيئا ورات حمير ما فعل بنو امية فصاح اميرهم حزام ابن ضرار رضى الله عنه وقال يا ءال حمير قد اصبحتم فى ديار النصارى منقطعين

عن الاهل والاوطان ووالله ما ينجيكم منهم الا الطعن الصائب فى الابدان وبذلك تبلغون اربكم وتنالون الفوز من ربكم احملوا بارك الله فيكم واقتدوا باسلافكم الذين سبقوكم واستحيوا من الله ان يراكم هاربين واصبروا ان الله مع الصابرين (قال) فجرد جبير سيوفهم وحملوا حملة منكرة حتى خلطوا الجناح الايمن بالجناح الايسر واختلط الجناحان مع ميسرة بنى امية وصدموهم جميعا صدمة عظيمة وادركوا الرماة وهزموهم شر هزيمة وبددوا شملهم ففروا تاركين خلفهم سرير الحاجب وامواله وامتعته واستولى جبير عليها وقتلوا منهم الفا واربعمائة فارس واخذوا ما فى السرير من قضبان الذهب والفضة ومائة فرش من الحرير وثلاثين كوكبا من الذهب وكثيرا من الاشياء الثمينة والفا وستمائة كيس فى كل كيس الف دينار ذهبا وحملت جبير كل ذلك ووهبوا نصفه الى بنى هاشم وبنى مخزوم وشكروا المسلمون فعل جبير وما اظهروه من الشجاعة والاقدام (قال الراوى) ولما بلغ الملك الاكبر صاحب المعلقة خبر انهزام الحاجب وانكسار جيشه وامتلاك المسلمين لسريره وامواله غضب عليه غضبا شديدا وكتب اليه كتابا يقول فيه قبح الله سعيك وما قيل لى عنك وحق المسيح عيسى بن مريم لئن لم تأخذ بالثار وتكشف عنا العار ما دخلت لى بلدا ولا نظرت فى وجهك ابدا الى اذا اتيتنى بعقبة وبابن عم محمد عبد الله بن جعفر الذى اخرج بنتى من بلدى اسيرين فان اتيت بهما نظرت لك وعفوت عنك والا فانى اغضب عليك الى ما شاء الله (قال الراوى) فلما وصل كتاب الملك الى الحاجب وقراه تكدر منه كدرا عظيما وقال لمن حوله اما تنظرون هاته المصيبة التى نزلت بنا من هولاء العرب الحفاة العراة الجياع رعاة الابل لقد سبوا نساءنا وقتلوا رجالنا وركبوا خيلنا وملكوا سريرنا واموالنا ومتاعنا وتكالبوا علينا اما تخافون العار اما تخشون ان يغضب عليكم المسيح ويخرجكم من بلادكم كما غضب على هرقل ملك الشام واخرجه من بلاده قالوا له ايها الامير نحن لك اتباع وبين يديك غلمان وتحت طاعتك وطاعة المسيح فامر بما تريد رحمك الصليب ورضيت عنك الحواريون فقال لهم اذا اظلم الليل ولاح الجناح نسير اليهم ونهلكهم عن آخرهم قالوا حبا وكرامة وكتموا الامر الى الليل ولما خيم الظلام ركب اعداء الله فى عشرين الف فارس ولبسوا آلة حربهم والمسلمون لم يكن عندهم خبر بما عزم عليه اعداؤهم وساروا اليهم ولما اقتربوا من الاخبية

حملوا عليهم بعنان واحد واعلنوا بكلمة الكفر وكان رايهم لخم وجذام وطي وغسان ووضعوا السيف فيهم وهجموا عليهم وهم فى غفلة وكثر الصياح فى جيش المسلمين وصاح عقبة ياويلتاه اصبنا ورب الكعبة اين عبد الله بن جعفر اين رافع بن الحارث اين مسروق بن زيد اين سليمان بن خالد اين عمر بن حمزة اين الفضل بن العباس اين عروة بن الايهم اين حزام بن ضرار اين ابن الملك الاكبر اين مسروق بن ضرار اين علقمة بن صفوان فقالوا كلهم لبيك وسعديك ايها الامير قال لهم اما نظرتم لهذه المصيبة التى حلت بالمسلمين قالوا غدرنا ورب الكعبة ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم ركبوا خيلهم فى اسرع من لمح البصر وهم عراة من شدة العجلة وركب معهم الف فارس من اخلاط العرب وقال لهم عبد الله حولوا بينهم وبين اخبيتهم لتقطعوا عنهم طريق الرجوع وصاحوا لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم فدوى صياحهم كالرعد ورددت صداه الجبال فلما سمع اعداء الله ورسوله الصياح فزعوا ودخلهم الرعب فولوا هاربين فصاح فيهم عبد الله وقال لهم انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى الفضل انا الفارس الدعاس انا الفضل بن العباس انا مهلككم عن آخركم وتبعهما بقية اصحابهما رضى الله عنهم اجمعين وتلقاهم الهاشميون والمخزوميون فى وجوههم وحالوا بينهم وبين خيامهم وقطعوا عنهم طريق الرجوع فانخذل اعداء الله وفشلوا ووضع المسلمون السيف فى رقابهم وقتلوا منهم خمسة الاف وخمسمائة فارس وفكوا من قيد الاسر ثلاثة الاف رجل وخمسمائة فارس كانوا اسروهم بغتة ومنهم شداد بن عامر وعلقمة بن حسان وحنظلة بن عدى ورافع بن اوس ورجع باقى المشركين الى خيامهم على اسوا الحالات واستشهد من المسلمين نحو ثلاثمائة فارس منهم خمسة من حمير والباقى من اخلاط العرب ورجعت فرسان المسلمين غانمين رضى الله عنهم اجمعين ولله در ابن الملك الاكبر فلقد اتى فى تلك الليلة بالعجب العجاب وجاهد فى الله حق جهاده ودخل وثيابه تقطر دما كانما كان منغمسا فى بحر من الدم ثم سار الامير عقبة ودخل على الفضل بن العباس فوجد عنده عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار وعمر بن حمزة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين فقاموا اليه ووقفوا بين يديه وعظموا قدره فشكرهم واثنى عليهم وحمد الله سبحانه وتعلى على سلامة المسلمين فقالوا له

انما هذا ببركتك وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجمعوا الاسلاب كلها عنده وتولى حرس الناس تلك الليلة عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث الى ان اذن عمر بن زيد الدارى باذان صلاة الصبح ثم صلى الامير عقبة رضى الله عنه بالمسلمين فلما فرغوا من صلاتهم اجتمعوا حوله وبينما هم كذلك يتحدثون واذا بطبول الاعداء قد ضربت دفعة واحدة كانها الرعد فتبادرت الفرسان الى خيلهم رضى الله عنهم وركبوا ينتظرون خروج النصارى اليهم فلم يروا لهم حركة ولا سعيا للقتال غير انهم لاحت لهم رايات وغبرة عظيمة طالعة فى الجو ثم انكشفت الغبرة عن خيل كانها الريح وراوا جيشا عظيما مقبلا وقد خرج الحاجب الى لقائه فسالوا ابن الملك صاحب المهدية وقالوا له ما هذا الجيش المقبل قال لهم ان هذا صاحب حيدرة قد اتى بمائة الف فارس لانجاد الملك الاكبر واذ كانوا يتحدثون فى امر ذلك ظهرت غبرة اخرى اظلم من الاولى وخرج من تحتها خيل كانها النمل واعلام كثيرة مختلفة الالوان على قضبان من الذهب والفضة يقودها بطريق محفوف باعلام من حرير وبعد ان استقبل الحاجب النصرة الاولى توجه لاستقبال النصرة الثانية فعظم امر ذلك على المسلمين وسالوا عنها ابن الملك الاكبر فقال ان هذا صاحب تبسة وهو يركب فى مائة واربعين الف فارس وحط النصرتان رحالهم ونصبوا خيامهم وفرح بهم النصارى يومئذ فرحا عظيما وايقنوا بالفوز والنصر (قال) وعند ذلك قام الامير عقبة رضى الله عنه وسار الى فسطاط الفضل بن العباس رضى الله عنه وقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اكثر اعداء الله ورسوله فقال له الفضل بن العباس ايها الامير نصر الله اعظم من ذلك فطمن نفسك ولا تعجبك كثرتهم فقد قال تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله الاية ونحن لانجاهد الا بقوة الله ومعجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم فقو قلبك ولا تتعب فكرك واترك عنك الجزع والله قد وعدنا النصر ولابد ان ننتصر عليهم ونملك بلادهم ان شاء تعلى ولكن ايها الامير ارسل الى عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق وحزام وشداد ياتون اليك وانظر ما يقولون ليزداد قلبك اطمئنانا فارسل اليهم الامير عقبة ولما حضروا ذكر لهم ما قال للفضل بن العباس فاجابوا كلهم مثله وفى اثناء حديثهم اتى رسول من عند الحاجب يسال عن فسطاط الامير فدخلوا على عقبة واعلموه به فاذن له فى الدخول فدخل الرسول عليه وحياه

وقال

وقال له ايها الامير ان الحاجب بعثني اليكم رسولا وهو يطلب منكم ان ترسلوا له عالما من قومكم ليجادل عالما منا فى ديننا ودينكم لننظر ايهما ارجح واى النبيئين افضل محمد ام عيسى ولتعلم ايها الامير ان افريقية لا يقدر احد على فتحها وانتم تتوهمون انها كالشام ومصر والعراق وهو وهم باطل لانا اشد منهم باسا واكثر قوة ومالا فقال له الامير عقبة دع الفضول واذهب الى صاحبك وقل غدا يأتيه ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الف فارس وقل له ينتخب من علمائهم عالما ومعه الف فارس وتكون المجادلة بين خيام العسكرين فسار الرسول واعلم الحاجب بالخبر ولما كان فى صبيحة غد بعث الحاجب فى طلب القسيس الاكبر من فسطاطه وكان عالما بالتوراة والانجيل وتواريخ الامم المتقدمة واسمه سراج فلما حضر بين يديه قال له ايها الاب الرحيم اخرج مع الف فارس الى لقاء ابن عم محمد فيما بين الجيشين وجادله عن ديننا حتى ننظر اى الدينين اصح قال حبا وكرامة غير انى اخاف ان اغاظ على العرب فيقتلونى قال له لا تخف لان العرب اذا عاهدوا لا يغدرون ولا ينقضون فخرج القسيس فى الف فارس وسار حتى وصل الى ما بين الجيشين (قال) فلما راى الامير عقبة القسيس ومن معه قادمين الى موضع الجدال دعا بالفضل بن العباس وقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ان هذا القسيس قد اتى الينا فسر اليه وجادله عن دين الله ورسوله قال له ايها الامير ابعث الى عبد الله بن جعفر وامره بالمسير اليه فهو افصح منى وبينما هما يتحدثان واذا بعبد الله قد اقبل ودخل عليهما فقاما اليه وعظماه ثم قال له الفضل بن العباس يا ابن العم سر الى هذا العالم النصرانى وجادله عن ديننا وخذ معك الف فارس وانتخب من اردت من ابطال المسلمين قال انا اسير وحدى والله معى فقال له الفضل لابد ان تاخذ معك فرسانا ولا تذهب وحدك قال عبد لا اذهب الا وحدى فاقسم عليه الفضل ان لا يخرج وحده وان يصاحبه طائفة من المسلمين وكان عبد الله واقفا فاجلسه الفضل بجانبه وقال له لولاك يا ابن العم ما اتيت افريقية (قال) فنادى عبد الله ابن جعفر رضى الله عنه برافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وحزام بن ضرار وظافر بن اويس وشداد وعلقمة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين فقالوا لبيك وسعديك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تريد قال لهم الامير عقبة رضى الله عنه اركبوا وسيروا مع عبد الله بن

جعفر لمناظرة هذا العالم وعليكم بمزيد الانتباه واياكم والغفلة على عبد الله وتعلمون
انه لم يبق من خيار بنى هاشم الا نفر يسير فتيقظوا وكونوا منه ببال فقالوا سمعا
وطاعة (قال) وكان على بن ابى طالب كرم الله وجهه ورضى عنه هو الذى بعث
الفضل بن العباس وقال له سر الى افريقية وادرك ابن عمك عبد الله بن جعفر
لانى اخاف عليه وعلى من معه من بنى هاشم فاذا وصلت اليها فاوصيك ان لا تفترقوا
فى الحرب ولتكونوا واحدا كما قال تعلى ان الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا
كانهم بنيان مرصوص واذا لقيتم اعداءكم فلا تولوهم الادبار فكونوا بنى هاشم فى
صف واحد ولتراعوا بعضكم بعضا واذا راى احدكم على اخيه مشقة فيتولاها
بنفسه واذا وقعت الغارة على القوم فاصبروا حتى يلحق بعضكم ببعض ولا تخرجوا
فارسا بعد فارس لان فى ذلك مذلة لكم واحتقارا ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب
ريحكم واصبروا ان الله مع الصابرين وانصفوا لبعضكم من بعض ولا تكونوا
من الذين يتجافى بعضهم عن بعض فتهلكوا واوصاه رضى الله عنه بكثير من هذا
(قال الراوى) فسار عبد الله واصحابه حتى وصلوا الى العالم فلما دخلوا عليه قام
لعبد الله اجلالا وتعظيما فنظر اليه عبد الله وقال له ما احسن وجهك لو كنت من
الامة المحمدية الفاضلة قال له العالم وما تبين من فضلكم قال اليس عندكم فى الانجيل
لا يكون شاهدا الا اهل الفضل والاحسان والشرف قال نعم فقال له عبد الله
نحن كذلك لان الله عز وجل فضلنا على جميع الامم فقد قال تبارك وتعلى وكذلك
جعلناكم امة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا فاى
شرف اعظم من هذا الشرف اذ جعلنا الله شهداء على جميع الناس وجعل محمدا
صلى الله عليه وسلم شاهدا على جميع الانبياء قال الله عز وعلا وجئنا بك على هولاء
شهيدا وقال ايضا فى مدحه ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين ءامنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما وقال ايضا فى عيسى عليه السلام ان مثل عيسى عند
الله كمثل ءادم خلقه من تراب الاية والله عز وجل كلم موسى عليه السلام بكلام
قدرته على جبل الطور وقال له اخلع نعليك انك بالوادى المقدس طوى ومحمد
صلى الله عليه وسلم اسرى به من المسجد الحرام الى المسجد الاقصى ولم يقل له اخلع
نعليك وقد عرج به الى السماء السابعة حتى انتهى الى العرش وخاطبه بكلام
قدرته على بساط العز وخاطب موسى على بساط الارض ولم يقل عز وعلا لنبيء من

الانبياء

الانبياء ما قال لمحمد صلى الله عليه وسلم وهو قوله انا فتحنا لك فتحا مبينا ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما ولما خلق الله ءادم اخرج له الحجر الاسود من الجنة وقال له يا ءادم خذ هذا العهد والميثاق بيني وبينك على ان تقر لمحمد بالرسالة والنبوة والشفاعة قال ربى ومن محمد قال هو ولدك وروحك وهو ءاخر الانبياء من ذريتك قال ربى اقررت وءامنت وشهدت وكذلك فعل مع ادريس وابراهيم وموسى وعيسى وهذا كله موجود عندكم فى كتبكم وعندنا فى القرءان وقد قال تعلى واذ اخذ الله ميثاق النبيئين لما آتيناكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتومنن به ولتنصرنه قال آقررتم واخذتم على ذلكم اصرى قالوا اقررنا قال فاشهدوا وانا معكم من الشاهدين فمن تولى بعد ذلك فاولئك هم الفاسقون قال وعندكم فى الانجيل ان الله يبعث نبيا من نسل هاشم له ميثاق على جميع الانبياء ولا تكون الشفاعة يوم القيامة الا له ولامته بعضهم لبعض وكل نبئ يوم القيامة مشغول بنفسه الا محمدا صلى الله عليه وسلم مشغول بامته وقد بشر به عيسى بن مريم قبل مبعثه وعرف بنى اسرائيل بقربه من الحق وكرامته ولقد سمعتم بمعجزاته وما ظهر من دلالاته حيث انشق له القمر وكلمه الضب والحجر وخاطبه البعير والشجر ونبع الماء من بين اصابعه وغير ذلك من المعجزات الباهرة ونحن نومن بعيسى كما نومن ببقية الانبياء ولا نفرق بين احد منهم غير اننا لا نعتقد فيه اعتقادكم انتم وقد قال الله تعلى اخبارا عن عيسى عليه الصلاة والسلام قال انى عبد الله ءاتانى الكتاب وجعلنى نبيا وجعلنى مباركا اينما كنت واوصانى بالصلاة والزكاة ما دمت حيا وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جبارا شقيا والسلام علي يوم ولدت ويوم اموت ويوم ابعث حيا فهذا كلام الله جل جلاله الذى انزله على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ومعنى ذلك اما قوله تعلى اخبارا عن عيسىٰ حين قال انى عبد الله فانه يعلم الخلق انه عبد الله وليس بولد جل الواحد الاحد الفرد الصمد واما قوله ءاتانى الكتاب معناه اعلمكم الاحكام واعرفكم الحلال والحرام واما قوله واوصانى بالصلاة والزكاة معناه انى مامور بالطاعة والخدمة والزكاة مثلكم فان فى مالى حقا لله واما قوله والسلام على يوم ولدت ويوم اموت فيعلمهم انه يموت ومن يموت لا يكون له العزة والجبروت واما قوله ويوم ابعث حيا فيعلمهم انه واياهم مبعوثون فى يوم القيامة وقوف يوم الحشر والندامة وتبين مما تقدم ان الله واحد

احد لا شريك له فى الملك ولا قرين ولو كانا الهين لكان لهما ارادتان ووقع الخلف بينهما وان الحكمة غير ذلك وهى على وحدانيته شاهدة وهو سبحانه الملك المتعال الذى لا سماء تظله ولا ارض تقله ولا ليل يؤويه ولا نهار يأتيه ولا ضياء يظهره ولا ظلام يستره ولا يقهره سلطان ولا يغيره زمان كل يوم هو فى شان (قال) فلما سمع القسيس ذلك من عبد الله بن جعفر رضى الله عنه حن قلبه الى الاسلام وقال له ما افصحك واعظم براهينك وما اعلمك على حداثة سنك لاشك انك عبد الله بن جعفر قال له نعم قال يا عبد الله والله انى قرات الكتب السابقة والاخبار الماضية واعلم انكم على الحق وان دينكم صحيح لا ريب فيه ثم التفت الى اصحابه وقال هل سمعتم ما قال هذا العربى قالوا نعم قال هل تحققتم انه على الحق قالوا نعم قال وما رايكم الان قالوا ضلالتنا وهدايتنا بيدك قال فحينئذ يلزمكم ان تقتدوا بى وتسلكوا معى الطريق القويم قالوا نحن بك مقتدون فعند ذلك قال انا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن نقول مثلك ونطق جميعهم بالشهادتين ففرح عبد الله بن جعفر واصحابه رضى الله عنهم باسلامهم وحمدوا الله تبارك وتعلى على اهتدائهم الى الدين القويم ثم اوصوا بعضهم بعضا بالكتمان وقال القسيس لعبد الله الان نصيح عليكم ونظهر السرور لنوهم القوم اننا غلبناكم لنتوصل بذلك الى مارمنا وتندبر الليلة فيما يكون من امرنا قال له عبد الله افعل ما بدالك فزعق القسيس واصحابه على عبد الله ورجعوا يركضون بخيلهم الى الحاجب فقال له القسيس وهو داخل عليه لقد نصرنى المسيح على ابن عم محمد فقام اليه الحاجب اجلالا وتعظيما وقال له ايها الاب الرحيم لا يستغرب ذلك من غزارة علمك وقوة ديانتك (قال) ورجع المسلمون الى جيشهم وكتموا امر اسلام النصارى مخافة ان تكون لهم عيون فى الجيش فينقلون خبرهم وسار عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه ودخل عليه فوجد عنده الفضل بن العباس فاخبرهما بجميع ما وقع من اوله الى اخره فقال له الفضل جزاك الله خيرا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد فرجت عنا فرج الله عنك هم الدنيا والاخرة وبات الناس تلك الليلة فى راحة (قال) فجمع الحاجب اهل الشورى من رجاله وقال لهم ما عندكم من الراى قالوا لما كان ديننا افضل من دينهم وثبتت ارجحيته بالبراهين نركب اليهم باجمعنا ونسير الى قتالهم قال لهم القسيس انا اليوم اتولى القتال بنفسى

بالالف

بالالف فارس الذين كانوا معى بالامس واعطونى جانبا من العرب واسال الله بحق الحق الذى كنا عليه ان يعيننا على اعدائه ففرحوا بمقاله وضربوا طبولهم ثم ركب العالم واصحابه الالف فلما رءاهم الفضل بن العباس قال لعبد الله اين الذى ذكرت لنا بالامس قال له احسن الظن بالله تعلى تجد الخير ان شاء الله فخرج العالم وقال للحاجب اجلس مكانك فان فى ذلك حفظا لناموسك لان الخروج يزرى بمقامك فقال له صدقت ايها الاب الرحيم ولزم مكانه (قال) وخرج فى اثر العالم الاف لا تحصى من الخيل ومعهم الالف الذين اسلموا وهم فارحون بمكيدة كبيرهم وما ذكر لهم مما اتفقوا عليه بينهم ثم قال لهم العالم قفوا هنا حتى ادخل على الحاجب لاشاوره فى امر ونزع سلاحه امام الحاضرين الذين خرجوا معه اتقاء لما عسى ان يطرا من الشبهات وقال للطبالين طبلوا كلكم جملة ولا تقطعوا الضرب واكثروا من الصياح والزعيق لترهب العرب وتروعهم ثم دخل على الحاجب ففرح به واجلسه بجانبه وقال له ايها الاب الرحيم والسيد الكريم مالى اراك راجعا هل عندك من خبر قال له نعم عندى اخبار مهمة كتمتها من الناس واريد الان ان اطلعك عليها وهى فى اوراق اخفيتها بين قميصى وبطنى وها انا مخرجها لك وكان الحاجب متكئا وكان جسيم البدن وهو بعكس العالم الذى كان نحيفا وقويا فاخرج العالم خنجرا وطعن الحاجب فى بطنه فبقرها ثم ذبحه ووضع عليه غطاء وخرج من الفسطاط وقال لغلامه الذى اتى معه اذهب الى فلان وفلان وقل لهما يا تيانى الساعة فى عشرة رجال من اصحابهم فسار الغلام حتى وصل اليهما وقال لهما ان العالم يامركما ان تاتيا اليه فى هذه الساعة فى عشرة رجال من اصحابكم الذين حضروا معى المناظرة مع العرب ولا ياتى معهم احد من غيرهم (قال) فسار اليه عشرة من اصحابه المسلمين ولما دخلوا عليه وجدوه جالسا فى محل الحاجب وحده ولم يجدوا الحاجب وكانوا فى اثناء سيرهم توقعوا قتله وقالوا لبعضهم بعضا ان العالم ما دعانا الان الا لكونه قتل اللعين ويا حبذا لو فعل فقالوا للعالم اين الحاجب قال لهم قتلته قالوا له واين هو فكشف لهم عليه ففرحوا بذلك فرحا شديدا ثم قالوا له ماذا نصنع الان قال نسير الى الجيش ويبقى واحد فى فسطاط الحاجب ليمنع الناس من الدخول حتى لا يعلم بقتله احد قالوا نعم فسار العالم ومعه اصحابه التسعة وتركوا العاشر لحراسة الحاجب ولما وصلوا قال العالم لامراء الجيش قد امرنا الحاجب بالتوجه الى جيش العرب

للمذاكرة معهم بشان الصلح قالوا افعل ما امرت به فقال امكثوا فى مواضعكم حتى ارجع اليكم فسار العالم واصحابه الى ان وصلوا جيش المسلمين ونادوا بعبد الله بن جعفر فخرج اليهم عبد الله والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد ومشوا الى لقاء العالم واصحابه وكان اعداء الله متاهبين للقتال وقد رتبوا صفوفهم وكذلك صاحب حيدرة وصاحب قبسة فانهم رتبوا صفوفهم واستعدوا للنزال ومكثوا ينتظرون رجوع العالم حتى اذا لم يتم الصلح بادروا بالحرب (قال الراوى) وعندما لحق عبد الله بن جعفر بالعالم حكى له ما فعل بالحاجب وقال له يا عبد الله ان اعداء الله كثيرون فخذ من اصحابك الف فارس ممن يختارون الموت على الحياة ويتصدقون بانفسهم فى مرضاة الله ورسوله ويسيرون معى الى المعسكر وانا اقول للجيش ليسيروا بهم الى خباء الحاجب للمذاكرة معه فى امر الصلح فاذا دخلوا الخباء تحمل راس الحاجب على رمح طويل ونهلل ونكبر ونكثر من الصلاة والسلام على البشير النذير فاذا راى الجيش راس الحاجب انهزموا واخذ لواكلهم (قال) فنظر الصحابة الى بعضهم بعضا وقالوا للعالم اياك والخديعة فقال لهم وكيف اخدع وانا مومن بالله وبرسوله قال عبد الله بن جعفر انا مصدق بكلامه ولكن ايها المسلمون ايكم يمضى معى فقال الفضل بن العباس لا يمضى معك الا من تعلم منه انه يقاتل على حسبه وانت تعلم الفرسان فنادى عبد الله ابن رافع ابن سليمان ابن مسروق ابن حزام ابن حسان ابن صعصعة ابن عبد الله بن كثير ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين الى ان ذكر الف فارس من صناديد المسلمين فقالوا لبيك وسعديك ماذا تريد قال اركبوا واتبعونى عاجلين بارك الله فيكم فركبوا واتوا اليه فقال لهم العالم لا تحملوا السلاح لكيلا يتوهم القوم انكم محاربون وانا اعطيكم ما يلزم من السلاح اذا دخلتم الاخبية فقال الفضل بن العباس انى اخاف والله من كلامك قال له العالم الله اعلم بالحقائق وبذات الصدور فقال عبد الله انا والله امضى معه لان مخائل الصدق تلوح عليه (قال) فسار بالالف فارس بلا سلاح فلما رآهم النصارى مجردين من السلاح تحقق عندهم انهم اتوا للصلح واطمأن الجيش وسار بهم العالم الى ان ادخلهم خيمة الحاجب وكانت واسعة طولها مائة ذراع فاوقفهم على الحاجب فراوه مذبوحا فصدقوه ثم اعطاهم السيوف المهندة والدروع وما يلزم من لوازم الحرب وقطع

عبد الله بن جعفر راس الحاجب وجعله فى رمح طويل وخرج به الى امام الاخبية ونادى باعلى صوته هل تعرفون هذا الراس فنظر اليه النصارى فعرفوه فقالوا غدرتم وحق المسيح وحملوا على المسلمين بعنان واحد ولما راى ذلك الامير عقبة رضى الله عنه نادى بالفضل بن العباس وصاح فى المسلمين الحملة الحملة بارك الله فيكم وكان عدد المسلمين يومئذ ثمانين الفا باضافة النصارى الذين اسلموا مع عبد الله ابن الملك صاحب المهدية فحمل المسلمون كلهم رضى الله عنهم بعنان واحد واعتزلت كل قبيلة لنفسها واشتد القتال بين الفريقين وعقبه ينادى بينهم يا ءال المسلمين وكتائب الموحدين احملوا احملوا وجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وتاججت نار الحرب وطلع دخانها الى الجو ووقع القتال وكثر النزال وصبت النبال على المسلمين كالمطر الغزير وكان عدد الرماة ثمانين الفا واشتد خطب ذلك على المسلمين وعظم عليهم امرها فنادى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه باعلى صوته معاشر المسلمين رحمكم الله تعالى اطلبوا الموت خير لكم من الحياة واحملوا بسيوفكم وموتوا بالسيوف ولا تموتوا بالنبال واشفق الناس يومئذ واشرفوا على الهلاك ولله در بنى هاشم وبنى مخزوم فقد صبروا صبر الكرام وبينما هم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا بالنصارى قد ولوا الادبار وانكسروا اى انكسار وتقهقروا منهزمين والعرب فى اثرهم من نصف النهار الى الليل فلما اقبل الظلام رجع المسلمون واخذوا جميع خيامهم وتفرق اعداء الله ورسوله اشتاتا واشعابا وكانت الدائرة عليهم وقتلاهم مكومة من اربص الى وادى الكلخ وبلغ عددهم نحوا من ثلاثمائة الف دون من مات فى الاودية والشعوب واستشهد من المسلمين اثنى عشر الفا واربعمائة فارس من اخلاط العرب رحمهم الله اجمعين اما بقية النصارى فقد ركنوا الى الفرار قاصدين المعلقة (قال الواقدى رحمه الله) فلما وصل هولاء المنهزمون الى المعلقة اعلموا الملك بالخبر فغضب عليهم وقال لهم لعنكم المسيح وغضب عليكم الصليب كيف يغلبكم صعاليك العرب قالوا ايها الملك انهم ابطال الموت وهم كالاسود وفرسانهم كالعقبان ولو خرجت اليهم لكنت رجعت ولكن احمد رب الخضراء على عدم خروجك قال لهم وحق المسيح لئن خرجت اليهم لاطردنهم من بلادى ولاجعلن الجبل فى

عنق اميرهم عقبة ولاقتلن ابن عم محمد الذى اغتصب منى بنتى فقالوا ايها الملك انت اهل لذلك واما نحن وحق المسيح ما خرجنا اليهم ابدا لانا راينا الموت عيانا فسكت عنهم الملك ولم يجبهم بكلمة (قال) اما المسلمون فانهم جمعوا الغنائم وقسموها بينهم بعد ان اخرجوا خمس بيت مال المسلمين فكان الذى صح للفارس ستمائة دينار وللراجل ثلاثمائة دينار ما عدا الاثاث والخيل والعدة والسيوف وفرح المسلمون فرحا شديدا وايقنوا بالنصر على اعداء الله ورسوله وحمدوا الله تعلى وشكروه على ما اولاهم من الظفر والنصر وانشد بعضهم يقول

اقمنا منار الدين فى كل جانب * وصلنا على اعدائنا بالقواضب
هزمناهم لما التقينا بارض * ونار عجاج النقع مثل السحائب
وكل همام فى الحروب تخاله * يكر بحمل فى صدور الكتائب
وجندل وفد الكفر فى كل جانب * تركناهمو فى القاع نهبا لناهب
وما زال نصر الله يكنف جمعنا * ويحفظنا من طارقات النوائب
فلله حمد فى المساء وبكرة * وما لاح نجم فى سدول الغياهب

(قال الراوى) واما صاحب حيدرة فانه هرب بجيشه ولم يفقد منه احد ومثله صاحب تبسة فقد رجع الى بلاده ومعه جنوده ومكث المسلمون ثلاثة ايام بقصد الاستراحة ومعالجة الجرحى وانتظار التئام جروحهم وفى اثناء اقامتهم جمع صاحب ابة ارباب دولته واعيان قومه وقال لهم اعلموا ان العرب قد استولوا على المهدية وسوسة وفتكوا الان بجيش الملك الاكبر وقتلوا صاحبه وفر منهم هاربين صاحبا حيدرة وتبسة بجيوشهما وقد وصلكم ما صنع هولاء العرب مع ملوك دين النصرانية وكيف ملكوا العراق والشام ومصر وهم على وشك امتلاك البلاد الافريقية ولقد انتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل فى دينهم الملوك والبطارقة وما نزلوا على مكان الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد توغلوا فى ارضكم وهم الان على باب بلدكم فما ترون من الراى الرشيد قالوا ايها الملك ما تكلمت بشئ الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقال الصواب انكم تحقنون دماءكم وتصونون حريمكم واموالكم وتدخلون فيما دخل فيه غيركم وتصالحون العرب فتامنون على انفسكم وتعيشون فى ظلهم فقالوا هذا هو الصواب قال الان اذهب اليهم مع طائفة منكم ونعقد لنا معهم صلحا (قال) فخرج صاحب ابة وخرج معه ارباب دولته وعلماء دينهم وساروا

نحو

نحو جيش المسلمين حتى وصلوا اليهم فاعلموهم باسلامهم وانهم يريدون عقد الصلح ففرحوا بهم ومشوا معهم الى فسطاط الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه واذا هو جالس على التراب واصحابه حوله وهم يذكرون الله فقام اليهم واكرم لقياهم وتقدم صاحب ابة ومن معه وقالوا ايها الامير انا نريد ان نعقد لنا معكم صلحا فقال كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما اردتم امتثلناه فقال انا لا نريد الا ما ترضى به اهل الذمة الذين فى البلد حتى تطيب قلوبهم ومن لا يرحم لا يرحم لان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول لا تنزع الرحمة الا من قلب شقى (قال) فلما سمع القوم ذلك تهللت وجوههم فرحا وقالوا لقد نصركم الله بحق وما نرى دينكم الا حقا فاسلموا عن اخرهم وعادوا الى قومهم واجتمعوا فى قصر الملك والكنيسة وحدثوهم بما كان وبما راوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اهل البلد ما كنا بالذين نرفع انفسنا عليكم لانكم اولو الامر والراى والدين وقد رضينا بما رضيتم به لانفسكم فاسلموا كلهم ونطقوا بالشهادتين ففرح المسلمون باسلامهم وبفتح ابة وقال عقبة رضى الله عنه لصاحب ابة الزم بلدك فلا سبيل لاحد عليك وقد صرتم منا لكم ما لنا وعليكم ما علينا ثم ودعهم المسلمون وساروا قاصدين سبيبة (قال) وسار المسلمون يجدون السير كامل يومهم الى ان ادركهم الليل فحطوا رحالهم وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بهم صلاة الصبح بسورة الفتح فلما فرغوا من الصلاة ارادوا الرحيل فقال عبد الله بن جعفر الاقامة اليوم لنا احسن لنريح انفسنا وتستريح خيلنا وتحسن حالة الجرحى قال له الامير عقبة احسنت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقاموا ذلك اليوم والليلة بعده وعند الصباح امر الامير عقبة بالرحيل نحو سبيبة فرحلوا ونزلوا عليها ولما علم اهلها بمجيئهم اغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار يتفرجون فاقام المسلمون على حصارها شهرا كاملا وكانت لصاحبها زوجة بديعة الحسن والجمال ممن يضرب بحسنها وبهائها الامثال فقالت ذات ليلة لبعلها سالتك برب الخضراء لاى شئ لا تخرج الى العرب وتقاتلهم خارج المدينة قال لها احتقارا لهم وعدم اكتراث بهم فقالت كذبت والله وكان جالسا معه وزيره فقال غدا نخرج اليهم ونقاتلهم خارج البلد ونهلكهم عن اخرهم قال له الوزير حبا وكرامة (قال) فلما اصبح الله بخير الصباح ركب عدو الله فى مائة الف فارس وخرج من البلد وحمل على المسلمين على

حين غفلة وكان مما يليهم بنو مخزوم وكان رافع بن الحارث ماسكا جواده وغلامه يرمي الماء عليه فلما راى الخيل مقبلة من نحو البلد قال لغلامه يا ابن السوداء قرب الى الجواد فقد اصبنا ورب الكعبة فقرب اليه الجواد واسرجه بسرعة واراد ان يشد عليه الحزام فانتهره وقال دع الحزام وركب رافع بن الحارث واتى لمساعدته ثلاثة فرسان من حمير وركب حزام بن ضرار وعلقمة وعبد الله بن جعفر والفضل ابن العباس ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وسليمان بن خالد وكان اعترى جواده في ذلك اليوم كلل فصار ينادي يا ءال المسلمين من يهب لي جوادا اخرج عليه للقتال فاجابته اسماء بنت ياسر رضي الله عنها يا ابن الوليد اركب جوادا حيث لقيت (قال) فوجد بين الفساطيط جوادا فركبه واجتمعت فرسان المسلمين وفي اقرب وقت بطش اعداء الله بمائة فارس من اخلاط العرب وحمل المسلمون واشتبكوا في حرب الاعداء مع بني مخزوم وانضم اليهم عبد الله بن جعفر وخيله ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وكان الامير عقبة ينادي يا معشر المسلمين النفير النفير ثم قال الفضل بن العباس لعبد الله بن جعفر تكون انت في نصرة المسلمين ونحن ندعس البلد الان ما دام اهلها مشتغلين معكم في القتال وسار اليها ودخلها في خمسين فارسا واحتدم القتال بين الجيشين الا ان النصارى لم يستطيعوا مع المسلمين صبرا ولم يلبثوا غير قليل حتى ولوا هاربين ودخلوا البلدة واغلقوا ابوابها وتراكموا مع من فيها على الفضل بن العباس واصحابه وكانوا رضي الله عنهم يفتكون بهم فتك الابطال وقتلوا منهم يومئذ عددا كثيرا غير ان جموع الاعداء تكاثرت عليهم واخذوهم اسارى وكانوا خمسين فارسا منهم الفضل بن العباس وخراج بن عوف وعكرمة بن طافور وضرار بن نافع وهم من بني هاشم والباقي من اخلاط العرب واوثقوهم كتافا (قال) فعظم على المسلمين امر ذلك وقتلوا يومئذ من النصارى ثلاثة الاف واربعمائة فارس اما الملك فرجع الى بلده على اثر انهزامه في اسرع من طرفة عين ولما اتى له بالاسرى حلف انه يقتلهم في صبيحة غد فقال له قومه كيف تقتلهم وفيهم ابن عم محمد فقال اللعين لو اخذت محمدا نفسه لقتلته وبلغ خبر ذلك المسلمين فقلقوا قلقا عظيما وضاقت عنهم المسالك وبعد ان صلوا صلاة العشاء قام عبد الله بن جعفر ودخل على رافع بن الحارث فوجد عنده سليمان بن خالد فقال لهما يا بني مخزوم كيف يقتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم في صبيحة

غد

غد برأى ومسمع منا فقالا له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم نحن بين يديك وطوع امرك وحيثما سلكت سلكنا معك فقال لهما تاهبا للخروج فى ظلام هاته الليلة لعل الله تبارك وتعلى يمن علينا بالفرج ثم سار عبد الله الى فسطاطه ولبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا وقال اللهم انى اسالك بهذا الدرع ومن لبسه صلى الله عليه وسلم الا ما مكنتنى فى هذه الليلة من اعداء الله ورسوله يا سميع يا مجيب (قال) فسار عبد الله ورافع وسليمان الى ان وصلوا البلد وطافوا بها من كل جانب فلم يجدوا مسلكا وكان الحراس يزعقون على الاسوار وكانت الليلة شديدة البرد ووجدوا قرب الباب غارا فكمنوا فيه وبينماهم كامنون واذا بالباب قد انفتح وخرج منه شيخ وهو يمشى ويقول يا اله السموات والارضين انى اسالك بحق محمد بن عبد الله الا ما فرحتنى الليلة بالاجتماع مع عبد الله بن جعفر يا قريب يا مجيب وكان عبد الله واصحابه يسمعون فقام عبد الله وتقدم الى الرجل فلما رآه ولى هاربا فناداه بصوت خفى لا تخف انى انا عبد الله بن جعفر فقال الله عليك قال نعم انا والله ففرح الشيخ ورجع وسلم عليه وعلى صاحبيه ثم قال لهم ناشدتكم الله ان تخبرونى بالحقيقة قالوا عن اى شئ قال من دلكم على هذا الباب قالوا الله الذى اخرجك الينا ثم قالوا له وانت ما خبرك قال انا من حجاب ابن الملك وهو الذى بعثنى اليكم لاعلمكم بان الملك قد عزم على قتل ابن عم محمد واصحابه فى صبيحة غد وما خرجت الا فى طلبكم فاتبعونى وارجو الله ان يكون خلاصهم على يدى قال فدخلنا معه وسرنا حتى قربنا من الباب فكلمه الحراس فاجابهم وقال ادخلوا ولا تخافوا وعند وصولنا اليهم تكلموا بالنصرانية فيما بينهم وتبسموا فى وجوهنا وحيونا باحسن تحية ودخلنا الباب فاذا الشموع موقدة على الاسوار وسار ونحن فى اثره حتى وصلنا الى جماعة وكانوا جالسين فلما راوه قاموا اليه وسلموا عليه وقال واحد منهم يا عبد نسال الله لكم النصر والظفر والسعادة فامنا على دعائه قال ولا يزال الشيخ سائرا بنا ويعبر بابا بعد باب حتى دخلنا عشرين بابا فقال اجلسوا وغاب فجلسنا ساعة حتى ساءت ظنوننا ثم اقبل وقال ادخلوا على بركة الله فدخلنا على عبد شديد السواد فلما رءانا استوى قائما وسلم علينا ثم فتح بابا داخل المجلس وقال ادخلوا فدخلنا بابين فوجدنا مجلسا ما راينا احسن منه وهو مفروش بالسندس الاخضر قال اجلسوا فجلسنا وبينما نحن جلوس واذا بشاب دخل علينا واومأ بالسلام

الينا وسلمنا عليه وقال انت عبد الله بن جعفر قلت نعم قال انى عرفتك بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت ومن اين عرفته قال علمناه وعرفناه لانا عندنا فى بعض كتبنا ان مجلسنا هذا لا يدخله درع سوى درع رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسه عبد الله بن جعفر ابن عمه الذى تفتح البلدة على يده قلت له ومن انت قال ابن الملك وانا الذى بعثت لكم ذلك الرجل والان اقول بين ايديكم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقلت له الحمد لله الذى هداك لهذا ثم قال اجلسوا فجلسنا وقدم لنا الطعام واللحم فتوقفنا عن الاكل فقال كلوا ما هذا التوقف قلنا له نحن غير مطمئنين على اصحابنا قال كلوا الساعة يدخلون عليكم ففرحنا ثم غاب عنا ساعة وعاد ومعه الفضل واصحابه كلهم فقام عبد الله الى ابن عمه وتعانقا وبكيا وقالا الحمد لله الذى انعم الله علينا برؤية بعضنا بعضا ثم جلسنا وغاب الشاب ساعة ثم عاد وبيده قصعة وقال انظروا ما فيها فكشفنا غطاءها فاذا فيها راس ابيه ملفوف فى خرقة حمراء من حرير فكبرنا وهللنا وفرحنا وحمدنا الله على ذلك وبينما نحن كذلك واذا بجارية خرجت علينا ما راينا اجمل منها فقالت السلام عليكم يا معاشر المسلمين الاحباب واصحاب النبي الاواب قال لها عبد الله وعليك انت السلام يا ابنة الشرف فى الاحساب ثم قال لها عبد الله استرى وجهك لقد خطفت ابصارنا بنور وجهك قالت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحياء من اللئام لا من الكرام الذين لا يرضون بالنظر الا فى طاعة الله قال لها عبد الله من انت ايتها الجارية قال له الشاب والدتى وهى ابنة صاحب رومة ثم قالت يا عبد الله انا الذى احببت محمدا واشتقت اليه والى روضته الشريفة وحرام علىّ الرجال سوى على بن ابى طالب كرم الله وجهه المسمى فى التوراة حيدرة وفى الانجيل الضارب بذى الفقار والخالى صولة الكفار الساكن فى دار القرار قال لها عبد الله اتعلمين ذلك قالت نعم ثم قالت والله ما بقى ينظر فى وجهى احد حتى اراه ويرى وجهي على بن ابى طالب رضى الله تعلى عنه ثم غطت وجهها وسترت نفسها ثم قال ابن الملك يا عبد الله ارسل لاصحابك ياتون فى الف فارس فى ظلام الليل وانتم هولاء تقيمون هنا لهذا الامر فقال عبد الله لا حاجة لنا بالالف فارس وانما قدم لنا الخيل لا غير فاتاهم بالخيل فركبوا وخرجوا كانهم شعلة نار وخرج ابن الملك معهم وكان فارسا شديدا

وبطلا

وبطلا صنديدا فلما توسطوا فى وسط المدينة صاحوا باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فى اعداء الله ورسوله فلما سمعوا التهليل والتكبير وراوا معهم ابن الملك دخلهم الخوف والجزع ونادوا الامان الامان وبعضهم يقول نحن نشهد ان لا اله الا الله ونشهد ان محمدا رسول الله واسلم فى تلك الليلة عشرون الفا ورضى الباقون بالجزية وملك المسلمون البلد (قال الراوى) وكان المسلمون جالسين مع الامير عقبة وهم فى حيرة عظيمة من اجل الفضل بن العباس واصحابه رضى الله عنهم وبطء عبد الله بن جعفر حيث خرج فى ظلام الليل ولم يرجع والنهار قد قرب ويتاسفون لذلك ويتأوهون ويقولون اليوم يقتل الفضل واصحابه لان اللعين حلف انه يقتلهم هذا الصباح ويبكون وبينماهم فى البكاء اذ دخل عليهم بعض اصحابهم وقالوا يا امير المومنين سمعنا فى البلد التهليل والتكبير فلما سمع عقبة ذلك قام وخرج من فسطاطه فسمع التهليل والتكبير ثم ارسل يسال عن عبد الله بن جعفر فقالت زوجته بنت الملك الاكبر انه خرج فى اول الليل ولا ادرى ما فعل الله به فعلموا ان عبد الله هو الذى فتح البلد ولم يكن غير قليل حتى اقبل فرسان من الصحابة على الامير عقبة وقالوا له اركب على بركة الله ومعجزات رسوله صلى الله عليه وسلم فان عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس واصحابهم قد فتحوا البلدة وان كثيرا من اهلها اسلموا وابن الملك قد اسلم وقتل اباه وامه الملكة اسلمت فقال عقبة بن عامر رضى الله عنه لله دره من صبى ما اشد باسه والحمد لله الذى انعم الله علينا به وفرج عنا فلله الحمد والشكر ثم ركب مع اصحابه ودخل البلدة فتلقاه عبد الله واصحابه وسلموا على بعضهم بعضا وحمدوا الله على نجاة الفضل بن العباس ومن معه وساروا الى قصر الملك فنزلوا فيه وبنوا فيها مسجدا وفرضوا الجزية على من لم يسلم ثم جمع الامير عقبة المسلمين وشاورهم لاى جهة يتوجهون فنهم من قال الى شقب النار ومنهم من قال تبسة ومنهم من قال المعلقة ومنهم من قال حيدرة وبينماهم يتفاوضون واذا باهل باز وعفرى او (عوف) وكسرى اتوا بالعلوفة طالبين الصلح فخرج اليهم عبد الله ورافع والفضل وادخلوهم على الامير عقبة فعقدوا معه الصلح على مائتى دينار ذهبا فى كل عام وثلاثين اوقية من الفضة ومائة قفيز من القمح ومائة قفيز من الشعير على كل بلدة وباتوا تلك الليلة فى ضيافة اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم واكرموهم غاية الاكرام ومن الغد عادوا الى

اوطانهم وامنين مطمئنين وهم يثنون على المسلمين الثناء الجميل وفشا ذكرهم الحسن في تلك الجهات فاقبل اهل القصور ورقادة ومركنتيت او (مركيت) وقدموا العلوفة للمسلمين وسالوهم الصلح فعقدوا لهم الصلح على ثلاثة الاف دينار ذهبا ومائتي اوقية من الفضة ومائة قفيز من الشعير في كل عام ورجعوا الى قراهم فارحين وبعد ان استراح المسلمون سبعة ايام استقر رايهم على السير الى شقب النار وقبل ارتحالهم دعا الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه للمسلمين بالنصر على اعداء الله ورسوله ثم ساروا قاصدين شقب النار وهم يصلون على سيد المرسلين سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله واصحابه اجمعين

ذكر غزوة شقب النار

(قال الواقدي رحمه الله تعلى) وقضى المسلمون يومهم في الاستعداد للرحيل وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الرحمن ولما فرغوا من الصلاة امر رضى الله عنه بالرحيل فسار القوم نحو شقب النار وكان صاحبها فارسا شديدا يركب في مائة الف فارس من بني عمه وقبيلته وبات المسلمون في موضع يقال له السرس ولما اصبح الصباح ارتحلوا وساروا يجدون السير حتى نزلوا على شقب النار فوجدوا البلدة حصينة جدا وطلبوا من اهلها الحرب فامتنعوا فلما كان في اليوم الثالث زحفوا عليها وكان الرماة على اسوارها يبلغون الثمانية الاف فرموا بنبالهم تخرجت كانها من قوس واحد واخذوا في رشق المسلمين الى وقت العصر فاضطروهم الى الابتعاد عنها لشدة ما اصابهم منها من الضرر وكثرة المجروحين وتفرقوا في فساطيطهم وعند المساء اجتمعوا في فسطاط الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه وقالوا له ايها الامير ان هذه البلدة حصينة منيعة وامر قتالها يطول والاولى ان نرحل عنها ونسير الى الاربص فنفتحها ونرجع اليها مرة اخرى ان شاء الله فقال لهم الامير الراى ما رايتم واتفق رايهم على ذلك وكان الفضل بن العباس رضى الله عنه كثير الحياء فاستحيا ان يعارض الامير والقوم فيما اتفقوا عليه وعزموا على الارتحال من الغد وكان عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث قد ركبا وخرجا يطوفان بالبلد ويتدبران في امر الدخول اليها ولما رجعا بلغهما ما استقر عليه راى المسلمين من ترك شقب النار والسير الى الاربص فقالا بئس الراى ثم دخل عبد الله على الامير عقبة وقال له بلغني ايها الامير انك عزمت

على

على الرحيل الى الاربص قال نعم اتفق المسلمون على ذلك فقال بئس الراى وبئس ما اتفقوا عليه والله ان رحلنا لم تبق لنا سطوة ولا حرمة فى افريقية ابدا والراى عندى ان تنزل على هذه البلدة ولا نبارحها الا بعد فتحها ولو اقمنا حولا كاملا فاستدعى عقبة بالمسلمين فاعلمهم بمقالة عبد الله بن جعفر فقال الفضل بن العباس لقد اصاب الراى وهو ما اراه انا ولم يمنعنى من ابدائه الا الحياء منك ولو شاورتنى بانفرادى لاشرت عليك بهذا ولكن حيث كنت انا واحدا من المسلمين فابيت معارضتهم او معاكستهم حتى لا يقال اذا حدث ما يكره لولا الفضل ما كان هذا غير انى اصرح ولا انكر ان راى عبد الله سديد ورشيد فقال الامير عقبة وعليه يكون العمل ان شاء الله وامر الناس بالاقامة وقال لهم نقيم هنا الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا فانكر المسلمون امر هذه الاقامة وقالوا من تسبب فيها فقيل لهم عبد الله بن جعفر فقالوا بئس الراى والاشارة قالت لهم اسماء بنت ياسر رضى الله عنها لا يعرف الراى الا اهله ومن كابد البلاء (قال) فاقاموا عليها شهرا كاملا بدون قتال ولم يخرج فيه احد من اهل البلد فلما كانت ذات ليلة من الليالى الشديدة الظلمة خرج عدو الله ورسوله فى ثمانين الف فارس وهجم على المسلمين على حين غفلة لانهم كانوا امنين غير متوقعين منه الخروج فقتل اللعين الف رجل من غسان ولخم وجذام وطئ وهذيل وربيعة وعشرة من بنى مخزوم ورجلين من بنى هاشم ورجع عدو الله فى اسرع من طرفة عين فعظم الامر على المسلمين وقالوا لعبد الله بن جعفر هذا رايك الذى اشرت علينا به فقال لهم الفضل لو علمنا ذلك لكنا ضمنا لكم الموت ولم يزل المسلمون مقيمين على هاته الحالة مدة خمسة اشهر يقاتلون كل يوم ولم يستطيعوا فتح البلدة ولا القرب منها وكتب الملك الاكبر صاحب المعلقة الى صاحب شقب النار يمدحه ويشكر مقاومته وشجاعة رجاله ويحرضهم على القتال (قال) وتعب المسلمون من القتال وانعدمت لديهم جميع الاسباب الموصلة لامتلاك البلد وفى ليلة من الليالى المظلمة خرج اللعين الى خيام المسلمين بالف فارس وكان حزام بن ضرار رضى الله عنه تولى الحراسة فى تلك الليلة بمائة فارس فواقعهم اللعين وقتل منهم اربعين فارسا ورجع الى بلده بعد ان ترك فى ميدان القتال ثلاثمائة فارس من اصحابه ولله در جير فقد اظهروا تلك الليلة شجاعة عظيمة وقاتلوا قتال الابطال وتعاظمت حيرة المسلمين من امر فتح البلد

وطالت عليهم الاقامة ولم يجدوا لذلك حيلة ومكثوا فى حصارها ثلاثة شهور اخرى وعظم امر الحصار على النصارى فشكوا امرهم الى الملك وقالوا له اخرج بنا لنقاتلهم خارج البلدة وكان اسمه سيحان بن سماك فقال لهم نعم الراى هذا ثم جمع ارباب دولته واهل بساطه وكانوا مائة رجل فلما اجتمعوا عنده ذكر لهم راى اهل البلد وقال لهم ما رايتم انتم قالوا نخرج كلنا لقتال العرب ونطلب منهم البراز حتى ننظر ما يكون من امرنا معهم وهذا ما عندنا من الراى قال لهم نعم وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح امرهم بالخروج فتزينوا باحسن ما عندهم ولبس اميرهم افخر لباسه وخرجوا فى ثمانين الف فارس وعشرة الاف رجل ومعهم الاف من الرايات وخرج جميع من فى البلدة ولم يبق فيها صغير ولا كبير الا خرج والاناث طلعن على الاسوار وتزين باحسن ما عندهن ولما راى المسلمون ذلك ركب عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فى ثلاثة الاف فارس من صناديد المسلمين وتماشوا ينظرون خروج اعداء الله ورسوله فلما راوهم خرجوا بعثوا الى الامير عقبة يعلمونه بالخبر فامر رضى الله عنه بالنفير وقال اركبوا يا خيل الله فتبادر الناس الى خيلهم وركبوا وركب عقبة وانحاز نساء المسلمين الى جهة حيث يتفرجن على نساء النصارى وهن على الاسوار ثم قال عدو الله لاصحابه ايكم يفتح باب الحرب وكان للملك ابن اخ يسمى طبراق وهو فارس شديد وبطل صنديد وكان تعلق قلبه بحب ابنته وهى لم ترض بزواجه وكانت تلك الساعة تتفرج مع النسوة فقال يا عمى انا اخرج للبراز قال له بارك المسيح لك الان يتبين فضلك وفروسيتك وشجاعتك وكان راكبا جوادا اشقر اللون وآلته كلها من ذهب فخرج بين الصفين وعليه لامة حسنة ونادى باعلى صوته ايها العرب اللئام ايكم يبارزنى انا ابن اخ الملك من يخرج الى برازى لا يلومن الا نفسه وكان عارفا بالعربية فما استتم كلامه حتى خرج اليه سوار بن زيد الطائى (قال) فحمل عليه عدو الله وسبقه بطعنة فقلبه عن جواده واخذ اللعين سلبه فولولت عليه بنات النصارى وقلن لابنة الملك ارايت حبيبك ما فعل فمال قلبها اليه ثم طلب البراز ثانية فخرج اليه آخر من طيء فقتله واخذ سلبه وما زال عدو الله يطلب البراز وهم يخرجون اليه فارسا بعد فارس حتى قتل ثلاثين كلهم من طيء والامر لله الواحد القهار ولولا امر الله تعالى لكان حزام بن ضرار امضاه فى ضربة واحدة ولكن الاجل محتوم ولا ينفع الحذر اذا جاء القدر

ثم

ثم طلب البراز فخرج اليه رافع بن الحارث رضي الله عنه (قال) والملك ينادى يا ابن الاخ بارك فيك المسيح الان حلت لك ابنتى ففرح بكلام الملك وعظم الامر على المسلمين وعلى عبد الله بن جعفر ثم حمل عدو الله على رافع وقتل جواده فرجع رافع على رجليه فعند ذلك اشتد غضب عبد الله بن جعفر فنزل عن جواده ولبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم واراد اللحوق به فقال له شداد بن ظافر ان كنت فارسا شديدا ازل عنك درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عبد الله ونزع الدرع فقال له الفضل بن العباس يا شداد ما هذا البلاء لو علمنا ان الامر هكذا ما قدم من الحجاز من بنى هاشم احد فلما رات بنت الملك زوجة عبد الله ابن جعفر بعلها قد خلع درع رسول الله صلى الله عليه وسلم تعلقت باذياله وقالت ما انا بتاركتك تخرج الى ذلك الفارس حين نزعت درع النبي عليه الصلاة والسلام قال لها والله لا يبارزه احد غيرى دعيني حتى لا يرانى الله قاصرا عن برازه فخرج عبد وهو كالاسد الغضبان رضى الله عنه وليس عليه الا ثوبه المستتر به ومنطقة فى وسطه وقام كل جالس من الفريقين لينظروا مبارزتهما وتغير المسلمون من خروج عبد الله بلا درع ونادى النصارى صاحبهم وقالوا هذا الخارج اليك عبد الله بن جعفران قتلته فزت على جميع الابطال فدنا منه اللعين وقال انت عبد الله بن جعفر قال نعم فناداه النصارى احمل عليه وارحنا منه ولا تمهله ونادى رافع بن الحارث يا عبد الله ايقظ نفسك ولا تجزع من عدو الله ورسوله وكانت بنت الملك زوجة عبد الله ترتعد كالورقة خوفا على بعلها وقالت الهي بفضل محمد الذى هو ابن عمه كن معه ثم نادت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها يا عبد الله بيض اليوم وجوه بنات العرب ووجه بنت الملك الاكبر بين بنات ملوك النصارى (قال) فحمل عدو الله ورسوله على عبد الله وتقارعا ساعة والمسلمون يكبرون الله ثم ضربه عدو الله ضربة شديدة فاخذها عبد الله فى درقته فانقسمت وسقط نصفها فى الارض فالوى عليه عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وضربه ضربة هاشمية قصد بها راسه فانخفض لها اللعين فاصابت وسطه فشطرته شطرين فوقع صريعا فى الارض وعند ذلك كبر المسلمون وهللوا بصوت واحد واستبشروا وايقنوا بالنصر من رب العالمين فاخذ عبد الله سلبه واعطاه لغلامه وكانت قيمته ثمانين الف دينار ذهبا ثم حمل رضى الله عنه على النصارى فنادى الامير عقبة يا ال المسلمين وكتائب

الموحدين الحملة بارك الله فيكم (قال) فحمل بنو هاشم وبنو مخزوم وحمير بعنان واحد وتبعهم بقية المسلمين وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان ووقع القتال وكثر النزال واشتعلت نيران الحرب واستعر لهيبها وصبر اعداء الله صبرا جميلا وزاد بنو مخزوم فى حملتهم ونادت فرسان العرب بعضها ببعض ونادى عقبة يا آل عبد مناف وكشف راسه وهو يحمل رايته ونادت نساء العرب يحرضن الناس على القتال فزاد بنو هاشم فى حملتهم والكفار صابرون وصاح فيهم الفضل بن العباس وهو يقول انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضرب اعناقهم ذات اليمين وذات الشمال وبينماهم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا بالنصارى تقهقروا من القلب من جهة بنى هاشم وبنى مخزوم وحمير واندفعوا على طى ولخم وغسان واجتمعوا على الجناحين الايمن والايسر فنادى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يابنى هاشم ويابنى مخزوم اليوم ولا بعد اليوم فحملوا بعنان واحد على المشركين وهزموهم شر هزيمة الى ان اوصلوهم قرب البلدة فحال بينهم وبينها رافع بن الحارث وعبد الله بن جعفر وعمر بن حمزة وسليمان بن خالد وعلقمة بن صفوان ومسروق بن زيد وعروة بن جبلة بن الايهم الغسانى وابن الملك الاكبر والفضل بن العباس ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ثم انضم اليهم حزام بن ضرار فى عشرة فرسان وقام جميعهم على ساق وصادموهم فى وجوههم وشتتوا جمعهم وقرب عبد الله بن جعفر من المدينة فراى الملك هاربا يريد الدخول اليها من الباب الغربى الذى يلى بنى مخزوم فاعلم به ابن عمه الفضل وقال له خذ الراية من يدى لالحق به فقال اعطها لعمر بن حمزة وانا امضى معك فدفعها له وسار ومعه الفضل غير ان عمر بن حمزة دفع الراية لمسروق بن زيد وسبقهما الى عدو الله ورسوله فلحق به وقال له لقد حضر اجلك ياملعون ان لم تعرفنى فانى اعرفك بنفسى انا عمر بن حمزة بن عبد المطلب ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد

لنحوك سيصان ابن حمزة قد طالب * بحد حسام كالشهاب اذا انتصب
فويلك ياملعون منه اذا سطا * بصارمه يوم الهياج وان وثب

ثم حمل عليه وضربه ضربة هاشمية فكبه عن جواده فقال عبد الله بن جعفر والفضل ابن العباس من هذا الفارس الذى ضرب اللعين فكانها ضربة بنى عبد المطلب فاجابهما

فاجابهما عمر انا ابن عمكما حمزة فاقبلا عليه وقالا له بارك الله فيك واين تركت الراية
قال عند مسروق بن زيد وامر غلامه بسلب الملك فاخذ الغلام سلبه وجواده وكانت
قيمة ذلك نحو مائة الف دينار لان سرجه وجميع ما عليه كان من ذهب (قال)
فلما راى النصارى مالكهم قتيلا ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فاقتفى المسلمون
اثرهم ووضعوا السيف فيهم ولم ينفلت منهم يومئذ الا القليل ثم دخلوا المدينة
ووضعوا السيف فيمن بقى فيها حتى صاروا ينادون الامان الامان ومنهم من يقول
اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فعند ذلك رفع المسلمون السيف
عن رقابهم وامنوهم وامتلكوا المدينة واسلم من فيها وكانوا نحوا من ثلاثين الفا
واربعمائة نفس ثم دخل الامير عقبة رضى الله عنه مع باقى الجيش المدينة وحمدوا
الله تبارك وتعلى على فتحها وبنى فيها عقبة مسجدا وخلف فيها صابر بن غانم فى
مائة فارس من المسلمين وجعل عليها قاضيا شداد بن قائم الغسانى ليعلم الناس
الوضوء والصلاة وقراءة القرءان والفرائض والسنن واقام بها المسلمون سبعة ايام
واستراحت نفوسهم وحيواناتهم ثم اجتمعوا عند الامير عقبة وتفاوضوا فى الجهة
التى يرحلون اليها فاتفق رايهم على ان يسيروا فى صبيحة غد الى الاربص وباتوا
مسرورين فارحين بنعمة هذا النصر المبين والحمد لله رب العالمين

ذكر غزوة الاربص

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وبينما كان المسلمون يتاهبون للرحيل الى الاربص
واذا باهلها قد قدموا ودخلوا على عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وقالوا انا اتينا
اليكم لنعقد لنا معكم صلحا كما صالحتم اهل القرى فقال لهم عبد الله هيا بنا نسير
الى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه قالوا قد علمنا ان الامير لا يرد فعلك فعقد
عبد الله معهم صلحا على مائة قفيز من القمح ومائتى قفيز شعيرا وعشرة دراهم على
كل محتلم وكتب لهم صكا بخط يده وسار بهم الى ان دخلوا على عقبة وقال له ايها
الامير انى عقدت الصلح مع هولاء القوم اهل الاربص وكتبت لهم صكا بخطى
وناوله اياه فقراه الامير عقبة وتبسم وقال له يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم كل ما فعلت فعلناه وما رضيت رضيناه ثم دعا عقبة بالفضل بن العباس ورافع
وسليمان وحزام وحنظلة وياسر وراشد بن عبادة وشداد بن اويس وعمرو بن حمزة
وسائر الامراء من غسان ولخم وجذام وطى وغيرهم من مثل هولاء السادات

رضى الله عنهم اجمعين فلما حضروا بين يديه شاورهم ابن يسيرون (قال) فتكلم الناس كلهم ما عدا عبد مناف فمنهم من قال نسير الى المعلقة ومنهم من قال الى غيرها وبعضهم قال ندرك حيدرة قبل ان ياخذ صاحبها على نفسه لان المعلقة هى عاصمة ملكهم وامرقتها الان يطول لما فيها من القوات العظيمة وليس لنا سوى حيدرة متجها فاستحسن عبد الله بن جعفر هذا الراى واستصوبه ووافق على ذلك الفضل بن العباس ورافع بن الحارث وعمل بمقتضاه الامير عقبة رضى الله عنهم اجمعين وامر بالتاهب للرحيل الى حيدرة وكان ابن صاحبها حاضرا فى جيش المسلمين مع ابن عمه ابن صاحب سبيبة الذى اسلم فوافق على ذلك ايضا وشاع خبر مسير المسلمين الى حيدرة وبلغ لصاحبها بواسطة عيونه الذين كانوا فى جيش العرب فكتب كتابا الى صاحب تبسة وكتابا الى صاحب ماجنة واعلمهما بما عزم عليه المسلمون واوصاهما بالاستعداد والتاهب للقتال وبات المسلمون على احسن حال

ذكر غزوة حيدرة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) فلما كان فى صبيحة غد صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وامر بالرحيل فارتحلوا وامر بالرايات فنشرت فقال له الفضل بن العباس دع الظعن مع عشرة الاف فارس وامّر عليهم مسروق بن زيد وحزام بن ضراد واترك بقية الناس يسيرون فقال له الحاضرون اصبت الراى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فامّرهما الامير عقبة على عشرة الاف فارس وقدمهما على الاموال والظعن والانعام والابل والخيل والبغال وسار عقبة مع عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ببقية الجيش وعددهم سبعون الف فارس وجدوا فى السير والصقوا المهامير بجنوب الخيل وارخوا الاعنة وبايديهم الرايات فلم يكن غير قليل حتى اشرفت راياتهم من طرف جبل وكانت تبلغ الالف راية على ارض ماجنة فامر الفضل بن العباس بنى هاشم بشن الغارة عليها فاطلقوا الخيل كانها البرق الخاطف الى ان لحقوا بالبلد فوجدوا اهلها قد تحصنوا ولما راوهم مقبلين عليهم اخذوا يصيحون بهم (قال) فكلمهم ابن الملك الاكبر فعرفوه وعرفهم وقالوا له انت ابن الملك الاكبر قال نعم قالوا له كيف بدلت دينك ودين ابائك وعيسى بن مريم بدين العرب فقال لهم عرفت الحق فاتبعته قالوا له قل للعرب يمضون عنا الى حيدرة فان فتحوها فنحن نلحق بها وان لم يفتحوها فليس

للصلح من سبيل لان صاحبها هو الامير علينا وبلادنا هذه تابعة له وتحت حكمه وانت على علم من ذلك قال لهم حبا وكرامة واعلم ابن الملك الفضل بن العباس بما قالوا واخبر الامير عقبة فقال نعم ننظرهم ثم سارت الرايات والمسلمون فى اثرها الى ان غربت الشمس فباتوا تلك الليلة فلما اصبح الصباح صلى عقبة بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الفتح وقضوا الصلاة ثم امر بالرحيل فرحلوا وساروا سيرا عنيفا وما اشرقت الشمس حتى اشرفوا على حيدرة فلما رآهم صاحبها ضرب طبوله وخرجت قومه على باب المدينة وكان ابن الملك صاحب سبيبة الذى اسلم هو الذى ملك بنت صاحب حيدرة وقد سمعت باسلامه وقتله لابيه وانه قادم اليهم مع المسلمين وكانت تحبه حبا شديدا لجماله وحسن منطقه ورفعة ابيه (قال) ونزل المسلمون على حيدرة وهم ينتظرون وصول اثقالهم واخبيتهم واهل البلد يرعقون عليهم واستضعفوهم لظنهم انهم سرية لانهم لم يروا الاخبية وبقية الجيش ولم يلبثوا على ذلك نصف يوم حتى اشرفت عليهم المطايا بالاخبية فعلموا حينئذ حقيقة الحال وحزنوا على انفسهم وغضب ملكهم غضبا شديدا وقال وحق المسيح عيسى بن مريم والصليب لاخرجن غدا اليهم ولاسقينهم كاس الردى ولاطلبن منهم عبد الله بن جعفر الى براوى ولاقتلنه شر قتلة ولاخذن بثار الملك الاكبر فى ابنته ثم جمع اهل المدينة وامراء جيشه وارباب دولته وشاورهم وقال لهم انتم تعلمون ان ابنتى قد اخذت عليها من الهدايا شيئا كثيرا وخطبها منى ملوك افريقية وابيت ان ازوجها الا لهذا الولد ابن صاحب سبيبة وقد بلغكم امر اسلامه وما فعل بابيه والان فانى اجعل قتله مهرا لابنتى فمن قتله منكم نعطيه اياها ففرح الامراء بكلامه وكان صاحب حيدرة ابن خالة الملك الاكبر وكان يركب فى مائتين وعشرين الف فارس من قومه واهل القصور القريبة منه وكان جبارا عنيدا وبطلا شجاعا واتفق مع قومه على قتال المسلمين وقال لهم اذا كان فى صبيحة غد اخرجوا اليهم واستعينوا بالمسيح والصليب واخرجوا جميع نسائكم ولا تتركوا منهن واحدة الا اخرجتموها معكم لان العرب ما غلبوا واخذوا البلدان الا لكون نسائهم معهم فقالوا حبا وكرامة وباتوا تلك الليلة فى اصلاح شانهم فلما اصبح الصباح ضرب الملك طبوله كلها فى دفعة واحدة وخرجت الرايات من كل جانب ونادى فى قومه من تخلف عنا ضربنا عنقه وخرجت ابنة الملك وكانت راكبة مطية من المطايا التى

اعطيت لها يوم املاكها ومعها مائة جارية من بنات الاعراب المتنصرة وعشرة الاف امراة منهـا الف امراة من نسـاء الاعيـان وخرج الملك في مائتي الف من قومـه (قال) وسمع الامير عقبة رضى الله عنه الطبول وهو يصلى بالمسلمين صلاة الصبح فلما فرغ راى الخيل خارجة كانها الريح فنادى يا ءال المسلمين وكتائب الموحدين اركبوا خيلكم بارك الله فيكم فركبوا عن ءاخرهم ورتب الامير صفوفهم فجعـل في الميمنة بنى هاشم وبنى مخزوم وفى الميسرة غسـان بامرة رافع بن الحـارث وفى القلب بنى امية وحمير ولخم وجذام بامرة شداد بن اوس وبقى عقبة بن عامر ومن معه من اخلاط العرب وانضم ابن صاحب سبيبة الى بنى هاشم ثم زحف اللعين بجيشه الى ان قرب من المسلمين ورتبهم وامرهم بطلب البراز وقال لهم اطلبوا ابن الملك الذى ملك ابنتى فمن قتله فهى له فقالوا حتى نسمع منها قال لهم اسالوهـا فمضوا اليها وكلموها فسكتت عنهم ولم تجبهم فرجعوا الى الملك واعلموه بسكوتها واعراضها عنهم فقال لا حكم لها وهى لا تملك عصمتها ثم دعا بديلوف بن سيطور وقال له يا ابن اخى انت طلبت منى زواج ابنتى قبل هذا وابيت ولكن اخرج الان الى زوجها هذا الخارج عن دينه واطلبه للبراز فان قتلته فهى لك مع نصف مملكتى وطعـام الرجل هو اولى باكله (قال) ففرح ديلوف بكلام عمه ودخـل على امه فاعلمها ففرحت بذلك وقالت له يا بنى اخـاف ان الفرح لا يتم لنـا وعدم المراة اولى من عدمك فقـال لهـا يا اماه انى راهنت على ذلك واخشى اذا عـدلت ان يقال عنى انى جزعت وخفت من الموت خصوصـا وهى قد سمعت بهذا الرهـان فقـالت له سر يا بنى واستعن بالمسيح فهو خير معين فسـار ولبس درعين وتـقلد بحسامه وجعل بيضة على راسه وكان كل ما عليه من الذهب الوهاج وخرج ونادى اين طالس وهو اسم ابن ملك سبيبة قبل اسلامه فاجابه وقال ما اسمى طالس وانما اسمى عبد الوهاب وهو الذى سمانى به الحق سبحانه وتعلى والحمد لله الذى انعم الله على بهذا الاسم المبـارك واخرجنى من الظلمـات الى النور ولكن ما تريد قال له اخرج الى البراز انا مفسخ عقدك على بنت الملك عمي قال له عبد الله بن جعفر ها انا خارج اليك فخاف طالس ان لا يخرج اليه غيره فعند ذلك نزع عبد الله درع رسول الله صلى الله عليه وسلم واعطاه اياه فبكى وقال يا عبد الله ما انا بلابسه وليس لى قدر من يلبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخاف عليه عبد الله والبسه اياه

ثم

ثم سار الى طالبه وكان جميل الصورة حسن الوجه ولم يتقدم لابنة الملك رؤيته قط وهو كذلك لم يرها فيما سلف ولم يعرفا بعضهما بعضا الا بالسماع (قال) فلما قرب منه قال له ديلوف انت الخارج عن دينك قال انا الخارج من الضلالة الى الهدى ومن الظلمات الى النور فلما راته بنات النصارى تعجبن من حسنه وجماله وقد زاده الاسلام نورا على نوره فقلن لابنة الملك ما احسن وجهه لو كان على ملتنا فقالت انا رضيت به وبدينه وحرام عليَّ الرجال بعده فسكتن ولم يخبرن بذلك احدا ثم حمل اللعين على عبد الوهاب وقال باسم الصليب وعيسى الحبيب وضربه ضربة شديدة فراغ لها عبد الوهاب واخذها فى درقته فعند ذلك نادته نساء العرب استعن بالله ولا تجزع من عدو الله ورسوله فالوى عليه وقال باسم الله الكريم المجيب ومحمد الحبيب يا غيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقصد كتفه وضربه عليه فشقه حتى اختلطت امعاؤه فخر فى الارض ميتا فكبر عند قتله المسلمون ثم حمل على النساء لياخذ من بينهن زوجته فبادره اللعين بجيشه وحملوا عليه حملة واحدة وكذلك المسلمون حملوا والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله الدمار ووقع بينهم قتال شديد من اجل بنت الملك وحازها المسلمون واردفها عبد الله بن جعفر خلفه واتى بها الى خيام المسلمين بعدما مات من النصارى ثلاثة الاف ومائتا فارس ومات من العرب مائتان (قال) وبعد ان اوصل عبد الله بن جعفر بنت الملك الى معسكر المسلمين رجع الى القتال ومعه رافع بن الحارث وقصد عبد الله كوكبة من الخيل فراى فيها الملك فحمل عليه واراد قتله فسبقه لذلك رافع بن الحارث وطعنه فى صدره فخرج السيف من ظهره فخر فى الارض ميتا فلما راى النصارى ان ملكهم قدمات ولوا الادبار وقتل المسلمون بهم يومئذ فتكا ذريعا وقتلوا اكثرهم ومات غالب النساء تحت حوافر الخيل وحالوا بين الهاربين والبلدة وملكوها وباتوا فيها تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح وخرج يطوف فى المدينة واسلم على يده من كان فيها وولى عليها واحدا من اصحابه وبنى فيها مسجدا واقاموا بها سبعة ايام حتى دخل عبد الوهاب ابن صاحب سبيبة بابنة صاحب حيدرة فلما كان فى اليوم الثامن اجتمع امراء المسلمين فى فسطاط الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه واعد لهم طعاما فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على ما انعم عليهم من الفتوحات

الباهرة والانتصارات المتوالية على اعداء الله ورسوله وكان من جملة الحاضرين معهم
عبد الله صاحب المهدية ابن الملك الاكبر والعالم الذى قتل الحاجب وعبد الوهاب
ابن صاحب سبيبة ثم قال لهم الامير عقبة انى اريد ان اكتب الى امير المومنين
عثمان بن عفان رضى الله عنه كتاب البشارة والفتح فقالوا له اكتب على بركة الله
ورسوله فدعا بدواة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلوات الله على نبيه
المصطفى ورسوله المجتبى صلى الله عليه وسلم من عقبة بن عامر الى امير المومنين
عثمان بن عفان رضى الله عنه اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واشكره
على ما اولانا من النعم وخصنا به من كرمه ببركات نبى الرحمة وشفيع الامة صلى الله
عليه وسلم واعلم ايها الامير ان الله تبارك وتعلى فتح علينا من بلاد افريقية المهدية
وسوسة وسبيبة وابة وشقب النار والاربص وماجنة وعفرى وكسرى وحيدرة وكل
ذلك على يد عبد الله بن جعفر وهو عماد جيش المسلمين وكل ما صعب على المسلمين
تولاه بنفسه ولا تبيض الوجوه الا به فلله دره وكذلك رافع بن الحارث وسليمان
ابن خالد والفضل بن العباس وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار بن
الازور وصاحب المهدية ابن الملك الاكبر صاحب المعلقة الذى اسلم فهولاء عماد
جيوش المسلمين ودعامة الجيش كله فى الحرب عبد الله بن جعفر رضى الله عنه
وقد كتبنا لكم هذا الكتاب من مدينة حيدرة بعد فتحها ونحن الان نريد الرحيل
اما الى المعلقة او لغيرها مثل قسطل وقبسة وقسنطينة وقد قيل لنا ان بقسنطينة
ملكا غليظا وسنسير اليه ان شاء الله تعلى والسلام عليك ورحمة الله وبركاته وعلى
على بن ابى طالب وعلى جميع المسلمين وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى
الله عليه وسلم ودعا باويس بن ظاهر السلمى ودفع الكتاب اليه وقال له سر بكتابى
هذا الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وبشره بفتوحات الاسلام
واجرك على الله وانظر من يمضى معك قال يمضى معى رافع بن علقمة ويزيد بن غالب
الاشعرى وعروة بن حسان الحميرى فقال لهم الامير عقبة سيروا معه (قال) فلما
ارادوا المسير قال لهم عبد الله بن جعفر قفوا حتى اكتب كتابا الى على بن ابى طالب
قالوا له اكتب لعل كتابك يقرب الينا البعيد ويسهل لنا كل صعب فدعا عبد الله
بدواة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد النبى الامى
الكريم وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى من هو اعلى درجة من ابى الفضل

لعترتى

لعترتى الكاسى عورتى الواحم عبرتى على بن ابى طالب رضى الله تعلى عنه السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعـد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم واعلمك اننا بفضل الله تعلى ورسوله وباتباع سنته صلى الله عليه وسلم ماضاق على المسلمين امر وصعب عليهم الا وجعل الله تعلى خلاصه على يدى وكل ذلك بمحض فضل الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وببركتك وانى لقد احييت ذكرك وذكر ابى ومن سلف من بنى عبد المطلب واعلمك يا عمى ان زوجة الملك صاحب سبيبة سيبانة بنت صاحب رومة قد اسلمت وهى على غاية من الحسن والجمال سبحان الذى انشاها وصورها وقد آلت على نفسها ان لا ينظر لوجهها احد غيرك والسلام عليك ورحمة الله وعلى والدتى واخى وصبيان بنى هـاشم وكافة المسلمين وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه لاويس فسار به مع اصحابه بعد ان ودع المسلمين وانشد يقول

اســـــير الى المدينة فى امان * وارجو الفوز فى غرف الجنان
وارجو ان يقرب لى اجتماعى * واعطى ما اريد من الامـانى
الا ياناقتى جدى وســـــيرى * الى نحو النبى بلا امتهــــان
واقرئيه السلام وانشـــــديه * كلاما صادقا حسن البيان
الا يا اشرف الثقلين يا مـــن * به شرف المدينة والمــــكان
فكن لى فى المعاد غدا شفيعا * اذا ما قيل هذا العبـــد عانى

(قال الراوى) وسار اويس بن ظـافر واصحابه على نجائبهم من الابل وهى تخب بهم خببا وتقطع فى اليوم مسيرة سبعة ايام ولم يزالوا سائرين ليلا ونهارا وانطوت لهم الارض بقدرة الله عز وجل وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصلوا الى يثرب فلما عاينهم اهلها تسابقوا الى عثمان بن عفـان رضى الله عنه فقال لهم ما وراءكم قالوا يا اميرالمومنين راينا اويس بن ظافر قد قدم من ارض الخضراء وكان عند عثمان على بن ابى طالب وطلحة والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف (قال) فاول من قام على بن ابى طالب رضى الله عنه وقام لقيامه الصحابة وساروا الى المسجد وسبقهم اليه اويس فاناخ ناقته على الباب وعقلها ثم دخل الى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وسلم على قبره الشريف وهو يبكى من شدة الشوق وفرح اللقاء وصلى ركعتين بين الروضة والمنبر ونادى مناد فى المدينة ألا ان اويس بن ظافر قد

قدم واقبل من ارض الخضراء وكانت افريقية تسمى الخضراء لحسن منبتها (قال) فخرجت كل امراة كانت فى المدينة لتسمع خبر زوجها او ولدها او اخيها او قريب لها ووقفن بباب المسجد واتت ام عبد الله بن جعفر وبيدها ولدها وقالت له سر معى يا بنى لتسمع خبر اخيك وابن عمك واتت ايضا ام رافع بن الحارث وزوجته واقبل على بن ابى طالب وعثمان بن عفان وكافة الصحابة رضى الله عنهم اجمعين ودخلوا المسجد فلما رءاهم اويس مقبلين خرج اليهم وسلم عليهم ودفع الكتاب الى عثمان ولما استقر بهم الجلوس فكه وقراه ثم تلاه على الحاضرين وكان الناس يزدحمون على باب المسجد لسماعه ولما بلغ فى قراءته قوله ان الله تبارك وتعلى فتح علينا من بلاد افريقية المهدية وسوسة وسبيبة وابة وشقب النسار والاربص وماجنة وعفرى وكسرى وحيدرة وكل ذلك كان على يد عبد الله بن جعفر وهو عماد الجيش وكل ما صعب على المسلمين تولاه بنفسه ولا تبيض الوجوه الا به الخ ما فيه من مدح عبد الله وبقية الامراء من بنى مخزوم وغيرهم انتفض على ابن ابى طالب رضى الله عنه كالورقة وقال الحمد لله على ذلك وفرح وفرحت ام عبد الله ودخل اخوه حتى جلس فى حجرعمه وفرحت امهات الامراء ونساؤهم واخواتهم واستبشر المسلمون عند سماع ذلك وفرحوا وهللوا وكبروا وحمدوا الله تعلى وشكروه وبعد ان اتم عثمان تلاوة كتاب عقبة دفع اويس الى على بن ابى طالب كتاب عبد الله بن جعفر فقراه سرا وتبسم فقالت ام عبد الله اقرأ علينا جهرا ما كتب لك ابن اخيك فاجهر بقراءته ففرحت فرحا شديدا وبكت من فرط سرورها وبكى الناس لبكائها ولما وصل على الى قوله وانى لقد احييت ذكرك وذكر ابى ومن سلف من بنى عبد المطلب قالت لها النسوة هنيئا لك لقد ولدت وربيت من احيا ذكر عشيرته ثم خرج على بن ابى طالب من المسجد وقد طالت كلمته بذكر عبد الله بن جعفر وشاع خبره فى الحجاز (قال) فلما كان فى صبيحة غد صلى عثمان بن عفان رضى الله عنه بالناس صلاة الصبح ثم واجههم وقال معاشر المسلمين انى اريد ان اكتب جوابا الى المسلمين قالوا له على بركة الله فدعا بدواة وقرطاس وكتب بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وسلم من عبد الله عثمان بن عفان الى امير الجيش عقبة ابن عامر سلام عليك اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وقد اتصل بنا كتابك وقد مدحت فيه بنى هاشم وبنى مخزوم

واثنيت

واثنيت كل الثناء عليهم وعلى عبد الله بن جعفر فهو اهل لذلك ولا تفعل امرا الا
بعد استشارته ولا تقسم غنيمة الا وفضله بافضل الجزاء وخيره فيما يريد من
الغنيمة فلله دره لقد احيا ذكر من سلف والسلام عليك وعلى من معك من المسلمين
ورحمة الله وبركاته وقرا عثمان الكتاب على المسلمين فقالت له ام عبد الله بن جعفر
جزاك الله خيرا يا امير المومنين ثم طواه وختمه ثم اخذ على بن ابى طالب قرطاسا
وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله
وصحبه وسلم تسليما من على بن ابى طالب الى ابن اخى عبد الله بن جعفر سلام
عليك ورحمة الله وبركاته اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه
قد وصل كتابك الينا وقرانه فامرك بتقوى الله وطاعته واياك وعوائق النفس
وحرض المومنين على القتال ولتكن اول الناس فى الحروب وعظهم ما استطعت واعلم
ان الله اشترى من المومنين انفسهم بان لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله واياك
يا ابن اخى ومخالفة الامير عقبة واذا اتفق الناس على امر فلا تخالفهم ولا تتكل
على رايك واياك والرئاء والسمعة واتباع النفس واذا رايت امرا صعب على
الناس تتولاه بنفسك واذا فتح الله عليكم بالمعلقة فلتمات انت والزبير بن العوام
وهو يقدم عليكم اذا نزلتم بالمعلقة لان فتحها يكون على ايديكما ان شاء الله ولا
يتخلف عنك احد من بنى هاشم واما حديث المراة التى آلت على نفسها ان لا
يتزوجها الا انا فانت الكفيل عليها حتى تحل بارضنا واذا وجدت من تثق به ويتقى
الله ورسوله وظهرت عدالته وفضله فارسلها معه وليكن مسروق بن زيد مع من
ياتى بها والسلام عليك من امك واخيك ومن كافة صبيان بنى هاشم ونسائهم
والسلام على بنى مخزوم وكافة المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه
بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا باويس بن ظافر واصحابه الذين اتوا معه
فدفع له الكتابين وودعه هو وعثمان ولما اراد الانصراف اتت اليه النسوة ومع كل
واحدة كتاب لبعلها او ولدها او اخيها او قريبها فدفعن له المكاتيب وكان اويس
اتى الى المدينة بمال جزيل ارسله معه المسلمون من افريقية لاهلهم واقاربهم وخرج
الصحابة رضى الله عنهم لتشييع اويس واصحابه وبعد ان ودعوهم ساروا قاصدين
افريقية (قال الراوى) وطال بالمسلمين المقام بحيدرة فاجتمعوا عند الامير عقبة بن
عامر للكلام فى امر الرحيل فقال بعضهم نسير الى المعلقة ومنهم من قال الى تبسة

ومنهم من قال قسطل فاشار عبد الله بن جعفر بالمسير الى قسطل واتفقوا على ذلك بعد ان عقدوا الصلح مع اهل ماجنة على مائة قفيز قمحا ومائتى قفيز شعيرا ومائة دينار ذهبا ثم امر عقبة بالرحيل فرحل المسلمون وساروا سيرا عنيفا يريدون قسطل

ذكر غزوة قسطل

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وارتحل المسلمون الى قسطل ولم يزالوا سائرين سيرا حثيثا الى ان زالت الشمس فامر عقبة بالنزول فنزلوا بواد هناك فاسبغوا الوضوء وصلوا صلاة الظهر وبلغ اهل قسطل قدوم العرب عليهم فدخلوا على ملكهم فاخبروه وقالوا له ايها الملك ان هذه افريقية قد فتحت كلها وقد راينا من الملوك من هم اقوى منا واكثر مالا وعددا لم يقدروا على حربهم وخسروا اموالهم واولادهم وحريمهم والعاقل من اتعظ بغيره ودبر الامر قبل وقوعه فقال لهم الملك غضب عليكم المسيح كيف تسلمون بلدكم بلا قتال وتتركون انفسكم للعار بين اهل افريقية قالوا هذا راينا وانت افعل ما بدا لك فنحن لك متبعون ثم امر برجاله فحضروا بين يديه وكانوا ثمانين الفا من ابطال الفرسان فقال لهم اذا كان فى صبيحة غد اخرجوا للعرب وقاتلوا على دينكم فقالوا ايها الملك لا نخرج الا اذا خرجت انت معنا (قال) فلما سمع منهم ذلك علم منهم الخوف وسوء النية فقال فى نفسه انا ابعث الى العرب واصالحهم ومن الغد بعث اليهم رجلا من عنده وقال له اذا وصلت الى الجيش فاسال عن فسطاط عبد الله بن جعفر وقل له اذا قربتم منا ونزلتم ببلدنا اطلب حضورى عندك لاتكلم معك فى امر الصلح وليكن هذا سرا عندك ولا تفشه لاحد قال له نعم وركب الرجل مطية وسار الى ان لحق بجيش المسلمين فلما راوه مقبلا تسابقوا اليه وقالوا له من اين اقبلت قال من قسطل اريد عبد الله بن جعفر وانا رسول من عند الملك ارسلنى اليه فاخبروا به عبد الله بن جعفر فخرج اليه فلما رآه الرسول عرفه بصفته وهيئته واراد ان يترجل فمنعه عبد الله فسلم عليه راكبا ثم قال له ان الملك ارسلنى اليك فى امر الصلح وذكر له ما قال الملك فقال عبد الله حبا وكرامة سر معى لتاكل من طعامنا فاعتذر الرسول فقال له اليس عندكم فى الانجيل ان تجيبوا الدعوة فتبسم وسار معه الى فسطاطه فادخله عبد الله وقدم له الخبز واللحم واكلا معا وبينما هما كذلك اذ دخل عليهما ابن الملك الاكبر فقام له الرجل

وسلم

وسلم عليه وقبل يده فقال له من بعثك يا شيطان قال ايها الملك بعثني ابن خالتك
الى سيدنا عبد الله بن جعفر فقال له ابن الملك لا تلقبني بالملك فانى واحد من
المسلمين وعبد من عباد الله فقام اليه عبد الله واجلسه بجانبه واعلمه بخبر الرسول
ففرح ثم قام عبد الله وسار الى ان لحق بالامير عقبة فوجد عنده الفضل بن
العباس فلما دخل عليهما قاما اليه وعظماه فقال الفضل يا ابن العم ما خبر الرجل
الذى قدم عليك فاعلمهما بالخبر ففرحا فرحا شديدا وحمدا الله على ذلك ثم
استدعى به عقبة فلما حضر قام اليه وقام معه الفضل واجلساه بينهما ودخل
عليهم ابن الملك الاكبر فعظموه ايضا وقاموا اليه واجلسوه فقال الرجل لعبد الله
هذا اميركم واشار الى عقبة قال نعم فتبسم فقال له عقبة ما اضحكك قال زيك
ولباسك الذى عليك فانه يساوى مائة الف دينار فتبسم عبد الله ضاحكا من قوله
وقال له هكذا امراؤنا قال ولم ذلك قال زهد فى الدنيا وابتغاء مرضاة الله عز وجل
ثم ساله ابن الملك عن احوال قسطل (قال) وحضر الطعام عند عقبة فاكلوا وشربوا
وحمدوا الله تعالى ثم قال الفضل للرجل سر الى صاحبك وقل له نحن واردون عليك
ان شاء الله فى صبيحة غد فخرج الرجل وهو يتعجب من تواضع المسلمين وكرم
اخلاقهم وسار سيرا حثيثا الى ان لحق بقسطل فدخل على الملك واعلمه بالخبر
واهل البلد لا يعلمون من ذلك شيئا وهم مضمرون للملك المكر وهو مضمره لهم
ايضا فلما كانت صبيحة غد ارتحل المسلمون ولما قربوا من المدينة اغلق اهلها
الابواب وذهبوا للملك واعلموه بقدومهم وقالوا ماذا ترى من الراى قال لهم اتركوهم
حتى ينزلوا على البلد فاذا نزلوا نخرج اليهم ونخاطبهم فيما يكون فيه الصلاح
والسداد ففرحوا بذلك وبعد قليل اشرفت الرايات فى صف واحد مستقيم واطلق
الفرسان الاعنة ولما اقتربوا من المدينة امر عقبة بالنزول فنزلوا فصاح السكان وطلعوا
على الاسوار ثم تقدم عبد الله نحوهم ونادى باعلى صوته يا اهل البلد قولوا لصاحبكم
يخرج الينا لنتحدث معه انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه
وسلم فدخلوا على الملك واخبروه فلبس ثيابه وخرج فلما قرب من عبد الله ترجل
وترجل عبد الله وتصافحا ثم جلسا يتحدثان فقال الملك لعبد الله ما فعل عمك
على بن ابى طالب وما كان من ولده محمد بن الحنفية اذ ليس فيكم يا بنى هاشم اشد
منه باسا ولاى شئ لم يتركه على ياتى الى افريقية فقال عبد الله قد مسكه

ليتأنس به وخاف عليه قال له قد علمنا انكم تتنازعون مع بني امية وهذا
السبب في ارسال علي لكم لافريقية واعلم يا عبد الله اني اتيت لاصالحكم بالاسلام
وانا مومن بالله ورسوله اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
محمدا عبده ورسوله ففرح عبد الله بن جعفر رضى الله عنه باسلامه ثم قال الملك
يا عبد الله اكتم هذا الامر عندك حتى ندخل البلاد ونستدعيكم لدخولها وامتلاكها
قال له عبد الله بادر لذلك فقفل الملك راجعا الى قصره فلما رآه اهل البلاد فهموا
عليه انه اسلم وانه يريد بهم مكرا فنطق جميعهم بالشهادتين باعلى صوت فلما سمعهم
المسلمون فرحوا فرحا شديدا وركب عقبة في مائة فارس منهم عبد الله بن جعفر
والفضل بن العباس ومسروق بن زيد وحنظلة بن عدنان وساعد بن قائد ورافع
ابن الحارث وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار وعلقمة بن صفوان ومثل هولاء
السادات رضى الله عنهم اجمعين ولما وصلوا المدينة فتحوا لهم الباب الكبير وهو
المعروف بباب الملك ودخلوا وساروا الى قصر الملك فتعجبوا من حسنه واقاموا بقسطل
ثلاثة ايام وبنى عقبة فيها جامعا وامّر على اهلها اميرهم وجعل فيها قاضيا ليعلمهم
فرائض الصلاة والسنن والقرءان وامور الدين ثم اجتمع المسلمون وتشاوروا اين
يسيرون فاتفق رايهم على تبسة فامر عقبة بن عامر رضى الله عنه بالرحيل اليها

ذكر غزوة تبسة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون الى تبسة وكان بها ملك عظيم
الشان وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا وكانت جميع البطارقة تخضع لصولته
وتهاب قوته وفروسيته وكان يركب فى مائة وثمانين الف فارس من صناديد قومه
واحكامه تمتد الى بلاد الجريد وهو مستقل فى ملكه غير خاضع للملك الاكبر صاحب
المعلقة ولم يبايعه كغيره من ملوك افريقية الذين بايعوه ولا يسير مثلهم لزيارته
فى كل عام ومع ذلك فان الملك الاكبر عمه وشقيق ابيه وكان اسمه طريب بن سكان
وكان صاحب قسطل مع المسلمين وهو الذى عرفهم بترجمته وقال لهم ان الذى
انتم سائرون اليه ليس فى افريقية افرس منه فقال الامير عقبة لعبد الله نبعث
اليه لعله يصالحنا كما صالح اهل قسطل قال له عبد الله انه يرى نفسه اكبر واعظم
من الملوك ولكن نسير اليه ونستعين بالله عليه (قال) وسار المسلمون يجدون السير
وفى مقدمتهم امراء بنى هاشم وبنى مخزوم بالرايات وسمع عدو الله بقدومهم عليه

فاستدعى

فاستدعى بارباب دولته وخاصته وقال لهم ان العرب قادمون علينا وقد بلغكم ما فعل اهل قسطل فما عندكم من الراى قالوا نحن لسنا مثل اهل قسطل قال اعلم انكم اكثر منهم صلابة واشد باسا وانكم لا ترضون بالذل منذ ظهوركم وعليه تخذوا على انفسكم وبادروا بالخروج اليهم بمائة الف لعلنا نجد فيهم فرصة فاتفق رايهم على ذلك وركبوا وركب معهم ولده وساروا فى مائة الف (قال) فلما قرب المسلمون من البلد خرجت عليهم اعداء الله ورسوله وكان فى مقدمة الجيش رافع ابن الحارث وعبد الله بن جعفر والفضل بن العباس وسليمان بن خالد فلما راوا الخيل مشرفة عليهم قالوا اصبنا ورب الكعبة وقال لهم الفضل خذوا على انفسكم وبادروا اليهم قبل ان يصلوا اليكم فنزل الفرسان ومكنوا سروجهم وركبوا ونادى الفضل ياءال هاشم ياءال مخزوم اليوم ولا بعد اليوم وسار المسلمون الى لقائهم وحملوا عليهم وحمل الاعداء والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد القتال وكثر النزال وارتفع الغبار واظلم النهار وكثر الصياح واختلط الفريقان وشدد بنو هاشم وبنو مخزوم على اعداء الله فى الحملة فلم يكن غير ساعة حتى ولوا الادبار فحصروهم واخذ هولاء ميمنة وهولاء ميسرة وصكوهم صكة واحدة حتى ادخلوهم البلد منهزمين شر هزيمة وقتلوا منهم يومئذ اكثر من خمسة الاف فارس ومات من بنى مخزوم احد عشر فارسا وتسعة من بنى هاشم رحمهم الله تعالى ورجع المسلمون الى معسكرهم (قال) ودخل الاعداء المدينة واغلقوا ابوابها وتحصنوا فيها ولما اقبلوا قال لهم الملك ما وراءكم قالوا ايها الملك جاءتنا ابطال الموت كالاسود وفرسان كالعقبان يوثرون الموت على الحياة وقد قتلوا منا خلقا كثيرا قال لهم لعنكم المسيح وغضب عليكم كيف غلبكم صعاليك العرب ولكن قد علمت ذلك حين لم اخرج اليهم بنفسى فقالوا اخرج صبيحة غد حتى يتبين لك فعل صعاليك العرب ورعاة الابل (قال) وكانت له بنت جميلة الصورة بديعة الجمال وكان خطبها ملك قسطنطينة واصهرها الف مطية بيضاء والف خادم والف حلة والف اوقية من المسك والف اوقية من العنبر ومائة الف دينار ذهبا وكانت اجمل نساء افريقية اذا برزت ظهر نور وجهها كالشمس وكانت تلبس كل يوم حلة رفيعة فجمع الملك ارباب دولته وبطارقته وقال لهم ايكم يقتل الفارس العربى المسمى بعبد الله بن جعفر وانا ازوجه ابنتى قالوا له اتشهد على نفسك بهذا قال نعم فاشهد على نفسه

بذلك وعند صباح الغد امر رجاله بالخروج للقتال فخرجوا فى مائة الف واربعمائة طبل ودعا بابنته وقال لها انى وهبتك لمن يقتل عبد الله بن جعفر من بطارقتى فقالت رضيت بما انت راض يا ابى وسار الملك وابنته ومعها الف بكر من بنات الامراء والاعيان مظهرات زينتهن (قال) ولما قربت اعداء الله ورسوله من المسلمين نادى الملك امسكوا الاعنة واطلبوا البراز فرتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وامر عقبة بن عامر رضى الله عنه الامراء بترتيب جيوشهم فرتبوهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم قال رضى الله عنه يحرض المسلمين يا ءال هاشم يا ءال مخزوم يا ءال حمير يا ءال امية يا ءال غسان يا ءال لخم يا ءال جذام يا ءال طى يا ءال هذيل يا ءال ربيعة ان الصبر قد عزم ان شاء الله تعلى على صحبتكم والجبن والفشل سببان من اسباب الخذلان فن صبر كان حقا على الله نصره على عدوه لان الله معه ومن صبر على حد السيوف فانه اذا قدم على الله تعلى اكرم منزلته وشكر له فعله وسعيه واعلموا ان الله تبارك وتعلى مطلع عليكم وروح رسول الله صلى الله عليه وسلم مشتاقة اليكم والحور العين ينتظرن قدومكم اليهن وقد قال الله سبحانه وتعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال يا ايها الذين ءامنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار الاية وقال ايضا يا ايها الذين ءامنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون وانتم ايها الامراء اثبتوا مواضعكم فاذا ثبت الامير ثبت الجيش واذا انهزم الامير انهزم الجيش رحمكم الله تعلى الجنة تزخرفت لكم وهى تحت ظلال السيوف (قال) وبينما كان عقبة يعرض قومه اذ خرج ابن اخ الملك فقال له الملك اطلب عبد الله بن جعفر للبراز فان قتلته فلك ابنتى ثم دنت منه البنت واخذت بناصيتها وقالت له اذا كنت تحبنى فاشف غليلى بقتله فازداد عدو الله ورسوله نشاطا من قولها ولبس درعين وجعل على راسه بيضة كانها كوكب وتقدم امام الجيش ونادى باعلى صوته اين عبد الله بن جعفر فقال رضى الله عنه لبيك قال له اخرج الى البراز قال نعم وخرج اليه فى الحين وهو ينشد ويقول

انا الفارس المشهود يوم الوقائع * بحد حسام فى الجماجم قاطع
ورمحى على الاعداء ما زال طائلا * اذا اجتمع الاعداء للضد قامع
وعزمى فى الهيجاء ما زال ماضيا * براى سديد للمحاسن جامع

اصول

اصول على الاعداء صولة قـــادر ٭ واشجعهم ضربا ببيض لوامـــــع
امام الوغى من آل ذروة هاشـــم ٭ حماة البرايا كالبدور الطوالـــــع

(قال الراوى) ثم قرب عبد الله من عدو الله ورسوله فقال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال انا خرجت اليك لاقتلك واتزوج بابنة الملك عمى فقال له وعدك بها قال نعم اذا قتلتك قال له لقد اخطات وها انا اشير عليك براى آخر قال وما هو قال له ارجع اليها وأت بها لتعينك على قتلى لانها اذا كانت قريبة منك تستحي منها اذا نظرت اليك ويتقوى قلبك بها قال له صدقت ورجع اليها فاتى بها فلما قرب قال لها اسفرى عن وجهك فاسفرت فقال لعبد الله انظر هل هى حسنة ام لا فنظر اليها عبد الله وقال نعم تبارك الله احسن الخالقين وتعجب من حسنها وجمالها ثم قالت لابن عمها احمل عليه فحمل عدو الله على عبد الله وتقاربا وتباعدا وتقارعا ساعة وكان بيده عمود من حديد زنته سبعون رطلا فضرب به عبد الله ضربة شديدة فراغ لها عبد الله فاتت غير صائبة وألوى عليه عبد الله وضربه على يده اليمنى فقطعها فوقع العمود فى الارض وزاد عليه فقتله واخذ سلبه ثم طلب البراز وبنت الملك لا تزال واقفة فى مكانها تحرض البطارقة على قتل ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فخرج اليه بطريق آخر وقال يا عبد الله فز بنفسك قبل ان افضحك بين اقرانك قال له عبد الله سترى اذا انقشع الغبار على جواد راكب انت او حمار وحمل عليه حملة هاشمية فجدله وما زال عبد الله يطلب البراز وهم يخرجون اليه واحدا بعد واحد حتى قتل منهم مائة وعشرين بطريقا ثم سار وقبض على عنان مطية الجارية وقادها فلما راى النصارى ذلك حملوا عليه باجمعهم فصاح عقبة بن عامر رضى الله عنه فى قومه وقال يا آل المسلمين الحملة بارك الله فيكم فحملوا بعنان واحد وحمل عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالظلام واشتد القتال وكثر النزال وسال العرق واحمر الودق ونادى الفضل بن العباس رضى الله عنه يا آل المسلمين احملوا بارك الله فيكم واياكم ان تولوا الادبار فزادوا فى الحملة ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وجعلوا يضربون فيهم بسيوفهم ويطعنون برماحهم فما

كان غير بعيد حتى هزمهم المسلمون وصدموهم صدمة عظيمة الى ان ادخلوهم البلد واغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار بعد ان تركوا فى ميدان القتال خمسة الاف فارس ورجع المسلمون الى رحالهم وافتقدوا من استشهد منهم فوجدوا اكثر من مائتى فارس رحمهم الله تعلى وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ثم جلسوا يتحدثون فى امر اعداء الله ورسوله ومنعة بلدهم واتفقوا على محاصرتها (قال الراوى) وبينما هم كذلك واذا باويس قد قدم من مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل على عقبة وعانقه فقال له مرحبا برايحة الاحباب وبكى رضى الله عنه شوقا الى روضة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسمع المسلمون بقدومه فاجتمعوا عند فسطاط عقبة ثم ناوله اويس كتاب امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه ففكه وقراه سرا ثم قراه على الناس جهرا ثم ناول اويس عبد الله بن جعفر كتاب على بن ابى طالب رضى الله عنه ففكه وقراه على المسلمين من اوله الى اخره ثم وزع اويس المكاتيب المرسلة معه على اربابها ففرحوا بها فرحا شديدا وحمدوا الله على سلامة اهاهم ثم قال عبد الله بن جعفر لعقبة بن عامر ايها الامير انظر ما يكون من امرنا مع هذا اللعين قال له يفعل الله ما يشاء ويختار ثم تفرق المسلمون وسار عبد الله الى فسطاطه فلما كان وقت العشاء توضأ وصلى صلاة العشاء ودعا ما تيسر ثم لبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقلد سيفه وخرج فقالت له زوجته الى اين قال لها اكتمى امرى وسار فى ظلام الليل حتى قرب من البلد وطاف بها من كل جانب وكان الحراس على الاسوار يزعقون واشتد الظلام وهطل المطر فكمن عبد الله فى موضع قرب الباب الشرقى واخذ يتدبر حيلة لفتحها وكان عند الباب اموات من البطارقة الذين قتلوا بالنهار ولم يستطع اهاهم حملهم حين هربوا الى البلد واغلقوا الابواب فما مكث غير قليل حتى فتح الباب وخرج منه ناس ليدخلوا موتاهم فاختلط بهم عبد الله ودخل بينهم والامطار نازلة عليهم كافواه القرب وسار معهم حتى وصل الى دار كانت مفتوحة ورأى الضوء بداخلها وسمع فيها البكاء والعويل فوقف عند الباب ساعة يتفكر ثم دخل فرأى رجالا ونساء يبكون فتقدم الى امة كانت جالسة وقال لها ما بال هولاء يبكون قالت يبكون لفقد رجال لهم اخذهم العرب اسارى وهم يريدون ان يكتبوا الى عبد الله بن جعفر لان صاحب هذه الدار رجل كبير واولاده كلهم

تاسروا

تاسروا بالامس وهذا البكاء من اجلهم فقال لها عبد الله اجمعيني به قالت ومن انت قال لها ما عليك اجمعيني به ولا تخافي فقامت الامة حتى وصلت الى شيخ طاعن في السن وقالت له رجل يدعوك فقام وسار اليه وسلم عليه وجلس بجانبه فقال له عبد الله ما بال الشيخ يبكي قال له من انت قال من العرب المتنصرة التجأت الى هنا لاتقاء هذا المطر الغزير قال له هل رايت شبانا صغارا اسارى عند العرب قال نعم رايتهم فقال يا عربي اني اتمنى عليك حاجة فان انت اردت قضاءها لي ذكرتها لك قال عبد الله وما هي قال اريد ان ابعثك رسولا الى عبد الله بن جعفر لتخاطبه في افتداء اولادي قال له حبا وكرامة فقام الشيخ ودخل على امراته واعلمها بالخبر فخرجت وسلمت على عبد الله ورحبت به وقالت له انت تعرف عبد الله بن جعفر قال نعم قالت حيث انك وعدت زوجي بقضاء حاجته فسر اليه وقل له يطلق سبيل اولادي واعطيه مالا جزيلا فقال لها وهل تريدين الاجتماع به هاته الليلة قالت نعم واي سرور اعظم من هذا قال لها ابشري انا عبد الله بن جعفر قالت ويحك ما تقول قال حقيقة انا عبد الله بن جعفر فقالت لزوجها ائتنا بالمصباح لننظر وجهه فاتى به ولما ابصره فرح وقال هو وحق المسيح عبد الله بن جعفر ثم قال له يا عبد الله مالك عندنا كرامة ولا مكافاة الا ان اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم واسلمت امراته ففرح عبد الله باسلامهما وقال لهما ابشرا بخلاص اولادكما (قال) ثم سال عبد الله الشيخ وقال له ما رايك في امر البلد ارشدني يرحمك الله الى ما يكون به فتحها فقال اعلم ان الملك قد غضب على حاجبه وعول على معاقبته ولم يجد الحاجب سبيلا للنجاة منه واظن انه يساعدك على مرغوبك لو ظفرت به قال له عبد الله ومن يجمعني به قال انا قال بادر بذلك فسار الشيخ الى ان وصل الى دار الحاجب فقال له غلمان كانوا واقفين بالباب ما حاجتك قال اريد الحاجب فدخلوا عليه واعلموه به فاذن له في الدخول فلما دخل عليه وجد عنده جماعة جالسين وبيد احدهم قرطاس وهو يكتب فقال له الحاجب ما جاء بك الان يا شيخ قال جئتك بحديث سر بيني وبينك فقال الحاجب لمن معه تنحوا عني واخرجوا لصحن الدار حتى ينصرف الشيخ فلما خرجوا قال له اسرع بذكر ما اتيت لاجله لاننا عازمون على عمل قال ان عبد الله بن جعفر بعثني اليك وهو يريد الاجتماع بك ففرح الحاجب وامر اصحابه بالدخول واعلمهم بالخبر

ثم قال له واين هو قال عندى فى دارى قال له سر اليه واسرع بادخاله علينا فخرج الشيخ مسرعا حتى وصل الى عبد الله بن جعفر وقال له ابشر فان الحاجب يدعوك اليه ففرح عبد الله وقام وسار والشيخ امامه الى ان وصل الى دار الحاجب وكان فى انتظاره بالباب ولما رآه مقبلا فرح فرحا شديدا وهرول اليه وعانقه ورحب به واخذ بيده وادخله الدار فتلقاه اصحابه وسلموا عليه وكانت ثيابه وثياب الشيخ قد ابتلت من شدة المطر فاتاهما الحاجب باثواب حسنة والبسهما اياها ومكثوا يتحدثون ريثما حضر الطعام فقدمت لهم اطعمة مختلفة فاكل عبد الله ورفيقه والحاجب وخواصه وحمدوا الله تعلى ثم قال له الحاجب يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم بعده جميع اصحابه ونطقوا بالشهادتين بين يدى عبد الله وكانوا ستة الاف فارس ثم قال الحاجب لعبد الله ارسل لاصحابك يأتون الينا فى الف فارس هاته الليلة قال حبا وكرامة ودعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر وابنى عمى الفضل بن العباس ورافع بن الحارث وكافة المسلمين اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واعلمكم ان الله تبارك وتعلى قد منّ عليّ بدخول المدينة واجتمعت مع الحاجب واسلم على يدى هو وستة الاف فارس من اصحابه وقد طلب منى ان اكتب اليكم لترسلوا لنا الف فارس فليكن منهم الفضل بن العباس ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار وعلقمة بن سفيان وحسان بن زيد وحنظلة وقائم وساعد بن دامس وعاصم وضرار وقادح وباعث وعبد الرحمن بن علقمة وعبد الرحمن بن يزيد ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم يأتون الينا من الباب الشرقى ءاخر الليل والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته وطوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى الحاجب فاخذه منه ودعا باحد غلمانه وناوله اياه وقال له سر به الى جيش المسلمين حتى اذا وصلت اليهم اسال عن فسطاط الامير عقبة وسلمه اليه واذا صادفك فى طريقك الحراس فاعلمهم بانك رسول الى عقبة (قال) فسار الغلام الى ان قرب من جيش المسلمين فتسابق الناس اليه وقالوا له من انت وما حاجتك قال اريد الامير عقبة وانا رسول

اليه

اليه فساروا به الى فسطاط الامير واعلموه به فاذن له فى الدخول فدخل عليه فحياه وناوله الكتاب ففكه وقراه وقال الله اكبر الله اكبر الله اكبر لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لله دره من فتى ما اكثر غوصاته الحمد لله الذى من علينا بهذا الفارس المبارك ثم دعا بالفضل بن العباس ورافع بن الحارث وعمر ابن حمزة وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار ومرة بن عياض وعروة بن الايهم ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وقرا عليهم الكتاب فحمدوا الله سبحانه وتعلى على ذلك وشكروا صنيع عبد الله بن جعفر واثنوا عليه ثناء جميلا ثم امر عقبة بالفرسان فحضروا فقال لهم سيروا على بركة الله ومعجزات رسوله صلى الله عليه وسلم مع الغلام الذى اتى بالكتاب فركبوا وركب بنو هاشم وبنو مخزوم وصناديد كل قبيلة وأمّر عليهم رافع بن الحارث واعطاه راية عمه خالد بن الوليد وساروا الى ان وقفوا بالباب فذهب غلام الحاجب الى سيده واعلمه بذلك فاعلم اصحابه واقاربه الذين اسلموا معه وامرهم بالركوب فركبوا خيلهم وفتحوا الباب الشرقى وادخلوا اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وتلقاهم عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وصاح الجميع باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فى اهل المدينة وسمع الملك صياحهم وضجيجهم فقال ما هاذه الصيحة وخرج للاطلاع على الخبر فاتى اليه غلمانه وقالوا له ايها الملك ان داهية العرب قد دخلت البلد وما فعل هذا الا الحاجب فدخل الملك قصره واختفى فى بعض بيوته ولم يكن غير قليل حتى اقبل الحاجب واصحابه وكسروا ابواب القصر ودخلوه وملكوه وطلبوا الملك فلم يجدوه وبينما هم يفتشون عنه واذا به خرج متنكرا كواحد من ضعفاء البلد فعرفه الحاجب وقبض عليه وقال لعبد هذا الملك فقال له عبد الله اين كنت قال حيث اراد الله سبحانه وتعلى ثم نطق بالشهادتين واسلم ففرح الصحابة باسلامه واصبح الله بخير الصباح فدخل الامير عقبة والمسلمون المدينة وامتلكوها واقاموا فيها ثلاثة ايام الى ان بنى عقبة فيها مسجدا وخلف فيها قاضيا ليعلم الناس شرائع الاسلام والقرءان وجمع الغنائم وقسمها بين المسلمين وفى اليوم الرابع اجتمع المسلمون وتشاوروا فى الجهة التى يسيرون اليها فمنهم من قال الى المعلقة ومنهم من قال الى قسنطينة واقاموا احد عشر يوما مترددين بين هذه وتلك وبينما كانوا كذلك اذ اتى رجل من اهل الزاب فسالوه عن قسنطينة فاخبرهم بان صاحبها

اخذ على نفسه وذكر لهم قوته وما اعد لهم من الاستعدادات فعند ذلك اشار عبد الله بن جعفر بالمسير اليه ووافقه على ذلك المسلمون وباتوا على نية الرحيل

ذكر غزوة قسنطينة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم امر بالرحيل فارتحلوا وساروا يجدون السير الى وقت صلاة العصر فنزلوا بارض يقال لها مسكيانة او مسكيية وباتوا بها تلك الليلة وفى الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم رحلوا وجدوا السير الى غروب الشمس فنزلوا فى موضع يقال له عمامة او عمة فباتوا به ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وامر بالرحيل فرحلوا وكانوا قد تركوا اثقالهم كلها فى تبسة ولم ياتوا الا بالخيل فقط وساروا يجدون السير الى الغروب فنزلوا بارض يقال لها مطاس وباتوا بها وعند الصباح صلوا صلاة الصبح وساروا قاصدين قسنطينة (قال الراوى) وقد بلغ صاحبها ان اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم نزلوا بالقرب منه فعظم عليه الامر وجمع ارباب دولته وشاورهم فى امر ذلك فقالوا له ايها الملك انت تعلم ان ما فى الارض الخضراء احصن من بلدنا ولا اقوى منا رجالا ومالا وليس لنا الا ان نتحصن فى بلدنا ونترك العرب ولا نقاتلهم ابدا فقال لهم ان هذا لهو الراى السديد ثم تفرقوا لاصلاح احوالهم وباتوا حائرين متفكرين فى مصابهم العظيم ولما كان الصباح اشرفت عليهم رايات المسلمين مما يلى صومعة هناك وبعد قليل نزلوا على المدينة من فوقها ومن تحتها وكانت حصينة منيعة جدا (قال الراوى) فنزل بنو هاشم وبنو مخزوم مما يلى القنطرة واحاط العرب بها من كل جانب ومكان وكان فيها خمسة وعشرون الفا من رماة النبال وقد طلعوا على الاسوار ونصبوا اقواسهم ولما وطن العرب انفسهم واخذوا منازلهم زحفوا على المدينة فرماهم اهلها من الاسوار بالسهام فاستتروا بدروقهم واستمروا على ذلك الى وقت الغروب فرجع المسلمون الى فساطيطهم فباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح خرج اعداء الله على الابواب فوجع المسلمون نحوهم وتفرقوا على الابواب فقصد بنو مخزوم اعلى القنطرة وبنو هاشم باب سيطارج فرمى النصارى بسهامهم المسلمين ولا يزالون يرمون الى ان جنحت الشمس للغروب فتفرق المسلمون بعد ان صبروا حتى لم يطيقوا الصبر وفشت فيهم الجراحات ومات منهم

خلق

خلق كثير فاسبغوا الوضوء وقضوا ما عليهم من الصلاة ومن الغد اعادوا الكرة ولا يزالون كذلك مدة من عشرين يوما ولم يجدوا لفتحها من سبيل وقد طالت اقامتهم عليها وضيقوا على اهلها الحصار (قال) ثم اجتمع المسلمون عند الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه وشكوا له ما لحقهم من الضر فقال لهم رافع بن الحارث هذه مدينة حصينة والقتال عليها يطول ونخاف ان الملك الاكبر صاحب المعلقة يخرج الى بلادنا التى فتحناها فيملكها وكان اهل البلاد التى صالحت كتبوا اليه وقالوا له نحن ما صالحنا العرب الا كرها فان خرجوا من بلادنا عدنا كما كنا (قال) واقام المسلمون على قسنطينة شهرا كاملا وفى ذات يوم اجتمعوا عند الامير عقبة فقال عقبة لعبد الله بن جعفر اين تدبيرك وخديعتك وشجاعتك قال ايها الامير انى لم اجد لفتحها من سبيل واهتم عبد الله بامر ذلك واثر فيه كلام الامير عقبة ولا يزال متفكرا الى المساء ولما خيم الظلام صلى عبد الله صلاة العشاء ودعا الله ما تيسر ثم تقلد سيفه وخرج وسار الى ان لحق بالبلد واتى الى الباب الغربى من ناحية الوادى وجلس عنده ساعة وهو متفكر فيما يصنع وما يفعل الله به ويترقب خروج احد منه ومكث على هاته الحالة الى اخر الليل فقام ليرجع الى فسطاطه فسمع حركة بالباب فقال عبد الله بن جعفر يا فتاح يا رزاق افتح علينا ابواب رحمتك يا ارحم الراحمين ويا خير الناصرين واذا بالباب قد انفتح وخرج منه رجل ووقف هنيهة فمشى اليه عبد الله حتى قرب منه فوجده شيخا كبيرا فقال له ما شانك يا شيخ قال انت عبد الله بن جعفر قال له نعم ومن اين عرفتنى قال ما خرجت الا للقائك وذلك انى كنت نائما وسبحان الحى الذى لا ينام واذا برسول الله صلى الله عليه وسلم رفسنى برجله الكريمة وقال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب وارانى الجنة ونعيمها وجهنم وعذابها وقد امنت به وقلت اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لى سر افتح الباب تجد ابن عمى عبد الله بن جعفر امامك وادخله معك البلد فانتبهت فزعا مرعوبا وبقيت متفكرا فى هذا الامر ثم قلت فى نفسى اسير الى الباب لعلى اجد عبد الله بن جعفر امامى وقد وجدتك وانا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ولكن يا عبد الله هب نفسك وادخل معى قال له قد وهبت نفسى لله ورسوله (قال) ففرح عبد الله ودخل مع الشيخ وكان البواب ابن الشيخ فقال له يا ابت

من هذا الذى معك هل هو عبد الله بن جعفر قال له نعم ومن اين لك هذا قال يا ابت الذى رايت انت رايته انا وعرفته قال له يا بنى اكتم هذا السر قال وكيف لا اكتمه وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ففرح عبد الله باسلام الاب والابن وحمد الله تبارك وتعلى على ذلك (قال) فدخل عبد الله مع الشيخ فوجد الناس مضطجعين فسار معه يتخطى رقابهم الى ان ادخله داره وما جلس فيها حتى طلع الفجر فقال عبد الله للشيخ ناولنى ماء اتوضا به قال له الشيخ يا عبد الله ليس من اخلاق الادب ان تستخدمنى وانا اكبر منك سنا واخوك فى الاسلام فقال عبد الله استغفر الله انا ما قصدت استخدامك وانما لتدلنى عليه لانى لا اعرف اين هو فتبسم الشيخ وقال انى امزح معك فلا تواخذنى وقام واتى بالماء وقال له انا اتوضا معك فقال له نعم فتوضا عبد الله واراه كيف يتوضا فتعلم وتوضا واحسن الوضوء ثم علمه الصلاة وصلى عبد الله فصلى معه وبعد ما فرغا من صلاتهما قال الشيخ يا عبد الله اجلس فى مكانك ولا تفارقه ابدا حتى ارجع اليك وانصرف (قال الراوى) ولما اضاء النهار وطلعت الشمس استدعى الامير عقبة برؤساء المسلمين فحضروا كلهم الا عبد الله بن جعفر فقال لهم اين عبد الله بن جعفر فقال الفضل بن العباس ارسل اليه لعله فى فسطاط عبد الله ابن الملك الاكبر فارسل الامير عقبة اليه يساله عنه فقال لم اره وسار ابن الملك الى اخته وسالها عنه فقالت له خرج البارحة فى ظلام الليل يترقب ابواب المدينة ولم يرجع الى الان ولا ادرى ما فعل الله به فذهب ابن الملك الى عقبة واخبره بما قالت اخته فلما سمع ذلك الفضل بن العباس بكى وقال واحزناه آه يا ابن العم ان طرق عبد الله طارق والله لا تقوم لجيش المسلمين قائمة ابدا وعظم امر ذلك على المسلمين وكتموا الامر مخافة ان يكون فى الجيش عيون للنصارى ينقلون اليهم الاخبار وقضوا يومهم فى نكد وحزن عظيم (قال الراوى) ومكث عبد الله فى موضعه اما الشيخ فانه مضى الى بنته وكانت زوجة ابن الملك فدخل عليها فوجد ابن الملك جالسا معها فقامت اليه وقام زوجها ورحب به واجلسه بجانبه وكان بيده الانجيل ودموعه تسيل فقال له الشيخ مالى اراك باكيا فهل رايت شيئا فى الانجيل قال نعم قال له وما هو قال وجدت صفة محمد صلى الله عليه وسلم قال له كيف تصلى عليه وانت لم تومن به قال صليت عليه لحسن صفته وفضله على جميع الانبياء قال

له

له انى سمعت من غيرك انه ما على وجه الارض افضل منه عند الله تعلى ولكن لا ادرى ما منع بنى الاصفر من اتباعه قال حرمان من الله عز وجل ولكن ايها الاب هل لك من راى ان نومن بهذا النبي العربى ونبعث الى عبد الله بن جعفر لياتى الينا ونتحدث معه بما فيه الصلاح لنا ولدينا قال له الشيخ اوعزمت على ذلك قال نعم اول من يبدا انا وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ففرح الشيخ باسلام صهره وقال له ابشر فانى اسلمت من قبلك وعبد الله بن جعفر عندى فى دارى قال اذًا ائتنى به فقال له كيف يكون ذلك قال البسه لبس النساء ويخرج فى زى امراة مع بناتك اذ ياتين لاختهن قال حبا وكرامة (قال) وسار الشيخ الى داره ودخل على عبد الله بن جعفر فاعلمه بخبر ابن الملك ففرح فرحا شديدا ثم جهز الشيخ بناته والبس عبد الله مثلهن وخرجن وهو معهن فلما توسطن فى المدينة واذا بشاب حسن الوجه قال لهن اهلا وسهلا ومرحبا بكن وبالذى معكن فاوهم كلام الشاب عبد الله بن جعفر والبنات وتمادين فى طريقهن الى ان دخلن قصر الملك فلما احس ابن الملك بقدومهن خرج للقاء عبد الله بن جعفر فى صحن الدار فلما رآه تقدم اليه فتعانقا ثم ادخله واجلسه بجانبه واخذ يوانسه بالحديث ثم دخل عليهما الشيخ وجلس معهما وبينما هم كذلك واذا بالباب قد قرع مرارا متعددة فقال من بالباب قيل له انه صاحب البلد الموكل على الخزائن والابواب فقال ابن الملك لعبد الله اخف نفسك حتى ينصرف عنا هذا فاختفى ودخل المكلف بالبلد والابواب وصار ينظر يمينا وشمالا فقال له ابن الملك ما لك تنظر يمينا وشمالا قال افتش عن عبد الله بن جعفر قال له ومن اعلمك به قال كيف لا اعلم وانا منجم ماهر وعالم بالتوراة والانجيل وقد نظرت فى الفلك فوجدت ان عبد الله عندك الان بالقصر واتيت من اجله فاخرجه الى لانظر فى وجهه وانا مومن بالله ورسوله اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله (قال) ففرح ابن الملك والشيخ باسلامه وقالا اخرج يا عبد الله فلما خرج قال له الوكيل ان الله قد منّ علينا بك ففرح به عبد الله بن جعفر وشكره ثم جلسوا يتشاورون فقال ابن الملك انا امضى الى امى واتكلم معها لعل الله يهديها الى الدين القويم ويمنّ علينا باسلامها حتى تعيننا على اسلام ابى ان شاء الله تعلى (قال) فسار اليها وبيده سفر من الانجيل وتحدث معها ومدح لها سيرة

العرب وفتح لها الكتاب واطلعها على صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر لها معجزاته فصبا قلبها الى الاسلام وقالت له ما منعك يا بنى ان لا تتبع هذا النبى الشريف والدين الصحيح انت وابوك قال لها يا اماه حرمنا الله منه قالت يا بنى سر بنا اليه لعل الذى هدانا يهديه قال يا اماه وماذا تصنع انت قالت انا ءامنت بالذى ءامنت به انت قال لها ومن اعلمك بذلك قالت محمد بن عبد الله فى النوم وقال لى عليه الصلاة والسلام ان ولدك قد ءامن بى وهو الساعة يدخل عليك ويعلمك باسلامه فاسلمى انت لتكونى من الفائزين فلما رايتك علمت ان الامر حق ففرح ولدها وقال الحمد لله الذى هدانا لهذا ولكن بقى علينا ان نبتهل الى الله سبحانه وتعلى ونتضرع اليه ان يتمم سرورنا باسلام ابى ثم اسبغ وضوءه وعلم امه كيفية الوضوء والصلاة كما تعلم من عبد الله بن جعفر وصلى ركعتين وفعلت امه مثله وبعد فراغهما رفع اكف الضراعة ودعا ما تيسر وامه تؤمن على دعائه وتوسل الى الله بمحمد صلى الله عليه وسلم (قال الواقدى رحمه الله تعلى) وسار ابن الملك مع امه الى ابيه حتى دخلا عليه فرحب بهما وقال لهما اهلا وسهلا بمن اتبع ملة محمد صلى الله عليه وسلم فقالا له ما تقول قال انى كنت الساعة نائما واذا بشاب حسن الوجه عليه ثياب بيض لم ار اجمل منه وقف علي فقلت له من انت قال انا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب اتيت لاخبرك بان ولدك وامراتك قد اسلما وهما الساعة يدخلان عليك وجئتك لتسلم انت وتكون غدا من امتى واراني امته فى الجنة والكافرين فى نار جهنم ثم مسح بيده الكريمة على راسى فانتبهت وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله وما مكثت غير قليل حتى رايتكما داخلين ففرحت وعلمت ان الامر حق فقالا له نعم نحن قد اسلمنا واتينا لنخبرك باسلامنا فقال لهما الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا ان هدانا الله ولكن يابنى قم بنا لنركب الان ونسير الى الامير عقبة بن عامر وعبد الله بن جعفر لنجتمع بهما ونتحدث معهما فقال له ان عبد الله ابن جعفر عندى فى دارى مع الوكيل الذى اسلم ايضا فقال سر اليهما وادخلهما علي واحذر ان يراكم احد فى طريقكم (قال) فسار ابن الملك الى ان دخل على عبد الله بن جعفر والوكيل وقال لهما ابشرا ان ابى وامى قد اسلما وقد بعثنى ابى اليكما لادعوكما للحضور عنده ففرحا بذلك وسارا معه حتى دخلوا على الملك فلما راى

عبد الله قام الى لقائه وسلم عليه وعظمه واجلسه بجانبه وقال له يا عبد الله ان الله تبارك وتعلى قد من علينا بنعمة الاسلام فلله الحمد والشكر على ذلك ثم قدمت بين ايديهم مائدة من اطيب الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على ما اولاهم من نعمه ثم قال الملك لعبد الله سر الى الامير عقبة بن عامر وعرفه باسلامنا وقل له يركب فى الف فارس ويدخل البلد فخرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وقد امر له الملك بجواد من عتاق الخيل فركب وسار فى وسط البلد والناس ينظرون اليه ويتعجبون من حسنه وجماله وفروسيته ويتساءلون عنه الى ان قرب من المسلمين فلما راوه تسابقوا اليه ونادى منهم مناد ألا ان عبد الله بن جعفر قد اقبل ففرح المسلمون وخرجوا الى لقائه وخرج فى مقدمتهم الامير عقبة بن عامر والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام ابن ضرار وكندة بن ربيعة وصفوان بن علقمة وعروة بن الايهم وابن الملك الاكبر وابن صاحب سبيبة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ولما دنوا منه ترجلوا وترجل عبد الله وسلموا عليه وعانقه الامير عقبة والفضل بن العباس ثم ركبوا وساروا وعبد الله يقص عليهم حديثه وما كان من امره مع الشيخ والملك وامرأته وابنه والوكيل بصوت جهورى يسمعه الحاضرون ففرحوا بذلك فرحا شديدا وهللوا وكبروا وحمدوا الله تبارك وتعلى على اسلامهم ثم استدعى عقبة بالفرسان الذين انتخبهم للسير معه وامرهم بالركوب فركبوا وساروا نحو المدينة فى الف فارس يتقدمهم الامير عقبة والفضل وعبد الله ورافع وسليمان وغيرهم من صناديد ابطال المسلمين ودخلوا المدينة والناس ينظرون اليهم ويتعجبون من امر دخولهم لانهم لم يعلموا به ولم يعلم ملكهم بذلك الا حراس الابواب وكبراء رجاله حيث قال لهم ان العرب قادمون علينا اليوم لنعقد لنا معهم صلحا ونستريح من مشاق الحرب واهوالها ولما اقتربوا من قصر الملك ارتقى الملك الى قبة عالية فى القصر واشرف منها على قومه ونادى باعلى صوته ايها الناس انا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول فلما سمعه اهل المدينة قالوا ونحن ايضا على اثرك مقتدون ونطق جميعهم بالشهادتين (قال) وملك المسلمون المدينة واقاموا بها الى ان بنى فيها عقبة مسجدا وصلوا فيه الجمعة الاولى ولما قضوا صلاتهم وخرجوا اجتمعوا عند الامير عقبة وتشاوروا اين يسيرون فاتفق راى اكثرهم على المسير الى

الزاب فعارضهم بنو هاشم وبنو مخزوم وقالوا ايها الامير لا تفعل فان الزاب بعيدة من بلادنا التى فتحناها ونخشى ان يسير اليها اللعين صاحب المعلقة ويهلك اهلها الذين اسلموا عن واخرهم والاولى ان نسير الى المعلقة ونفتحها وبعد ذلك نرجع الى الزاب وغيرها فقال له الامير عقبة لقد اصبت الراى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان فى صبيحة غد امر الامير عقبة بالرحيل الى المعلقة بعد ان اقر على المدينة ملكها وجعل ظافر بن حسان السامى قاضيا عليها وخلف معه ثلاثمائة فارس من المسلمين ومثلهم من الرجال وبارحوا قسنطينة قاصدين المعلقة

ذكر غزوة المعلقة

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وارتحل المسلمون يجدون السير طول يومهم الى ان غربت الشمس فنزلوا بواد هناك وباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وامر بالرحيل فرحلوا وساروا سيرا عنيفا وهكذا يفعلون فى كل يوم فلم يكن غير ايام قليلة حتى نزلوا على مدينة يقال لها باجة وكان بها بطريق عظيم من مشاهير بطارقة افريقية واعظمهم مكانة عند الملك الاكبر لانه ربيبه وهو اخو ابنه صاحب المهدية لامه فخرج الى لقاء المسلمين على مطية بيضاء فلما دنا منهم خرجوا اليه فقال لهم دلونى على الامير عقبة بن عامر فذهبوا الى عقبة واخبروه به فقال لهم قولوا لعبد الله بن جعفر ياتى فساروا الى عبد الله بن جعفر وقالوا له ان الامير يدعوك فقال سمعا وطاعة وسار اليه ومعه ابن الملك الاكبر ودخلا على عقبة فقال لهما ان صاحب باجة اتى يريد مقابلتى فسيرا الى لقائه وادخلاه عليّ فقال له ابن الملك الاكبر ايها الامير انه اخى لامى فسر بذلك وسارا اليه فلما راى صاحب باجة اخاه تبسم وترجل وعانقه وسلم عليه وعلى عبد الله بن جعفر ثم ساروا حتى دخلوا على الامير عقبة فتلقاهم رضى الله عنه خارج فسطاطه واكرم لقياهم وادخلهم واجلسهم ثم قال صاحب باجة اعلموا ان هذا صاحب المهدية اخى لامى وهو يعلمكم باننا تحت ذمام ابيه الملك الاكبر ولا نفعل امرا الا بمشورته فارحلوا عنا فاذا فتحتم المعلقة دخلنا تحت ذمامكم فقال عقبة لعبد الله بن جعفر تكلم بما عندك فقال له عبد الله نحن لا نرتحل عنكم الا باحد امور ثلاثة اما الاسلام فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا او الجزية او القتال فقال له صاحب باجة وهل يلزمنى شئ آخر غير الشهادة اذا انا اسلمت قال نعم يلزمك

اقامة

اقامة الصلوات الخمس فى اليوم والليلة وايتاء الزكاة وصوم شهر رمضان وحج بيت الله الحرام لمن استطاع اليه سبيلا والجهاد فيمن كفر بالله ورسوله فقال يا عبد الله حقوق الله اكثر من هذا وهى اجتناب الكذب والسرقة والزنى وشهادة الزور وشرب الخمر والغيبة والرثاء قال له عبد الله هذا كمال ديننا فقال يا عبد الله ومن فعل هاته الخصال وتاب هل تقبل توبته قال له نعم قال اذًا انا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله واسلم وحسن اسلامه ثم قال لهم سيروا الى اخذ المعلقة واكتموا هذا الامر لئلا يسمعه احد وانا اكفيكم امر بلدى ففرح باسلامه عقبة واصحابه وقالوا له حبا وكرامة ثم ارتحلوا وساروا يجدون السير اياما متوالية الى ان اقتربوا من المعلقة (قال الراوى) وسمع الملك الاكبر بقدوم العرب اليه فاستدعى ارباب دولته وقال لهم اما رايتم هولاء العرب عراة الاجساد رعاة الابل كيف طمعوا فى بلادنا قالوا سمعنا ايها الملك ونحن لا نترك بلادنا ولا نملكها للعرب ولو متنا عن آخرنا قال لهم جزيتم خيرا وبارك فيكم المسيح خذوا الان على انفسكم وقاتلوا عن دين آبائكم واجدادكم ودين عيسى بن مريم القديم ينصركم المسيح واظهروا شجاعتكم وبسالتكم قالوا له ايها الملك قدم على جيشك من اردت من البطارقة فاستدعى بسماك بن عاصير وكان بطريقا عظيما وامّره على الجيش وقال له سر الى لقاء العرب بجميع الجيش وانزل به على باب البلد وقدم الصليب والانجيل قال له سمعا وطاعة وخرج من عنده فامر بالنفير وضرب الطبول والنواقيس ثم دخل البطارقة على الملك وكانوا عشرة الاف بطريق لا يخرجون من البلد الا اذا خرج الملك فقال لهم اليوم نرى شجاعتكم وبسالتكم قالوا سترى منا ما يسرك ثم امرهم بالاستعداد والخروج للحرب فساروا واخذوا على انفسهم واخرجت الاخبية وضربت على الابواب واجتمع يومئذ حول المدينة اربعمائة الف فارس ومثلهم من الرجال ومائة الف من الرماة وباتوا تلك الليلة فى خيامهم وما اصبح الصباح حتى اشرفت عليهم رايات المسلمين واقبل عبد الله بن جعفر امام عشرين الف فارس من صناديد الابطال المسلمين وهم يصيحون بصوت واحد لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمعهم اهل البلد طلعوا على الاسوار كبيرهم وصغيرهم وكان عبد الله فى ذلك اليوم راكبا على جواد ادهم لجامه من ذهب وركابه من فضة وعليه شليل من حرير ابيض مزركش وكان لابسا ثيابا بيضاء ورداء من اردية

سوسة وبيده راية رسول الله صلى الله عليه وسلم فاشتغل اهل المعلقة بالنظر اليه وتعجبوا من بهائه وجماله وفروسيته (قال الراوى) فلما قرب عبد الله من اخبية النصارى وقف ينتظر ورود الامير عقبة ومن معه فلم يكن غير ساعة حتى اشرف الامير فى بقية الجيش واقبلت البغال والجمال بالاخبية وحطت رحالها بالقرب منهم وعند وصول المسلمين نظروا الى اعداء الله وكثرتهم وعظم مدينتهم وقوتهم فعظم عليهم امر ذلك وقالوا انا لله وانا اليه راجعون وقد كانوا من الحروب وتعبوا من السفر فاخذ عبد الله بن جعفر يهون عليهم الامر وقال للامير عقبة لا تجزع من كثرتهم ايها الامير فنحن الغالبون ان شاء الله ومثل ذلك رافع بن الحارث والفضل بن العباس وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار وعلقمة ابن صفوان وعروة بن الايهم فانهم اظهروا للامير عدم المبالاة بكثرة الاعداء وقالوا نحن لا نزال نقاتل عن دين الله ورسوله حتى لا يبقى منا واحد ونموت عن ءاخرنا وسنغلبهم ان شاء الله وترى تمزيق شملهم وتشتيت جموعهم بفضل الله ورسوله وفضلك ايها الامير فشكرهم عقبة ودعا لهم بالنصر والتأييد ثم تفرقوا الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة فى شدة عظيمة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الفتح فلما قضوا صلاتهم ضرب اللعين طبوله وركبت البطارقة ورتبت الجيوش فنادى الامير عقبة بعبد الله بن جعفر وقال له رتب الجيش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ونادى يا ءال هاشم فقالوا لبيك قال هلموا الى القلب والامير عليكم الفضل بن العباس ثم نادى يا ءال مخزوم فقالوا لبيك قال هلموا الى الميمنة والامير عليكم رافع بن الحارث ثم دعا بشداد بن اوس وامّره على بنى امية وجعلهم فى الميسرة وجعل الجناحين من بقية القبائل الاخرى (قال) وزحف اللعين بجيوشه وتقدمت الرماة وامر بالحملة فحملوا وصاح الامير عقبة فى قومه يا خيل الله الحملة والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد الزحام وعظم المرام وقوى القتال وعظم النزال ودارت رحى الحرب واشتد الطعن والضرب وجرت الدماء واسودت السماء وهمهمت الابطال وجالت الرجال وضربت الاعناق وسالت الاحداق وكان المسلمون لا يظهرون بين اعداء الله ورسوله لكثرتهم ولا يعرف بعضهم بعضا الا بالتهليل والتكبير والنبل ينزل عليهم كالمطر الغزير وبينما هم كذلك واذا بميسرة بنى امية انكشفت وولت الادبار فنادت اسماء بنت

ياسر

ياسر رضى الله عنها باعلى صوتها الا قبح الله رجالا يولون الادبار بين اعداء الله ورسوله يا بنى امية اما تستحيون من العار اما تخافون الله عز وجل وشدد النصارى فى الحملة على الجناح الايمن فولى الادبار بعد ان قاتل قتالا لم يطق معه صبرا وزاد عليه الاعداء بشدة باس وقوة لا مزيد عليهما فعند ذلك صاحت النسوة يا ءال هاشم يا ءال مخزوم يا ءال حمير يافرسان المسلمين وكتائب الموحدين اليوم ولا بعده تذكروا اوائلكم الذين سلفوا ولا خير فيمن لم يشبه اباه فتراجع المسلمون واعادوا الحملة عليهم كالاسود وتقدم فى اولهم عبد الله بن جعفر رضى الله عنه وهو اول من رد الهزيمة وفى اثره مسروق بن زيد وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار واويس وطافور والفضل بن العباس وحمزة بن حمزة ورافع بن الحارث وابن الملك الاكبر وابن ملك سبيبة وابن ملك قسنطينة وعروة بن الايهم ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ونادى عقبة بن عامر رضى الله عنه يا ابطال المسلمين وفرسان الموحدين الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فاجابوا كلهم لبيك ثم لبيك واستيقظت خواطرهم وجعلوا دروقهم على رؤوس خيلهم وشددوا فى الحملة وهم يصيحون فى وجوه الاعداء بكلمة التوحيد واخذ بنو هاشم الميمنة وبنو مخزوم الميسرة وصدموهم صدمة عظيمة الى ان اوصلوهم الى معسكرهم وحجز بينهم الظلام فرجع المسلمون الى خيامهم وافتقدوا بعضهم بعضا فاذا قد استشهد منهم اربعمائة وثلاثون فارسا كلهم من طئ ولخم وجرح منهم خلق كثير ومات من النصارى عدد يسير لشدة ابطالهم ولم يلق العرب فى افريقية جمعا اعظم من جمع العاقة وبات المسلمون تلك الليلة فى غم عظيم من شدة التعب وما راوه من صلابة الاعداء ولم يصل منهم مع عقبة الا القليل واجتمعوا عنده بالليل وتحدثوا معه عن قوة النصارى وقالوا له ان هذا جيش عظيم وقد لحقنا اليوم منه ما رايت فقال عقبة لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون فالتفت اليه عبد الله بن جعفر وقال له ايها الامير اما قرات قوله تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ونحن الان قد توغلنا فى ارضهم ولا ينجينا منهم الا الصبر وضرب الحسام ثم انصرف الجمع الى خيامهم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ولم يحضر الصلاة معه الا القليل فلما طلعت الشمس ركب اللعين فى جيشه وضربت طبوله واخذ يرتب صفوفهم فقام المسلمون وتاهبوا ولبسوا سلاحهم وخرجوا وخرجت

نساؤهم خلفهم يحرضنهم على القتال فرتب الامير عقبة الجيش كما كان بالامس وركب عبد الله بن جعفر وتدرع بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتردى برداء عمه على بن ابى طالب رضى الله عنه واخذ حجفته واستعد مثله بقية الامراء ولبسوا آلة حربهم ولبس رافع بن الحارث درع ابيه وسليمان بن خالد درع ابيه وتقدم جيش المسلمين الى الحرب وعند ذلك خرج الفضل بن العباس رضى الله عنه وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اتقوا الله الذى اليه مصيركم واعلموا انه متكفل بتاييدكم ونصركم واتبعوا سنن الذين فتحوا الامصار من قبلكم واياكم ان تولوا الادبار فمن ولى الادبار كان ماواه النار وغضب عليه الجبار وهذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا فى هاته المواطن واياكم والفشل فتذهب ريحكم واعلموا ان الدنيا تؤول الى الزوال والفناء والاخرة هى دار النعيم والبقاء لان البقاء فى الدنيا قليل ولا بد من الرحيل فتزودوا بالتقوى فانها الزاد الاقوى واياكم والتعرض لهذا السفر بغير اعمال واعملوا ليوم لا بيع فيه ولا خلال واسمعوا ما قال فيكم المقتدر فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فانصروا الله ينصركم واصبروا على قتال اعدائكم وقاتلوا عن حريمكم واولادكم (قال) ومازال الفضل بن العباس رضى الله عنه يحرض اصحابه على القتال حتى حمل عليهم عدو الله ورسوله فعندها حمل المسلمون وامر اللعين بالرماة فرموا سهامهم بكثرة لا مزيد عليها وتلقاها اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بصبر وثبات وتراكم الاعداء عليهم ولا يزالون معهم فى قتال شديد وامر عتيد وضرب وطعان وقتل رجال وجندلة ابطال وفرسان وتزايد تراكمهم على بنى هاشم وبنى مخزوم وبينماهم كذلك واذا بالجناحين الايمن والايسر والميسرة قد ولوا الادبار فعند ذلك صاحت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها تحرضهم على الرجعة فنادى عبد الله بن جعفر بعمر بن حمزة وقال له خذ الراية من يدى حتى افرج عن المسلمين ما نزل بهم ان شاء الله تعلى ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فاخذ الراية من يده فحمل رضى الله عنه كالاسد الغضبان وتراجع المسلمون وحملوا معه حتى ابعدوهم عن مواضعهم فحملت عليهم جيوش اخرى من الاعداء بعنان واحد واطلقت الرماة نبالها فاضرت بالمسلمين ضررا عظيما ولم يستطيعوا معهم صبرا وولوا الادبار ولم يثبت فى مراكزهم سوى بنى هاشم وبنى مخزوم فنادى رافع بن الحارث بعبد الله بن جعفر وقال له ادرك المسلمين فان

النصارى

النصارى قاربوا ان يحوزوا نساءكم وقد تعب بنو هاشم وبنو مخزوم من القتال
فتقهقروا وتزايدت عليهم حملات النصارى حتى اوصلوهم الى الاخبية ولم تكن
القهقرى من خلال بنى هاشم وبنى مخزوم ولكنها الكثرة فعلت ذلك مع القلة
(قال) فلما وصل بنو هاشم وبنو مخزوم الى هذا الحال عرفوا صعوبة المقام
فتراجعوا ولولاهم رضى الله عنهم ما قامت للمسلمين قائمة ولكانوا فنوا عن آخرهم
فتداركوا الامر وكروا على الاعداء وحملوا عليهم بعزم وثبات وصدموهم صدمة
عظيمة الى ان اوصلوهم الى معسكرهم وفرق بينهم الليل فرجعوا عنهم الى فساطيطهم
وافتقدوا بعضهم بعضا فكان المستشهدون منهم يزيدون عن اربعمائة نفس
ومات من النصارى يومئذ خمسة الاف ومائتا فارس وبات المسلمون تلك الليلة فى
الم شديد من شدة الجراح وكثرة المصابين (قال) فلما كان منتصف الليل سمعوا
ضجة عظيمة فى معسكر المشركين فقاموا ينظرون ما الخبر ثم خرج ابن الملك الاكبر
يتجسس الاخبار وهو مريض بالجراح فاخبره بعض العيون ان صاحب ساحل البحر
من ارض المغرب قد انجد ملك المعلقة بعشرة الاف فارس فاعلم بذلك المسلمين
فعظم عليهم الامر واشتد الحال ودعا عقبة بالامراء وشاورهم فقالوا نكتب الى
امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه يمدنا بالف فارس من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم حبا وكرامة وكان عبد الله بن جعفر يومئذ غير
حاضر بالجمع لكثرة جراحاته ثم كتب الامير عقبة يقول بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على خاتم النبيئين محمد بن عبد الله من عقبة بن عامر الى امير
المومنين عثمان بن عفان رضى الله تعلى عنه اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا
هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان الله تعلى قد فتح علينا من بلاد
افريقية المهدية وسوسة وسبيبة وشقب النار والاربص وابة وحيدرة وتبسة
وقسنطينة وباجة وقد نزلنا على المعلقة وهى قاعدة ملكهم فلقينا فيها جيشا عظيما
لا طاقة لنا بهم وقد اصيب عبد الله بن جعفر بجراحات كثيرة وكذلك الفضل بن
العباس وابن الملك الاكبر وفرسان المسلمين قد كثر فيهم التعوير والجراح ونحن الان
فى شدة عظيمة فانجدنا بالف فارس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى
الوقت والحين العجلة العجلة رحمك الله يا امير المومنين لاننا ملتحمون معهم ولم يشتد
بنا الحال الا بسبب انجراح عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس ولم يبق لنا اليوم

من يصادم العدو سوى رافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة وحزام بن ضرار والسلام عليك وعلى ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب رضى الله عنه وكافة المسلمين ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا بعلقمة بن حسان وقال له قد قيل ان عندك نجيبا سريعا قال نعم عندى يا امير المومنين فقال له سر بكتاب المسلمين الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وفرج عنا فرج الله عنك هموم الدنيا والاخرة فقال سمعا وطاعة واخذ الكتاب واستوى على نجيبه وسار يجد السير يوما ونصفا فوصل الى سوسة فدخلها ثم ذهب الى صاحبها الغسانى فسلم عليه واعلمه بامره فزوده واستدعى بصاحب البحر وقال له سر بصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الاسكندرية على سفينتك فقال سمعا وطاعة وسار ومعه علقمة الى المرسى فاركبه السفينة وحمل نجيبه ثم ارخى لها طوالقها فاقلعت وعلقمة يتلو قوله تعلى هو الذى يسيركم فى البر والبحر الاية ثم دعا وقال اللهم انى اتوسل اليك بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجاه المجاهدين الا ما طويت لنا البحر انك على كل شئ قدير فما استتم دعاءه حتى جرت السفينة تشق عباب البحر بسرعة عجيبة كانها البرق الخاطف فالتفت الربان اى رئيس المركب نحو سوسة فلم ير لها من اثر وساروا يومهم وليلتهم وما اصبح الصباح واشرقت الشمس حتى لاح لهم منار الاسكندرية وذلك من محض بركة وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم فانظر معجزاته عليه الصلاة والسلام حيا وميتا (قال الراوى) وكان الربان من اهل الكفر فلما راى هذه الكرامة الباهرة قال انما هذا من مزايا الاسلام ومعجزات خير الانام ونطق بكلمتى الشهادة واسلم وحسن اسلامه ففرح علقمة باسلامه ولما دنوا من المرسى خرج اليهم اهل المدينة وسلموا على علقمة وسالوه عن المسلمين فاخبرهم بجميع ما كان وما وقع ثم زودوه وركب نجيبه وسار نحو يثرب فلم يكن غير ايام قليلة حتى وصل الى مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما رآه الناس رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وسمع بذلك عثمان بن عفان رضى الله عنه فخرج الى لقائه ونادى مناد فى المدينة ألا ان علقمة بن حسان قد قدم من افريقية فخرج الرجال والنساء لتلقى اخبار المجاهدين وخرج على بن ابى طالب رضى الله عنه (قال) فنزل علقمة عند مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخله وكان

الصحابة

الصحابة رضى الله عنهم مجتمعين بالروضة الشريفة فبعد ان زار القبر الشريف وصلى
ركعتين قام اليهم وسلم عليهم وناول امير المومنين عثمان بن عفان الكتاب ففكه
وقراه ثم تلاه على الناس وكان المسجد غاصا داخلا وخارجا بالرجال والنساء والاولاد
فلما سمعوا ما فى الكتاب ضجوا بالبكاء وصاحت ام عبد الله بن جعفر وبكت بكاء
شديدا وبكى على بن ابى طالب وقال واه يا ابن اخى ما اصيب عبد الله بهذه الجراح
الا والامر عظيم ولو كثرت رجاله ما حل به هذا ولكن قضاء الله لا يرده احد (قال)
ولما هدأ الناس من البكاء قال عثمان لعلى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
ارسل الى فرسان المسلمين يجتمعون خارج المدينة واكتب الى مكة لياتى الينا من
ابطالها من نبعث الى افريقية لانجاد المسلمين فقال على بن ابى طالب مهلا عليك
يا امير المومنين فانى اريد ان ابعث اليهم من يقوم مقام الف فارس وهو الزبير بن
العوام وبذلك اوصانى رسول الله صلى الله عليه وسلم لان فتح المعلقة لا يكون الا
على يدى الزبير بن العوام وعبد الله بن جعفر فقال عثمان اذا فامره فانه يسمع
منك ولا يعصى لك امرا (قال الراوى) فاستدعى عليٌّ بعون بن شداد بن عبد الله
ابن دافع من قبيلة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وبظافر بن ظافر بن قاثم من
قبيلة عمر بن الخطاب رضى الله عنها فلما حضرا اخذ على بن ابى طالب رضى الله عنه
حصاة من الارض وقال يا عون سر الى ارض افريقية حيث يخرج من صلبك ذرية
الى ءاخر الزمان تسكن ما بين بلد يقال لها قسنطينة وبلد توجد فى ءاخر الزمان
بساحل البحر تدعى بجاية وتكون ذريتك يا عون ظالمة يولون قوما لا خلاق لهم
يسكنون بيوتا من الحجر والخشب وهم من نسل قاثم بن طارق الفارسى الذى هو
من نسل كلاع او (طالع) بن دينار القبطى من اهل مصر وتكون عقود انكحتهم فاسدة
يطأ الرجل منهم المراة برضاها وبغيره ولا يعلم وليها بذلك ويكون هذا سببا فى
هلاكهم مع الدعاء عليهم ايضا وتقسم ذريتك يا عون الى طائفتين احداهما تسمى
يوسف والاخرى علاوة وتكون الذرية لعلاوة وتفنى منهما طائفة حتى لا يبقى منها
الا خمسة فرسان ثم تنشأ نشأة ضعيفة ولا يزالون كذلك الى ما شاء الله ثم رمى على
ابن ابى طالب رضى الله عنه بالحصاة الى عون وقال له سر واعقد هناك نكاحك
على دافعة بنت رافع الحارثى يخرج من رحمها ما ذكرت لك ثم دعا بالزبير بن العوام
وكان قد اتى فقال لبيك قال له يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمى سر الى

افريقية لانجاد المسلمين ولا تدع فيها من ذرية هاشم احدا اذا رجعت فقال سمعا وطاعة قال له رضى الله عنه بادر بالمسير فقام الزبير وعون وظافر وساروا الى بيوتهم ليودعوا اهلهم ويلبسوا الة حربهم (قال) وبينما كان عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب رضى الله عنهما واقفين امام المسجد يترقبان الزبير واصحابه اذ قدم الزبير على جواد اشقر من عتاق الخيل وعليه درعه وبيده درقته وكانت لابى بكر الصديق رضى الله عنه فقال له على انت لها يا ابن العوام فقال الزبير اتذكر يا ابن عم النبي بدرا وحنينا والاحزاب اذ كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم اذكر ذلك وبكى رضى الله عنه ثم اقبل عون على جواد اصفر وعليه درع وبيده حجفة كانت للصديق رضى الله عنه واتى على اثره ظافر فودع الزبير ومن معه عثمان بن عفان وعلى بن ابى طالب ودفع على الى الزبير سرا كتابا الى عبد الله بن جعفر ودفع اليه كثير من الرجال والنسوة مكاتيب لتبليغها لاربابها بافريقية وشيعوه هو ومن معه ثم ساروا يجدون السير مع علقمة بن حسان وافترق الناس ورجع عثمان وعلى الى الروضة الشريفة وابتهلا بالدعاء الى الله ان يطوى لهم الارض (قال) ولا يزال الزبير واصحابه سائرين وهم ينظرون الى الارض كيف تطوى لهم ويكثرون من الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم الى ان جنحت الشمس للغروب فعند ذلك نزلوا واسبغوا الوضوء وصلوا صلاة المغرب ثم ركبوا وساروا الى ان لاح الفجر فنزلوا واسبغوا الوضوء وصلوا صلاة الصبح ثم ركبوا وساروا فلاح لهم جبل الشام بقدرة العزيز الحكيم وفضل نبيه الكريم وتمادوا فى سيرهم وبعد ايام يسيرة بلغوا طرابلس (قال الراوى) اما ما كان من امر المسلمين مع الملك صاحب المعلقة فانه فى صبيحة اليوم الذى سافر فيه علقمة الى سوسة ضرب اللعين طبوله ثم خرج ورتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم وتاهبوا للقتال الا ان الله تبارك وتعلى اراد بهم خيرا فانزل عليهم من السماء مطرا شديدا استمر هطوله سبعة ايام وطفا الماء على الارض حتى صارت كالبحر وذلك فضل من الله ورحمة بالمسلمين فاستراحوا من التعب والتأمت جروحهم ولم تزل الخضاخض فى الارض مدة خمسة عشر يوما والحرب موقوفة بسبب ذلك فلما كان اليوم السادس عشر خرج اصغر ابناء الملك يريد الاجتماع باخيه صاحب المهدية وكان عارفا بالعلوم خبيرا بالامور وكان ابوه يستشيره فى المهمات ويستعين برايه على حل المشكلات

قال

(قال) فاتى اصغر اولاد الملك فى ثلاثين الف بطريق الى ان قرب من جيش فنادى احد اصحابه اين ابن الملك الاكبر فان اخاه يطلب مقابلته فقال عقبة لابن الملك قم لهذا الذى دعاك فقام ودخل على عبد الله بن جعفر واخبره بخبر اخيه فقالت له اخته زوجة عبد الله بن جعفر لا تخرج حتى يخرج معك عبد الله بن جعفر ويكون بالقرب منك قال لها قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون قالت نعم ولكن قال الله تعلى ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة فقام عبد الله وتقلد سيفه والة حربه وسار مع ابن الملك الى لقاء اخيه فلما قربا منه ترجل الصغير حين راى اخاه الكبير وبكى وترجلت البطارقة معه ولم يكن عند الملك خبر بذلك ولم يكن له ولد سوى هذين الاثنين فقال له ما يبكيك يا اخى قال قلة الرجال اذ ليس لى غيرك ولو مات ابى فى هذه الليلة لبقيت وحدى وربما انتقل الملك لغيرى لانى وحيد ولو كنت انت معى لا اخشى من ذلك شيئا فقال له اخوه يا اخى مملكة اخيك اعظم من مملكة ابيك واذا فتح الله علينا المعلقة فانت تصير تحت ذمامى والمملكة تصير لنا ان شاء الله فقال له وهل يفعل العرب ذلك قال نعم ثم قال له ان ابى بعثنى اليك وامرنى بالاجتماع معك لا تحدث معك وهو يريد لقاءك فقال له يا اخى انى صبوت الى دين الاسلام ودخلت فيه فارجع اليه وقل له ان ولدك يقرئك السلام ويقول لك ان حب محمد قد احتوى على قلبه وانه لا يقدر ان ينظر فى وجه من عرف الحق واعرض عنه فبكى اخوه وقال يا اخى وما فعل الله باختى قال هى بخير فقال انى اريد لقاءها فقال له سر بنا على بركة الله وساروا الى ان وصلوا اليها فلما راته خرجت اليه وهى تبكى وعانقته وعانقها وبكيا وادخلته فسطاطها وجلست معه وفرحت به وبعثت الى البطارقة بامر الرجوع فابوا وكان ابوه لا يطيق فراقه ساعة واحدة (قال) ثم رجع البطارقة واعلموا الملك بخبر ابنه فغضب عليهم غضبا شديدا وقال وحق المسيح لابد ان اخرج غدا اليهم بنفسى واطلب منهم البراز واسقيهم كاس الردى ثم بعث الى البطارقة رؤساء الجيش وقال لهم اخرجوا الى العرب فانى قادم اليكم وشاع خبر ذلك وبلغ المسلمين فدعا الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه بعبد الله بن جعفر وقال له كيف يكون الامر بيننا وبين الملك الاكبر قال له ايها الامير دع الامر لصاحبه فالامر كله لله ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم فان خرج اللعين وطلب البراز ففرسان

البراز عند المسلمين معروفون وان طلب غير ذلك فنسأل الله سبحانه وتعلى ان يعيننا عليه كما اعاننا على غيره انه على كل شئ قدير (قال الراوى) فلما كان فى صبيحة غد صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح فما استتموا صلاتهم حتى ضرب اللعين طبوله فركب المسلمون خيلهم ولم يكن غير هنيهة حتى خرج الملك الاكبر على مطية بيضاء وخرج معه اهل المدينة كلهم وطلعت نساؤهم على الاسوار ورتب اللعين جيوشه وكانت كثيرة لا يحصى لها عدد ثم تقدم الى ان صار قريبا من المسلمين ووقف على مطيته وامر البطارقة بالبراز فخرج بطريق من كبراء رجاله يسمى دالق وهو فارس شديد وبطل صنديد فقال له الملك انجز بفعلك لنشكرك وتتنعم بقربى وتنال رضائى (قال) فسار الى ما بين الصفين وطلب البراز فما استتم كلامه حتى خرج اليه عبد الله بن جعفر فنادى مناد من اعلى السور يا معشر النصارى ان هذا الذى خرج للبراز هو عبد الله بن جعفر ابن عم محمد فلما سمع ذلك الملك الاكبر قال قد عرفته هذا الذى اغتصب ابنتى واخرجها من بلادى بسحره واشتغل النسوة اللاتى على الاسوار بالتفرج على جمال عبد الله والتحدث بفروسيته وزواجه بابنة الملك ثم صاح الملك بالبطريق وقال له احمل عليه وارحنا منه فحمل عدو الله على عبد الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فاخذها فى درقته والوى عليه عبد الله بسرعة وضربه ضربة شديدة على هامة راسه فشقه نصفين فسقط الى الارض صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر وكبر المسلمون واخذ عبد الله سلبه وكانت قيمته نحو الف دينار ذهبا دون جواده ثم طلب عبد الله البراز وجال بين الصفوف وقال

وحق من انزل الايات فى السور * وارسل المصطفى المبعوث من مضر
لا انثنى عن لقا الاعدا ولو جمعت * حماة ابطالهم يوما كما الدبر
حتى ابيدهم ضربا واتركهم * فوق الثرى خمشا مخدوشة الصدر
بكل قرم همام ماجد نجد * الى الوقائع يوم الحرب مبتدر

(قال الراوى) فخرج اليه بطريق واخر فقتله واخذ سلبه ولم يزل البطارقة يخرجون اليه بدون طلب الى ان قتل عشرين من صناديدهم فلله دره من فتى فقد ايد الله به النصر للمسلمين وعند ذلك سار اليه الفضل بن العباس واقسم عليه بالرجوع فرجع فقالت له نساء النصارى يا عبد الله بيض الله وجهك كما بيضت وجه

بنت الملك ولله درك ما اشد باسك ففرحت زوجته بذلك فرحا شديدا وتعجب اخوها الصغير مما شاهده من بسالة عبد الله وفروسيته (قال) وغضب الملك الاكبرلموت بطارقته غضبا شديدا وامر الجيش كله بالحملة وكانت جيوش المسلمين غير مرتبة فنادى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه يا ابطال الموحدين اشغلوا العدو حتى تاخذ الناس اهبتها فتقدم رافع بن الحارث وحزام بن ضرار وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعمر بن حمزة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين فاشغلوا العدو حتى ترتبت الجيوش واخذت كل قبيلة موضعها ثم حمل المسلمون ونادت الميمنة بالميمنة والميسرة بالميسرة والقلب بالقلب والجناح بالجناح والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان ووقع القتال وكثر النزال وكان اشد الناس بلاء على النصارى بنو هاشم فقد ابلوا فيهم بلاء حسنا وبينماهم فى القتال الشديد والحرب العتيد اذ اشرف عليهم الزبير بن العوام واصحابه وطوى الله لهم الارض ببركة سيد الانام عليه افضل الصلاة وازكى السلام (قال) وبفضله ومعجزاته صلى الله عليه وسلم حيا وميتا ادركهم الزبير بن العوام واصحابه فى وقت الشدة وبمجرد اشرافهم على المعلقة راوا غبار الحرب فقال الزبير لاصحابه بادروا اليهم وارخوا الازمة ففعلوا الى ان وصلوا للميدان وجردوا سيوفهم وصاحوا بكلمة التوحيد واشتبكوا معهم فى الحرب وانشد الزبير يقول

انا الزبير ولد العوام * ليث شجاع فارس الاسلام
قرم همام فارس هجام * اقتل كل فارس ضرغام
وانى يوم الوغى صدام * وناصر فى حانها الاسلام

(قال الراوى) وصاح الزبير انا ناصر دين الاسلام والمسلط على من يكفر بالرحمن فلما سمعه النصارى عرفوه لما كان يبلغهم عنه فى فتوح الشام فارتعدت منه فرائصهم وشدد المسلمون عند ذلك عليهم فى الحملة فلم يلبثوا غير ساعة حتى انهزموا وولوا الادبار فتبعهم المسلمون الى اخبيتهم وقتلوا منهم اكثر من عشرين الفا ثم رجع المسلمون الى فساطيطهم ونزل الزبير بن العوام فى فسطاط عبد الله بن جعفر فاتى الناس اليه وسلموا عليه وفرحوا بقدومه فرحا شديدا فسلم المكاتيب لاصحابها ثم خرج الى فسطاط الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه وناوله كتاب امير المومنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه ففكه وقراه على المسلمين وباتوا مسرورين وايقنوا بالنصر

على اعداء الله ورسوله فلما اصبح الله بخير الصباح توضا عقبة لصلاة الصبح ثم اقام الصلاة وامر الزبير ان يصلى بالناس فتقدم وصلى بهم وكانت قراءته رضى الله عنه تشبه قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى الناس عند سماعها ولما قضيت الصلاة امر عقبة بالزحف على الابواب فانقسم الناس على ابواب المدينة فقصد بنو هاشم ومعهم الزبير باب دالق وهو باب الملك وقصد بنو مخزوم باب طارق وهو الباب الشرقى وبنو امية ومن تبعهم باب سيراق (قال) ووقف اعداء الله على الابواب وطلعت الرماة على الاسوار وامطروا السهام على المسلمين واشتد القتال وارتفع الغبار واظلم النهار ودام القتال الى غروب الشمس فرجع المسلمون وباتوا تلك الليلة وفى الصباح تاهب الناس للزحف فتقدم اليهم عبد الله بن جعفر وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعالى اطلبوا الموت وموتوا بالسيوف ولا تموتوا بالنبال فرحم الله عبدا رمى رمحه وسل سيفه فاحملوا بسيوفكم رحمكم الله تعالى (قال) فتصايح بنو هاشم بعضهم بعضا وجعلوا دروقهم على نواصى خيلهم وحملوا ومعهم الزبير بن العوام وانضم اليهم فرسان من حزام وقبيلة بنى عدى وحمير وهللوا وكبروا وحصروا الاعداء بينهم وبين بنى مخزوم وصدموهم صدمة عظيمة الى ان ادخلوهم الباب ومنعوهم من غلقه وقال عبد الله الزبير ادخل المدينة على بركة الله فدخل الزبير وبنو هاشم وبنو عدى فى اربعمائة فارس وحمير فى مائتين فكان جملة من دخلها ستمائة فارس وباقى العرب لم يقدروا على الدخول من الابواب الاخرى ووضعوا السيف فى اهل المدينة الى ان لحقوا بقصر الملك وكان ابن الملك صاحب المهدية معهم فدخل على ابيه وعبد الله بن جعفر معه فلما رآهما قام وجرد سيفه ليقتلهما فعاجله ابنه وضربه بسيفه فازال راسه عن جسده وملكوا المدينة ولم يكن عند عقبة ولا القبائل الذين معه خبر بما فعل عبد الله واصحابه بل انهم لا يزالون يتقاتلون مع النصارى خارج المدينة ولما بلغ النصارى موت الملك دخلوا المدينة واغلقوا الابواب فى وجوه عقبة ومن معه من المسلمين وعبد الله واصحابه لم يزالوا يجاهدون اهلها الى غروب الشمس فعند ذلك نادوا الامان الامان وبعضهم نطق بكلمتى الشهادة فامنهم المسلمون ثم دخلوا قصر الملك للبيت فيه فاتى اليهم السكان واسلم منهم من اراد الاسلام وكان جملة من اسلم فى تلك الليلة سبعون الفا وفرضوا الجزية على من لم يسلم ولم يكن عند المسلمين خبر بجميع ذلك وباتوا متحيرين من

اجل

اجل غياب عبد الله والزبير ومن معهما ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم اتى الى عقبة رسول من عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام فاخبره بما وقع ففرح عقبة والمسلمون فرحا شديدا وهللوا وكبروا وحمدوا الله سبحانه وتعالى على ما انعم به عليهم من النصر المبين ثم قام الامير عقبة رضى الله عنه وقام معه بنو امية وتوجهوا الى المدينة فوجدوا ابوابها مفتوحة فدخلوها واجتمعوا مع عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام (قال الراوى) ولما سمع بنو امية بان بنى هاشم عقدوا الصلح وضربوا الجزية على من لم يسلم قالوا لهم كيف تصالحون انتم وتضربون الجزية دوننا ونحن الامراء عليكم فساء كلامهم هذا بنى هاشم وغضبوا منه واغتاظ الزبير بن العوام فقال لهم نحن فتحنا المدينة ولا لاحد عندنا فيها شئ وكثر الكلام والنزاع بين القبيلتين حتى كاد يفضى بهم الى الاقتتال فقام عند ذلك عبد الله بن جعفر والزبير بن العوام فاتيا الامير عقبة فقالا له أ بامرك ما قال بنو امية قال نعم وقد صدقوا فهم الامراء عليكم فقالا له لا امارة لاحد علينا والمدينة لنا ونحن فتحناها قال لهما نكتب بذلك الى امير المومنين عثمان ابن عفان رضى الله عنه فقال له الزبير لا نكتب لاحد وليس لنا شريك فى المدينة وافترقوا بعد ذلك (قال) ثم اجتمع المسلمون واصلحوا بين عقبة والزبير وبين بنى هاشم وبنى امية واخرج بنو هاشم الاموال من الخزائن ومكثوا ثلاثة ايام فى اخراج الذهب والفضة وقسموها بين المسلمين فصح للفارس عشرون الف دينار وللراجل عشرة الاف دينار دون الثياب وغيرها من الامتعة والاثاث والانعام والخيل واسندوا الامر كله الى ابن الملك الاكبر وجعلوه اميرا على بلاد افريقية كلها وبنوا المساجد فى كل جهة من جهات المدينة ودخلت بنت الملك زوجة عبد الله بن جعفر قصرا بيها مع اخويها واسلم اخوها الصغير وحمدوا الله تبارك وتعلى على نعمة الايمان والاسلام (قال الراوى) ثم تفاوض المسلمون فى قسمة افريقية فاتفق رايهم على ان يكتبوا الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فكتب عقبة بمحضر اصحابه كتابا يساله فيه قسمة افريقية وبيان كيفية قسمتها بعد ان اخبره بفتح المعلقة وطواه وختمه ودعا بيزيد بن يسار الغسانى فدفعه اليه وقال له خذ معك مائة فارس وسر بكتابى هذا الى امير المومنين عثمان بن عفان رضى الله عنه فاخذ الكتاب واخذ معه مائة فارس وودعوا المسلمين وساروا يجدون السير الى سوسة ودخلوا على

صاحبها فتلقاهم بالاجلال والاكرام ورحب بهم وزودهم واستدعى بصاحب البحر وساله هل يوجد بالمرسى مراكب للسفر الى الاسكندرية فاجاب بانه توجد اربعة مراكب على اهبة السفر فودع يزيد واصحابه صاحب سوسة وساروا مع صاحب البحر الى المرسى فركبوا فيها وحملوا خيلهم عليها واقلعت بهم المراكب وطوى الله لهم البحر فوصلوا الى الاسكندرية وركبوا منها قاصدين الحجاز فلم يكن غير ايام يسيرة حتى لحقوا بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخلوها وهم يهللون ويكبرون ثم اناخوا مطاياهم وقصدوا القبر الشريف وصلوا ركعتين وحظوا بلثم تربته صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) فلما سمع اهل المدينة التهليل والتكبير خرج جميعهم الى لقاء يزيد واصحابه واجتمعوا عند باب المسجد وخرج عثمان بن عفان ويده فى يد على بن ابى طالب رضى الله عنهما فدخلا مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج يزيد من التربة الشريفة الى الروضة فسلم عليهما وناول عثمان الكتاب ففكه وقراه على الناس جهرا ففرحوا وهللوا وكبروا وحمدوا الله تبارك وتعلى على ما انعم به عليهم من فتوح ارض الخضراء ثم التفت عثمان الى على بن ابى طالب وقال له يا ابا الحسن انى لا ادرى كيف اقسم افريقية بين العرب فقال له على ناولنى الدواة والقرطاس وانا اقسمها عليهم فناوله عثمان اياهما فكتب بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما من على بن ابى طالب الى الامير عقبة بن عامر والزبير بن العوام والفضل بن العباس وعبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام ابن ضرار وكافة الامراء اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فانى قسمت بلاد افريقية على العرب اما القيروان فهى لبنى مخزوم الى بلاد النخيل وبلاد النخيل لحلفائهم ومن النخيل الى طرابلس فهى لطى ولخم وجذام وستخرج من ذرية بنى مخزوم طائفة تسمى بكعب يكون عنان افريقية بايديهم الى قيام الساعة وستخرج منهم طائفة يقال لها علاق واما حمير فلهم ارض ابة وماجنة الى ارض تبسة وانتم يا بنى اويس ويا بنى دفعة ويا بنى حارثة لكم من ارض تبسة الى الزاب الى طرف قلعة هناك ويخرج منكم يا بنى حارثة طائفة تسمى برياح واخرى تسمى بعياد وجمع شملهم هلال بن عامر واما يزيد بن كندة الغسانى ستخرج منه طائفة تسمى بشريد ورؤساؤها يقال لهم الجوامع

يرثون

يرثون راية العباس لان يزيد بن كندة زوجته بنت الفضل بن العباس وهى ترث راية ابيها بعد موته وتعطيها لزوجها واما قضاعة بن سوار الطائى من عرب اليمن فستخرج من صلبه طائفة تسمى كرفة او (قرفة) وينزل عون بن شداد مع قومه بنى عبد الدارى وهم مما يلى قسنطينة من قبلتها (قال الواقدى رحمه الله تعلى) حدثنى سعيد بن عامر المدنى قال حدثنى موسى بن عون قال فلما فتح الله تبارك وتعلى المعلقة مكث المسلمون اياما وفى ذات يوم قال الزبير بن العوام لعقبة بن عامر رضى الله عنه ايها الامير ان عليا بن ابى طالب رضى الله تعلى عنه امرنى اذا فتحنا المعلقة ان نرجع انا وبنو هاشم الى الحجاز وتعلم ايها الامير ان طاغية القوم قد هلكت ولم يبق اليوم من نخاف شره قال له عقبة يا ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم سيروا على بركة الله والخليفة عليّ الله تبارك وتعلى (قال) ثم قام الزبير وركب جواده وركب عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وعمر بن حمزة والفضل ابن العباس وسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وركب بنو هاشم وبنو مخزوم كلهم بعد ان ودع جميعهم الامير عقبة والمسلمين وساروا نحو القيروان وبقى عقبة رضى الله عنه مع بنى امية وحمير كلهم ما عدا اميرهم حزام بن ضرار فانه رجع مع بنى هاشم (قال الراوى) فوصل الزبير بن العوام ومن معه الى القيروان واقاموا بها شهرا كاملا ينتظرون وصول اثاثهم ومغانمهم التى اخذوها من افريقية

ذكر غزوة قصر لامس

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وكان قصر لامس غرب قسنطينة يبعد عنها مسيرة يوم ونصف ويوم واحد للفارس المجد وكانت هذه البلدة حصينة وهى فى سفح جبل تنحدر عليها منه المياه وتصب فى واد تحتها ويحيط بجوانبها خنادق وكان صاحبها فارسا شديدا وبطلا صنديدا واسمه صادع بن دالج وكان صاحب المعلقة يعظمه ويوقره لرفعة حسبه وعلو منزلته وهو يركب فى ثمانين الف فارس من ابطال قومه وكان يتمنى قدوم اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الى بلاده ليقاتلهم وينتقم منهم ولما بلغه ان عبد الله بن جعفر واصحابه ركبوا يريدون ارض الحجاز ركب عدو الله فى اربعين الف فارس من صناديد عشيرته وسار الى قسنطينة وشن الغارة على اهلها وقتل واسر منهم خلقا كثيرا واخذ جميع اموالهم فاجتمع اهل المدينة وكتبوا الى عقبة يعلمونه بما فعل بهم صاحب قصر لامس وطلبوا منه ان يسرع

لامدادهم بنجدة لانهم لا يستطيعون المقاومة فلما وصل كتابهم الى عقبة بن عامر رضى الله عنه وقراه دعا بعقبة بن طافور وقال له سر بهذا الكتاب والحق بالزبير بن العوام وعبد الله بن جعفر وسلمه لهما فسار عقبة بن طافور وجد السير الى ان وصل القيروان فدخل على الزبير فوجد عنده الفضل بن العباس وعبد الله بن جعفر رضى الله عنهم فقال له عبد الله بشارة خير يا ابن طافور قال نعم يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وناول الكتاب للزبير فلما قراه اصفر لونه فقال له عبد الله يا ابن عمة محمد مالى ارى وجهك متغيرا اطلعنى على الكتاب فناوله اياه فقراه فبكى ثم ناوله للفضل بن العباس فقراه فاغتم لما فيه ثم قال لعبد الله ما الراى عندك الان قال ان لا يرانا الله قاصرين على الجهاد ونصرة المسلمين ثم نهض عبد الله وركب جواده وركب معه رافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار وعبد الله بن عكرمة بن ابى جهل ومعهم مائة واربعون فارسا من بنى هاشم وتخلف الزبير بن العوام والفضل بن العباس مع بقية الناس بالقيروان فقال عبد الله لاصحابه ما رايكم نسير الى عقبة وبعد ذلك نتوجه الى اعداء الله ورسوله اوندع عقبة يلحق بنا ونسير من هنا الى الاعداء فقال له رافع لا حاجة لنا عند الامير عقبة بل نسير لانجاد المسلمين والانتقام من اعداء الله ورسوله فقال حبا وكرامة ثم قال رضى الله عنه لسليمان بن خالد يا ابن الوليد سر بنا الى لامس ولا حاجة لنا بقسنطينة فقال سمعا وطاعة وساروا نحو القبلة ولم يزالوا سائرين حتى بلغوا تبسة وباتوا فيها وفى ءاخر الليل ركبوا وجدوا السير الى ان وصلوا الى عمارة فى طريقهم فاستخبروا منهم عن اهل قسنطينة فاخبروهم بان صاحب قصر لامس شن الغارة عليهم ونهب اموالهم وقتل واسر كثيرا منهم (قال الراوى) وبلغ الامير عقبة ان عبد الله بن جعفر واصحابه ساروا الى لامس فامر الامراء بالرحيل فارتحلوا من المعلقة فى ثمانين الف فارس من اخلاط العرب ومن الذين اسلموا بافريقية وقصدوا قصر لامس وقد سمع صاحبه بان العرب قادمون عليه فخرج بسبعين الف فارس للتعرض لعبد الله بن جعفر وقال لقومه دونكم والعرب فانهم شرذمة قليلة فقالوا له ايها الامير هولاء طاغية القوم ابن عم محمد ومعه خيله التى فتح بها افريقية كلها فعند ذلك عدل عن الحملة عليهم وكتب كتابا الى صاحب قصر سالغ يخبره بقدوم العرب اليه فلما بلغه الكتاب استدعى

بارباب دولته فلما حضروا قال لهم ان اصحاب محمد بن عبد الله قدموا الينا وهم
يزعمون ان الناس كلهم تحت ذمامهم فما عندكم من الراى قالوا ايها الامير منك
الامر ومنا الاجابة ونحن لك تبع قال لهم اذًا تخذوا على انفسكم وتاهبوا للخروج
اليهم فتفرقوا لاصلاح شانهم (قال) اما عبد الله بن جعفر فانه وصل الى جبل عمامة
واقام فيه خمسة ايام ينتظر وصول عقبة لانه سمع بخروجه فى ثمانين الفا الى لامس
(فى نسخة سالس) وبينما كان عبد الله يشاورا صحابه هل يرحلون الى لامس او يقيمون
حتى يلحق بهم عقبة اذ برجال مجردين حفاة عراة قدموا عليهم فقال عبد الله ائتونى
بهم فاتوا بهم واوقفوهم بين يديه فقال لهم ما خبركم قالوا انا نحن قوم تحت ذمامكم
وقد خرجنا من بلدنا تبسة فى عير كثيرة قافلين الى قسنطينة فلما قربنا منها خرج
الينا صاحب لامس فى عشرة الاف فاخذوا عيرنا وجميع ما معنا وجردونا من
ثيابنا وقالوا لنا فعلنا بكم هذا لانكم تحت ذمام العرب فقال لهم عبد الله فى
اى موضع اغاروا عليكم قالوا فى جبل رغيس وتركناهم عليه الان فلما سمعنا
بخبركم اتينا مستغيثين بكم قال لهم رافع وهل تعرفون الطريق السائرة اليهم
لعلنا تظفر بهم قبل وصولهم للبلد قالوا نعم ولكنكم فى نفر يسير وهم فى جمع عظيم
فتبسم رافع وقال لعبد الله يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اوعزمت
على المسير قال نعم فامر اصحابه ان يلزموا مواضعهم حتى يقدم عليهم الامير عقبة
ابن عامر ثم ركب فى ثلاثين فارسا منهم رافع بن الحارث وسليمان بن خالد
ومسروق بن زيد ومن كان مثلهم ممن اشتهروا بالصبر على البلاء رضى الله عنهم
اجمعين واخذوا معهم رجلا من المجردين واعطوه جوادا فركب وسار امامهم
ليدلهم على الطريق ووصلوا الى المكان فلم يجدوا لهم من اثر فوقفوا ساعة يتفكرون
ولما هموا بالرجوع لاحت لهم غبرة ثم انكشفت عن خيل كانها شعلة نار فلما
عاينها المسلمون قال عبد الله للرجل انظر هل تعرف فيهم احدا فنظر قليلا ثم
قال نعم ارايت يا عبد الله الفارس الذى عليه ثياب حمراء قال له نعم قال هو
ملكهم فقال رافع لاصحابه رحمكم الله خذوا على انفسكم ومكنوا سروجكم على
ظهور جيادكم وقال لعبد الله نقعد ههنا حتى يلحقوا بنا فقال اما انا والله لا اطيق
صبرا ثم سار وتبعه اصحابه وحملوا عليهم حملة واحدة فلما عاينهم صاحب لامس
قال لقومه هذه الخيل كلها عربية ولا ادرى من عليها فقالوا له كلهم عرب فلما

اضربوا منه قال لا شك فى انهم عرب فناداه عبد الله بن جعفر يا عدو الله اظننت
انك ناج باثاث من تحت ذمامنا انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ونادى
رافع كذلك وصاح المسلمون لا اله الا الله محمد رسول الله وحملت النصارى واقتتلوا
قتالا شديدا واخذ بنو هاشم الميمنة وبنو مخزوم الميسرة ودام القتال بينهم يوما
وليلة وفتكوا بهم فتكا ذريعا وقتلوا منهم ثلاثة الاف وخمسين فارسا واسروا الفا
وعشرين رجلا واسترجعوا منهم جميع ما سلبوه لاهل ذمتهم وقتلوا ابن ملكهم ثم
رجعوا الى عمامة واقاموا فيها ينتظرون الامير عقبة وبينماهم كذلك اذ قدم عليهم
عقبة ورجاله فركب عبد الله واصحابه الى لقائه فتلاقيا وتعانقا وسلم الناس
بعضهم على بعض واعلم عبد الله الامير عقبة بخبر صاحب لامس وما فعل به فشكره
عقبة واثنى عليه ثم ساروا ونزلوا بعمامة واقاموا بها ثلاثة ايام فلما كان فى اليوم
الرابع اجتمع المسلمون عند الامير عقبة وتشاوروا اين يسيرون فقال غسان ولخم
وجذام نسير الى قصر لامس لانها مدينة شامخة وفيها ابطال شداد وهم اول
من بدانا بسلب اهل ذمتنا فقال عبد الله بن جعفر نبعث اليهم سرية بعشرين
الف فارس والامير عليها حزام بن ضرار بن الازور الاسدى فقال عقبة هذا هو الرای
ودعا بحزام بن ضرار وقال له انى انتدبتك لهذا الامر وعقد له راية ابيه وناوله
اياها وعقد راية اخرى ودفعها لرافع بن الحارث وركب من حمير ثلاثمائة فارس
والباقى من اخلاط العرب فلما عزموا على المسير دخل ابن الملك الاكبر على عقبة وكان
قد اتى مع عقبة واستخلف اخاه الصغير الذى اسلم على المعلقة وقال له لو امرت
لهذه السرية بالرجوع لان صاحب لامس بازائه ابن عمه صاحب سطيف والاولى
ان تدركوه كلكم فقال له عقبة نعم وبعث الى حزام يامره بالوقوف ثم امر الناس
بالرحيل فرحلوا وجدوا السير يوما وليلة حتى نزلوا بجبل يقال له مسطاس وهو قريب
من قسنطينة فباتوا تلك الليلة فلما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بالمسلمين
صلاة الصبح ثم امر بالرحيل فرحلوا وجدوا السير الى ان غربت الشمس فنزلوا
وصلوا صلاة المغرب والعشاء ثم قال لهم عبد الله بن جعفر اركبوا ونسير لنصبح
على اعداء الله ورسوله فقال لهم رافع بن الحارث هذا ليس براى ولكن نقيم الى
الصباح ونشن الغارة عليهم فوافقه عبد الله على ذلك وباتوا ولما صلوا صلاة الصبح
ركب المسلمون وساروا الى ان اشرفوا على مدينة قصر لامس وشنوا الغارة واخذوا

جميع

جميع ما وجدوه فى طريقهم فسار الناس الى ملكهم واخبروه بذلك فغضب غضبا شديدا وجمع رجاله وارباب دولته وقال لهم خذوا على انفسكم وامرهم بالخروج للمسلمين وكان عبد الله بن جعفر حين اغار على الانعام بعثها مع عشرين فارسا واتى مع اصحابه الى فتح لامس (قال الراوى) فلم يكن غير ساعة الا واللعين قد خرج فى خمسة وثلاثين الف فارس من ابطال عشيرته ولحقوا بالمسلمين فلما قربوا منهم ناداهم اللعين يا خيل الاباعر لبستم بياض ثياب افريقية وطغيتم فقال له عبد الله تقدم يا ملعون لنريك طغياننا فحمل على عبد الله وضربه ضربة فاخذها فى درقته ثم الوى عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية على صدره فخرج السيف من ظهره فخر فى الارض ميتا وعند ما راى النصارى ذلك حملوا كلهم بعنان واحد وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار وبينما هم فى الحرب الشديد والقتال العتيد اذ اردفهم النصارى بعشرة الاف فارس اخرين وعبد الله بيده الراية وهو يصيح لا اله الا الله محمد رسول الله ويحرض المسلمين على القتال وقد صبروا رضى الله عنهم صبر الكرام وكان اصحاب عبد الله الذين مضوا مع الغنائم يتفكرون فى امر عبد الله وقالوا لبعضهم بعضا بئس ما فعلنا كيف تقدمنا وتركنا اصحابنا فى الحرب والقتال (قال الراوى) فتركوا الظعن كله ورجعوا لاصحابهم فوجدوهم قد يئسوا من الحياة وهم فى قتال شديد وجموع النصارى متراكمة عليهم فرفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وحملوا عليهم وهم يقولون لا اله الا الله محمد رسول الله فلما سمع عبد الله اصواتهم اجابهم وزاد فى الحملة فلم يلبث النصارى ان انهزموا ورجعوا على اعقابهم خاسرين فتبعهم المسلمون من خلفهم وكل من لحقوا به قطعوه بسيوفهم حتى ادخلوهم البلد ثم رجع عبد الله واصحابه وبعد هنيهة اقبل الامير عقبة بالجيش فنزل بالقرب من البلد باسفل واد تحتها وامرت غسان عبيدها بهدم الساقية التى يشرب منها اهل البلد فهدموها (قال) وبينما كانوا يرتبون الحصار اذ راوا غبرة مما يلى قسطنطينة ثم انجلت عن عشرة الاف فارس فحقق المسلمون النظر اليهم فاذا فى مقدمتهم عبد الوهاب صاحب سبيبة الذى اسلم وتزوج بنت صاحب حيدرة قد اتى لنصرة المسلمين فلله دره من صبي ما اشد باسه ثم قال عبد الله بن جعفر لبعض اصحابه الذين كانوا بالظعن ارجعوا وائتوا بالظعن والاموال فرجعوا للاتيان به فوجدوه على حالته كاملا ولم يضع منه شئ واتوا به

الى المسلمين (قال) اما صاحب لامس فانه بعث الى ابن عمه صاحب سطيف يستنجده واخبره بقدوم العرب وكان شابا اديبا شجاعا قوى الساعد وكان صاحب المعلقة يحبه ويعظمه ويفضله على نفسه فلما بلغه الكتاب وقراه غضب غضبا شديدا وقال لئن مكننى الله منهم لامثلن بهم ثم امر باعداد مائة الف فارس والرماة والطبول وقال لهم فى صبيحة غد اخرج بكم الى نصرة صاحب لامس فلما كان صباح الغد خرج اللعين فى مائة الف من الفرسان وخمسمائة رام والف طبل وسار نحو لامس (قال الراوى) وبات المسلمون بمواضعهم ولما اصبح الصباح رحلوا من اسفل الوادى الى موضع قريب من البلدة فنزل الملك من قلعته وامر الرماة بالرمى حين قرب من المسلمين فتساقطت عليهم النبال كانها المطر ثم اصطف المسلمون وناول عبد الله بن جعفر الراية لمسروق بن زيد وخرج لطلب البراز فقال له عقبة جزاك الله خيرا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما وقف بين الصفوف نادى باعلى صوته معاشر البطارقة ايكم يهب نفسه لابن عم محمد صلى الله عليه وسلم فما استتم كلامه حتى خرج اليه بطريق من عظمائهم وهو ابن اخ الملك وكان اسمه صارخ وحمل عليه من غيران يكلمه وضربه ضربة شديدة فاخذها عبد الله فى درقته ثم حمل عليه وقال باسم الله وعلى بركة رسول الله وضربه ضربة هاشمية فاصابت راسه فقسمته فانقلب عن جواده وخر فى الارض ميتا واخذ عبد الله سلبه وطلب البراز ثانية فخرج اليه ابن الملك صاحب لامس وعليه لامة حسنة وركاب من ذهب ومهماز من ذهب وتحته جواد ابيض من عتاق الخيل ونادته اخته يا اخى خذ هذا الذى خرب ارض افريقية كلها وتزوج بنت الملك الاكبر غصبا عن ابيها فقال لها عبد الله ان لم يكن عندك احد فانت لاحقة بها قالت الموت اهون عليّ من ذلك فتبسم عبد الله من كلامها وتطاولت الاعناق لرؤية المتبارزين وصاح عليه ابوه وقال له دونك واياه فحمل عدو الله على عبد الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فتلقاها بسيفه فانقطع سيف اللعين فامسك عنه عبد الله وقال له ارجع حتى تاتى بسيف اخر لئلا ينسب العرب الى عدم الانصاف فلما سمع النصارى منه ذلك شكروه واثنوا عليه ثم رجع ابن الملك لياخذ سيفا فلقيه احد الوزراء بسيف من سيوف ابيه فاخذه منه واعاد الحملة على عبد الله وضربه فلم يصبه وضربه عبد الله فالقاه فى الارض ميتا واخذ سلبه (قال) فلما راى الملك ابنه قتيلا فى الارض حمل بنفسه

على

على عبد الله وحملت جيوشه معه واذ عاين ذلك الامير عقبة صاح فى المسلمين الحملة الحملة بارك الله فيكم فحملوا كلهم بعنان واحد وجردوا سيوفهم رضى الله عنهم وزادوا فى حملتهم وحصرهم بنو هاشم لبنى مخزوم واحاط بهم المسلمون من كل جانب فلم يستطع الاعداء معهم صبرا وولوا الادبار فتقدم عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار وعلقمة بن صفوان ويزيد بن قاسم وابن الملك الاكبر وابن ملك سبيبة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وحالوا بينهم وبين البلد ووضعوا السيف فيهم فلما راى الملك ما حل بجيشه فر الى البلد فى كوكبة من الخيل وتحصن فيها وعلت الرماة على الاسوار وزحفت عبيد المسلمين يقاتلونهم من تحت الاسوار الى العصر ومات يومئذ من العبيد خلق كثير واكثرهم عبيد غسان ولخم ورجع الناس الى مواضعهم وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح غضب اللعين غضبا شديدا على المسلمين لانهم قطعوا عنهم الماء فخرج اليهم على حين غفلة وكانت خيلهم عارية وبعضها موثق فى القيود وكان عبد الله ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وحزام بن ضرار وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة قد اتى اليهم رجل من اهل ذمتهم وقال لهم ان بازائكم قصرا كثير الانعام فى واد كثير النبات فامر عبد الله اصحابه ان يشنوا الغارة عليه فساروا اليه فى عشرين فارسا ولم يكن عند عقبة خبر حتى هجم عدو الله على المسلمين ووضع فيهم السيف فنادى عقبة باعلى صوته ياويلتاه اصبنا ورب الكعبة فسمع عبد الله صوته فقال لمسروق هجم عدو الله على المسلمين (قال) فرجعوا وقال عبد الله لرافع عشرة منا يدخلون المدينة وعشرة ينجدون عقبة فقال سليمان لعبد الله ادخل انت ورافع ومسروق وعبد الله وحنظلة وسعد ابن عبد الرحمن وصفوان بن سالم وعتبة بن ارقم وسعد بن دامس وكثير بن امية وحاتم بن زيد ودخلوا المدينة تحت الغبار من باب غير الذى خرج منه الملك وسار العشرة فرسان لانجاد عقبة ولما توسط عبد الله ومن معه البلد صاحوا لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فيها فلما راى اهل البلد ما حل بهم طلبوا الامان فرفعوا السيف عنهم واغلقوا الابواب والملك من ورائها ثم قال عبد الله بن جعفر لرافع بن الحارث اقم انت فى البلد واخرج انا لنصرة المسلمين (قال الراوى) ولما سمع الملك التهليل والتكبير من ورائه بالمدينة رجع اليها لينظر ما الخبر فاتفق

انه صادف عبد الله بن جعفر خارجا منها فقال له يا عدو الله اظننت انك ناج مما يصيبك منى انا عبد الله بن جعفر ثم حمل عليه حملة شديدة وضربه ضربة هاشمية فازال راسه عن جسده ووضع المسلمون السيف فى رجاله ولا يزالون معهم فى قتال شديد الى ان ولوا الادبار وتشتتوا فى الشعوب والاودية ومات منهم يومئذ ثلاثة الاف فارس وفرق الله شمل الباقين فمنهم من مضى الى سطيف ومنهم من لجأ الى قصر سالغ وامتلك المسلمون البلدة ووجدوا فيها اموالا كثيرة واقاموا بها الى ان قسموا الغنائم وصح للفارس خمسة الاف دينار والرجل الفان وخمسمائة دينار وبنى عقبة رضى الله عنه فيها مسجدا وجعل عليها اميرا وقاضيا ليعلم الذين اسلموا القرءان وفرائض الاسلام وبات المسلمون ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم استشارهم لاى جهة يسيرون فاتفق رايهم على ان يسيروا الى قصر سالغ فقال عبد الله بن جعفر ايها الامير نحن نسير الى سالغ وطائفة منا تمضى الى وال (فى نسخة زال بالزاى بدل الواو وفى اخرى زان بالزاى والنون بدل الواو واللام) وليكن اميرها حزام بن ضرار فقال له عقبة حبا وكرامة وعقد لحزام راية وضم اليه عشرة الاف فارس وسار نحو وال وسار عقبة ومعه عبد الله بن جعفر ببقية الجيش الى سالغ .

ذكر غزوة قصر سالغ

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون يريدون سالغ فلما اقتربوا منها وجدوا طائفة من فرسانها خارج البلد فلما رآهم عبد الله انسل فى ثلاثين فارسا وقصدهم فلم يشعروا الا وعبد الله قد هاجهم وقال لهم انا كم عبد الله بن جعفر ابن عم محمد صلى الله عليه وسلم وضرب منهم فارسا فقتله وزاد عليهم فى الحملة ووضع السيف فيهم وكانوا ثلاثمائة فارس فقتل منهم عبد الله واصحابه اربعين فارسا وهرب الباقون الى البلد ودخلوا على ملكهم وقالوا له ايها الملك جاءتك ابطال الموت وهم كالاسود يرون الموت غنيمة وقد قتلوا منا اربعين ولو اننا بقينا ولم نهرب ما رايت الان منا احدا فخف على نفسك فالعاقل من دبر الامر قبل وقوعه وصالح على نفسه قبل الندامة (قال) فلما سمع منهم ذلك غضب عليهم وامر بهم الى السجن ثم استدعى بارباب دولته وشاورهم فى الخروج لقتال العرب فقالوا كلهم نخرج اليهم ونقاتلهم عن انفسنا واموالنا ولا ندعهم يصلون الينا لئلا يفسدوا زرعنا (قال)

وخرج

وخرج ملكهم فى سبعة عشر الف فارس فلم يكن غير قليل حتى اشرفت عليهم رايات المسلمين وعبد الله بن جعفر فى اولها فلما راوا ذلك رتبوا صفوفهم وسار المسلمون قليلا حتى اقتربوا منهم ونزلوا على عين هناك وفى اثناء نزولهم ناوش عبيد غسان الحرب مع عبيد النصارى فقتل منهم عبيد النصارى ثلاثة فلما راى عبيد بنى هاشم وعبيد بنى مخزوم اخوانهم صرعى غضبوا غضبا شديدا واخذوا الجحافة فى ايديهم وتقدموا اليهم وحملوا عليهم حملة منكرة الى ان ادخلوهم البلد وقتلوا منهم خمسة واربعين واسروا ثلاثين ثم اجتمع عبيد بنى هاشم وبنى مخزوم وتحدثوا فيما بينهم وتشاوروا فى اطلاق الاسارى وقالوا اذا نحن اطلقناهم نمتاز عنهم ويكون لنا فضل عليهم كما لسادا تنا فاتفق رايهم على ذلك واطلقوهم ووزعوا على كل واحد منهم كسوة حمراء وعمامة بيضاء ودبوسا من حديد ولم يكن عند مواليهم خبر بما فعلوا (قال الراوى) فبعد ان لبسوا الكساوى والعمائم اخذوا الدبابيس فى ايديهم وانصرفوا وهم يغنون فسمع عبد الله بن جعفر ضجيجهم فقال ما لهؤلاء العبيد يصرخون قال له رافع بن الحارث ان عبيدنا قد اطلقوا سبيل اساراهم فضحك عبد الله وسار حتى وصل اليهم ومعه رافع فقال لهم ما هذا الفعل الذى فعلتم قالوا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اردنا ان تكون لنا مزية كسادا تنا فقال لهم لا يحل لكم ذلك الا باذننا قالوا لو علمنا ذلك ما فعلناه قال لهم لا باس عليكم قد فعلتم فعلا جميلا (قال) وسار عبيد سالغ الى خيامهم ثم رجعوا ومعهم ثلاثون مطية يحملن السمن والعسل والحلوى والثياب والاسلحة وسلموها الى عبيد المسلمين وكان اميرهم اذ ذاك دهليس بن دامس الذى فتح ابوه قلعة حلب الشام فقسم حمول الهدايا بينهم وكان عقبة وعبد الله والمسلمون يضحكون منهم وقال عبد الله لدهليس اعطنا مما اتاكم الله فقال ايها الامير نحن بالامس كنا نقاتل وانتم جلوس لا لكم علينا ولا لنا عليكم ثم رجعت عبيد سالغ الى بلدهم وبات المسلمون تلك الليلة ولما انتصف الليل قام عبد الله وتقلد سيفه وخرج فى الظلام فقالت له زوجته الى اين سائر قال لاطلب من الله قضاء حاجة عرضت لى وسار الى ان قرب من البلد وكانت الخيام ضاربة خارجها وفيها الملك ومعه عشرة الاف من الخيل فوقف عبد الله ساعة يتفكر فى امر الدخول وبينما هو كذلك اذ اتى ناس يريدون الدخول وطرقوا الباب ففتح لهم ودخلوا ودخل عبد الله فى زمرتهم وسار يمشى فى الازقة

الى ان اتى مكانا وجلس فيه واذا بشيخ كبير قد اتى اليه وسلم عليه وقال له ما تصنع هنا يا ابن جعفر فقال له ومن اعلمك بانى ابن جعفر قال نظرت فى الفلك وضربت باصبعى خطا فى التراب فحصل لى هذا العلم وظهر لى انك ههنا فقم الان وسر معى فقام وسار معه وهو يتعجب من امره فتعرضت له امراة ووقفت امامه وقالت له حياك الله يا ابن جعفر فقال لها ويحك ما تقولى ومن عرّفك بانى ابن جعفر قالت اعلمنى الذى اعلم بك زوجى ثم قالت له سر معى الى منزلى وعلى يدى تفتح البلد فسار عبد الله ويده فى يد الشيخ حتى دخل منزل المراة فخرجت اليه امراة اخرى وسلمت عليه وقبلت يديه وقالت له قم وادخل القصر ولا حرج عليك حتى اجمع بينك وبين ولدى وانا زوجة الملك وكان الولد قد كلفه ابوه تلك الليلة بحراسة القصر لانه بات مع البطارقة خارج البلد فقال لها عبد الله لماذا نسير اليه وما الشان معه قالت لعل الله سبحانه وتعلى يهدى قلبه للاسلام (قال) فقام عبد الله وسارت وسار معها الى القصر فقالت له اجلس حتى ارجع اليك فجلس عبد الله والشيخ والمراة الاولى وسارت امراة الملك حتى دخلت على ابنها فوجدته جالسا فلما رآها قام اليها وقال لها يا اماه قد علمت الذى اردت وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله ففرحت امه بذلك ثم اتت الى عبد الله وادخلته عليه فقام اليه وسلم عليه وجدد اسلامه على يديه ثم قال له عبد الله ماذا نصنع مع الملك قال الان نكتب اليه لياتى الينا ونحضره انا ووالدتى فان ابى وامتنع فانا اول ضارب يضرب عنقه قال له عبد الله افعل ما بدا لك (قال الراوى) فكتب ابن الملك الى ابيه يستحضره وقال ائتى فى الحين وحدك ولا يصاحبك احد ودفع الكتاب لغلام من غلمانه فسار به الى الملك فلما قراه ركب فى حينه ولحق بقصره فتلقاه ابنه وامراته ودخلا معه الى محل جلوسه ولما استقروا فى مواضعهم دخل عليهم عبد الله بن جعفر فلما رءاه الملك قال لولده دونك وهذا الداخل علينا فتبسم وقام اليه واخذ بيده واجلسه بجانب الملك فقال لولده لعلك صبوت الى دين العرب قال له نعم قال وامك كذلك قال نعم قال وانا ايضا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح عبد الله باسلامه وقضى بقية الليلة بالقصر ولم يكن عند المسلمين خبر بما فعل عبد الله ولما اصبح الصباح بعثت زوجة عبد الله لاخيها ابن الملك الاكبر تساله عن زوجها وقالت له انه خرج عنى البارحة عند منتصف

الليل

الليل ولم يرجع الى الان ولا ادرى ما فعل الله به فسار الى عقبة وساله عنه فقال لا ادرى وشاع خبر غياب عبد الله عند المسلمين فتحيروا من اجله (قال) وفى الصباح ركب الملك وركب عبد الله عن يمينه وابنه عن يساره وخرج اهل البلد وكانوا قد علموا ان عبد الله عند الملك وظنوا انه اتى لاجل الصلح وساروا والناس ينظرون اليهم الى أن خرجوا من البلد واتوا خيام النصارى فخرجوا ينظرون اليهم وقالوا لا شك ان الملك وابنه سائران مع عبد الله بن جعفر الى امير العرب ليعقدوا الصلح وفرحوا بذلك فرحا شديدا وساروا الى ان اقتربوا من جيش المسلمين فلما راوهم ذهبوا الى الامير عقبة وبشروه بقدوم عبد الله فقال لهم رايته اللهم يسر امره من صبح وفرج عنه فى الدنيا والاخرة كما فرج عنا فلما دنا الملك من المسلمين قال لهم انا واحد منكم اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فلما سمع المسلمون ذلك هللوا وكبروا وترجلوا عن ءاخرهم اجلالا وتعظيما له وتقدم الى لقائه الامير عقبة ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وعمر بن حمزة ومسروق بن زيد واعيان الصحابة رضى الله عنهم اجمعين وترجل عبد الله والملك وابنه وفرح بهم المسلمون فرحا شديدا وسلموا عليهم ورفعوا شانهم ولما سمع الجيش باسلام الملك ساروا جميعهم الى جيش المسلمين واسلموا عن ءاخرهم نفرحوا باسلامهم فرحا عظيما واثنوا عليهم وحمدوا الله تبارك وتعلى ودخل عقبة البلد مع الملك وبنى فيها مسجدا وامّر عليها ملكها وابنه وجعل فيها قاضيا ليعلم الناس القرءان وقواعد الدين وفرائض الصلاة واقام المسلمون بها اربعة ايام ثم رحلوا يريدون بلد وال وساروا الى ان جنحت الشمس للغروب ونزلوا وباتوا تلك الليلة وكان حزام بن ضرار قد وصل اليها فى عشرة الاف فارس لفتحها

ذكر غزوة قصر وال

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وكان صاحب قصر وال شيخا طاعنا فى السن له من العمر مائة واربعة عشر عاما وكان عارفا بالتواريخ المتقدمة فلما سمع بقدوم العرب اليه استدعى بارباب دولته فحضروا بين يديه فقال لهم ما عندكم من الراى ان العرب قد نصرهم الله تبارك وتعلى على اهل الارض شرقا وغربا وقد سفكوا الدماء وسبوا النساء والاولاد واخذوا الاموال فقالوا له ايها الامير وماذا ترى انت قال انا عزمت على الدخول فى دينهم فان انتم وافقتمونى فذلك المراد وان لم

توافقوني فانا اخرج عنكم واسير اليهم بنفسي وتترك بلادكم والعاقل من عرف الحق فاتبعه واعتبر بغيره والجاهل من لم يعتبر بغيره فاجابوه كلهم الى ذلك وقالوا نحن بك مقتدون قال لهم اذاً فتاهبوا للقائهم (قال) ثم ركب صاحب وال وخرج فى مائة فارس وساروا الى حزام بن ضرار فلما اقتربوا من بعضهم بعضا ترجل الملك لحزام وترجل له حزام وتقاربا وسلما على بعضهما بعضا ثم نادى الملك باعلى صوته معاشر المسلمين انا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم هو ومن معه وكان يركب فى خمسة آلاف فارس فاسلموا كلهم واتبعوا الدين القويم وكان له احد عشر ولدا فاسلموا ايضا وحسن اسلامهم ثم كتب حزام الى الامير عقبة رضى الله عنه يخبره باسلام ملك وال واولاده وقومه فلما وصله الكتاب وقراه رد اليه الجواب وقال له تاتى انت ومن معك فقال له عبد الله ورافع بل نحن نسير اليه ايها الامير فان ذلك اقرب للتواضع وفيه رفعة لنا وكثرة اجر عند الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقال عقبة افعلوا ما شئتم بارك الله فيكم ورحم اسلافكم (قال الراوى) ثم ركب فرسان المسلمين وارتحلوا وساروا حتى اذا قربوا من قصر وال ركب حزام ابن ضرار والملك وخرجا الى لقائهم ولما وصلا اليهم ترجل الفريقان وسلموا على بعضهم بعضا ثم ركبوا وساروا الى البلد وانزلهم الملك فى قصره وقدم لهم الطعام فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى وبنوا فيها مسجدا واقروا عليها اميرها وجعلوا لها قاضيا ليعلم الناس امور دينهم ثم ارتحلوا جملة واحدة بعد صلاة الظهر وخرج معهم صاحب وال ليشيعهم فتحدث معه عبد الله بن جعفر وساله عن صاحب سطيف فاجابه ان ما فى بلاد افريقية التى حللتم بها اشد بطشا وطغيانا منه ولا اكثر منه حيلة ومكرا ولا اعلم منه بالعلوم الدينية والتواريخ المتقدمة والحكمة ولا اقوى منه ساعدا وعددا ومالا وولدا وهو فارس شديد وبطل صنديد ولكن استعينوا بالله عليه وابعثوا الى الزبير بن العوام ياتى اليكم لان هذا اللعين ما فى الطائفتين اقوى منه قال له عبد الله بن جعفر نصرة الله احسن من نصرته فقال صاحب وال انه يركب فى مائة وثمانين الف شيطان مردة قال له عبد الله نسال الله تبارك وتعلى ان يخمد سطوته ثم ودعهم صاحب وال ورجع الى بلده وسار عبد الله وحزام بن ضرار حتى لحقا بعقبة بن عامر والمسلمين ثم باتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وسال الامراء اين يسيرون فاتفق رايهم على

المسير

المسير الى صاحب سطيف وقال له عبد الله بن جعفر ايها الامير انا اريد شن الغارة عليه فقال له عقبة افعل ما شئت ولكنني قد اعترانى الخوف مما ذكر لى عن هذا الطاغى فتبسم عبد الله من قوله وقال نسال الله ان يعيننا عليه بفضل الله ورسوله وببركتك ايها الامير ولا يكون ان شاء تعلى الا الخير

ذكر غزوة سطيف

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) فتقدم عبد الله بن جعفر فى عشرين الف فارس لشن الغارة على سطيف وخلف عقبة مع الظعن والنسوان والاموال وسار عبد الله مع اصحابه ناشرا رايته وكانت سوداء مكتوب عليها بالبياض لا اله الا الله محمد رسول الله ويومئذ يفرح المومنون بنصر الله ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم فلما سمع صاحب سطيف بقدوم المسلمين اليه وسمع ايضا ان عبد الله بن جعفر قادم للغارة عليه قال يا عجباه يريدون خديعتى واهل الخداع يتعلمون منى الخديعة ثم انه انتخب من جيشه ثلاثين الف فارس وخرج للمسلمين وحلف وقال وحق المسيح لابد ان نسقيهم كاس الردى ولبس زينته وخرج وسار على غير الطريق الجادة واوصى اخاه على البلد وهو يقاربه فى الفروسية وقال له اخرج فى مائة الف وانتظر عبد الله بن جعفر خارج البلد وانا امضى الى عقبة بن عامر (قال) وسار الملك قاصدا عقبة ليأتيه من خلفه وخرج اخوه بجيشه الى ابواب البلد وعبد الله لم يكن يعلم انهم بلغهم امر ذهابه اليهم ولا يزال سائرا حتى اشرف على سطيف ونظر الجيش ضاربا حولها فعلم حينئذ انهم سمعوا به فلما راوا المسلمين اشرفوا عليهم وقعت بينهم ضجة عظيمة وخرج كل من كان بالمدينة فعند ذلك قال عبد الله لرافع بن الحارث ما عندك من الراى قال له رافع لا نبارزهم ولا يبارزوننا حتى يصل الينا عقبة ببقية الجيش وبينماهم كذلك اذ بمناد ينادى من اعلى السور ايها العرب هل فيكم ابن عم محمد المسمى بعبد الله بن جعفر قالوا لهم نعم ثم قال عبد الله لرافع تالله لا بد لى من البراز وسار عبد الله حتى قرب من الصفوف ونادى معاشر اهل سطيف هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) وكان من حديث الامير عقبة انه تخلف مع الظعن والاموال كما تقدم وان الملك خرج فى طلبه وكان عقبة ومن معه منحدرين بواد هناك وبينما كانوا يريدون الخروج منه اذ بعدو الله قد اقبل عليهم فقال عقبة لرفاعة

لا شك ان هذه الخيل واتية نحونا فتامل منهم رفاعة فقال له يا امير المومنين هولاء عليهم والقاالحرب ولم يكن غير قليل حتى ادركتهم الخيل وفي اولهم صاحب سطيف وعلى راسه تاج من اللؤلؤ الابيض وحملوا بعنان واحد وحملت المسلمون والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار وبينماهم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا بالمسلمين قد ولوا الادبار وملك الاعداء الظعن كله والنساء والاولاد ومات من المسلمين خلق كثير فنادى عقبة ياءال المسلمين فلم يجبه احد (قال الراوى) حدثنى ساعد بن صابر قال اخبرنى عبد الله بن كثير وكان ممن حضر افريقية قال كنت فى ذلك اليوم مع عقبة بن عامر فلما ادبر المسلمون جعل عقبة يهتف بقبائل العرب فلم يجبه احد فلما هتف بحمير قالوا لبيك وسعديك ثم تراجعوا رضى الله عنهم فردوا الهزيمة بعد ما انتهت الى الاخبية وتجاوز المسلمون اخبية النصارى وردوهم على اعقابهم خاسرين فركنوا الى الفرار وتركوا الظعن كله والنسوة والاولاد ومات من المسلمين يومئذ مائتان وخمسون فارسا ورجع الملك بثلاثمائة اسير من الفرسان ومائة امراة من نسائهم ودخل بهم البلد وعبد الله كان يبارز بباب واخر غير الذى دخل منه الملك واتصل الخبر باصحابه فاعلموه بما حصل للمسلمين فرجع عن البراز وعظم الامر عليه وعلى اصحابه وقالوا انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وبينماهم كذلك اذ بحمير قد اقبلوا وثيابهم تقطر دما (قال) فلما قربوا من عبد الله ترجلوا له وترجل لهم وقال لهم ما الخبر فاخبروه بما وقع فقال لهم قد علمت ان هذا الامر لا يقوم به احد غير حمير ثم اقبل الامير عقبة ونزل بربوة هناك فسار اليه عبد الله وقال له ايها الامير هذا ما اعرف منك فقال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الحول والقوة لله تالله لولا حمير ما قامت لنا قائمة فقال عبد الله بارك الله فيك حمير وحزن المسلمون على الاسارى وباتوا فى قلق عظيم وبات النصارى مسرورين فلما اصبح الصباح وبزغت الشمس اجتمع المسلمون عند عقبة واذ كانوا مجتمعين ضربت طبول الاعداء وخرجت فرسانهم وخرج الملك فى مائة وثمانين الف فارس وكان راكبا جوادا اصفر من عتاق الخيل وعليه لامة حسنة وصف صفوفه وكانت لصاحب سطيف بنت حسناء بديعة الجمال فخرجت معه واظهرت زينتها وقالت بصوت عال معاشر الابطال انى وهبت نفسى لمن اتانى براس عبد

الله

الله بن جعفر فعند ذلك خرج فارس يقال له ساطير بن داخر وكان من اكابر قومه
وهو ابن عم صاحب سطيف فقال له الملك ان قتلته واتيت برأسه نهو مهر ابنتي
(قال) فسار حتى توسط بين الفريقين فنادى يا عبد الله بن جعفر هلم الى برازى
فقال له لبيك انى خارج اليك فركب رضى الله عنه وخرج اليه فلما دنا منه قال له
انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له وهل بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة
عندك قال نعم قال وهل ودعتها حين خرجت قال نعم وكانت بنت صاحب سطيف
فى قبة قريبة منهما فقالت يا عبد الله طال ذكرك وطغيت وما طغى احد الا هلك
ثم حمل عليه عدو الله وضربه ضربة شديدة فراغ لها عبد الله فاتت غير صائبة فالوى
عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فازال راسه عن جسده
فوقع فى الارض ميتا وقال لبنت الملك ارنى عنى جنازتك فقالت له الساعة ترى
الداهية العظمى والطامة الكبرى فقال لها وما من طامة الا وفوقها طامة اعظم
منها ثم اخذ سلبه وطلب البراز فخرج اليه الملك بنفسه وكان فارسا عظيما وعليه
ء لة حسنة فنادى منادى المسلمين هذا الملك خارج الى عبد الله وشخصت له
الابصار وقال عقبة لقومه تهيأوا للحملة فاذا رايناه اشرف على عبد الله نحمل عليه
باجمعنا لنكفيه شره (قال) وخرجت زوجة عبد الله وهى تبكى خيفة على بعلها
ولما قرب منه الملك قال له ايها الملك انى سمعت عنك انك شجاع وفاسد العقل
فقال يا عبد الله استغفر الله مما صدر منك ألم يقل لكم نبيكم فى كتابه الذى انزل
عليه يا ايها الذين ءامنوا ان جاءكم فاسق بنبا فتبينوا الاية قال له عبد الله ومن
اين لك هذا العلم قال رايته فى الصحف وقد حرم الله عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير
والزنى ونهاكم عن النظر فى محارم الناس وقال قل للمومنين يغضوا من ابصارهم
ويحفظوا فروجهم ومدح النبى محمدا فقال ان الله وملائكته يصلون على النبى يا ايها
الذين ءامنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واقسم بعمره فقال لعمرك انهم لفى
سكرتهم يعمهون وقد امركم بالجهاد فينا فقال قاتلوا الذين يلونكم من الكفار
واحل لكم اموالنا فقال و كلوا مما غنمتم حلالا طيبا وامركم باخذ الجزية ممن لم
يدخل فى دينكم فقال حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون وحرم عليكم
اموال اليتامى فقال ان الذين ياكلون اموال اليتامى ظلما الاية وامركم بالصلاة
وصوم رمضان فقال كتب عليكم الصيام الاية وقال فى حق المجاهدين منكم ان الله

اشترى من المومنين انفسهم بان لهم الجنة الاية ومدح العلماء فقال انما يخشى الله
من عباده العلماء ثم قال يا عبد الله دونك الان والبراز فقال له ويحك أبعد علمك
هذا كله لم تهتد قال لا بد من البراز فقال له عبد الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم
(قال) وكان الناس ينظرون الى ما يكون بينهما وكان الملك جميل الصورة فحمل
على عبد الله وحمل عبد الله عليه وتلاقيا بضربتين فسبقه بها الملك فاخذها عبد
الله فى درقته واصابت ضربة عبد الله عنق جواده فقطعته وانجرح الملك جرحا وجيعا
فقال له عبد الله ارجع وات بجواد فرجع الملك وشد جرحه واتى على جواد ءاخر
للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث فحمل وحمل عليه الملك وتقاربا وتباعدا ساعة
زمانية وضربه الملك فجرحه فرجع رافع ليشد جرحه وخرج اليه مسروق بن زيد
وحملا على بعضهما بعضا واصيب جواد مسروق بضربة فمات فوقف وقال له ايها
العربى ارجع حتى تاتى بجواد فرجع وخرج اليه سليمان بن خالد وحمل كل منهما
على الاخر وضربه الملك ضربة منكرة اخذها سليمان فى درقته ثم حمل سليمان عليه
وضربه فلم يصبه وضرب الملك جواده فقتله فرجع مسروق وخرج اليه حزام بن ضرار
وحمل عليه وضربه فاصاب جواد الملك فمات وضرب الملك جواده فكبا به ثم تصارعا
على ارجلهما فاخذه الملك اسيرا واوثقه وبعث به الى البلد فخرج اليه عبد الله بن
جعفر مرة ثانية فحمل عليه الملك وتقاربا وتباعدا وتطاعنا من وقت الزوال الى
غروب الشمس وفرق بينهما الظلام ولم يقدر احدهما على الاخر ورجع كل منهما
الى مكانه وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالمسلمين صلاة الصبح
وما فرغوا من صلاتهم الا وضربت الطبول وخرج الملك فى زينة عظيمة فلما راوه
ضربوا طبولهم ايضا وركبوا خيلهم واجتمعوا كلهم عند عقبة فقال لهم عبد الله بن
جعفر معاشر المسلمين اعلموا ان هذا الملك ما راينا فى افريقية ولا بالشام ولا
بالعراق ولا بمصر اشد منه باسا وقد قتل بالامس لنا اثنى عشر جوادا فخذوا
حذركم منه وكل واحد يقاتل على قدر طاقته وانا الساعة خارج الى برازه مستعينا
عليه بحول الله وقوته (قال) وخرج اليه عبد الله فلما قرب منه حملا على بعضهما
بعضا فتقاربا وتباعدا ساعة زمانية وافترقا ثم رجعا للقتال فضرب الملك جواد
عبد الله فقتله وتقاتلا على ارجلهما فلم يقدر احد منهما على صاحبه حتى غربت
الشمس ثم افترقا ورجعا الى مواضعهما ولما كان الصباح ضرب الملك طبوله وخرج

ليدان

لميدان البراز فخرج اليه حنظلة بن امية وحمل عليه فاسره الملك وارسله الى البلد ثم
طلب البراز وقال ابن الامير عقبة ليخرج الى برازى فقال له لبيك وخرج اليه فمنعه
المسلمون وتعرضوا له فابى الا الخروج وقال لهم لابد ان اخرج اليه حتى لا يرانى الله
قاصرا عن برازه (قال) فخرج عقبة ولما قرب منه قال له ايها الملك انك لباغ قال
وما تبين من بغيى قال لانك دعوتنى الى البراز وانا شيخ كبير السن وكان عمره اذ
ذاك تسعين سنة وهو لم يزل قائما بالليل صائما بالنهار رضى الله عنه فقال له الملك
دع غيرك من الفرسان يبارزنى قال طلبوا منى ذلك وامتنعت حتى لا يرانى الله
قاصرا عن برازك وكان عقبة عند خروجه للبراز دفع الراية لعبد الله بن جعفر وقال
له اذا قدر الله لى الموت فانت الخليفة من بعدى على جيش المسلمين (قال) ثم
حمل الملك على عقبة وضربه على راسه فوقع فى الارض مغشيا عليه فاخذه اسيرا وارسله
الى البلد واوصى برعيه واكرامه وكلف به خدمة لخدمته فلما راى المسلمون ذلك
عظم عليهم الامر ثم طلب الملك البراز فخرج اليه عبد الله بن جعفر وحملا على
بعضهما بعضا وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية واشتد بينهما الحرب من الزوال الى
العصر ولم يظفر احدهما بالاخر فقال له عبد الله امهلنى حتى اصلى العصر فامهله
فتاخر وتيمم وصلى صلاته ثم ركب واتى اليه فاقتتلا قتالا شديدا وقتل كل منهما
جواد الاخر واقتتلا على ارجلهما الى ان فرق بينهما الظلام ولم يقدر احدهما على
الاخر فافترقا وسارا الى مقريهما وبات الناس تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح
ظهرت غبرة كانها ليل مظلم وانجلت عن جيش عظيم يزيد على الاربعين الفا فخرج
الملك الى لقائهم وخرج على اثره عبد الله ابن الملك الاكبر صاحب المهدية للاطلاع
على خبرهم ثم عاد واخبر عبد الله بن جعفر بانه جيش ابن ملك الزاب اتى لنصرة
صاحب سطيف لانه طامع فى زواج ابنته (قال) ولما التقى صاحب سطيف بابن
ملك الزاب تعانقا اشعارا بالمحبة وفرط الوداد ثم ساروا حتى وصلوا الى معسكرهم
ولم يقاتلوا ذلك اليوم وفى صباح الغد ركب الملك ورتب صفوفه وخرجت بنته
فى الف قبة ببنات النصارى وتزينت احسن زينة واظهرت زينتها لابن صاحب
الزاب وهو ايضا لبس افخر لباسه وخرج كانه برج من ذهب ورتب المسلمون
جيشهم واوقفوا نساءهم خلف الصفوف ثم ان بنت الملك اخرجت راسها من
القبة لتظهر محاسن وجهها الى ابن صاحب الزاب ليزداد حماسة ونشاطا على الحرب

فلما ابصرها ابن الملك خرج الى ما بين الصفوف وقال ابن عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله نعم قال اخرج للبراز فخرج اليه ولما قرب منه حمل عدو الله عليه وقال باسم الصليب وعيسى الحبيب وضربه ضربة شديدة فاخذها فى درقته ثم حمل عليه عبد الله وقال باسم الله العزيز القريب ومحمد الحبيب وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فاعدمه الحياة واخذ سلبه وكان جميعه من ذهب قيمته خمسون الف دينار وقال لبنت الملك ارايت فضل اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقالت له الساعة يخرج اليك الداهية العظمى ثم طلب البراز فخرج اليه الملك فتطاعنا من الزوال الى غروب الشمس ولم يزل عبد الله يتبارز مع الملك مدة من اثنى عشر يوما متتابعة بدون ان يظفر احدهما بصاحبه حتى نزل المطر فتعطلت الحرب بسببه (قال) وكان المسلمون حين تاسر عقبة كتبوا الى الزبير بن العوام كتابا وارسلوه الى القيروان مع عروة بن الايهم فلما وصله الكتاب وقراه عظم عليه الامر وبكى وركب جواده وسار فى حينه وجد السير فلم يكن غير ايام يسيرة حتى اشرف على سطيف فاسرع الرسول عروة بن الايهم الى المسلمين وبشرهم بوصول الزبير بن العوام فلما سمع ذلك عبد الله بن جعفر ركب وخرج الى لقائه ولما دنا منه اراد ان يترجل فاقسم عليه الزبير ان لا يفعل وتعانقا وهما راكبان وسلما على بعضهما بعضا ونادى مناد فى النصارى الا ان الزبير بن العوام قد اتى واستبشر الناس وباتوا مسرورين من قدوم الزبير فلما كانت صبيحة الغد خرج الملك وطلب البراز وقال ابن الزبير بن العوام فما استتم كلامه حتى خرج اليه رضى الله عنه وعليه ثياب بيضاء فلما دنا منه قال له انت الزبير بن العوام قال نعم قال له انت ممن حضر بدرا وحنينا قال نعم قال له اخبرك بما انزل الله على نبيكم فى تلك الوقائع قال ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم الاية وقال يوم احد اذ تستغيثون ربكم الاية وقال يوم هوازن فلم تقتلوهم الاية ثم قال للزبير وهل كنت حاضرا يوم قتل حمزة بن عبد المطلب قال نعم قال لقد سقاكم قريش كاسا مالحة فقال له الزبير نحن سقيناهم ذلك ثم قال له الملك يا ابن عمة محمد احمل عليّ او احمل عليك فحمل عليه الزبير وضربه ضربة شديدة فاخذها فى درقته وحمل عليه الملك فقتل له الجواد وقال له ارجع حتى تاتى بجواد فاذا رافع قد بعث اليه بجواده فركب الزبير وحمل عليه وقتل جواده (قال) ولم يزالا يتقاتلان مدة خمسة ايام متوالية ولم يقدر احدهما على الاخر فلما كان اليوم السادس خرج

عبد الله بن جعفر واصطفت الصفوف فناداه الزبير يا عبد الله قف مكانك حتى
اوصيك فوقف عبد الله حتى وصل اليه الزبير وتحدثا ساعة ثم سار عبد الله حتى
قرب من الملك وحمل عليه فحمل عليه الملك وقتل له الجواد فتاخر عبد الله لياتى
بجواد آخر فتلقاه رافع بجواد فركبه وغضب غضبا شديدا واراد ان يهجم عليه
هجمة هاشمية فقال له مهلا عليك يا عبد الله اتنى انت والزبير لاسالكما عن اشياء
فتقدم اليه عبد الله ومعه الزبير وقالا له ما تريد قال اقسمت عليكما بربكما الا ما
صدقتمانى فيما اقول لكما قالا نعم قل قال هل بقى من شدتكما شئ ام لا فقالا له
ما حاربناك الا بقوتنا وجهدنا ثم قال لهما سالتكما بالله هل لقيتما فى الحرب احدا
مثلى قالا تالله لقد لقينا ملوك الشام وابطالهم وملوك افريقية وابطالهم وما راينا
مثلك ولا اشد باسا منك قال لهما هل تحقق عندكما هذا قال نعم قال اشهدكما انى
واحد من المسلمين وانى اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثم قال قفا ههنا حتى ارجع اليكما فمضى الى جيشه وقال لهم الا اخبركم
ان محمدا بن عبد الله افضل النبيين وهو صاحب الشفاعة يوم القيامة وانا قد
آمنت به قالوا ونحن كذلك واسلموا باجمعهم (قال) ففرح المسلمون باسلامهم
فرحا شديدا ورجع الملك وسار بالمسلمين الى المدينة فدخلوا معه واطلق عقبة
واصحابه والنسوة وقبل يديه واستغفر منه فغفر له واقام المسلمون بها خمسة عشر
يوما وبنوا فيها مسجدا وجعلوا فيها قاضيا وامّروا عليها صاحبها وودعوه وخرجوا
الى فساطيطهم (قال الواقدى رحمه الله تعلى) حدثنى حنظلة بن كثير قال اخبرنى
اويس بن شداد قال اخبرنى موسى بن طافور الدارانى قال فلما فتح المسلمون سطيف
اراد سادات بنو هاشم وبنو مخزوم الانصراف الى القيروان ومنها الى الحجاز وقالوا
لعقبة بن عامر رضى الله عنه ايها الامير ان طاغية القوم قد هلكت ونحن نريد
الرجوع الى الحجاز فقال لهم عقبة انتظروا حتى نرى خبر صاحب الزاب واحضروا فتحها
معنا واتفقوا على انهم لا يسيرون اليها الا بعد الاطلاع على اخبارها واقاموا بمنازلهم
اياما يسيرة وفى ذات يوم كان الصحابة مجتمعين فراوا رجالا مقبلين فقال رافع بن
الحارث لا شك ان هولاء طرقهم طارق فلما وصلوا اوقفوهم بين يدى عقبة
وسالوهم عن الخبر فاخبروهم ان صاحب زيغ وطولقة (فى نسخة ريح وطلوقة)
وصاحب نقاوس وصاحب اركلا (فى نسخة اركا) وعظماء ملوك الزاب قد

اجتمعوا فى ثلاثة الاف امير واتفقوا على حربكم وهم قادمون عليكم فى اربعمائة الف
فارس وفى مقدمتهم صاحب طولقة واسمه طالق بن يلوق وهو ابن خالة صاحب
المالقة وخاطب ابنته زوجة عبد الله بن جعفر وعن قريب يصلون اليكم وهذا
ما عندنا اخبرناكم به فقال لهم عبد الله الى اين سائرون انتم قالوا الى بلد وال ثم
اجتمع ابطال المسلمين فى خباء عبد الله بن جعفر وكانوا مائة فارس فقال لهم عبد
الله العادة ثم العادة (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى شداد بن سعيد قال
اخبرنى مسروق بن زيد قال اخبرنى صابر بن موسى وكان ممن حضر فتوح افريقية
وشهد وقائعها قال اشدها واقعة بارز وكانت فى ارض واسعة قال وبات المسلمون على
نية الارتحال الى لقاء الاعداء وتولى حراستهم بالليل حزام ورافع ومسروق (قال)
حدثنى حنظلة بن صفوان قال اخبرنى اويس عن عبد الله المدنى قال فلما صلى عقبة
بالمسلمين صلاة الصبح امر بالرحيل فرحلوا وساروا يومهم كله الى ان جنحت
الشمس للغروب فنزلوا وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح امر عقبة بالرحيل
فرحلوا وساروا الى وقت العصر ثم نزلوا وراوا ناسا قادمين من جهة الزاب فسالوهم
عن خبرها فقالوا ان جيشا عظيما قادم عليكم وسيدرككم اما غدا او بعد غد فقال
الزبير بن العوام وعبد الله بن جعفر لعقبة ايها الامير غلث هذا الى ان نصلى
المغرب والعشاء ونجمع بينهما ثم نرحل حتى نصبح عليهم ففى ذلك رفعة لشاننا
قال لهما عقبة حبا وكرامة (قال) فجمع المسلمون بين المغرب والعشاء وارتحلوا
وباتوا سائرين طول ليلتهم حتى لاح لهم الفجر فنزلوا وتوضؤا وصلوا صلاة الصبح
وجلسوا يذكرون وقد اضاء النهار فلاحت لهم خيام الاعداء فلما راوا كثرتها قالوا
الله اكبر الله اكبر ثم قال عبد الله بن جعفر هل نسير اليهم حتى نزاحمهم وننزل
امامهم قالوا نعم نسير اليهم وساروا حتى اقتربوا منهم وامر عقبة بالنزول فنزلوا
وكان نزولهم فى سند الجبل

ذكر غزوة الزاب

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) روى عن موسى بن حنظلة الغسانى انه قال كنت ذلك
اليوم حاضرا لما نزل المسلمون على جيش اعداء الله ورسوله وهم اربعمائة الف
فارس وثلاثون الف بطل من الابطال الشداد وعشرة الاف طبل قال واجتمعت
فرسان المسلمين بفسطاط سليمان بن خالد وتحدثوا فيما بينهم وقال عبد الله بن جعفر

اذا كانت صبيحة غد ان شاء الله تعلى فكل امير ينعزل مع قبيلته ونستعين بالله ورسوله على هذا الجيش ونكون عند مراد الله ورسوله لعلنا نلحق بالسلف فقال له رافع بن الحارث نعم ما ذكرت يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان الناس فى امر عظيم فلم يشعروا الا ورايات صاحب سطيف قد اشرفت عليهم وفى اثرها مائة وثمانون الف فارس قد اتى بهم لنصرة المسلمين رضى الله عنه فلما سمع عبد الله بقدومه ركب ومعه المسلمون وتوجهوا الى لقائه فلما اقتربوا منه ترجل عبد الله ومن معه وترجل صاحب سطيف وسلموا عليه وفرحوا به وعظموا شانه ثم ساروا جميعا حتى نزلوا بجانب فساطيط اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وبات المسلمون تلك الليلة مستبشرين فارحين بقدوم صاحب سطيف ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح وركب ملك النصارى ورتب صفوفه وقدم الرماة وكانوا عشرة الاف رام ومعهم ثلاثة الاف مطية تحمل السهام وامر البنات بالخروج فتقدمن فى القباب وامامهن البطارقة وصناديد الابطال ولما فرغ المسلمون من صلاتهم وراوا اعداء الله ورسوله يستعدون للقتال ركبوا ورتبوا صفوفهم وزحفت صفوف الفريقين ثم نادى صاحب الزاب وهو صاحب طولقة امسكوا الاعنة واطلبوا البراز فتقدم ميرابوس صاحب نقاوس (فى نسخة ناقوس) وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا وقال ايها الملك انا كنت خطبت ابنتك وهى امتنعت منى ولكن اذا انا قتلت عبد الله بن جعفر ماذا تصنع معى فقال له الملك ان قتلته فذلك مهرها (قال) فخرج اللعين بين الفريقين ونادى بعبد الله بن جعفر فقال له لبيك قال اخرج للبراز فاجابه لذلك وخرج عبد الله ووقف الناس ينظرون ما يكون بينهما ثم قرب ميرابوس من عبد الله وضربه ضربة شديدة فاخذها عبد الله فى درقته وناداه رافع بن الحارث ايقظ نفسك يا عبد الله واكثر بالصلاة والسلام على البشير النذير فحمل عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فابان راسه عن جسده فوقع فى الارض صريعا فعند ذلك نادت نساء المسلمين بارك الله فيك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليه بطريق ءاخر فقتله ولم يزل يطالب البراز وهم يخرجون اليه حتى قتل منهم اربعين بطريقا وبنت صاحب طولقة تنظر وتتعجب وقالت بارك الله فى بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة فيما اختارت بارك الله فيها وفيه من فارس ما اشد باسه حيا الله الابطال الذين يكونون مثل

هذا الشاب ثم التفتت لابطال ابيها وقالت لهم قبحكم المسيح والصليب هذا الصبي الحديث السن يقتل منكم اربعين بطريقا ولكن لا شك ان الصليب غاضب عليكم ثم رجع عبد الله الى فسطاطه وخرج صاحب سطيف وعليه ءالة حسنة فقال له عبد الله الى اين يا دارج قال يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم لطلب البراز لاكفر عن سيئاتي وما سلف من الذنوب عسى الله تبارك وتعلى ان يحشرني في زمرة الشهداء فقال له رافع بن الحارث سر بارك الله فيك ورزقك التقوى (قال) فسار حتى وصل الى ما بين الصفوف وطلب البراز ونادى باعلى صوته معاشر اللئام هل من مبارز هل من مناجز الى بطل غير عاجز فخرج اليه صاحب مسطاس وكان مشهورا مثله فلما قرب منه قال له يا خارج عن دين ءابائك واجدادك قال له لعنك الله انت وءاباءك واجدادك في الدنيا والاخرة ثم حمل عليه وضربه على هامته فشطرها شطرين فخر في الارض ميتا ثم طلب البراز وخرج اليه بطريق ءاخر فقتله ولم يزل دارج يطلب البراز وهم يخرجون اليه حتى قتل منهم مائة وعشرين بطريقا ثم سار اليه عقبة والمسلمون واقسموا عليه ان يرجع فرجع وهو كالاسد الغضبان رضي الله عنه وشكروا صنيعه واثنوا عليه وقالوا له لقد اتيت على طريق الاولين بارك الله فيك فقال ذلك بفضل الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركتك ايها الامير (قال) فلما راى الملك ما فعل صاحب سطيف غضب غضبا شديدا وامر جنوده بالحملة فحملوا جميعهم بعنان واحد وعند ذلك نادت اسماء بنت ياسر رضي الله عنها بقبائل العرب واخذت تحرضهم على القتال وصاح الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه في قومه يحثهم على النزال (قال الراوي) حدثني سعد بن ظافر قال كنت ممن حضر تلك الوقيعة ولقد حضرت وقعة اليرموك والشام وما رايت اعظم من ذلك اليوم فقد حمل المسلمون واشتد القتال بين الفريقين وحمي وطيس الحرب ولم يلبث بنو امية ان ولوا الادبار من شدة النبال التي نزلت عليهم كالمطر قال وقد بلغني انه مات من المسلمين يومئذ ثلاثة الاف فارس ومن النساء احدى وعشرون امراة وقد يئس الناس من الحياة ونادوا بعبد الله بن جعفر وشكوا له صعوبة الحال فلما سمع كلامهم نادى باعلى صوته يا ءال هاشم يا ءال مخزوم الحملة بارك الله فيكم فحملوا رضي الله عنهم باجمعهم وارتفع الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار وبينما هم كذلك اذ انهزم بنو امية ولحق النصارى بالامير عقبة بن عامر رضي الله

عنه

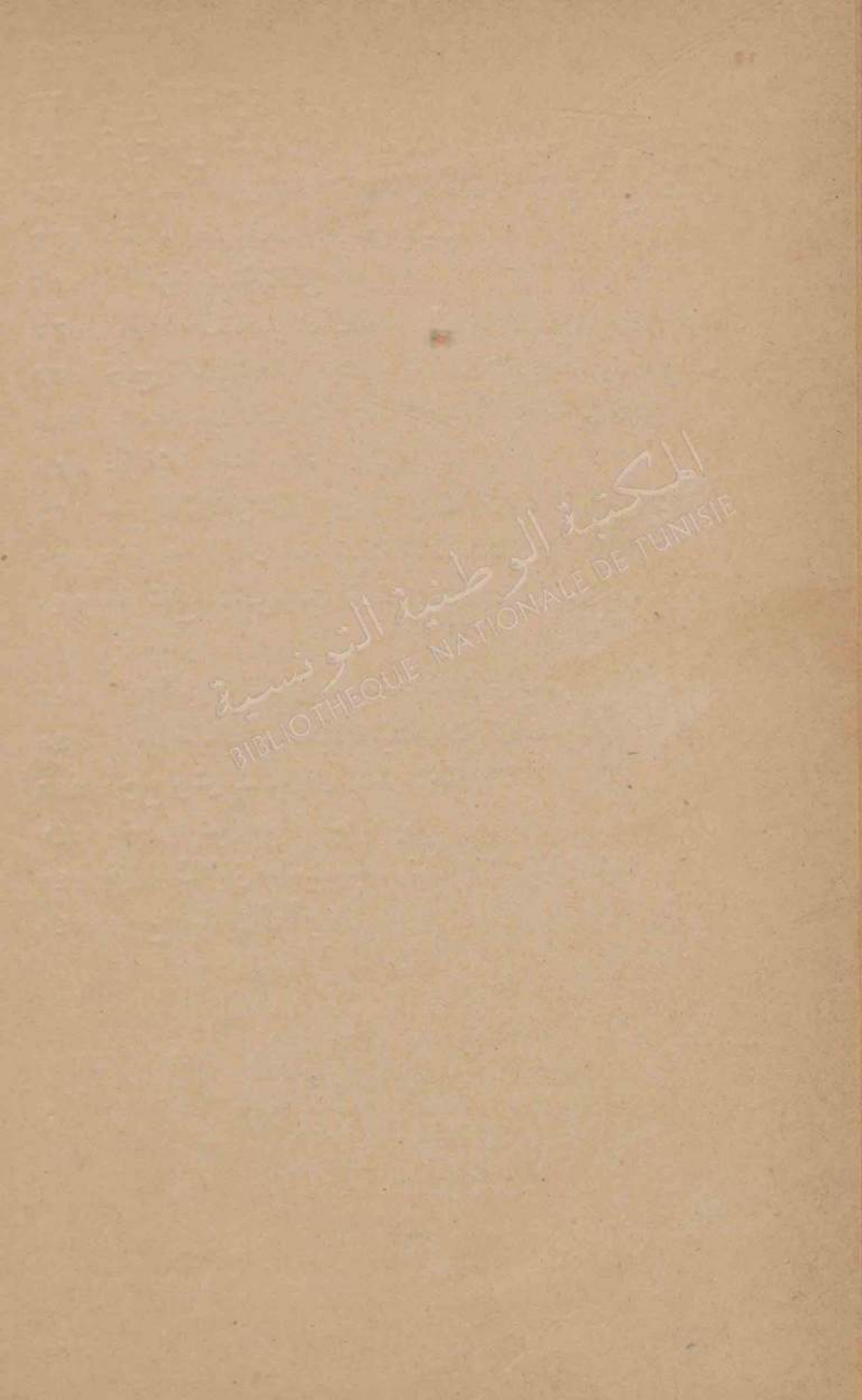
عنه واخذوه اسيرا وقتلوا من بنى امية ثلاثمائة واربعين فارسا ومن خلفائهم اربعمائة رجل وبكت النسوة وكثر عويلهن وقد يئسن من الحياة فادرك بنو هاشم وبنو مخزوم ميسرة بنى امية وشددوا على النصارى فى الحملة فلم يكن غير هنيهة حتى ردوهم على اعقابهم خاسرين وقتلوا منهم خلقا كثيرا ودام قتال المسلمين معهم من الصباح الى الليل ولما خيم الظلام افترقوا (قال الراوى) ولله در صاحب سطيف فانه لما بلغه اسر الامير عقبة بعث الى اخته وكانت زوجة ملك طولقة يسالها عنه فاجابته بان الملك امر بارساله مع عشرة الاف فارس الى طولقة فاخبر صاحب سطيف بذلك عبد الله بن جعفر وقال له ارسل معى الف فارس وانا اقتفى اثرهم ونلحق بهم قبل دخولهم طولقة عسى ان ندركهم ببركة محمد صلى الله عليه وسلم قال له افعل ما شئت واستدعى عبد الله بمشاهير الفرسان وانتخب منهم الف بطل وامرهم بالمسير معه (قال) فسار ومعه عبد الله والفرسان وجدوا السير حتى وصلوا الى ارض فسيحة كثيرة الاشجار فوقفوا واخذوا يفتشون عن الاثر فلم يروا شيئا ولم يقفوا للاعداء على خبر وبينما هم كذلك اذ سمعوا دمدمة الخيل فتقدم عبد الله ابن جعفر ورافع بن الحارث وصاحب سطيف بالالف فارس وساروا نحو الاعداء ولما اقتربوا منهم صاح فيهم عبد الله وقال لهم يا اعداء الله ورسوله اظننتم انكم ناجون بصاحب محمد صلى الله عليه وسلم انا عبد الله بن جعفر ميتم صغاركم ومخرب دياركم وصاح رافع وصاحب سطيف مثله ووضعوا السيف فيهم فلما سمعوا ذلك فشلوا وتمكن الرعب منهم فتركوا عقبة واصحابه وجميع ما غنموا من المسلمين وفروا هاربين بعد ما قتل منهم نحو ستة الاف فارس ورجع المسلمون بعقبة واصحابه وايقنوا بالنصر من رب العالمين (قال) ولما سمع صاحب طولقة بما جرى لرجاله غضب غضبا شديدا وكاد يتميز من الغيظ اما امراته اخت صاحب سطيف فانها مكثت الى الليل وسارت فى الظلام الى جيش المسلمين وسالت رجلا منهم ان يدلها على فسطاط اخيها الملك دارج فسار معها حتى اوصلها اليه فدخلت عليه ففرح بها فرحا شديدا وقال لها مرحبا بك يا اختى ان انت دخلت فى ديننا قالت يا اخى انا ما اتيتك الا حبا فى دين الله ورسوله وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح دارج باسلامها فرحا شديدا وبات الناس تلك الليلة فارحين مستبشرين بخلاص عقبة واصحابه وفوز المسلمين ولما اصبح الله بخير

الصباح اصطفت صفوف الفريقين ثم حملوا على بعضهم بعضا والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وبينما هم فى الحرب الشديد والقتال العتيد واذا بالنصارى قد ولوا الادبار فزاد بنو هاشم فى حملتهم وحصروهم لبنى مخزوم وابلوا فيهم بلاء حسنا ولم يستطع النصارى معهم صبرا وتفرقوا وتشتت شملهم وتبعهم المسلمون الى ان ادخلوهم طولقة وكان الملك قد سبق هاربا اليها (قال) ثم ارتحل باقى جيش المسلمين ونزلوا كلهم عليها فاجتمع الامراء عند الملك فقال لهم ما عندكم من الراى فى امرنا مع العرب قالوا ايها الملك منك الامر ومنا الطاعة فنحن بك مقتدون وبما ترضاه لنفسك ولنا راضون فقال انى اخترت الاسلام وانا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله قالوا ونحن كذلك ونطقوا بالشهادتين واسلموا عن آخرهم ودخل المسلمون البلد واقروا عليها اميرها وبنوا فيها مسجدا وجعلوا فيها قاضيا ليعلم الذين اسلموا القرءان وفرائض الدين واقاموا بها سبعة ايام ثم اجتمعوا عند عقبة وتشاوروا اين يسيرون فاتفق رايهم على ان يسيروا نحو تلمسان ويعرضوا على كل بلد وقرية يمرون بها الاسلام او الجزية او القتال وهذه فتوحاتهم من المهدية الى الزاب والصلاة والسلام على خاتم النبيئين والحمد لله رب العالمين

تم بعون الله الجزء الاول من فتوح افريقية للعلامة الواقدى ويليه الجزء الثانى اوله ذكر غزوة المرو

(فهرسة الجزء الثانى من فتوح افريقية للعلامة الواقدى)

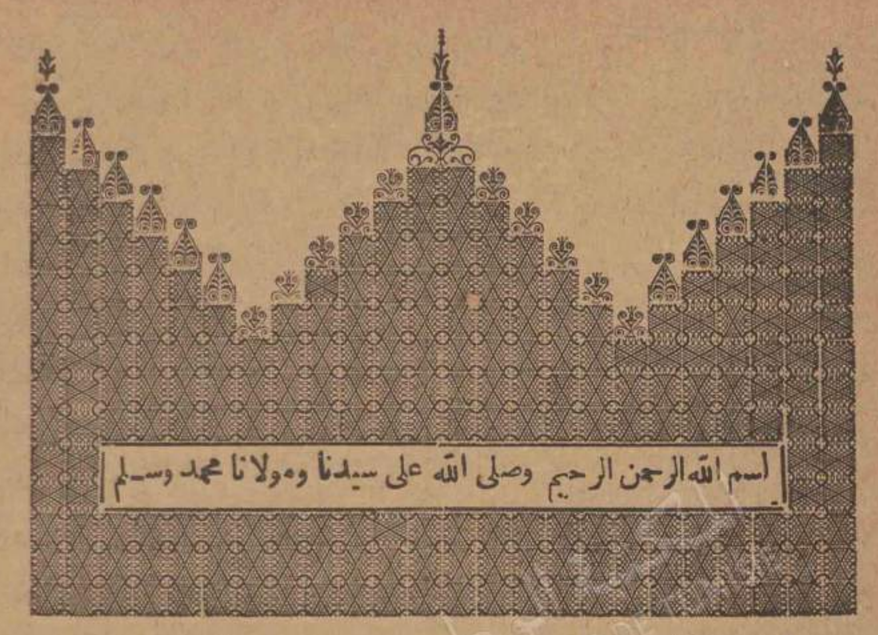
صحيفة



الجزء الثانى من فتوح افريقية
للامام العلامه الحبر البحر
الفهامه سيدى محمد
الواقدى رحمه
الله تعلى

طبعة اولى

طبع بالمطبعة العمومية بحاضرة تونس المحمية سنة ١٣١٥



عليه اتوكل وبه استعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله واصحابه اجمعين (قال الواقدى رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من الزاب يريدون تلمسان وما بعدها من البلاد الافريقية وكانت اول بلاد فتحوها بعد طرافة المرو

ذكر غزوة المرو

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ولا يزال المسلمون سائرين حتى وصلوا موضعا بين المرو وبين حسيا فنزلوا هنالك وضربوا فساطيطهم واقاموا به ثلاثة ايام ثم رحلوا ونزلوا بوادى الكفاف واقاموا به خمسة ايام ثم امر الامير عقبة عبد الله بالرحيل فسار فى عشرين الف فارس حتى نزل على المرو فلما رءاهم اهلها نزلوا عليهم اغلقوا ابواب المدينة وكان بها ملك يقال له جلياس بن داهر وكان غليظ الحجاب لا يراه احد وله قصر عظيم طوله الف ذراع وعرضه كذلك وكان عنده الف وزير منهم وزير عظيم وهو صاحب سره ولا يجتمع به احد سواه (قال) فلما اقام عليهم المسلمون ذهب اهل المدينة الى الوزير الاعظم المذكور وقالوا له ما الراى فان العرب نزلت علينا وقد جئناك لنتشاور معك فى هذا الامر فتشاوروا فيما بينهم ثم قام الوزير ودخل على الملك واعلمه بالخبر فقال له دونك واياهم فعند ذلك خرج الوزير الى رجال الدولة والسكان وكانوا مائة الف فارس فاعلمهم بمقالة الملك وقال لهم فى

صبيحة

صبيحة غد نخرج اليهم ونهلكهم عن آخرهم قالوا نعم الرأى هذا ثم امر الوزير بالاستعداد للقتال ونشر الرايات وضرب الطبول وهى الف راية والف طبل وخرجت اهل البلد كالنحل من اجباحها وقضوا ليلتهم كلها فى التحضيرات ولما اصبح الصباح امر الوزير بالخروج ونادى فى قومه الا ان كل من تخلف عنا ضربنا عنقه ثم ضربت الطبول وخرجت جيوش النصارى واخذوا فى ترتيب صفوفهم وطلعت النسوة على الاسوار (قال الراوى) فبينما كان عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يرتب جيشه اذ برايات الامير عقبة قد اشرفت عليهم فعند ذلك كبر المسلمون وكبر عبد الله وانضم جيش عقبة لجيش عبد الله وضربوا فساطيطهم ورتبهم عقبة ثم لبس عبد الله آلة حربه ودنا من الصفين ونادى بالبراز وقال انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما ابصر النصارى حسنه وجماله وفروسيته وكيفية جولانه بين الصفين قالوا لبعضهم بعضا هذا الذى كان تزوج بابنة الملك الاكبر صاحب الملقة وقتل اباها وشخص الناس اليه رجالا ونساء وكان عبد الله راكبا على جواد من نسل السرحان وهو احمر طويل واسع الكفل محجل وعليه درع رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فعند ذلك نادى وزيرهم ايكم يخرج الى هذا العربى ويكفينا امره ولما لم يجبه احد قال اين ديكان الاسود قال له لبيك قال اخرج الى هذا العربى الذى سحر جميع البلاد فان انت كفيتنا شره فلك عندى ابنتى فقال له حبا وكرامة ولكن من يشهد عليك بذلك قال له الوزير القسيسون واستحضر القسيسين وقال اشهدوا ان من قتل هذا الشاب العربى فله عندى ابنتى فشهدوا عليه وانصرفوا ثم ان ديكان لبس آلة حربه ودنا من الصفين وكان راكبا على جواد اسرع من السهم فلما قرب من عبد الله قال له ما اسمك ايها الشاب قال عبد الله بن جعفر قال له انت الذى تزوجت بنت الملك صاحب الملقة وسحرتها قال كذبت نحن لسنا من اهل السحر انما نحن قوم ديدننا ضرب الحسام والصبر على المقام قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك فلما سمع عبد الله منه هذا الكلام صار الضياء فى وجهه ظلام وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها عدو الله فاتت غير صائبة ثم اتبعها بضربة اخرى اشد منها فقسمه مع جواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار وكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة ثم حمل عبد الله على الميمنة والميسرة

فانصبت عليه الجنود فلما راى بنو هاشم وبنو مخزوم ذلك حملوا بعنان واحد وارتفع الغبار وصار النهار كالليل المظلم ونادى الزبير بن العوام يا آل هاشم اثبتوا فى مواضعكم لان عبد الله لم يظهر له اثر ثم تلاحقت الناس بعضها ببعض وكثر الصياح ونساء العرب يحرضن الناس فزاد بنو هاشم وبنو مخزوم فى حملاتهم على الاعداء وصدموهم صدمة عظيمة بعد ان صبروا معهم صبرا عظيما رضى الله عنهم اما بنو امية فلم يثبتوا فى مواضعهم ولم تكن غير ساعة حتى ولوا الادبار فعند ذلك نادت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها باعلى صوتها يا عبد الله ادرك بنى امية وكانت اسماء جهيرة الصوت فسمعها عبد الله فسار اليهم كالاسد الغضبان وحمل عليهم حملة شديدة وقتل فى تلك الحملة مائتى فارس ورد النصارى عن بنى امية واعادهم الى مواضعهم وقال لهم يا بنى امية اما تستحيون من العار فلم يجبه احد ثم تكاثرت اعداء الله على بنى هاشم ومع ذلك فلم يتحركوا من مواضعهم فلله درهم وقاوموهم اشد مقاومة ثم ان الوزير امر الرماة بالرمى فرموا السهام على المسلمين حتى لم يطيقوا واهجوما ورجعوا الى فساطيطهم ودخل الوزير البلد بجيشه واغلق الابواب بعد ان ترك اربعة الاف قتيل فى ميدان القتال ومات من المسلمين الف فارس من لخم وجذام وطئ وحمير وفشت الجراحات فى خلق كثير من الجانبين (قال) فلما دخل الوزير البلد سار الى الملك فوجده جالسا بين الف جارية ابكار وشبات واطعمة تتبدل بين يديه وخمور فى اوانى الزجاج مختلفة الالوان وفى وسط المجلس اربع يواقيت تضئ كالنهار والصلبان عن يمينه وشماله وخلفه وامامه وهى مائة صليب وفوق راسه طيور تغرد بحنين الاصوات ووحوش الفلاة تلعب امامه وهو فى بسط وانشراح لا يعلم شيئا مما كان وما يكون (قال) فلما دخل الوزير على الملك قال له ما وراءك قال ان صعاليك العرب تجاسروا علينا وارادوا ان يفعلوا بنا ما فعلوا بغيرنا ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاجعلن اميرهم على رمح طويل وارفعه عليه لكى يشاهده جميع العرب وناخذ هذا الشاب المسمى بعبد الله بن جعفر اسيرا قال له الملك اذا كان فى صبيحة غد اخرج اليهم واطلب البراز من الامير عقبة لعل المسيح ينصرنا عليهم (قال) فلما اصبح الله بخير الصباح ضربت طبولهم وخرج الوزير فى جيش كالجراد المنتشر ورتبهم فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم ثم نادى الوزير ببطارقته وقال ايكم يخرج للبراز فجاءه فارس

صنديد اسمه بلبان العبوس انا اطلب البراز من هؤلاء العرب فقال له الوزير لا تطلبه الا من اميرهم عقبة لان الملك امرني بذلك قال له سمعا وطاعة ثم ان بلبان لبس آلة حربه وتقلد حسامه وتقدم بين الصفوف ونادى باعلى صوته اين الامير عقبة ليخرج للبراز فسمعه عبد الله بن جعفر فقال له انا ابرز اليك يا عدو الله قال لا ابارز الا عقبة اميركم لان الملك امرني بذلك ولا اقدر ان اعصى امره طرفة عين قال له عبد الله كيف تدعو للبراز من هو اكبر منك سنا وانت صغير السن فكان عليك ان تطلب البراز ممن هو مثلك قال اني مأمور بذلك (قال) ولم يزل اللعين ينادي بالبراز حتى سمعه الامير عقبة بن عامر رضي الله عنه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ثم نهض وودع زوجته اسماء ولبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب جوادا من عتاق الخيل فلما رأته اسماء خارجا بكت بكاء شديدا فقال لها عبد الله ما ابكاك قالت كيف لا ابكي وعدو الله يدعو عقبة للبراز وهو رجل كبير السن لا يقدر على الحرب قال لها احسني الظن بالله (قال) وشق على المسلمين خروج عقبة للبراز لما يعلمون من بسالة بلبان وبطشه وشدة باسه وقال الفسوة لعبد الله امسك الامير عقبة ولا تتركه يبارز ولو ان اللعين طلبه وبارز انت مكانه فعند ذلك تقدم عبد الله والزبير بن العوام والفضل بن العباس نحو عقبة وتعلقوا باذياله وقالوا له ارجع ايها الامير ونحن نكفيك امره قال لهم لا بد من مبارزته حتى لا يراني الله قاصرا عنه وفي اثناء ذلك كان بلبان ينادي باعلى صوته اين عقبة فاني لا ابارز غيره فاقسم عقبة ان يبارزه وسار اليه ولما دنا منه قال له بلبان انت الامير عقبة قال نعم قال كيف تكون اميرا وانت على هذه الحالة وكان عقبة يومئذ لابسا جبة من صوف لا تزيد قيمتها على ثلاثة دراهم فقال له نحن لا نميل الى الدنيا وزينتها الفانية وقد قال الله تعالى وما الحياة الدنيا الا متاع الغرور (قال) ثم حمل كل منهما على الآخر وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية ثم ضرب عدو الله عقبة فلم يصبه والوى عليه عقبة وضربه فاصاب جواده فقتله فعند ذلك توقف عقبة عن القتال فقال له بلبان ما بالك متوقفا قال حتى تأتي بجواد آخر فاعتبر بلبان وقال هكذا الوفاء وسار واتى بجواد وعاد للقتال ولم يكن غير ساعة زمانية حتى اختطف عقبة من سرجه كالعصفور وسار به الى ان وصل للوزير وقال له دونك واميرهم فاخذه الوزير واوثقه كتافا وشكر بلبان ثم قال له ارجع واطلب عبد الله بن

جعفر لعلك تاخذه اسيرا او تقتله فرجع عدو الله الى ما بين الصفوف ونادى ابن عبد الله بن جعفر وما استتم كلامه حتى اتى اليه وحمل كالاسد الغضبان عليه وهو يقول لبيك لقد دعوتنى الى ما اشتهى واريد وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فاصاب الجواد فقتله وزاد عليه فقطع يده اليسرى فلما راى عدو الله الهلاك قال يا عبد الله الذمام على الروح وها انا بين يديك افعل بى ما تريد فدعا عبد الله بسليمان بن خالد وقال له خذ هذا اللعين الى الفساطيط واوثقه كتافا فقال سمعا وطاعة وسار به ثم ان عبد الله تقدم امام صفوف النصارى وقال ايكم يخرج للبراز يا اعداء الله انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجبه احد فعند ذلك حمل على الميمنة فقتل خمسة وحمل على الميسرة فقتل عشرين فارسا ثم حمل على القلب فانصب عليه النصارى ولما راى المسلمون ذلك حملوا بعنان واحد وتلاطمت الابطال بالابطال واشتغلت الرجال بالرجال واشتد بينهم القتال وبينما هم فى الحرب الشديد واذا باعداء الله انهزموا وولوا هاربين ودخلوا البلد واغلقوا الابواب واخذ الوزير عقبة معه موثوقا (قال) وكان الملك فى بساط العز والجوارى بين يديه يمينا وشمالا يغنين ويضربن بآلات الطرب فلما سمع ضجيج المنهزمين دعا بالوزير وكان الوزير عنده وقد اتى اليه بالامير عقبة فدخل عليه ومعه عقبة فقال له الملك من هذا الذى معك قال امير جيش العرب فقام اليه الملك وحل وثاقه والبسه ثيابا رفيعة واجلسه خلفه وامره ان يشرب الخمر فقال له عقبة لا افعل ذلك لانه حرام فى ديننا قال لا بد منه وهو حلال قال له يا عدو الله تحلل ما حرم الله فهذا لا افعله ابدا فقال له الملك ان لم تفعل ما امرتك به قتلتك شر قتلة قال عقبة يا عدو الله اجلى بيد الله ليس بيدك فاغتاظ اللعين من ذلك وغضب غضبا شديدا وضربه ضربا وجيعا فعند ذلك اختطف عقبة سيفا كان مطروحا قرب الملك وضربه على راسه فشقه وقطع اذنه فقام الملك هاربا وعقبة فى اثره الى ان اخرجه من القصر فاغلق عقبة الابواب واخذ يكسر الاصنام ويقتل كل من تعرض له من الجوارى حتى قتل منهن كثيرا ولم ينج منهن الا من فازت بنفسها واختفت فى مكان لم يعثر عليها فيه ثم دخل بيت الخلوة فوجد فيه من الذهب والفضة والجواهر ما لا يحصى ولا يوصف ومكث عقبة متحصنا فى القصر يتدبر حيلة للنجاة وهو وحيد ما له من نصير الا الله تعالى (قال) ولما ولى الملك هاربا واغلق

عقبة

عقبة دونه ابواب القصر اخذ ينادى بالويل والثبور ويصيح فى قومه ان لم تمكنونى
من عقبة قتلتكم جميعا فعند ذلك كسروا الابواب وهى سبعة ودخلوا على عقبة
فكبر وحمل عليهم فقتل سبعة ورجع فتبعه الجنود فحمل عليهم مرة ثانية وقتل خمسة
فالحق به الاعداء النبال فانجرح خمس جراحات فوقع فى الارض فادركوه واوثقوه
كتافا واتوا به الى الملك فلما اوقفوه بين يديه اخذ سوطا وجعل يضربه ضربا وجيعا
حتى وقع مغشيا عليه لا حراك به ثم وضعوه على مائدة من الخشب بعد ما البسوه ثوبا
من شعر ونصبوا تلك المائدة على ثلاثة اعواد من الرماح وقال الملك لقومه اذا خرجتم
غدا فاركزوا الرماح فى ميدان البراز لكى يشاهده العرب (قال) فلما اصبح الصباح
ركبت الجنود وخرج القسيسون والرهبان امامهم التوراة والانجيل فلما قربوا من
المسلمين فعلوا بعقبة ما امرهم الملك ولم يتركوا من امره شيئا فلما راى المسلمون
عقبة على هذا الحال بكوا بكاء شديدا وعظم عليهم الامر وبكت اسماء بنت ياسر
ونادت يا عبد الله اما رايت اميركم عقبة كيف فعل به الاعداء فركب عبد الله
فى الحين وركب المسلمون وصاح عبد الله صيحة عظيمة وقال رحم الله من كسر
غمد سيفه فى سبيل الله وحمل عبد الله والمسلمون حملة واحدة كالاسود وحملت
النصارى والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وصبر اعداء الله يومئذ
صبرا جميلا وكان الوزير يحرض قومه ويقول ايها الابطال رحمكم المسيح قاتلوا عن
دينكم واموالكم وحريمكم واولادكم وبلادكم قتال الابطال وجندلوا الرجال ولا
تطمعوا العرب فيكم وفى بلادكم فانما مثل العرب كمثل الذباب ان تركته اكل
وان منعته فر وهلك فاثبتوا واصدقوا العزم (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
واحاط النصارى بالمسلمين من كل جهة وجانب وكان المسلمون لا يظهرون فيهم
لكثرتهم ودارت رحى الحروب واشتد الطعن والضرب وقوى القتال وعظم النزال ولما
راى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه جموع النصارى متكاثرة عليهم رفع راسه
الى السماء ودعا الاله وقال لا غالب الا الله اكثروا يا اخوانى من ذكر رسول الله صلى
الله عليه وسلم واياكم ان تولوا الادبار ولا ترهبكم كثرة الاعداء فقد قال الله تعالى
كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واصبروا فانتم الاعلون
والله معكم فليست جموعهم باكثر من جموع الشام واليمن والعراق والحجاز ومصر
ومع ذلك فقد ملكتم بلادهم وقتلتم ملوكهم وبطارقتهم وقد دانت لكم البلاد وقد

كنتم قليلا فكثركم الله ووعدكم على لسان نبيكم صلى الله عليه وسلم انه يستخلفكم في الارض كما استخلف الذين من قبلكم ومن قتل منكم كان له الجنة وتنتقل روحه الى روح وريحان (قال الراوى) ثم حمل عبد الله والزبير بن العوام والفضل بن العباس ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين بعضهم على الميمنة وبعضهم على الميسرة وعبد الله على القلب وكان اعداء الله ورسوله يتزلون السهام عليهم كالمطر الغزير وهم لا يبالون بها ولا يزالون يقاتلون حتى صارت الدماء على دروعهم كقطع اكباد الابل ولله در عبد الله بن جعفر رضى الله عنه فقد ابلى فيهم بلاء حسنا وفرق جموعهم يمينا وشمالا ولم يزل يشدد الحملة عليهم حتى ولوا الادبار تاركين سرير الملك وكان كله من الذهب الوهاج وفيه اربع يواقيت فلما تقدم اليه عبد الله واراد حمله صاح الوزير فى قومه وقال لهم دونكم والسرير فحملوا على عبد الله فتداركه المسلمون وحملوا عليهم وصدموهم صدمة عظيمة الى ان ادخلوهم البلد ودخل الوزير واغلق الابواب وامر الرماة بالطلوع على الاسوار ثم سار الوزير حتى دخل على الملك وهو يرتعد كالورقة فى الريح العاصفة من شدة الخوف فلما رآه على تلك الحالة قال له ما وراءك قال الموت النازل قال له هربت من صعاليك العرب فقال الوزير ما رايت صعلوكا غيرك فلما سمع الملك منه ذلك غضب غضبا شديدا واستوى قائما على قدميه وكان قويا شديدا مشهورا بالبطش والشجاعة فى قومه فكب الوزير على وجهه وقتله ثم خرج من قصره مهرولا كالبعير الهايج وصاح باعلى صوته ايها الاقارب والاخوان والعشيرة من خالف امرى ولم يحضر عندى الساعة قتلته (قال) فلم يكن غير ساعة الا وقد حضروا جميعهم بين يديه فقال لهم ما جرى لكم مع صعاليك العرب قالوا ايها الملك وحق اللات والعزى والصنم الادنى لقد راينا قوما الموت عندهم خير من الحياة ونحن عندهم مثل الطعام للجائع ولا نشك فى انهم يملكون المدينة فلما سمع كلامهم غضب غضبا شديدا وولى معرضا عنهم ودخل قصره ودعا بجارية كانت عنده اسمها داهية العقل فحضرت بين يديه وكانت هذه الجارية عالمة اديبة شجيعة اجمل اهل زمانها وهى بنت ملك كبير وكانت قتلت كثيرا من الملوك الشجعان فى ميدان الحرب اذ من عادتها اذا خطبها ملك او ذو شجاعة اشترطت عليه البراز فاذا بارزها قتلته وقد شاع خبرها فى جميع الاقطار ولم يغلبها فى البراز الا هذا الملك وكان ابوها

 ملكا

ملكا عظيما من اجل اهل زمانه ويقال ان امها من الجن وهى اميرة على قبيلة من الجان كانت اختطفت اباها وولدت منه هذه البنت فسماها ابوها داهية العقل لفرط حسنها وجمالها لان كل من رءاها يندهل عقله ولما بلغت مبلغ النساء شاع خبرها فى جميع الاقطار وخطبها ملوك افريقية والمغرب وكل من اتى الى ابيها قال له حكمها بيدها وهى لا تتزوج الا بمن يرضيها ويغلبها فى البراز وكل ملك او بطريق شجاع بارزها الا قتلته حتى اهلكت منهم خلقا كثيرا فلما سمع بها هذا الملك صاحب المرو وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا لا يمل من الحروب خطبها ومكث شهرين فى البراز معها وتغلب عليها بخديعة وتزوجها وصارت من اعز الناس عنده (قال الراوى) فلما حضرت بين يديه واعلمها بخبر العرب من اوله الى آخره قالت له اين شجاعتك وبسالتك وصولتك على الاقران قال لها انى لم اخرج اليهم قبل اما الان فلا بد ان اخرج بنفسى واسقيهم كاس الردى قالت افعل وبادر بذلك فعند ذلك قام ودخل بيت سره وكان عنده صنم لم يطلع عليه احد غيره فسجد له من دون الله ولا زال ساجدا حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال له انا اكفيك امرهم فلما سمع منه ذلك فرح فرحا شديدا وامر باحضار آلة الطرب والخمر فحضر نحو الف جارية من الجوارى الحسان فضربن الالات وغنين ووقف الغلمان يروحون عليه بارياش مضمخة بالمسك والكافور وبقى عدو الله على هذه الحالة فى لهو وزهو وانشراح الى ان اقبل النهار وولى الليل ولما اصبح الله بخير الصباح وطلعت الشمس خرج فى جيش عظيم وسار نحو المسلمين فلما قرب منهم رتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما رءاهم المسلمون رتبوا جيوشهم كذلك وتاهبوا للحملة فنادى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه لا تحملوا اليوم على اعداء الله لانى اردت ان اطلب البراز من الملك لعل الله سبحانه وتعلى يمكننى منه (قال) فلما سمع المسلمون كلام عبد الله عدلوا عن القتال ثم مضى عبد الله الى فسطاط الامير عقبة ودعا بماء واسبغ وضوءه وصلى ركعتين ودعا الله تبارك وتعلى ولبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم وتمنطق بمنطقته وتقلد حسامه وخرج للبراز وجال بين الصفين ونادى اين الملك يخرج الى برازى انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعه النصارى صاروا ينظرون اليه رجالا ونساء ويتعجبون من حسنه وجماله وفروسيته وهم شاخصون صامتون ولبس

الملك ءالة حربه وتدرع بدرعين وركب جواده وقد كساه بالحديد بحيث لا يرى منه غير عينيه وتقلد حسامه ثم دعا بارباب دولته فحضروا بين يديه فقال كونوا على حذر فاذا رايتم هذا الشاب متغلبا عليّ فادركوني لئلا يفتضح امري قالوا له سمعا وطاعة فقالت له داهية العقل لا يغرنك امر هذا الشاب فاني ميزته ورايت تحريكه لجواده فوجدته فارسا عظيما لا يطاق وانا قد نصحتك فكن على حذر منه (قال) فلما سمع كلامها وقع الرعب في قلبه وخشي على نفسه الهلاك ثم سار حتى دنا من عبد الله وقال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له انت الذي قتلت ابطال النصارى قال نعم انا الذي يتمت اطفالهم وهدمت ديارهم وكسرت صلبانهم انا ابن عم محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اليوم تتبين شجاعتك قال عبد الله الافعال تنقص وتزيد قال له احمل علي او احمل عليك قال عبد الله احمل انت فحمل الملك عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه فاصاب كفل الجواد وكان الجواد كله مغمرا بالحديد فلم يوثر سيفه فيه ثم الوى عليه عدو الله وضربه فراغ له فلم يصبه ولا يزالان على هاته الحالة الى ان غربت الشمس واظلم الليل فاراد عبد الله الرجوع الى المسلمين فقال الملك وحق اللات والعزى لا نبرح من هذا المكان الا ان تقتلني او اقتلك (قال الراوي) وكان عدو الله لا يكل ولا يمل في الحرب قال له عبد الله ان النهار قد ادبر والليل اقبل والايام تتوالى علينا قال لا اقبل هذا ابدا فعند ذلك قال له عبد الله خذ على نفسك يا لعين وحمل عليه وحمل الملك عليه واشتد بينهما الطعان فلا تسمع الا قعقعة السلاح وهما كالاسدين ودام البراز بينهما الليل كله وتماديا عليه في الصباح وعدو الله لا يزداد الا طغيانا وكفرا ولما كان وقت الزوال لبس الزبير بن العوام ءالة حربه وتقدم الى ميدان القتال وقال لعبد الله ارجع لتستريح وانا ابارز مكانك فامتنع وقال له كيف اتاخر وانا مطلوب منه فاقسم عليه الزبير ان يستريح فتاخر عبد الله وتقدم الزبير فقال له الملك انت الزبير بن العوام قال نعم قال له ادن مني لتنظر الحروب (قال) فما استتم كلامه حتى حمل عليه الزبير وضربه ضربة شديدة فاصاب راس الجواد فلم يقطع فيه السيف شيئا فانثنى عليه عدو الله وضربه فلم يصبه والوى عليه الزبير وضربه فراغ له ثم ضرب الزبير فاخذها في درقته فانقسمت نصفين فغضب الزبير وضربه ضربة شديدة فاصابته فانقلب من على

جواده

جواده فزاده ضربة اخرى وهو فى الارض فلم توثر فيه ثم اخذ الزبير جواده وسار به
الى جيش المسلمين فتعرض له سليمان بن خالد واخذه من يده ورجع الزبير فوجد
عدو الله قد هرب الى جيشه فناداه وقال يا عدو الله هربت من الزبير بن العوام
فلما راى قومه ذلك حملوا على المسلمين حملة منكرة فتلقاهم صبيان بنى هاشم وبنى
مخزوم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان فلم يكن غير ساعة حتى
ولى اعداء الله الادبار والمسلمون فى اثرهم الى ان ادخلوهم البلد (قال) فدخلوا
واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار ورجع الصحابة رضى الله عنهم والدماء
تقطر منهم كانهم كانوا يخوضون فى بحر من الدم وبات اعداء الله فى حزن عظيم مما حل
بهم وبات المسلمون فى فرح وسرور مما فعل الزبير ء الهم غير انهم متكدرون من
اجل عقبة ولم يهنا لهم عيش ولا منام واجتمعوا عند زوجته اسماء بنت ياسر
ليهونوا عليها الامر وقال لها عبد الله بن جعفر طبى نفسا وقرى عينا فوحق رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا بد ان نفعل باميرهم مثلما فعل باميرنا فشكرتهم اسماء
واثنت عليهم وقالت يا ابن جعفر كان الا فلم يفعلون هكذا واذا ضاق الامر لا
يوسعه الا بنو هاشم ثم قال الزبير لعبد الله اذا كان فى صبيحة غد ان شاء الله تعلى
اركب الجواد الذى اخذناه من عدو الله واطلب البراز لانه مغمور بالحديد لا يرى
منه غير عينيه فاذا ركبته لا يقدر عليك احد فشكره عبد الله وقال له جزاك الله
خيرا (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح خرج النصارى من المدينة كانهم جراد منتشر
وخرج عدو الله بين الرايات وطبوله تضرب فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم
كعادتهم وركب عبد الله بن جعفر جواد الملك وتقلد حسامه ولبس درع رسول
الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى ما بين الصفوف ونادى باعلى صوته اين عدو
الله يخرج للبراز فلما راى الملك جواده تحت عبد الله غضب غضبا شديدا وركب
جوادا آخر من نسل خيل كانت لشداد بن داوس الرومى ولبس آلة حربه وتقلد
حسامه ونادى باعلى صوته ايها الوزراء اذا رايتمونى قد تقوى علىّ هذا الشاب
فادركونى فقالوا سمعا وطاعة وسار الى البراز ولما دنا من عبد الله حمل عليه فى
الحين من شدة الغيظ حملة منكرة وحمل عبد الله عليه ايضا وسبقه بضربة فاصابت
كفل الجواد فقسمته نصفين وضربه ضربة اخرى فاصابت سيفه فكسرته وزاد عليه
فلما راى الملك نفسه قريبا من الهلاك فرّ هاربا نحو جيوشه فلحق به عبد الله

وجرحه بين كتفيه ولما راى ارباب دولته ذلك هجموا كلهم على عبد الله وعند ذلك نادى الزبير باعلى صوته يا ويلتاه هلك عبد الله فحمل وحمل المسلمون والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وارتفع الغبار واظلم النهار ولم يلبث اعداء الله غير ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار ودخلوا البلد فاقتفى المسلمون اثرهم الى الاسوار فلم يستطيعوا صبرا على السهام التى كانت تنزل عليهم فرجعوا رضي الله عنهم الى فساطيطهم ولله در بنى امية ذلك اليوم فانهم جاهدوا فى الله حق جهاده وشكرهم الصحابة وفرح بذلك عبد الله والزبير ثم اجتمعوا كلهم فى فسطاط عبد الله وجلسوا يتحدثون الى العشاء وبينما هم كذلك اذ سمعوا بكاء اسماء بنت ياسر رضى الله عنها فبكوا لبكائها وقاموا باجمعهم وساروا الى فسطاطها ودخلوا عليها فوجدوها تبكى فقالوا لها ما ابكاك قالت كيف لا ابكى وعقبة لم يظهر له اثر ولا عرفناه حيا ام ميتا فقالوا لها الامر لله وكل شئ بقضاء وقدر وجلسوا عندها حتى زال ما بها من الجزع والخوف ثم صلى عبد الله بن جعفر بالمسلمين صلاة العشاء ولما فرغوا من صلاتهم قال لهم بصوت عال ايها الناس اصبروا صبر الكرام ولا تموتوا موت اللئام واعلموا ان عدو الله قرب هلاكه فاذا كان فى صبيحة غد لا نقتله وناخذه اسيرا ان شاء الله تعلى فكبر المسلمون ورجع كل واحد منهم الى فسطاطه (قال الراوى) ولنرجع للكلام على اعداء الله فانهم حين انهزموا دخلوا المدينة وولى الملك هاربا الى قصره وهو حزين القلب مما وقع له وحل به من عبد الله والزبير رضى الله عنهما ولما دخل بيته امر باحضار عقبة وكان عقبة عند داهية العقل وهى تداوى جراحاته وقد احسنت اليه وفعلت به خيرا عظيما فاتى اليه غلام وقال له ان الملك امر باحضارك فقام وسار معه فلما دخل عليه قال له كيف افعل بك يا عقبة وبينما هو يخاطبه واذا بداهية العقل قد دخلت عليه مخافة ان يفرط على عقبة وقالت له ايها الملك ما رايك فى امر العرب قال لها انا رهين رايك وامرك قالت اذا كان فى صبيحة غد فانا اطلب البراز ففرح بذلك فرحا شديدا لما يعلم من شجاعتها وقال لها حينئذ انا فى هذه الليلة احرق عقبة فقالت لا تفعل ذلك فان انت فعلته فانا لا اخرج للبراز قال حبا وكرامة انا ما قصدت الا استشارتك ولا افعل امرا من الامور الا بمشورتك ثم امر باحضار الخمر والات الطرب وقضى ليلته فى شرب الخمر واللهو والانشراح ولما اصبح الله بخير الصباح

استوى

استوى قائما على قدميه ودعا بارباب دولته ورجال مملكته ولما حضروا بين يديه قال لهم ايها الاقارب ان داهية العقل خارجة الى البراز فاشهدكم علي انها اذا قاتلت عبدالله بن جعفر او اتت به اسيرا فلها مملكتي فشهدوا عليه بذلك وامر قومه بالخروج فخرجوا كلهم ولم يبق منهم احد ولبست داهية العقل آلة حربها وركبت جوادها وكان خاصا بها لا يركبه احد سواها وهو يجري مثل الطيور (قال) وكانت داهية العقل لا تطاق في الحرب ولها معرفة تامة بالخداع وسارت على جوادها وجالت يمينا وشمالا ونادت انا داهية العقل هل من مبارز يبارزني فلما سمعها الزبير ناداها ايتها الجارية اصبري حتى اتى اليك فلما سمعت كلامه تبسمت فندم الزبير على ما صدر منه وقال كيف ابارز امراة والله لا افعل ذلك ابدا (قال) ثم نادت باعلى صوتها ابن الزبير ابن عبد الله فلم يجبها احد فكررت النداء فعند ذلك قال الصحابة لبعضهم بعضا كيف نبارز امراة واذ هم يتكلمون في هذا الشان خرج اليها فارس من حمير اسمه مرة بن كندة فلما قرب منها قالت له الى اين تريد قال اريد مبارزتك قالت انا لا ابارز الا عبد الله بن جعفر او الزبير ابن العوام قال لها هذان لا يبرزان اليك ابدا قالت وما السبب قال لها لانك امراة قالت ها انا ابارزك انت حتى يتبين لهم فعلي ثم قالت احمل علي او احمل عليك قال انا احمل عليك قالت افعل فحمل عليها حملة منكرة وضربها ضربة شديدة فاتت غير صائبة ثم الوت عليه واختطفته من سرجه ومضت به الى الملك وقالت له انظر ما فعلت بصعاليك العرب فقال لها اصبري حتى يخرج اليك الداهية العظمى وترين العجب قالت ومن يكن هو قال الشاب الذي كنت اتبارز معه انا قالت الساعة يتبين لك الامر (قال) ثم رجعت ونادت بالبراز فخرج لها ابن اخ صاحب سطيف فلما قرب منها قالت له ارجع انا لا ابارز الا عبد الله بن جعفر قال لها والله لا افعل ذلك ولا يراني الله قاصرا عن برازك قالت اذا واللات والعزى لقد غررت بنفسك وانا قد نصحتك وما استتمت كلامها حتى حمل عليها وضربها فلم يصبها فالوت عليه بخديعة وسارت به الى الملك اسيرا فشكرها ثم عادت للبراز وكل من خرج اليها اسرته الى ان اسرت عشرة من اخلاط العرب (قال) فلما راى عبد الله منها ذلك تعجب وقال لاصحابه كيف الامر مع هاته الجارية قال له الزبير كيف نبارز امراة ليس هذا من شان الصناديد وبينما هم كذلك واذا بداهية العقل

رجعت ونادت باعلى صوتها هل من مبارز انا داهية العقل فاجابتها خادمة كانت لبنى هاشم اسمها ميمونة وقالت لها اصبرى حتى اصل اليك وابارزك ودخلت ميمونة فسطاطها واخذت دبوسا كان عندها من حديد وزنه خمسون رطلا وركبت مطية حمراء واخذت درقة كانت لبعلها ولبست آلة حربها وسارت الى ما بين الصفين ولما دنت منها قالت لها ارجعى قبل ان يفتضح امرك بين اقرانك قالت ميمونة افعلى ان انت قدرت على ذلك فتبسمت داهية العقل من كلامها وحملت عليها واختطفتها مع دبوسها وسارت بها الى الملك وقالت هذا ما تفعل النساء ايها الملك فقال لها لو تاتينى بالمسلمين كلهم فليس بشئ عندى وما يشفى غليلى الا اذا اتيتنى بعبد الله بن جعفر او الزبير بن العوام فقالت له مهلا عليك الساعة يحضران بين يديك ثم عادت للبراز ونادت بصوت عال اين عبد الله بن جعفر اين الزبير ابن العوام فقال عبد الله للزبير هذه ليست من الانس وانما هى من الجن قال له الزبير وكيف الامر قال عبد الله انا اخرج لها بنفسى ولا يرانى الله قاصرا عنها ثم نهض ولبس آلة حربه وركب جواده وتقلد حسامه ودرقته بيده فلما رآه صهره ابن الملك صاحب المعاقة اقسم عليه بالله ان يرجع فرجع عبد الله وسار ابن الملك حتى قرب منها فقالت له انت صهر عبد الله قال نعم قالت له ما غرك حتى رجعت على دينه قال لها خرجت من الظلمات الى النور ورايت الحق فاتبعته قالت له سحرك العرب وخدعوك قال لها والله انهم قوم لا يعرفون السحر وليسوا من اهله (قال) ثم حملت عليه حملة منكرة واختطفته من سرجه وسارت به حتى سلمته للملك وعادت للبراز ونادت بعبد الله والزبير فما استتمت كلامها حتى حمل عليها عبد الله حملة منكرة وضربها وقال بسم الله الرحمن الرحيم فاصابت الضربة الارض ولم يجد لها اثرا ثم حملت هى على عبد الله وارادت ان تاخذه من سرجه فتحصن منها باسماء الله الحسنى فرجعت وسار عبد الله الى المسلمين فقال له الزبير ماذا رايت فى هذه الجارية قال الم اقل لك انها جنية وقد ارادت ان تاخذنى اسيرا فزجرتها باسماء الله الحسنى فرجعت من حيث اتت قال له الزبير وكيف يمكن اخذها وهى على هاته الصورة قال عبد الله لا بد ان ناخذها ان شاء الله تعالى (قال) ثم رجعت ونادت باعلى صوتها هل من مبارز فخرج اليها الزبير ولما قرب منها قالت له ما اسمك قال الزبير بن العوام وضربها وقال فى ضربته

بسم

بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شئ فى الارض ولا فى السماء وهو السميع العليم فاصاب جوادها فقتله فوقعت فى الارض فلما اراد ان ياخذها طارت فى الهوى كانها الريح وسارت لتاتى بجواد ولما قربت من الملك قال لها الم اقل لك انك لا تقدرين عليهم فهم يقاتلون الانس مع الجان قالت له وحق اللات والعزى ما رايت اقوى من هولاء الشبان فى الحرب (قال) والزبير لا يزال واقفا ينتظرها فركبت جوادا وسارت اليه وقالت ايها الفارس انظر الحروب وحملت عليه فقال عند حملتها بسم الله الرحمن الرحيم تحصنت بالله وراغ لها فلم تنل منه شيئا وحمل عليها وضربها ضربة شديدة وقال فى ضربته الله اكبر فاصاب ذراعها فجرحه فالوت عليه وضربته فاصابت جواده وزادت عليه وارادت ان تاخذه اسيرا فانفلت منها وولى هاربا ثم رجع اليها راجلا وضربها فاصاب رجل الجواد فكبا بها وسقط ميتا فتصارعا فى الارض ساعة ولم يقدر احدهما على صرع الاخر ثم رجعت لتركب جوادا ورجع الزبير ولما قرب من المسلمين تلقاه سليمان بفرس فركبه واثنى المسلمون عليه وشكروه وقال له عبد الله ان النهار قد ادبر والليل قد اقبل ولم يبق للبراز وقت فاسترح الان لانك تعبت فى حرب هاته الجارية فقال والله يا عبد الله ما رايت اقوى منها فى الحرب وعدل الزبير عن الرجوع للبراز وبات المسلمون تلك الليلة فى غم شديد وحزن عظيم من اجل عقبة ومن معه من الاسارى (قال الراوى) ولما صلى الناس صلاة العشاء قام عبد الله الى فسطاطه وتحزم بمنطقته وتقلد حسامه وسار حتى قرب من باب المدينة وجلس يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم وبينما هو كذلك اذ اقبل رجل من جهة المدينة فلما احس به عبد الله اختفى فى مكان هناك ولما اقترب من الباب نادى بصوت ضعيف اين انت يا عبد الله فلم يجبه عبد الله فكرر ثانيا وثالثا اين انت يا عبد الله فعند ذلك اجابه بصوت رقيق من انت ايها الرجل فقال انا اخوك فى الله قال له عبد الله وما الذى اتى بك فى هذه الساعة قال انت يا عبد الله قال له ومن اعلمك بى الان قال رايت ذلك فى تواريخى من قبل ان تخلق فى بطن امك وعلمت انك تاتى الى هذه المدينة فى عام كذا فى شهر كذا فى ليلة كذا وان المدينة تفتح على يدك وعلى يد شيخ كبير فلما رايت ذلك فى تواريخى بقيت اراقب هاته الليلة لكى انال الدرجات فى الجنة فادخل الان يا عبد الله وتوكل على الله قال له ومن اين ندخل البلد والابواب مغلقة (قال) وكان

عند الرجل فاس فعمد الى الباب وحفر تحته قدر ما يسع الرجل ثم دخل الرجل وادخل عبد الله بعده واخذ بيده وقبله بين عينيه وقال له الحمد لله الذى جمعنى بك هذه بشارة عظيمة من عند الله وسار به واذ كان سائرا معه اتت اليه امراة فاخذت بيده وقبلته بين عينيه وقالت له مرحبا بعبد الله وذهبت فى حال سبيلها ثم ان الرجل اوصل عبد الله الى منزله وقال له اجلس هنا ولا تبرح من هذا المكان حتى ارجع اليك وترى وجهى (قال) فسار الرجل الى قصر الملك فوجده نائما وداهية العقل مستيقظة فقالت له لاى شئ اتيت فى هذه الساعة قال لها سمعت بان الزبير بن العوام جرحك فاتيت لاعالجك لان لى معرفة بالطب فشكرته واثنت عليه ثم قال لها انى اريد ان ارى امير العرب وكان عقبة فى محل منفرد ومعه الاسارى الذين اسرتهم داهية العقل فقالت سر اليه وانظره فسار حتى وصل اليه فوجده جالسا مع اصحابه لا غير فلما دنا منهم قال السلام عليكم ايها الاسود قالوا له عليك السلام ان كنت من اهل السلام قال لهم اين اميركم عقبة قالوا هو هذا واشاروا له بايديهم فنظر اليه عقبة وبكى وبكت معه الاسارى فقال لهم لا تحزنوا ان الله معكم قالوا له ومن انت ايها الرجل قال انا اخوكم فى الله قالوا له من اين انت قال من اهل البلد قالوا هل لك ان تفعل معنا جميلا فتاتينا بدواة وقرطاس قال ولم ذلك قالوا نريد ان نكتب الى مفرح القلوب ومفرج الكروب قال من يكن هذا قالوا عبد الله بن جعفر قال لهم ابشروا ان عبد الله عندى فى منزلى (قال) فلما سمعوا كلامه قاموا اليه كلهم وقبلوه بين عينيه فقال لهم انا الان امضى اليه وآتيكم به لهذا المكان ثم سار الى داهية العقل فقالت له ما ابطاك ايها الطبيب قال لها كنت اسال العرب عن دينهم فوجدت ديننا افضل من دينهم قالت له هل تستطيع ان تداوى لى هذا الجرح بدواء نافع قال لها هذه صناعتى وانا طبيب غير انه يوجد الان عندنا طبيب ادرى منى بالجراحات فان اردت اتيتك به الساعة فقالت بادر اليه وادخله علىَّ فقال لها حبا وكرامة وسار الى ان وصل الى منزله فوجد عبد الله نائما فاراد ان ينبهه من نومه فقالت له زوجته لا تفعل فجلس عند راسه هو وزوجته واخذا يروحان عليه حتى استيقظ (قال) فلما انتبه عبد الله وجد الرجل وامراته عند راسه فقامت المراة واتته بطعام حسن فاكل منه قدر كفايته ثم قال للرجل ما ابطاك قال له كنت فى قصر الملك ووجدت زوجته داهية العقل مجروحة

 وهى

وهي تسال عمن يداويها واجتمعت بالامير عقبة واصحابه وهم يقرئونك السلام ففرح عبد الله وقال له جزاك الله خيرا ولكن كيف يكون اللحوق بهم قال انا امضي معك حتى ادخلك على داهية العقل فاذا قالت لى من هذا الذي معك اقول لها طبيب فاذا صرت معها فى القصر افعل ما اردت قال له عبد الله حبا وكرامة فسار الرجل وسار معه عبد الله وبينما كانا سائرين فى ازقة المدينة اذ لقيتهما امراة فقالت لهما مرحبا بالاطباء وتبسمت فقال لها الرجل بلسان النصرانية ما اضحكك قالت ضحكت من عبد الله الذي صار طبيبا لداهية العقل قال لها الرجل ومن اعلمك بهذا قالت الذي اعلمك اعلمنى ثم قبلته بين عينيه واسلمت فى ذلك الوقت على يديه وحسن اسلامها ثم سارا الى ان اقتربا من قصر الملك فوجدا امراة ورجلا واقفين على الطريق فلما دنا عبد الله منهما تقدما اليه وقالا له مرحبا بعبد الله قال لهما ومن اعلمكما بهذا قالا عرفنا ذلك وانت فى بطن امك وقبلا يديه وسارا فى حال سبيلهما ووصل الرجل مع عبد الله الى القصر وادخله على داهية العقل فوجداها جالسة تنتظر قدوم الطبيب فلما اقتربا منها جعلت تنظر يمينا وشمالا فقال لها الرجل ما لى اراك حائرة متفكرة قالت انى شممت رايحة عبد الله ابن جعفر فى هذه الساعة قال لها لعلها من اميرهم عقبة قالت نعم هذا هو الصواب ثم اذنت لهما بالجلوس فجلس عبد الله وقال لها امدد يدك (قال) فحققت النظر فى عبد الله وقالت له من اين انت ايها الطبيب لان هيئتك هيئة غريب قال لها انا من الشام ثم امر عبد الله باحضار الزيت والسمن وجعلهما متساويين ووضعهما على نار لينة واخذ يحركهما بعود ويقرا عليهما سورة الفاتحة وآيات الشفاء وبعد ذلك دعا وقال اللهم اشفها وعافها واهدها للاسلام وكتب سورة الجن ومحاها بذائب السمن والزيت وامرها بشرب ذلك على قدر طاقتها فلما شربته ودخل جوفها غشى عليها حتى ظن خدامها انها هلكت وتسممت ولما افاقت من غشيتها وهى ترتعد كالورقة التفتت الى عبد الله وقالت له انت عبد الله بن جعفر فقال لها ومن اعلمك بهذا قالت فى هاته الساعة هتف بى هاتف وقال لى ان الطبيب الذي عندك هو عبد الله فان لم تسلمى على يديه احرقتك بالنار فقمت من ذلك فازعة مرعوبة فقال لها عبد الله من يهد الله فهو المهتدى ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا ثم نظرت الى ذراعها فوجدت الجرح ملتحما وقد شفاها الله

فى الحين فزادها ذلك يقينا وتعلقا بالاسلام وقالت لعبد الله امدد يدك فمد اليها يده فاخذتها وقبلتها مرتين ثم قالت بلسان فصيح اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلمت وحسن اسلامها (قال) فلما راى ذلك الرجل الذى مع عبد الله قال لداهية العقل الم اقل لك انه طبيب ماهر وحكيم قالت له صدقت وبالحق نطقت ولكن امض واتنى بعقبة وجميع اصحابه الذين معه فسار ولما وصل اليهم وجدهم ينتظرون قدوم عبد الله فقالوا له اين الذى قلت لنا ان المومن اذا عاهد وفى قال لهم وما هو الوفاء قالوا انك وعدتنا بان تاتينا بعبد الله فى هذه الساعة فتبسم وقال لهم قوموا على بركة الله وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فقام عقبة واصحابه الاسارى وساروا حتى دخلوا على داهية العقل فلما راتهم قامت لهم اجلالا وتعظيما ورفعت شانهم ورحبت بهم وقالت لهم لولا عبد الله ما قامت لكم قائمة فى بلاد المغرب ثم احضرت لهم طعاما حسنا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على ذلك ثم اخذوا يتحدثون فيما بينهم عما يفعلونه مع الملك فقال لهم عقبة وما الحيلة حينئذ قالت لهم داهية العقل دونكم وعدو الله فافعلوا به ما شئتم (قال) فسار اليه عبد الله ومعه داهية العقل ودخلا عليه فوجداه نائما فاخذت داهية العقل خنجرا وارادت ان تطعنه به فمنعها عبد الله وقال لها لا تفعلى حتى يستيقظ فلما استيقظ من نومه فتح عينيه فوجد عبد الله عند راسه مع داهية العقل فقال لداهية العقل من هذا الذى معك قالت له عبد الله بن جعفر لا تخف ولا تجزع فهم قوم لا يخادعون وليس الغدر من شيمتهم ولكن اختر لنفسك احد امور ثلاثة اما الاسلام او الجزية او القتال هنا فى قصرك فسكت ولم يجبها بشىء فقالت له داهية العقل تكلم ولا حرج عليك فعند ذلك قال لعبد الله اما الاسلام فلا اذكره على لسانى ابدا قال له عبد الله تودى لنا الجزية فى كل عام كذا وكذا وبينما هما يتكلمان فى هذا الامر واذا بداهية العقل طعنته على حين غفلة بخنجر فازالت راسه عن جسده ثم سارت حتى دخلت على عقبة وقالت له قم ياعقبة فقد حان الوقت فقام وسار معها الى ان ادخلته على الملك فوجده صريعا يتخبط فى دمائه بلا راس فقال لها من فعل به هذا قالت من اراد التقرب الى الله عز وجل (قال) ففرح عقبة وجلس مع عبد الله ثم التفت الى داهية العقل وقال لها ماذا نصنع الان مع رجاله وارباب دولته قالت له اذا اتوا اليه فى صبيحة غد بجارى عادتهم ندخلهم واحدا

واحدا

واحدا وكل من دخل نضرب عنقه الى ان نقتلهم جميعا ان شاء الله تعلى وبعد ذلك نرسل الى المسلمين ليدخلوا المدينة بحول الله وقوته فقال لها عبد الله اصبت (قال) ولما اصبح الصباح افتقد المسلمون عبد الله وذهبوا الى امراته وسالوها عنه فقالت انه خرج البارحة فى الليل بعد ان تقلد سيفه وسار نحو المدينة ولا ادرى اين هو الان فلما سمع ذلك الزبير تحير فى امره وقال قد هلك عماد الجيش كله وبكى وبكت المسلمون والنساء والولدان وبينما هم كذلك واذا برجل قد اقبل عليهم من المدينة يريد الزبير بن العوام فلما راوه تسابقوا اليه وقالوا له ما الخبر قال لهم بشارة خيران شاء الله تعلى فساروا به الى الزبير وادخلوه عليه فدفع له الكتاب ففكه وقراه سرا فاما علم ما فيه تبسم فقال له سليمان بن خالد ما هذا الخبر قال له انظر ما فعل عبد الله بن جعفر فانه يغوص كما يغوص الماء فى الارض قال له الحاضرون اقرا علينا الكتاب جهرا حتى نسمع ما فيه فقراه عليهم بصوت عال فلما سمعه المسلمون فرحوا فرحا عظيما واستبشروا وحمدوا الله تبارك وتعلى وشكروه وعند ذلك قامت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها وقالت باعلى صوتها هكذا الرجال من لم يفعل فعل عبد الله بن جعفر فلا نجت (قال) ثم كبر المسلمون تكبيرة عظيمة وركبوا خيلهم فى عشرين الفا وساروا نحو المدينة فلما وصلوا الباب تلقاهم غلمان داهية العقل وفتحوا لهم الباب فلما رءاهم اهل البلد نطقوا كلهم بكلمتى الشهادة وساروا الى ان اقتربوا من القصر فتلقتهم داهية العقل وفرحت بهم واعدت لهم موائد الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تبارك وتعلى ثم اخذت داهية العقل تؤانسهم بالحديث وتذكر لهم ما فعلت بوزراء الملك وارباب دولته حين اتوا اليه فى الصباح وكيفية قتلها لهم واحدا بعد واحد الى ان قضت عليهم كلهم ثم قالت لهم اشهدكم عليّ انى وكلت عبد الله على نفسى وفوضت له امرى فعند ذلك قال عبد الله ايكم يتزوج بهذه المراة قال له الزبير انا اولى بها (قال) فتزوجها الزبير على سنة الله ورسوله وبنى بها فوجدها بكرا عذراء وبنى المسلمون فى المدينة مسجدا وجعلوا عليها قاضيا واولوا عليها اميرا من بنى مخزوم واقتسموا الغنائم واقاموا بها احد وعشرين يوما قضوها فى فرح وسرور بنعمة النصر المبين والحمد لله رب العالمين

ذكر غزوة كرسيف

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ثم امر الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه الزبير

ابن العوام ان يرتحل فى ثلاثين الفا فارتحلوا ولا يزالون سائرين ذلك اليوم الى ان غربت الشمس فنزلوا ثم ان عقبة لحق بهم فى اخلاط العرب ونزل معهم واجتمع المسلمون بعضهم بعضا الى ان صلوا العشاء الاخرة ثم اوصاهم عقبة رضى الله عنه وقال لهم ايها الناس تعلمون اننا قد توسطنا فى بلاد المغرب ولا لنا ملجئا نلجأ اليه الا الله سبحانه وتعلى فعليكم بالصبر وسيروا بسير ضعفائكم ولا يسبق منكم احد لان صاحب كرسيف جبار عنيد وشيطان مريد ممن تضرب بهم الامثال بين صناديد الرجال فقال له عبد الله قال الله عز وجل ان ينصركم الله فلا غالب لكم الاية قال له الزبير صدق الله وصدق رسول الله وصدقت انت وما قلت الا الصواب (قال) ثم قالت داهية العقل ما بقى لكم الا هذا اللعين صاحب كرسيف فانه جبار عنيد وعنده جواد من عود له لولب يطير به فى الهواء وهو صاحب هندسة وكان اذا عرض له امر من الامور اتى اليه وشكى له ما به فيفرج عنه ما اصابه من كل امر عسير (قال) ثم تفرق المسلمون وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح امر عقبة بالرحيل فرحلوا والرايات على راس عقبة كانها اجنحة طيور والطبول تضرب كانها الرعد والفضل بن العباس عن يمينه والزبير بن العوام عن يساره وساروا طول نهارهم ولما غربت الشمس نزلوا بواد كثير الاشجار وبعد ان صلوا العشاء اتى اليهم رسول من هيشوش صاحب كرسيف وسال عن فسطاط الامير عقبة فساروا معه الى ان اوصلوه اليه فلما دخل عليه قل له انت الامير عقبة قال نعم قال ان ملك كرسيف بعثنى اليك لترجع عن عزمك فان انت لم ترجع فلا تلوم الا نفسك ولا تظن اننا كمن لقيت من الملوك فنحن اكثر منهم سطوة واشد باسا وانا قد نصحتك (قال) فدعا عقبة بعبد الله فلما حضر لديه قال الرسول لعقبة ومن يكن هذا الشاب قال له ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وهل هو الذى تزوج بنت الملك الاكبر قال نعم قال له هذا الشاب الذى حاز الشجاعة كلها قال له عقبة نعم قال حينئذ لا بد لى ان ابارزه فلما سمع عبد الله منه ذلك تبسم فقال له الرسول ما اضحكك قال له هل اتيت رسولا ام مبارزا قال اتيت رسولا ومبارزا قال له مهلا عليك فليس ذلك ببعيد ثم دعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله سيدنا محمد من عقبة بن عامر وكافة المسلمين الى هيشوش صاحب مدينة كرسيف اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما

ما ذكرت من ان نرجع عنك فليس الى ذلك من سبيل واعلم انا لا نرجع عنك الا باحد امور ثلاثة اما الاسلام او الجزية او القتال واما قولك بانك اقوى سطوة من ملوك المغرب فنحن نقاتلك بعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم وقد قال الله تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه للرسول وقال له عقبة سر ولا عليك حرج (قال) وبات المسلمون تلك الليلة ولما اصبح الصباح قال لهم عقبة لا يليق بنا الا الاقامة فى هذا المكان حتى ننظر ما يكون من عدو الله قال له عبد الله بن جعفر الاليق بنا ان نرحل حتى لا يعد ذلك هزيمة عند اعداء الله فقال له حبا وكرامة وامر بالرحيل فارتحلوا وساروا الى ان استوت الشمس فى قبة الفلك ثم نزلوا وضربوا الفساطيط وكان فى ذلك المكان جبل شاهق وفى قمة الجبل عين ماء منحدرة منه (قال الراوى) وسار الرسول حتى دخل على الملك وناوله الكتاب فدعا براهب كبير كان عارفا بلسان العرب قد تعلمه فى الشام فحضر بين يديه فناوله الكتاب فلما قراه وافهمه اياه غضب غضبا شديدا وامر فى الحين والوقت بخروج الخيام الى خارج المدينة وخروج الجوارى والخدم والحشم وكان عنده مائة بكر لم يمسسهن بشر قط ومثلهن ثيبات ومائة عبد ومائة جارية سوداء وما يلزم من المونة والطعام والضان (قال) وكان هذا اللعين عنده قصر خارج المدينة ملتف بالاغصان وكان يخرج اليه فى كل عام يتفرج فيه وكان القصر فى نهاية البهاء والحسن تحيط به الاشجار من كل جهة وهى كلها متكاثفة مشتبكة بعضها بعضا مختلفة الثمار وبين الاشجار سواقى المياه تجرى تحتها والطيور عليها تغرد بحنين الاصوات وفى القصر انواع الوحوش من غزلان ونعام وغير ذلك مما يسر الناظر وينشرح منه الخاطر وقد جعل عدو الله فى وسطه صهريجا من حجر طوله ستون ذراعا وعرضه كذلك وقد ركب فيه اربع يواقيت على قضبان من ذهب تضئ كانها الشمس (قال) وكان عدو الله اذا خرج لهذا القصر ياخذ معه مائة الف رجل لحراسته بالليل ومائة الف لحراسته بالنهار وهذه وظيفتهم على الدوام والاستمرار وكانت ملوك المغرب تهاب سطوته وتخضع له وهو يزعم ان الله اطلعه على الحجر المكرم وكان عالما وله مائة حكيم يحضرون مجلسه وكان جهير الصوت اذا تكلم كانه الرعد واذا مرّ بالشجرة اقتلعها وقوته تعدل قوة مائة رجل يحمل البعير بين يديه ويسير به وله فرس من

العود راسه من الذهب وعيناه من الزبرجد الاخضر واذناه من العاج وارجله من الفضة وكان وسطه مجوفا فاذا اراد ان يطير به ركبه وحرك لولبه فيطير كالطائر فى الهواء واذا اراد النزول حرك اللولب ايضا فينزل به وقد كان اخذ لملوك المغرب مائة بكر قسرا (قال) فلما سمع بقدوم العرب خرج الى القصر وليس فى قلبه ادنى خوف منهم او جزع وعند ما دخل القصر امر بالجوارى فحضرن بين يديه وقدمن له الاطعمة الفاخرة وانواع الخمور واتين بمباخر الطيب وجلس اللعين فى مجلس عظيم (قال الراوى) هذا ما كان من صاحب كرسيف اما ما كان من امر المسلمين فانهم رحلوا ولم يزالوا سائرين الى ان لاح لهم ضياء المدينة فعند ذلك قال لهم عقبة انزلوا بنا ههنا فقال عبد الله وحق ساكن يثرب لا يكون نزولنا الا حول المدينة لان فى ذلك رفعة لنا قال له عقبة افعل ما شئت فضربت الطبول دفعة واحدة وساروا الى ان اقتربوا من قصر الملك ونزلوا فقال رافع بن الحارث لا تنزلوا فى هذا المكان فان الاعداء يضربون بالمسلمين بالنبل ولم يكن غير قليل حتى طلع الحراس على السور واطلقوا النبال على المسلمين فاوقعوا بهم ضررا فقال لهم رافع الم اقل لكم انهم يضربون بنا فابتعد المسلمون ونزلوا بوادى المها يا وكان هذا الوادى قرب المدينة وفيه اشجار كثيرة فقال لهم عقبة يليق بنا هذا المكان فضربوا الفساطيط على جانبى النهر يمينا وشمالا وذبحوا البقر والغنم وطبخوا اللحم واكلوا وشربوا وحمدوا الله الذى لا اله الا هو وصلوا على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قال) وبعد ان صلى الامير عقبة بالناس صلاة العشاء استوى قائما على قدميه ونادى باعلى صوته ايها الناس لا يغرنكم كثرة الاعداء فان الله تعلى قال وهو اصدق القائلين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقال تعلى يا ايها الذين امنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار وانتم تعلمون انه لم يبق لكم الا هذا اللعين وصاحب المدينة الحمراء ومدينة سوس وبلنس وبعض القرى وقد اصبحتم فى ديار الاعلاج منقطعين عن الاهل والاوطان ولا ينجيكم منهم الا الضرب الصائب فى اعينهم والطعن المتدارك فى هاماتهم وبذلك تبلغون اربكم وتنالون الفوز من ربكم واعلموا ان الصبر فى مواطن الباس مما يفرج الله به الهم وينجى به من الغم فاصدقوا القتال فان النصر ينزل مع الصبر فان صبرتم ملكتم بلادهم وامصارهم واستعبدتم ابناءهم ونساءهم وان وليتم فليس بين ايديكم الا مفاوز لا تنقطع الا

بالزاد

بالزاد الكثير فامنعوا بسيوفكم وجاهدوا فى الله حق جهاده ولا تموتن الا وانتم مسلمون (قال الراوى) ثم تفرق المسلمون وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتحدثون وبينما هم كذلك واذا باهل المدينة قد ضربوا طبولهم وخرجت فرسانهم كانها النمل وساروا الى ان وصلوا القصر الذى فيه الملك وقالوا له كيف يكون الامر مع هولاء العرب الذين نزلوا علينا قال لهم اصبروا حتى اجمع رجالى ثم استدعى بارباب دولته ووزرائه وقال لهم امضوا الى العرب وقاتلوهم عن دين عيسى واعلموا انكم ان لم تقاتلوا كنتم من الخاسرين وغضب عليكم المسيح وهولاء العرب يريدون قتل فرسانكم وسبي ذراريكم ونسائكم واخذ اموالكم وامتلاك بلادكم ولولا ذلك ما قطعوا الفيافى والقفار واتوا ارضكم وفارقوا اهلهم واوطانهم فقالوا سمعا وطاعة فهذا هو الراى السديد ايها الملك السعيد ثم امر عليهم وزيره واسمه دهليس بن الكنه وتفرقوا لاصلاح شانهم وفى صبيحة الغد ضربوا طبولهم ورتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون ايضا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ونادى عبد الله ايها الناس اكثروا بالصلاة على البشير النذير وقدموا الموت واخروا الحياة واعتصموا بالصبر تنالوا الاجر (قال) ثم ان الوزير دهليس نادى باعلى صوته ايكم يخرج للبراز ويكفينا شر هولاء العرب وما استتم كلامه حتى خرج ابن اخيه وهو فارس شديد البطش وكان راكبا جوادا اشهب لم ير الراءون احسن منه ولما صار بين الصفين وهو كبرج من ذهب ناداه عمه الوزير وقال له يا ابن اخى بيض اليوم وجوه بنات النصارى ولما اراد عبد الله الخروج اليه اقسم عليه رافع بن الحارث برسول الله صلى الله عليه وسلم بان لا يخرج اليه سواه فرجع عبد الله وتقدم رافع للبراز وقال له يا عدو الله احمل عليّ او احمل عليك قال انا احمل عليك فحمل اللعين على رافع وضربه ضربة فاصابت كفل الجواد فقسمته نصفين ثم انثنى عليه رافع وضربه فلم يصبه وضربه اللعين فاصاب راس الجواد فقطعه فوقع ميتا فعند ذلك نادى عبد الله برافع وقال له ارجع واركب جوادا آخر فلما رجع لياتى بالجواد قال له الزبير امكث انت واخرج اليه انا نخاف رافع ان لا يخرج اليه احد غيره (قال) فرجع رافع الى البراز ولما دنا من عدو الله قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك وكان عبد الله واقفا ينظر الى جواد عدو الله ويتمنى انه يملكه ويركبه فحمل عليه رافع وضربه ضربة

شديدة فاخذها فى درقته والوى عليه عدو الله وضربه ضربة قوية فاخذها رافع فى درقته فانقطع نصفها ولم يزالا يتقاتلان الى ان غربت الشمس فافترقا ورجع كل منهما الى اصحابه (قال) فلما بلغ الخبر الى الملك واعلمه الوزير بما اظهره ابن اخيه من الشجاعة والاقدام فرح فرحا شديدا وامر باحضاره ولما حضر لديه قام اجلالا له وشكره ثم امر باحضار الطعام والمدام والغانيات والمطربات وقضى ليلته فى لهو وطرب ولما اصبح الصباح خرج اعداء الله ورتبوا جيوشهم مثل اليوم قبله ورتب المسلمون ايضا جيوشهم واراد رافع الخروج للبراز فاقسم عليه عبد الله بن جعفر وقال والله لا يبارزه احد غيرى (قال) وسار عبد الله الى البراز والنصارى ينظرون اليه ويتعجبون من حسنه وجماله وفروسيته وتحريكه للجواد واسماء بنت ياسر رضى الله عنها تنادى اليوم ولا بعده يا عبد الله بن جعفر ولم يكن غير هنيهة حتى خرج عدو الله واتى الى حيث كان بالامس فلما قرب من عبد الله نادى الزبير يا عبد الله بيض اليوم وجوه بنات العرب فتبسم عبد الله فقال له اللعين ما بالك ضاحكا قال اريد جوادك لانى وددت ان اركبه فلما سمع منه ذلك حمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فالتصق عبد الله ببطن الجواد فاتت غير صائبة والوى عليه عبد الله فى الحين بخديعة وضربه على هامته فانقلب السيف فى يد عبد الله وانقلب عدو الله فى الارض فاوثقه كتافا واخذ جواده وسلبه وكانت قيمة ذلك الف دينار ثم رجع الى المسلمين فنزل عن جواده وركب جواد اللعين ثم عاد الى البراز ونادى باعلى صوته فى الميدان هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فلم يجبه احد فلما راى الوزير من قومه ذلك صاح فيهم بالحملة فحملت اعداء الله ورسوله على المسلمين كانهم جراد منتشر فتلقاهم بنو هاشم وبنو مخزوم وبنو امية فلله درهم من ابطال ما اشد باسهم (قال) والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وثار القتام حتى صار النهار كالظلام وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كنت ترى الا جوادا غائرا ودما فائرا واشتد الكرب وعظم الضرب فما كان غير بعيد حتى ولى اعداء الله الادبار وركنوا الى الفرار فحال بنو امية رضى الله عنهم بينهم وبين البلد ووضعوا السيف فيهم وقتلوا منهم عددا لا يحصى وفر الباقون ودخلوا البلد واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار واشتد القتال ورموا بالحجارة والنبال وقتلوا من المسلمين خلقا كثيرا فرجع المسلمون

الى فساطيطهم وباتوا ثلاث الليلة فى امر عظيم من الجراحات التى اصيبوا بها ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم امر عقبة بضرب الطبول فضربت دفعة واحدة ورتب المسلمون جيوشهم مثلما سبق اول مرة فلم يخرج اليهم احد من البلد التى كانت ابوابها مغلقة وكان الرماة يحرسونها من الاسوار فوقف المسلمون يوما كاملا وعند الغروب افترقوا الى مواضعهم (قال الراوى) ولما كان وقت العشاء صلى عقبة بالناس ولما فرغ من الصلاة قال لهم ايها الناس ما الحيلة مع عدو الله فقد بلغنا ان له جوادا من عود يطير به فى الهواء وهو ان ضرب اصاب وان ضربه احد لم يصبه فما عندكم من الراى فمن له راى فليتكلم فقال رافع بن الحارث الان اشير عليكم بامر لعله يكون نافعا ان شاء الله تعلى فاجابه الصحابة رضى الله عنهم قل عسى الله ان يجعل رايك سببا فى فتح المدينة قال انتخبوا عشرة فرسان ممن يجودون بانفسهم فى سبيل الله تعلى يمضون معى هاته الليلة فى هذه الساعة الى المدينة لعلنا نجد فرصة او مسلكا الى اعداء الله ورسوله قال له مسروق بن زيد ان عدو الله فى القصر وله حرس لا يحصى له عدد ولا تقدر على الوصول اليه قال له عقبة دعه يسير اليه واستدعى بعبد الله بن جعفر فامتنع من المسير معه لانه تعب من الحرب فلما راى رافع امتناع عبد الله دعا بسليمان بن خالد ومسروق بن زيد وعلقمة ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين الى ان اجتمع عنده كثير من الفرسان الشداد فاختار منهم عشرة وسار بهم الى ان اقتربوا من القصر فنزلوا وطافوا به من جهاته فلم يجدوا فيه منفذا ثم رجعوا الى فساطيطهم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتحدثون فقال مسروق لرافع الم اقل لك انكم لا تجدون الى عدو الله سبيلا وان قصره حصين وحراسه كثيرون وبينما كانوا يتكلمون فى ذلك واذا برسول قد اقبل عليهم من عند الملك وقال لهم كيف يا صعاليك العرب تتجاسرون علينا وتقتلون ابن اخ الوزير وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم تنتهوا وترجعوا الى بلادكم نفعل بكم مكيدة عظيمة وننتقم منكم اى انتقام (قال) فلما سمع عبد الله بن جعفر كلام الرسول ضحك منه وقال له قل للملك قد قرب هلاكك ثم دعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد من عبد الله بن جعفر الى صاحب كرسيف

اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد ذكرت لنا على لسان رسولك ان نرجع عنك فاعلم ان ذلك محال الا ان تسلموا فتصيروا منا لكم ما لنا وعليكم ما علينا او تودوا الجزية فتحقنون بها مالكم ودماءكم واولادكم وان ابيتم فالسيف حكم بيننا وبينكم حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين ونحن ندعوكم الى هذه الخصال الثلاث ليس غيرها اما ان تقولوا اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله او الجزية فى كل عام على كل محتلم من الرجال وليس على من لم يبلغ الحلم جزية ولا على امراة ولا على راهب منقطع فى صومعته فدع عنك ما حدثتك به نفسك من القوة والكثرة والشجاعة والا فاخرج للبراز لترى ما يكون من صعاليك العرب ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه للرسول فسار به الى ان دخل على الملك فناوله اياه فبعث الملك الى قسيس عنده له معرفة باللغة العربية يستحضره فلما حضر ناوله الكتاب فقراه وافهمه اياه فاطرق براسه ساعة زمانية حتى ظن الحاضرون انه لا يتكلم ابدا ولما رات امراته منه ذلك استوت قائمة وقالت له ايها الملك ما هذا السكوت والعرب محاصرون لنا فاخبر باحدى الخصال الثلاث الاسلام او الجزية او القتال وما قال لك صاحب الجواب الا الصواب فقال لها انى لا اخرج اليهم قالت ولم ذلك قال احتقارا لهم قالت بل انت خائف والله من هذا الشاب المسمى بعبد الله بن جعفر قال لها مثلى لا يخاف منه ولا يجزع قالت والله انه اخاف ملوكا اكبر منك سطوة (قال الراوى) وكانت هذه الجارية يحبها الملك حبا شديدا ولا تفارقه ليلا ولا نهارا فلما سمع كلامها ارسل الى اهل المدينة وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف تحاصركم العرب وانتم مقيمون بالبلد ولا تخرجون اليهم وانذرهم العذاب والعقاب فلما سمعوا ذلك من رجال الملك خشوا بطشه ولما اصبح الصباح فتحوا ابواب البلد وجمعوا بعضهم بعضا وخرجوا كانهم جراد منتشر وخرجت النسوة متزينات احسن زينة راكبات على المطايا المختلفة الالوان وخرج البطارقة وعليهم الدروع المذهبة واقبية الديباج المرقومة بالذهب الوهاج راكبين على خيل مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة باغشية من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم الصلبان وهى من الذهب والفضة وهم فى زى عظيم عجيب وقد اكثروا من الطبول والزمور وضرب

القرون

القرون والمعازف حتى ارتجت الارض ولما اقتربوا من المسلمين رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وجعلوا فى القلب كبراءهم وكذلك المسلمون فانهم رتبوا جيوشهم مثلهم وجعلوا فى القلب بنى هاشم وفى الميمنة بنى مخزوم وفى الميسرة بنى امية وفى الجناحين اخلاط العرب مثل حمير وغسان وجذام وطى ولخم وهذيل (قال) فعند ذلك نادى بنو امية بعضهم بعضا وقالوا رحم الله عبدا كسر غمد سيفه فى سبيل الله فلما سمع بنو امية ذلك جردوا سيوفهم وارادوا ان يحملوا فقال لهم عبد الله بن جعفر لا تفعلوا حتى نطلب منهم البراز فعدلوا عن الحملة وتعجب بنو هاشم وبنو مخزوم مما رووا ذلك اليوم من بنى امية ثم سار عبد الله الى فسطاطه ولبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب جواده ونادى ايها الناس خذوا حذركم من اعداء الله ورسوله ثم سار حتى دنا من صفوف الاعداء ونادى باعلى صوته وقال انا عبد الله بن جعفر هل من مبارز يبارزنى ولم يزل يكرر ذلك والناس شاخصون صامتون حتى برز اليه فارس اسمه طيطال كان تضرب به الامثال ولما قرب منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال له اى الاديان افضل قال عبد الله ديننا افضل الاديان قال له بما فضل على الاديان قال بمحمد صلى الله عليه وسلم الذى لولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار ولا عرش ولا كرسى ولا سماء ولا ارض ولا سهل ولا جبل ولا بحر ولا وعر واسمه فى الارض محمد وفى السماء محمود وفى الجنة ابو القاسم وقد بعثه الله هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا اظهر الاسلام بدعوته ودحض المشركين بكلمته جاءنا بقرآن مبين وصراط مستقيم ختم الله تعلى به النبيين وامرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئا ولا نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا لا شريك له ولا ضد ولا ند له ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه انزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له واطعنا امره فكان مما امرنا به ان نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه شريكا جل ربنا وتعلى عن ذلك لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان اخانا وصار له ما لنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو صاغر فاذا اداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن ابى الاسلام وان

يؤدى الجزية فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين (قال) فلما سمع طيطال من عبد الله هذا الكلام حن الى الاسلام وقال له نعم صدقت قال له عبد الله حينئذ وما منعك من الايمان بالله ورسوله قال له لو وجدنا من ارشدنا الى ذلك لفعلنا ثم قال له عبد الله لماذا اتيت الي للبراز او للسؤال قال اتيت لاسالك اى الاديان افضل قال له عبد الله قد عرفتك وبينت لك الحق من الباطل والله على ما اقول وكيل فقال طيطال يا عبد الله قد ءامنت بالله وبرسوله ولا كفر بعد اليوم ولكن اريد من الله ثم منك ان ترسل معى فى ظلام هاته الليلة من يساعدنى على الاتيان بزوجتى واولادى قال له عبد الله حبا وكرامة فعند ذلك ترجل وقبل يدى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه والناس ينظرون اليه (قال) فلما راى النصارى ذلك قالوا لبعضهم بعضا ان صاحبنا قد سحره العرب ثم اتفقوا على الحملة وحملوا على المسلمين بعنان واحد وحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتغلت الرجال بالرجال وثار القتام حتى صار النهار كالظلام ولم يكن غير ساعة حتى انهزم اعداء الله وولوا الادبار ودخلوا البلد واغلقوا الابواب وطلع الرماة على الاسوار ورجع المسلمون الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة فى فرح عظيم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه بالناس صلاة الصبح وصلى معهم طيطال ولما فرغوا من صلاتهم التفت طيطال الى عبد الله بن جعفر وقل له ايها الشاب ان المومن اذا حدث صدق واذا وعد وفى قال له عبد الله وما تريد قال اريد ان تمضى معى الى زوجتى واولادها حتى ناتى بهم قال له عبد الله ان دارك بالمدينة والابواب مغلقة فكيف السبيل الى دخولها قال طيطال اتبعنى ولا شىء عليك قال له عبد الله اذا جن الظلام يكون ذلك ان شاء الله تعلى (قال) ولم يحدث فى ذلك اليوم قتال ولما جن الليل صلى الامير عقبة بالناس صلاة العشاء وافترق الناس ومضى كل الى فسطاطه فعند ذلك تقلد عبد الله حسامه وسار مع طيطال الى ان قربوا من المدينة فجلسا نحو ساعة ثم نهض الرجل لينظر مسلكا يدخل منه وجلس عبد الله عند الباب ولم يكن غير هنيهة حتى اقبلت جارية معها صبيان صغار ولما اقتربت من الباب رفعت طرفها الى السماء وقالت بصوت منخفض يا اله السموات والارضين ويا من ارسلت محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق بشيرا ونذيرا اجمع شملى بعبد الله بن جعفر

فى

فى هذه الليلة فلما سمع عبد الله هذا الصوت من وراء الباب قال لها وما تريدين ايتها الجارية فاجابته بلسان النصرانية من اين انت قال لها انا من هولاء العرب قالت وهل يتكلم العرب بلسان النصارى قال لها نعم تعلمناه من عبد الله بن جعفر لانه كان تعلمه بالشام قالت وهل ترى من سبيل الى المسير لهذا الشاب وترافقنى اليه ولك عندى مائة دينار ذهبا قال لها وهل عزمت على ذلك قالت نعم قال ابشرى فانا عبد الله قالت اتهزأ بى قال والله ما قلت لك الا الحق ولم اكذب قط لان الكذب عندنا نحن العرب من اكبر المعاصى (قال) فعند ذلك عمدت الى شجرة وقطعت منها عودا غليظا واخذت تحفر به تحت الباب الى ان جعلت حفرة تسع الرجل النحيف فاخرجت منها الصبيان ولم تستطع هى الخروج منها لانها كانت سمينة فاخذ عبد الله عودا وجعل يوسع الموضع حتى اتسع وقال لها اخرجى فخرجت بدون مشقة واخذت بيد عبد الله فقبلتها واسلمت فى الحين واسلم صبيانها وحسن اسلامهم وساروا مع عبد الله الى ان ابتعدوا من الباب فاجلس المراة مع اولادها وجلس ينتظر قدوم طيطال ولم يزل كذلك حتى ظن انه لا يعود وكاد بيئس منه واذا به قد عاد وهو يبكى فسار اليه عبد الله وقال له ما ابكاك قال انى ذهبت لاتفقد زوجتى واولادى فلم اجد منهم احدا واظن ان الملك امر بسجنهم فضحك من كلامه وقال له هل تعرف زوجتك اذا رايتها فى هذا الظلام قال وكيف لا اعرفها وانا قد تزوجتها صغيرة السن قال له عبد الله اذا فاتبعنى فسار معه حتى اوصله اليها فلما رءاها ورأته تعانقا وتباكيا ثم ساروا جميعا الى فسطاط عبد الله ففرحت زوجته بقدومهم واسلامهم وقدمت لهم طعاما حسنا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله على ذلك واثنوا عليه وصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم (قال) ولما اصبح الصباح نظر اعداء الله الى الباب فوجدوا اسفله محفورا فسالوا بعضهم بعضا عمن فعل ذلك فقالوا كلهم لا علم لنا ثم قال بعضهم لا بد ان نعلم الملك بذلك لئلا يعاقبنا اذا سمع من غيرنا ولم نخبره نحن فارسلوا اليه واخبروه بما وقع فلما بلغه ذلك قال لهم وحق اللات والعزى لئن لم تؤتونى بمن فعل هذا لاحرقنكم عن آخركم بالنار فرجعوا واخذوا يبحثون عن الفاعل فلم يجدوا له اثرا ولا خبرا (قال) فعند ذلك بعث الملك فى طلب قسيس عنده كان طاعنا فى السن له من العمر مائة وخمسون سنة فلما حضر بين يديه قال له انظر من فعل هذا الامر بالباب وكان القسيس

عالما بالتواريخ المتقدمة والتنجيم فنظر وقال له ايها الملك ما فعل هذا بالباب الا جارية من مدينتك بحضور شاب صغير السن اسمه عبد الله وهو الى الان ما دخل المدينة وان الجارية هي التي خرجت اليه وان هذه المدينة لا تفتح الا اذا دخلها هذا الشاب ولكني ساراقبه هاته الليلة فاذا رايت انه دخل اعلمتك به لعلنا ناخذه اسيرا فاذا تم لنا هذا ظفرنا بالنصر على العرب فاعطاه الملك مائة دينار ومائة قفيز من القمح ومائة قلة من العسل ومثلها من السمن ومائة حلة وقال له انا نراك كيف تراقب هذا العربي الذي يريد الدخول الى المدينة ولما تعلمنا بدخوله اياها في هاته الليلة او غيرها نكافيك على قدري وقدر استطاعتي ونشيع خبرك في جميع الاقطار فسار القسيس الى محله ودخل خلوته ومكث فيها ينظر وقت دخول عبد الله (قال الراوي) هذا ما كان من امر اعداء الله واما ما كان من امر المسلمين فانهم باتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بهم صلاة الصبح ثم قام وسار حتى دخل فسطاط عبد الله بن جعفر فوجد الجارية مع زوجها واولادها جالسين عنده فقال له من اين اقبلت هاته الجارية واولادها قال له يعلها طيطال البارحة بالليل مضيت انا وعبد الله بن جعفر نحو المدينة وفعلنا كذا وكذا فلما سمع عقبة منه ذلك تعجب وقال سبحان من ألهمه الشجاعة والمعرفة وقام الى عبد الله وضمه الى صدره وقبله ودعا له بخير وقال مثل هذا تلد النساء والا فلا (قال) واقام المسلمون على حصار المدينة ثلاثة اشهر فلما طال على اهلها الحصار اجتمع الوزراء ورجال الدولة والاعيان وتشاوروا في الامر فاستقر رايهم على الصلح والخروج الى العرب والاتفاق معهم على الجزية (قال) ولما بلغ خبر ذلك الملك غضب غضبا شديدا وامر قومه بالخروج للقتال ولم يكن غير قليل حتى ضربت الطبول وفتحت الابواب وخرج اعداء الله كالجراد المنتشر فلما رءاهم المسلمون نادى الامير عقبة في قومه وقال ايها الناس هلموا فان الجنة فتحت لكم ابوابها وتزخرفت لكم فتهيأوا لها وتبوا انفسكم فرتب المسلمون جيوشهم في الحين ورتب النصارى جيوشهم وخرج الملك وامر ان يؤتى له بجواده الصناعي فاتوا به فلبس آلة حربه وركبه ولما استوى عليه حرك لولبا فطار به في الهواء واعتلى على رؤوس المسلمين واخذ يقذف النبال عليهم ويقول اليوم ترون ما يحل بكم مني ولا يزال يوالي الرمي عليهم حتى اضر بكثير منهم وكان عبد الله بن جعفر يناديه ويقول يا عدو الله يا لعين

ايس

ليس هذا من فعل الصناديد انزل الى الميدان وانظر الحرب الذى تشيب منها الولدان واللعين لا يجيب بشئ ولا يزال متماديا فى رمى النبال فعند ذلك قال عبد الله للامير عقبة ما الراى فى هذا اللعين قال له ان تمادى فى ذلك يضر بنا ضررا عظيما ولا يليق بنا الان الا الحملة على جيشه لعلنا نظفر بهم وينصرنا الله عليهم ان شاء الله تعلى قال له نعم الراى ما قلت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين ثم لبس عبد الله بن جعفر ءالة حربه وركب جواده وركب المسلمون وحملوا بعنان واحد على النصارى وحمل النصارى عليهم وتلاطمت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد هول الحرب وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب ولم يكن غير ساعة حتى زال بنو امية وحمير واخلاط العرب عن مواضعهم وشدد النصارى الحملة عليهم فالجأوهم الى الرجوع الى فساطيطهم فلما راتهم اسماء بنت ياسر رضى الله عنها مدبرين صاحت ببنات العرب وقالت لهن احصبن وجوه الهاربين بالحجارة واضربن خيلهم بالاعمدة واظهرن اولادكن لهم حتى يرجعوا فاسرعن اليها وسرن معها لرد الهزيمة وصرن يضربن المنهزمين ويحرضنهم على الرجعة ثم نادت اسماء باعلى صوتها يا عبد الله ادرك بنى امية فقد افتضح امرهم وكانت جهيرة الصوت فسمعها عبد الله فالوى راجعا نحو الفساطيط وحمل على اعداء الله حملة منكرة وحمل معه الزبير وداهية العقل وصاحب سطيف والفضل بن العباس وابن الملك الاكبر صاحب المهدية وقتلوا النصارى قتلا ذريعا ولا يزالون يجندلون الفرسان وينكسون الابطال حتى ولوا الادبار وهربوا الى البلد فاغلقوا ابوابها وطلع الرماة على الاسوار وعاد المسلمون الى فساطيطهم وعنفوا بنى امية وحمير واخلاط العرب فاعتذروا لهم وندموا على ما فرط منهم ثم افترق الناس واجتمع بنو امية وحمير واخلاط العرب وقالوا بئسما فعلنا ولان اذا كان فى صبيحة غد نخرج الى اعداء الله ولا يبارزهم احد غيرنا واتفقوا على ذلك ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد الفراغ من الصلاة امر بترتيب الجيوش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وضرب الطبول ونشر الرايات وكان عددها الف راية (قال) فلما راى ذلك النصارى قالوا لملكهم كيف السبيل الى التخلص من هولاء العرب لانهم ما دخلوا ارضا الا اخربوها فقال لهم اتركوا ابواب المدينة مغلقة ولا يخرج منكم اليوم احد وانا اخرج اليهم وحدى واكفيكم امرهم ثم ركب عدو الله الجواد المصنوع وحرك لولبه فطار به

نحو المسلمين ولما صار فوقهم جعل يرميهم بالنبال النهار كله ولما غربت الشمس دخل البلد وتحصن فى قصره وفى الصباح ركب ايضا وفعل ما فعل بالامس واستمر على ذلك مدة خمسة عشر يوما قتل فيها كثيرا من المسلمين فعند ذلك دعا عبد الله بن جعفر باصحابه سليمان ورافع والفضل وابن الملك الاكبر وغيرهم من امثال هؤلاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ولما حضروا قال لهم الى متى هذا السكون واللعين قد فعل بنا ما رايتم واضر بنا وقتل منا خلقا كثيرا وان دام هذا الحال افنانا عن آخرنا فعلينا ان نتدارك الامر قبل ان يتعاظم الخطب واحسن وسيلة عندى ان نقابله بمثل ما فعل بنا فاذا اتى الينا غدا نامر الرماة برميه بالنبال عسى الله ان يهلكه وينتقم منه ولا ارى شيئا انفع لنا مما ذكرت لكم فقالوا كلهم اصبت الراى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم واتفقوا على ذلك (قال) ولما اصبح الصباح خرج اليهم اللعين كعادته فلما راى المسلمين قد فوقوا سهامهم نحوه وانزلوها عليه كانها من قوس واحد ولى هاربا الى قصره فدخله واغلق الابواب ودخل بيت صنمه وسجد له ولا يزال ساجدا حتى نطق الصنم وقال له لا تجزع اذا كان فى صبيحة اخرج اليهـم بجيشك وانا اكفيك امرهم واحرق كل من ظفرت به منهم انا وقومى ففرح اللعين بكلام معبوده وبات مطمئن البال ولما اصبح الصباح جلس على كرسيه واتى اليه خواص رجاله وارباب دولته فامرهم بالخروج للقتال وامر بضرب الطبول فضربت وبنشر الرايات فنشرت وخرج فى جيش عظيم وهو محفوف بالرايات ولما دنا من المسلمين اضرمت نيران شيطانية وانطلق دخان اظلم منه النهار وامتد اللهيب مما يلى اخلاط العرب فهربوا نحو عبد الله بن جعفر فلما راى عبد الله ذلك استوى على ظهر جواده وصاح فى الناس بالحملة وحمل وحمل المسلمون معه ولما وصل النيران تلا آيات من القرءان فخمدت فى الحين كانها لم تكن وتقدموا الى جيش الملك وحملوا عليه وحمل عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتد الحرب وعظم الخطب ولم يلبث اعداء الله غير قليل حتى ولوا الادبار ودخلوا البلد واغلقوا الابواب ورجع المسلمون الى فساطيطهم وافتقدوا انفسهم ففقدوا داهية العقل ولم يجدوا لها من اثر وظنوا انها هلكت فى الحرب وتصبروا من اجلها وتكدروا وبينما كانوا يتفكرون فى امرها اذ اقبلت عليهم واتت بجواد الملك المصنوع الذى فيه اللولب وهى ضاحكة مستبشرة فلما راوها قاموا لاستقبالها وفرحوا بها فرحا شديدا وسالوها عن خبر

 الجواد

الجواد والملك فقالت لهم لما حمل عبد الله على الشياطين وزجرهم بالايات فروا هاربين امامه وحمل عدو الله بجيشه ووقعت بيننا الحرب فانا هجمت عليه وتضاربت معه فجرحته ثلاثة جروح فلما راى ذلك منى اراد الهروب فسكت عنان الجواد فتركه وهرب من على ظهره ونجا بنفسه فاخذت الجواد واتيت به (قال) فلما سمع المسلمون منها ذلك شكروها واثنوا عليها واخذوا منها الجواد وساروا به الى فسطاط الامير عقبة وتركوا النساء والصبيان ينظرون اليه ويتعجبون من شكله وعجائب ما فيه من الاشغال وبات الناس تلك الليلة فى فرح وسرور وبات النصارى فى غم شديد وحزن عظيم ولما اصبح الصباح امر اللعين باحضار ارباب دولته وخواصه فلما حضروا بين يديه قال لهم ما عندكم من الراى فى امرنا مع العرب قالوا له الراى ما ترى انت فقال لهم تاهبوا للقتال وحق اللات والعزى لاخرجن اليهم بنفسى واسقيهم كاس الردى قالوا افعل ما تشاء فنحن لك عبيد مطيعون (قال) فركب الملك جوادا من عتاق الخيل بعد ان لبس آلة حربه وخرج فى جيش عظيم والرايات منشورة على راسه والطبول تضرب وسار حتى قرب من المسلمين فرتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ودخل الميدان وجال بين الصفوف وقال بصوت عال هل من مبارز يبارزنى فلما سمعه عبد الله ركب جواده ولبس آلة حربه وتقدم الى الميدان وقال للملك اين جوادك الطيار وسهمك القتال فلما سمع ذلك من عبد الله حمل عليه وضربه ضربة فاخذها فى درقته وحمل عليه عبد الله وضربه ضربة فاتت غير صائبة ولا يزالان كذلك ساعة الى ان اصيب جواد عبد الله ووقع ميتا وتعاملا وتضاربا على ارجلهما وتصارعا النهار كله الى ان غربت الشمس وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما الى جيشه وفى الصباح تصارعا النهار كله ولم يظفر احدهما بالاخر وفعلا كذلك فى اليوم الثالث وفى اليوم الرابع اراد عبد الله الخروج للبراز فاقسم عليه الزبير بن العوام ان يرجع وان لا يخرج اليه احد سواه وخرج الزبير وبارزه فقتل له الملك جواده فتقدم اليه الفضل بن العباس وبارزه فاخذه اللعين اسيرا بخديعة واوثقه كتافا ورجع به الى جشيه وسلمه اليهم ورجع الى البراز فخرج اليه ابن الملك الاكبر وضربه ضربة شديدة فاخذها فى درقته والوى عليه وضربه فاخذها فى درقته ولا يزالان كذلك الى ان اخذه اللعين اسيرا وسلمه الى جيشه ورجع للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث وحمل عليه حملة منكرة وضربه فاصابت الضربة

جواده فقتلته فالوى عليه اللعين وقتل جواده ايضا وتقابضا على ارجلهما ساعة زمانية ولم يقدر احدهما على الاخر فلما غربت الشمس رجع كل منهما الى اصحابه (قال) وبات المسلمون تلك الليلة فى كرب عظيم مما فعل عدو الله باصحابهم وبات اعداء الله فارحين مسرورين ولما اصبح الله بخير الصباح ضرب الاعداء طبولهم ورتبوا جيوشهم فلما راى الامير عقبة ذلك رتب جيوشه ايضا ونادت اسماء بنت ياسر تحرض المسلمين على القتال وتحث بنات العرب على تحريض ازواجهن فعند ذلك لبس عبد الله آلة حربه واراد الخروج للبراز فاتى اليه رافع وقال له لا تفعل فانى اردت اليوم ان اطلب البراز بنفسى من اعداء الله ودخل للبراز فلما دنا من الصفين قال اين انت يالعين اخرج للبراز انا رافع بن الحارث (قال) فما استتم كلامه الا وخرج اليه اللعين كانه قطعة من جبل ولما قرب من رافع قال له ارجع قبل ان افضحك بين اقرانك وماسمع منه رافع ذلك حتى حمل عليه حملة منكرة واراد ان يقضى عليه فراغ له تحت الجواد وزاده ضربة ثانية شديدة فاصابت كفل الجواد فقسمته نصفين ثم زاده ثالثة فاخذها فى درقته ثم زاده رابعة فاخذها فى سيفه ولم يزل رافع يوالى الضرب الواحدة بعد الاخرى الى ان هرب اللعين من بين يديه فتبعه رافع الى ان وصل الى اصحابه فلما راى اعداء الله ذلك من رافع حملوا عليه حملة واحدة (قال) ولما راى عبد الله بن جعفر رضى الله عنه الاعداء هاجمين على رافع صاح صيحة عظيمة وحمل عليهم وتبعه سليمان ومسروق وحزام ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وتبعهم الجيش كله والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار حتى صار النهار كالليل المظلم ولم يكن غير ساعة حتى انهزم اعداء الله وولوا الادبار هاربين الى البلد فدخلوا واغلقوا الابواب وطلعت الرماة على الاسوار ورجع المسلمون الى فساطيطهم (قال) وولى الملك هاربا ودخل قصره وبات تلك الليلة فى حزن عظيم وعذاب اليم مما حل به وبقومه وكذلك جيوشه فانهم باتوا فى نكد عظيم وغم شديد ولما اصبح الصباح دعا الملك بارباب دولته فلما حضروا قال لهم كيف يكون الامر بيننا وبين العرب فتكلم القسيس الاكبر وقال ايها الملك ان عبد الله بن جعفر لا بد ان يدخل مدينتنا ويخربها ويفعل بنا ما شاء فى ليلة كذا من شهر كذا ولكنى ساراقبه كما كنت ذكرت لك ومتى علمت بواسطة التنجيم انه دخل المدينة نحتال على القبض عليه

وناتى

وناتى به اليك فقال له الملك ان فعلت ذلك فلك عندى ما تطلب ثم ان الملك خلع عليه بعد ان اشهد عليه القسيسين والرهبان ثم تكلم قسيس واخر كان عالما حكيما وهو رئيس الكهان وكان يعمل الاعمال العجيبة والطلاسم المتحركة الغريبة ويعرف ما فى بطن الحامل هل هو ذكر او انثى وهو من اخص المقربين عند الملك فقال ايها الملك انا اجعل لك طلسما لتكون انت الغالب للعرب قال ان انت فعلت هذا قسمت المملكة بينى وبينك (قال) فعند ذلك قام القسيس ونظر فى الفلك ثم امر الرجال ان يحفروا تحت الارض طريقا الى الموضع الذى نزل به المسلمون فحفروا حتى اقتربوا من فساطيط المسلمين والقسيس كان يتبعهم فوق الارض وينظر فى الفلك ولما وصلوا الى فسطاط الامير عقبة خرجوا اليه من تحت الارض وهو نائم مع اسماء فوثبوا عليهما واوثقوهما كتافا وحملوهما بعد ان اعادوا المكان الذى ثقبوه ارضا كما كان ومضوا بهما الى الملك وطرحوهما على الارض كالاشياء المكنوفة فلما رءاهما عرفهما وفرح فرحا شديدا وامر باحضار الفضل وابن الملك فاحضرا بين يديه وهما فى القيود فقال لهما هذا اميركما عقبة وزوجته اليوم اشفى غليلى بتعذيبهما كيف شئت ثم اخذ سوطا وجعل يضربهما ضربا وجيعا ثم وضعهما فى دهليز واغلقه عليهما ورجع الى قصره فامر باحضار الطعام والشراب والجوارى وءالات الطرب واسراج الشموع وقضى ليلته فى زهو وطرب (قال الراوى) ولما حضر وقت صلاة الصبح اجتمع المسلمون للصلاة ولما لم يحضر الامير عقبة كعادته للصلاة بهم ذهبوا الى اسماء ونادوها فلم يجبهم احد فعند ذلك تقدم عبد الله بن جعفر ودخل الفسطاط فلم يجد فيه احدا سوى جبة عقبة فلما راى ذلك عبد الله صاح صيحة عظيمة وخرج وهو يعض على يديه ويقول لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم اين الامير وزوجته ثم ركب جواده وركب المسلمون معه وساروا الى اطراف المدينة وهم يبكون طول يومهم الى الغروب ويفتشون عنهما فلم يقفوا لهما على اثر ولا خبر ثم التفت عبد الله الى اصحابه وقال لهم والله ان هذا لشئ عجاب وسلموا الامر لله ورجعوا كلهم الى فساطيطهم ولم يهنا لهم طعام ولا شراب وباتوا تلك الليلة وهم فى غم شديد وحزن عظيم الى ان اصبح الصباح (قال) اما الملك فلا يزال متحصنا فى قصره ولم يخرج منه وتولى عبد الله بن جعفر بنفسه مراقبة ضواحى البلد عسى الله ان يمن عليه بالفرج وتضرع الى الله سبحانه وتعلى

ان ياخذ بيده وينصره على الاعداء ودام على ذلك مدة خمسة ايام بلياليها لم ير فيها داخلا للبلد ولا خارجا منها والمسلمون معه ساهرون فاتعبهم السهر وناموا فى الليلة السادسة واذا بعدو الله القسيس دخل باصحابه تحت الارض ونظر فى الفلك وقصد فسطاط الزبير بن العوام وساروا حتى وصلوا اليه فنقبوا الارض وخرجوا للفسطاط فوجدوا الزبير وداهية العقل نائمين فقبضوا عليهما واوثقوهما كتافا ثم نزلوا بهما واعادوا المكان كما كان حتى لم يبق اثر للنقب وساروا بهما وطرحوهما امام الملك ففرح بذلك فرحا شديدا وجعل يضربهما بالسوط ضربا وجيعا ثم وضعهما فى الدهليز وقبل القسيس بين عينيه وامر باحضار الطعام والشراب ودعاه لتناول الطعام معه وجعل له احتفالا عظيما واجلسه على سرير مملكته وجمع ارباب دولته وقال لهم اشهدوا انه اذا فعل بعبد الله بن جعفر ما فعل باصحابه فان المملكة بينى وبينه والصليب شاهد عليَّ معكم وباتوا تلك الليلة يتنادمون الى الصباح (قال) اما عبد الله والمسلمون فانهم لما فقدوا الزبير عند صلاة الصبح ذهبوا الى فسطاطه فلم يجدوا فيه احدا فقال عبد الله لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وصاح صيحة عظيمة وقال يا ءال هاشم ويا ءال مخزوم ويا ءال عبد مناف ما جرى للزبير وداهية العقل قالوا لا علم لنا فعظم الامر على المسلمين وتزايد حزنهم وغمهم وباتوا فى كرب عظيم مما حل بهم من عدو الله ولم يسغ لعبد الله طعام ولا شراب (قال) فلما كان وقت العشاء صلى عبد الله بالناس ورفع طرفه الى السماء ودعا الله عز وجل وتضرع وبكى بكاء شديدا ثم تقلد سيفه وسار نحو المدينة على عادته وجعل يحوم حولها ويطوف بها من جهاتها الاربع فلم يجد فى سورها مسلكا يدخل منه (قال) اما القسيس فانه دخل تحت الارض وسار الى فسطاط عبد الله فلم يجد فيه غير امراته بنت الملك الاكبر فقبض عليها عدو الله واوثقها كتافا ومضى بها الى الملك ففعل بها ما فعل بغيرها من ضرب السياط ووضعها فى الدهليز واغلقه كل ذلك وقع وعبد الله لا يزال يطوف بالمدينة ولما قرب النهار رجع الى فسطاطه فلما دخله نظر يمينا وشمالا فلم ير امراته فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون ثم ذهب وصلى بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم اعلمهم بما وقع لزوجته فعظم الامر عليهم وعند الضحى صلى عبد الله ركعتين ودعا الله ونام الى الظهر ولما حضر وقت صلاة الظهر قام وصلى بالناس ثم نام

ثانية

ثانية وعند العصر انتبه وصلى بالناس وجلس يذكر الله الى وقت الغروب فصلى بالناس صلاة المغرب ولما فرغ قال باعلى صوته ايها المسلمون رحمكم الله تعلى انى ذاهب الى المدينة فان انا هلكت ورجعتم الى يثرب فاقراوا منى السلام على قبر محمد صلى الله عليه وسلم وعلى علي بن ابى طالب رضى الله عنه وعلى امى وعلى اخى وعلى صبيان بنى هاشم وكافة اهل يثرب فلما سمع المسلمون منه ذلك قالوا ياليث بنى هاشم من لنا بعدك ودنوا منه وتعلقوا باذياله وقالوا والله لا نتركك تمضى وتترك الجيش كالدلو بلا حبل قال لهم عبد الله وكيف نصبر على اميرنا عقبة وزوجته والزبير وزوجته وابن الملك واخته والفضل بن العباس فقالوا اما قرات قوله تعلى يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا الاية وقوله تعلى واصبر وما صبرك الا بالله الاية قال لهم علمت ذلك ولكن وحق صاحب يثرب لابد لى ان امضى هاته الليلة نحو المدينة لعلى اجد مسلكا اسلك منه لعدو الله ورسوله واظفر به فلما راوا عبد الله قد اقسم بمحمد صلى الله عليه وسلم تركوه ولم يتعرضوا له فمضى رضى الله عنه ولحق به مسروق وحزام وجماعة بنى هاشم وقالوا له نمضى معك فقال لهم والله لا امضى الا وحدى فرجعوا وسار عبد الله نحو المدينة كالاسد الغضبان فاتى الى مكان قرب الباب وجلس يترقب فرصة الدخول (قال الراوى) اما الاسارى المسلمون فلا يزالون فى الدهاليز واتفق ان الامير عقبة رضى الله عنه كان تلك الليلة يرتل القرءان الى ان بلغ قوله عز وجل يا ايها الانسان ما غرك بربك الكريم الاية وكانت عند باب الدهليز عجوز مكلفة بحراستهم فلما سمعت هاته الاية حن قلبها الى الاسلام بفضل الله عز وجل وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وما استتم الامير عقبة تلاوة السورة الا وقد تقوى فيها حب الاسلام حيث انها نظرت اولا الى نفسها وقالت انى كنت معدومة فمن الذى اوجدنى حتى صرت على ما انا عليه الان ومن الصانع الذى صنعنى ولا شك انه رب السموات والارض ولا تزال تتفكر وتزداد ايمانا وحبا فى الاسلام حتى نادت وقالت اين انت يا امير العرب فقال لها عقبة نعم قالت له اريد ان اكلمك قال افتحى علينا هذا الدهليز ففتحته وكلمها عقبة وقال لها ما تريدين ايتها العجوز قالت اريد الدخول فى دينك قال لها اتهزئين بى قالت كيف اهزأ بك وانا قد عرفت الحق من الباطل قال لها من يهد الله فهو المهتدى قالت له اشهد عليّ انى اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول

الله صلى الله عليه وسلم واسلمت وحسن اسلامها ففرح عقبة واصحابه بذلك فرحا شديدا ثم دعا الزبير بالعجوز فاتت اليه فقال لها اريد منك ان تاتيني هاته الساعة بدواة وقرطاس وان تمضى بكتابي الى عبد الله بن جعفر ليأتى الينا فى ظلام هذه الليلة قالت حبا وكرامة ومضت واتته بدواة وقرطاس فاخذهما منها وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم من عقبة والفضل والزبير وابن الملك الى عبد الله بن جعفر اما بعد فالحمد لله والمنة على دين الاسلام ونعلمك ان العجوز الموكلة بحراستنا قد اسلمت وحسن اسلامها فساعة وقوفك على هذا الكتاب اقدم علينا فورا فى هاته الساعة العجل العجل والسلام ثم طوى الكتاب ودفعه للعجوز فاخذته وسارت به (قال الراوى) وفى تلك الليلة دخل القسيس على الملك وقال له اعلمك ان عبد الله بن جعفر يدخل بلدك فى هاته الليلة بلا شك ولا ريب وها انا قد انذرتك لتكون على حذر فلما سمع كلامه امر الحراس بالطواف فى المدينة وتنوير الازقة بمشاعيل من نار فنورت وصار ضوءها كالنهار ولما كانت العجوز سائرة تعرض لها الحراس وقالوا لها الى اين ايتها السيدة قالت ان الملك كلفنى بحراسة الباب قالوا لها ارجعى ونحن نكفيك امر حراسته قالت لهم انه بعثنى ولا اقدر ان ارجع اليه واخالف امره وانتم لا يخفى عليكم ذلك قالوا لها سيرى فمضت الى الباب وجلست هنيهة فسمعت عبد الله يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فقالت له بصوت رقيق من انت ايها الرجل قال لها لاى شئ تسالين فما تريدين قالت اريد ان اخرج من هذا الباب قال لها اين تريدين قالت اريد ان امضى الى عبد الله بن جعفر قال لها وما تفعلين عنده قالت ان الامير عقبة والزبير والفضل وابن الملك الاكبر صاحب المهدية كتبوا اليه كتابا ليقدم معى فى ظلام هاته الليلة قال لها ابشرى فانا عبد الله بن جعفر فقالت الحمد لله على ذلك ثم قالت وما الحيلة فى دخولك يا عبد الله قال لها لا ادرى فسكتت قليلا ثم قالت اذاً فاصبر حتى ارجع اليك (قال) فمضت العجوز وغابت قدر ساعة ثم عادت وبيدها فاس ولما قربت من الباب قالت اين الحبيب قال لها نعم ثم اخذت الفاس وحفرت تحت الباب قدر ما يدخل منه الرجل وقالت ادخل يا عبد الله فنزع السيف من عنقه وقال باسم الله وببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل من تحت الباب وعندما استوى قائما اخذت العجوز بيده فقبلتها وقالت له مرحبا بالاسد الضرغام ودفعت

له

له الكتاب وسارت وسار معها فلما بلغا نصف الطريق اقبل عليهما رجل وقال السلام عليكم فردت عليه العجوز السلام فنظر الرجل الى عبد الله وقال له لاى شئ لا ترد علىّ السلام وانت تعلم ان السلام سنة والرد واجب قال له عبد الله ومن اعلمك بهذا فاخرج سفرا كان معه وقال الساعة كنت انظر فيه وقد علمت انك تاتى فى هذه الساعة ويكون دخولك على يد عجوز وهى التى تجعل حفرة تحت الباب لتدخلك منها وذكر الرجل محاسن الاسلام وصفات النبى صلى الله عليه وسلم وما جاء فى حقه فى الانجيل فلما سمع عبد الله منه ذلك قال له ولاى شئ لم تدخل فى ديننا قال له منذ علمت ذلك آمنت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم اقسم على عبد الله وقال له لا بد ان تدخل منزلى لعل الله سبحانه يرحمنا بسببك ويمن علينا ببركتك وبركة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجاب عبد الله دعوته وسار والعجوز معه الى ان وصلوا جميعا الى داره فدخلوا وجلسوا واحضر الرجل لهم طعاما رفيعا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى ثم اسرت العجوز الى عبد الله وقالت له ان صاحب هذا المنزل هو الوزير الاعظم عند الملك وبينما كانوا جالسين واذا بنسوة دخلن الدار وقلن عند دخولهن باسم الله ولما وصلن اليهم قلن السلام عليك يا عبد الله فقالت لهن العجوز ومن انبأكن ان عبد الله هنا فقلن لها علمنا من قبل الان ان عبد الله ياتى الليلة الى هنا وانك انت تكونى السبب فى دخوله وكان عبد الله مختفيا فلما سمعت العجوز كلام النسوة تبسمت ضاحكة من قولهن وقالت لعبد الله اخرج عليهن فخرج فلما راينه قمن له اجلالا وتعظيما وقبلنه بين عينيه واسلمن فى ذلك الوقت على يديه وحسن اسلامهن وقد تعجبن من حسنه وجماله وقلن سبحان من وهب لهذا الشاب الشجاعة والحسن والجمال (قال الراوى) ثم قالت لهن العجوز انى اريد ان امضى بعبد الله نحو اصحابه الاسارى الذين اسرهم الملك فقلن لها والله لا نتركه يمضى من دارنا ولو قطعنا اربا اربا فقال لها عبد الله دعينى ههنا وسيرى انت الى الصحابة واخبريهم بانى هنا وقولى لهم يقدمون علىّ فى هاته الساعة فمضت الى القصر لتاخذ مفاتيح الدهاليز وتخرجهم منه ولما وصلت وجدت القسيس جالسا عند الملك وهو يقول له خذ حذرك فان عبد الله فى المدينة وقد ادخلته عجوز وهى الساعة تدخل عليك (قال) فما استتم القسيس كلامه حتى دخلت عليه فقال لها الملك غضب عليك المسيح كيف بدلت دينك بدين العرب فقالت له لعنك الله انت ودينك فغضب عليها واستوى قائما

وقال لها ما افعل بك الان قالت افعل ما بدا لك فامر غلمانه بقتلها فقتلوها وعجل الله بروحها الى الجنة (قال) ثم نظر القسيس فى الفلك نحو ساعة ثم رفع راسه وقال للملك ان عبد الله بن جعفر فى هذه الساعة عند الوزير الاعظم فى منزله فقم بنا نسير اليه على حين غفلة لعلنا ناخذه اسيرا او نقتله فقام الملك وسار ومعه القسيس الى ان وصلا دار الوزير فقرعا الباب فاجابهم اهل الدار من بالباب فقال القسيس ان الملك يريد مقابلة الوزير فى هذا الوقت وهو واقف بالباب فلما سمع ذلك الوزير اخفى عبد الله فى مكان خفى وخرج لاقتبال الملك فقال له القسيس اخرج لنا عبد الله قال له ليس عندى ولا اعرفه قال له القسيس ان لم يكن عندك فانا ابيح للملك سفك دمى فى هذه الساعة فقال له الوزير ادخل وانظره بعينيك (قال الراوى) فدخل الملك والقسيس واخذا يفتشان عن عبد الله ولما اقترب القسيس من المكان الذى هو فيه خرج اليه وقال له تقدم يا عدو الله فقد عجل الله بروحك الى النار وبئس القرار وضربه بسيفه ضربة شديدة فقسمه نصفين فلما راى الملك ذلك اراد الفرار فقبض عليه عبد الله فقال له الملك عند ذلك لا تقتلنى يا عبد الله فانى اريد ان اتفق معك على الجزية فاوثقه كتافا وطرحه امامه وجلس عبد الله مع الوزير والنسوة بازائهما ثم قال عبد الله للملك اين مفاتيح الدهليز الذى فيه الامير عقبة واصحابه قال فى القصر فقال الوزير انا امضى الى القصر وءاتيك بها (قال) فمضى الوزير الى القصر وقرع الباب فقال له الغلمان والجوارى من بالباب قال انا الوزير قد بعثنى الملك لاتيه بمفاتيح الدهليز لانه يريد حرق الاسارى فلما سمعوا منه ذلك اعطوه المفاتيح فاخذها وسار حتى وصل داره فلما دخل وجد النسوة والاولاد يسخرون من الملك ويضحكون فرمى المفاتيح امامه فقال عبد الله للملك قم واحضر اطلاق سبيل الصحابة لئلا اقتلك فقام فى الحين وسار امام عبد الله والوزير فى المدينة وهو مغلول اليدين الى ان بلغوا الدهليز فوجدوا الصحابة رضى الله عنهم ينتظرون قدوم العجوز ففتح الوزير عليهم الدهليز وخرجوا كالاسود رضى الله عنهم (قال) ولما خرجوا تعلق الملك باذيال الامير عقبة وقال له انا فى حماك انقذنى من الموت ونجنى من عبد الله بن جعفر فانى خشيت ان يقتلنى فعند ذلك قالت اسماء هكذا والله تلد النساء والا فلا ثم رجعوا الى دار الوزير ولما ارادوا الجلوس قال الامير عقبة والله لا يجلس احد حتى يجلس عبد الله بن جعفر فوقف القوم ولما جلس عبد الله جلسوا وبعد قليل احضر الوزير لهم طعاما حسنا

 فاكلوا

فاكلوا وشربوا وحمدوا الله على ذلك ثم ان الملك وقع بين يدى بنت الملك زوجة عبد الله واخذ يتضرع لها ويستشفع بها من القتل فارادت ان تحل وثاقه فاقسمت اسماء وقالت وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل وثاقه اليوم احد ولا يكون ذلك الا غدا ان شاء الله (قال الراوى) هذا ما كان من امر عبد الله واصحابه مع الملك اما ما كان من امر المسلمين فانهم لما اصبح الصباح افتقدوا عبد الله بن جعفر فلم يجدوا له اثرا فشق عليهم الامر واجتمعوا للمذاكرة فيما يكون عليه عملهم وبينما كانوا يتشاورون فى امر ذلك اذ فتح اعداء الله ابواب المدينة وهجموا عليهم فلما راى المسلمون منهم ذلك صاحوا ببعضهم بعضا وحملوا على الاعداء واشتبكوا معهم فى القتال فلم يكن غير ساعة حتى نصرهم الله على الكفار وهزموهم شر هزيمة وادخلوهم المدينة ودخل بنو امية خلفهم واعلنوا بكلمة الاخلاص (قال) فلما سمع عبد بن جعفر والوزير وابن الملك والفضل كلمة الاخلاص حملوا على من فى المدينة وهم كالاسود رضى الله عنهم وابلوا فيهم بلاء عظيما ولما ايقن الاعداء بالهلاك نادوا الامان الامان فعند ذلك رفع المسلمون السيف عنهم وكفوا عن القتال وامنوهم وسار عبد الله على جواده الى ان وصل الى المسلمين فلما راوه مقبلا استبشروا به وتلقوه وفرحوا بلقائه وحمدوا الله سبحانه وتعلى على سلامته ثم ساروا جميعا الى الفساطيط وحولوها الى طرف المدينة ثم ساروا الى دار الوزير فوجدوا الملك موثوقا كتافا وهو مطروح بين اسماء بنت ياسر وبنت الملك الاكبر وداهية العقل فقالوا لاسماء من هذا قالت الملك قالوا لها ومن فعل به هذا قالت عبد الله بن جعفر فاثنوا عليه وتعجبوا من شجاعته وقالوا سبحان من وهب الشجاعة لهذا الصبى الذى لا نبات بعارضيه ثم عرضت اسماء على الملك الاسلام فقال لها كل شئ رضيت به وفعلته الا الدخول فى دين العرب فغضب من كلامه احد الحاضرين وضربه بسيفه فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) وامتلك المسلمون المدينة واقتسموا الغنائم وكسروا الاصنام واقاموا خمسة عشر يوما بنوا فى اثنائها مسجدا وجعلوا عليها قاضيا واقاموا فيها الوزير حاكما وتركوا فيها رجالا ليعلموا الذين اسلموا الشرائع

ذكر غزوة العقبسان وصلح تلمسان

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) ثم ان عقبة رضى الله عنه امر بالرحيل فرحلوا

فلما توسطوا الطريق نزلوا على وادى الفراق وفى هذا الوادى انهار تجرى اصفى من الحليب وفيه اشجار مختلفة ومالا يوصف من الوحوش التى كانت راتعة فى جهاته فحط المسلمون رحالهم وضربوا خيامهم وقد اعجبتهم هاته الارض وراق لهم جميل منظرها وحسن خصبها وازهارها وكانت الطيور تغرد بشجى اصواتها المختلفة واطلقوا خيلهم ومواشيهم للرعى فيها (قال) ولما غربت الشمس صلى الامير عقبة بالناس صلاة المغرب وحضرت صلاة العشاء فصلوها ايضا وعند فراغهم منها امر عقبة بالرحيل فى تلك الليلة فرحلوا وجدوا السير الى ان اصبح الله بخير الصباح فصلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر عبد الله بن جعفر ان يرحل بثلاثين الف فارس فرحل وتبعه الزبير بثلاثين الفا اخرين وكذلك الفضل بن العباس بثلاثين الفا ايضا وتخلف عقبة مع ءاخر الجيش وهم ثلاثون الفا من حمير وغسان ولخم وجذام واخلاط العرب والنساء والولدان وكل جيش من هذه الجيوش اخذ طريقا (قال الراوى) وبينما كان عقبة يسير واذا بعجاج طلع وغبار سد الافق من جهة القبلة ورايات مختلفة الالوان عددها نحو الالف وطبول تضرب كانها الرعد فقال الامير عقبة اخذنا ورب الكعبة ثم انه لبس ءالة حربه وركب جواده وصاح فى قومه ليستعدوا للقتال ووقفت النسوة خلف الصفوف بالاعمدة وتاهب المسلمون الحرب واذ كان عقبة ينظر ما يكون من امرهم حمل عليه اعداء الله فلما راى منهم ذلك حمل عليهم فى الحين ونادى ايها المسلمون موتوا كراما ولا تموتوا لئاما واصبروا صبرا جميلا وتقاتل الفريقان قتالا شديدا ولم تكن غير ساعة حتى تغلب اعداء الله على المسلمين واخذوا عقبة ومن معه من النساء والرجال والولدان واسروهم وساقوهم الى بلادهم وهى مدينة تلمسان وكان اسم ملكهم دراوش وكان بينه وبين ملكة مدينة العقبان عداوة ومدينة العقبان على مسافة ثلاثين ميلا من تلمسان (قال) وسبب خروج هذا الجيش ان الملك دراوش لما بلغه خبر قدوم المسلمين على بلاده خرج مع ارباب دولته وعشيرته ورجاله عسى ان يتمكن من الفوز عليهم ويظفر بهم قبل وصولهم اليه فاتفق انه صادف فى طريقه الامير عقبة ومن معه واسرهم واتى بهم بلاده موثوقين ومكبلين بالحديد وادخلهم باجمعهم القصبة فلما كان من الغد امر بالدلالين بعد ان نادى مناد فى المدينة لا تتخلفوا عن امر الملك واحضروا فى صبيحة غد ومن اراد اسيرا او اسيرة فليشتر (قال) فحضر الناس

وباع

وباع عدو الله جميع الاسارى ولم يبق سوى عقبة وحده ثم استدعاه وقال له انت امير الجيش فقال له عقبة نعم قال له قل لا لمك ونبيك يخلصانك من يدى فقال له عقبة يا عدو الله عما قريب ترى العجب قال وما هو هذا العجب قال ياتيك من يفنى جموعك ويهزم جيوشك ويخلى دیارك فلما سمع اللعين منه هذا الكلام اخذ حبلا طويلا ودق اوتادا بين الاسوار وربط عقبة من يديه ورجليه وصلبه على ظهره وعلقه فى الفضاء وكان نساء الاعداء واولادهم يضحكون منه ويسخرون وهو يبكى ويدعو الله عز وجل ويقول يا غياث المستغيثين اغثنى بعبد الله بن جعفر وكان عدو الله اذا قرب وقت غدائه نزله ووضعه بين يديه واخذ قطعة من لحم الخنزير وناوله اياها وقال له وحق اللات والعزى ان لم تاكل هذا اللحم وتشرب من هذا الخمر لاقتلنك شر قتلة فيردها عليه عقبة ويقول ما اشدها من غفلة يا عبد الله اقدم وانظر الى حالى وذلى بين اعداء الله (قال الراوى) اما عبد الله ابن جعفر وجيشه فقد قصدوا مدينة العقبان وساروا يقطعون وعر الارض وسهلها الى ان اشرفوا على المدينة ونزلوا عليها وضربوا خيامهم بطرفها وبعد ذلك اقبل عليهم الزبير والفضل ورافع وابن الملك صاحب المهدية ونزلوا هنالك ايضا وانضموا الى بعضهم بعضا وكان النصارى ينظرون اليهم من الاسوار فدخلوا على ملكتهم وكانت بكرا عذراء لم يمسها بشر قط وكانت جميلة حسناء لها اربع ذوائب مضفورة بخيط الذهب الوهاج وعلى جبينها تاج فيه اربع يواقيت واسمها لؤلؤة الطرف (قال) فلما دخلوا عليها اعلموها بالخبر فغضبت غضبا شديدا وقالت باعلى صوتها اعلى مثلى يقدم صعاليك العرب وحق اللات والعزى والصنم الادنى لارينهم حروبا تشيب فيها الولدان ثم انها امرت باحضار وزيرها الاعظم وكان اسمه دهلاق وكان صاحب راى وتدبير عالما بالزبور والتوراة وتواريخ الاقدمين فلما حضر بين يديها قالت له يا دهلاق ائتنى بالتواريخ لانظر فيها واعرف الغالب من المغلوب (قال) فمضى واتى بالتواريخ فاذا فيها ان محمدا صلى الله عليه وسلم سيد الانبياء وانه هاشمى مكى زمزمى فمن تبعه نجا ومن عصاه خسر وان العرب ياخذون بلاد افريقية وبلاد المغرب طولا وعرضا ولولا محمد صلى الله عليه وسلم ما خلقت شمس ولا قمر ولا جنة ولا نار ولا بحار ولا قفار ولا سموات ولا ارضين فلما علمت ذلك ازدادت بغضا وحنقا واصفر وجهها عند

سماعها له من دهلاق الوزير (قال الراوى) هذا ما كان من امر الملكة لؤلؤة الطرف واما ما كان من امر عبد الله بن جعفر فانه بينما كان جالسا فى فسطاطه اذ اقبل عليه اربعة رجال وهم يحثون التراب على وجوههم وينادون بالويل والثبور فلما رءاهم عبد الله قال لهم ما وراءكم قالوا ان سالت عن عقبة فقد اخذه عدو الله دراوش ملك تلمسان اسيرا واخذ معه النساء والظعن ونحن لولا اننا اختفينا فى مكان ما ظهر لنا ولهم خبر (قال) فلما سمع عبد الله منه ذلك قال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم انا لله وانا اليه راجعون وامر فى الوقت والحين بقلع الفساطيط فلم يكن غير ساعة الا والفساطيط قد قلعت وارتحل عبد الله بجيشه نحو تلمسان وجد السير الى ان اقترب منها فامر بالنزول فنزل الجيش وضربوا الفساطيط ولما استقر بهم الجلوس سمع عبد الله بكاء الاطفال والنسوة فبكى لبكائهم ثم نادى باعلى صوته ايها الناس رحم الله من وهب نفسه لله ورسوله (قال) فما استتم كلامه الا والوزير ورافع وسليمان ومسروق وحزام وابن الملك اجابوه وقالوا لبيك وسعديك واجتمعوا عنده فى عشرين نفرا وساروا معه حتى قربوا من المدينة وكان الامير عقبة رضى الله عنه قد جعله عدو الله فى حبل بين الاسوار وعلقه فى الفضاء فلما رءاه عبد الله على تلك الحالة نادى بكلمة الاخلاص وهو كالاسد واصحابه خلفه ثم دنوا من سور المدينة فاطلق عليهم اعداء الله النبل كالمطر فلم يستطع عبد الله صبرا على ما راى عليه الامير عقبة من العذاب الاليم وقال لاصحابه انصبوا لى رماحا لاطلع عليها السور فنصبوا له اربعة رماح ولما اراد الطلوع اكثر الاعداء من رمى النبل عليه وعلى اصحابه فتقهقروا وتركوه فلما رءاهم مدبرين صاح فيهم ودعاهم باسمائهم واحدا واحدا فتراجعوا وعادوا اليه فوجدوه قد طلع السور ولما استوى فوقه انتضى سيفه وصاح باعلى صوته انا عبد الله بن جعفر انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فحمل عليه اعداء الله وتكاثروا فعند ذلك صاح الزبير فى اصحابه وقال لهم ادركوا عبد الله فان النصارى تكاثروا عليه فاسرعوا لانجاده وكان اول من طلع السور منهم رافع بن الحارث ولما استوى فوقه اطلق النصارى النبل عليه دفعة واحدة فاصيب بثلاثة جراحات فلما راى نفسه مشرفا على الهلاك نزل وطلع مكانه سليمان على الرماح كما فعل رافع فجرح ايضا فى فخذه فسقط الى الارض فاسرع اليه اصحابه ورفعوه واوقفوه على قدميه وقالوا له ما

بك

بك اشدد نفسك وقو قلبك فان الجنة تتزخرف امامك فالتفت اليهم وقال لهم لا باس علي اتركوني وارجعوا الى اعداء الله فرجعوا كالاسود رضي الله عنهم وقام الصياح بينهم وبين الاعداء ثم سار الزبير الى سليمان ورفعه على ظهره وكان شديد القوة وسار به الى ان اوصله الى الفساطيط ووضعه فى فسطاطه ثم رجع نحو اصحابه فوجدهم مشتبكين فى الحرب فطلع اليهم فوجد عبد الله بن جعفر مخضبا بدماء النصارى وقد اصيب بعدة جراحات خفيفة لم يشعر بها وهو لا يزال يجندل الابطال كالاسد الغضبان وقد قتل فى ذلك اليوم مائة وستين فارسا من صناديدهم (قال) فلما رءاه الزبير على تلك الحالة قال جزاك الله عنا خيرا يا ابن جعفر وكل ذلك بفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم سار الزبير واصحابه حتى اقتربوا من الامير عقبة فراوه معلقا فى الفضاء ولما دنوا منه ونظر اليهم تبسم وقال الحمد لله الذى منّ الله بك علينا يا ابن جعفر ادام الله لنا حياتك فقال له عبد الله كل ذلك ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبركتك ايها الامير ثم انتضى سيفه من غمده وقطع الحبال التى كان عقبة معلقا بها وحل وثاقه واطلقه (قال) فلما راى الاعداء ان عقبة قد اطلق صاحوا ببعضهم بعضا وحملوا على عبد الله والزبير ومن معهما كانهم جراد منتشر واشتد القتال بين الفريقين وصبر المسلمون يومئذ صبرا جميلا وتمكنوا مع قلة عددهم من تخليص الامير عقبة من بين ايدى النصارى وانزلوه من السور الى الارض ونزلوا بعده (قال) وعند نزولهم وجدوا المسلمين ينتظرون خبرهم وكان حزام راكبا فنزل من على جواده وقدمه الى الامير عقبة فركبه وسار وسار المسلمون فى اثره الى ان اقتربوا من الفساطيط فتلقاهم المسلمون وفرحوا بنجاة الامير ورجوع اصحابه الذين سعوا فى خلاصه معه سالمين وامر عبد الله بن جعفر بذبح الدجاج للمجروحين فذبحت وطبخت فاكل المجروحون من ذلك وشربوا المرق ثم ناموا على الفرش وغطاهم الصحابة وباتوا تلك الليلة فى الم شديد من شدة الجراحات التى فشت فيهم من النبال ولما اصبح الله بخير الصباح قام الامير عقبة وهو على ما تقدم ذكره من التعب وصلى بالناس صلاة الصبح وما فرغوا من صلاتهم حتى ضرب النصارى طبولهم دفعة واحدة كانها الرعد وخرجوا من ابواب المدينة كانهم جراد منتشر وكان الملك يحرضهم على القتال الى ان خرج جميعهم ورتبوا جيوشهم وصفوفهم فرتب المسلمون ايضا جيوشهم وصفوفهم ثم تقدم رافع بن

الحارث وقال ايها الناس رحمكم الله تعلى انكم تعلمون ان الذين يطلبون البراز مصابون بالجراحات وحينئذ فلا يليق بكم الا الحملة فقال الامير عقبة ما قلت الا الصواب فقال عبد الله بن جعفر ان طلبوا منى البراز فانا ابارزهم ان شاء الله تعلى بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رافع لا تفعل يا عبد الله فانك مثقل بالجراح قال لا بد لى من ذلك ولا يرانى الله عز وجل قاصرا وبينما هم كذلك واذا بالملك خرج بنفسه وهو راكب على جواد احمر من عتاق الخيل وعليه آلة حربه وتقدم حتى دنا من الصفين ونادى هل من مبارز يبارزنى انا دراوش اليوم افضح جيش العرب (قال) فلم يجبه احد من المسلمين فكرر طلب البراز فعند ذلك قال له عبد الله مهلا عليك يا لعين الساعة تمضى روحك الى جهنم وبئس المصير فلما سمع كلام عبد الله غضب عبد الله غضبا شديدا وجال يمينا وشمالا حتى سكن ما به وسار عبد الله من حينه الى فسطاطه ولبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب جواده وتقدم الى عدو الله فقال له انت عبد الله قال نعم انا ميتم صغاركم ومكسر صلبانكم ومخرب دياركم قال له ما انتم الا قوم سحرة فتحتم البلاد بسحركم قال له عبد الله كذبت يا صاحب اللحية الخسيسة والله لا نعرف الا الضرب بالحسام والصبر على المقام (قال) وسمع نساء النصارى بخروج عبد الله للبراز فخرجن للتفرج عليه ومعهن اولادهن فلما راينه تعجبن من حسنه وجماله وفروسيته وكيفية تحريكه للجواد وظن النصارى يومئذ ان ملكهم يقتل عبد الله لما يعلمون فيه من الشجاعة والقوة والبطش وعند ذلك قال الزبير لعبد الله ايقظ نفسك لئلا يخدعك عدو الله فقد شاع عنه انه مخادع فى الحرب (قال) فحمل عدو الله على عبد الله وضربه ضربة قوية ونادته كل امراة كانت حاضرة وكل رجل ايها الملك لا تخيب ظننا فيك وافضح اليوم جيش العرب (قال) فاخذ عبد الله الضربة فى درقته حتى سمع الناس لها حسا عظيما لكن السيف لم يؤثر فى الدرقة ثم الوى عليه عبد الله وضربه فقتل جواده فرجع عدو الله لياتى بجواد آخر وفى خلال ذلك ظهرت غبرة مظلمة مما يلى المغرب وسمع ضرب الطبول ثم انجلت الغبرة عن رايات مختلفة الالوان وخلفها جيش عظيم فبعث الامير عقبة عيونه للاستعلام عن هذا الجيش فعادوا اليه واعلموه بان لؤلؤة الطرف اتت لنصرة دراوش فى ثمانين الف فارس (قال) فلما راى المسلمون ذلك اتوا عبد الله بن جعفر وقالوا له ارجع انت واسترح

لانك

لانك مجروح ولا تتعب نفسك فلم يلتفت الى قولهم ولم يزل ينتظر رجوع الملك دراوش ثم ان الملك نادى فى جيشه ايكم يخرج الى هذا العربى ويكفينا امره فسكتوا كلهم ووقع الرعب فى قلوبهم لما شاهدوا فيه من الشجاعة والاقدام والفروسية ولما لم يجبه احد منهم قال لهم انا اخرج اليه بنفسى واراد الخروج فتقدم اليه وزراؤه وقالوا لا تفعل ايها الملك فقد كفى ما لحقك من التعب ونحن نكفيك امره فمكث قليلا ثم نادى ابى دهلاس الاسود وكان تضرب به الامثال فلما حضر دهلاس بين يديه قال له اخرج الى هذا العربى واكفنا امره قال سمعا وطاعة الساعة اريحك منه واريك شجاعتى قال له الملك ان انت قتلته فلك عندى ابنتى وكانت له بنت بديعة الحسن والجمال (قال) فعمد دهلاس الى آلة حربه فلبسها وتقلد سيفه وركب جوادا ابيض من عتاق الخيل وسار الى ما بين الصفين وقال اين عبد الله بن جعفر فاجابه عبد الله وقال له مهلا عليك الان اخرج اليك واتى اليه فى الحين ولما اقترب منه قال له انت الذى اخذت ابنة الملك الاكبر صاحب المهدية وتزوجتها غصبا عن ابيها قال نعم قال له هل لك من راى فى ردها قبل ان تفتضح بين اقرانك قال له كذبت يالعين وحمل عليه حملة شديدة وضربه ضربة هاشمية فرمى راسه عن جسده فخر فى الارض صريعا يتخبط فى دمائه فكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة وفرحوا فرحا شديدا ثم اخذ عبد الله سلبه وكانت قيمته مائتى دينار دون ما على جواده ورجع للبراز مرة ثانية ونادى باعلى صوته هل من مبارز يبارزنى انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وانشد يقول

انا الفارس المشهور فى كل موطن * وناصر دين للنبى محمد
لعل تنال الفوز عند الهنا * فيافوز من اضحى نزيل المؤيد
وتقتل عباد الصليب جميعهم * باسمر خطى وعضب مهند

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) فخرج اليه فارس آخر فقتله ولم يزل عبد الله يقتل واحدا بعد واحد حتى قتل سبعين صنديدا من ابطالهم فعند ذلك تقدم نحوه المسلمون وشكروه واثنوا عليه وحلفوا عليه ان يستريح و يكف عن القتال فرجع عبد الله وتقدم رافع مكانه فنادى الملك فى قومه وهو فى حزن عظيم وغم شديد مما حل به من عبد الله ألا لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يغلبكم العرب فى دياركم ويملكون امصاركم (قال) فلما سمعوا نداءه اجتمعوا حوله

وقال له اعيانهم ايها الملك انا لم نقصر فى قتال العرب وقد كافحناهم بما فى جهدنا واستطاعتنا ولكن هولاء القوم ما غلبونا الا بالعدل وهم لا يتكبرون ولا يتجبرون والغنى والفقير عندهم سواء ويصومون النهار و يقومون الليل ويقولون ان نبيهم افضل الانبياء وان دينهم خير الاديان ولذلك تغلبوا علينا (قال) فامرهم ملكهم بالصوم والانصراف فتفرق الناس ودخلوا المدينة وسار عدو الله حتى بلغ لؤلؤة الطرف وسلم عليها ورحب بقدومها وعرض عليها الدخول للمدينة فابت وقالت له ان جيشى كثير العدد لا تسعه مدينتك فادخل انت واتركنى انا لاحرسك من الخارج فشكرها الملك ودخل المدينة (قال الراوى) ورجع المسلمون الى فساطيطهم ثم اجتمعوا عند الامير عقبة فقال بعض الحاضرين خذوا حذركم من هذه الجارية المسماة لؤلؤة الطرف التى قدمت بهذا الجيش العرمرم فانها مخادعة فى الحروب وما من ملك حاربها الا خدعته ومكرت به (قال) وبات المسلمون ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فعند ذلك قال العرب لبعضهم بعضا ان بنى هاشم وبنى امية قد قضوا الواجب عليهم ولم يبق الا انتم يا بنى مخزوم فيتحتم عليكم الان ان تقوموا بما فرضه الله عليكم (قال الراوى) واذ كان العرب يتكلمون فى امر ذلك خرج عدو الله من المدينة فضرب طبوله ورتب جيوشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وما استتموا ترتيبهم حتى خرج اليهم عبد الله بن جعفر رضى الله عنه ولما دنا من صفوفهم نادى بصوت عال اين الملك ليخرج للبراز ولا يبارزنى اليوم غيره فسمعه ارباب دولته وافهموا ملكهم ما قال عبد الله فقال لهم انى لا اتاخر عن برازه وانتم خذوا على انفسكم وكونوا مستعدين للحملة فقالوا لا تخرج انت ونحن نكفيك امره قال لهم كيف لا اخرج اليه وهو يطلبنى بصوت عال (قال) ثم انه لبس آلة حربه وتقلد حسامه وخرج كانه برج من حديد وكان عبد الله واقفا بالميدان ينظر اليه ويترقب وصوله فلما دنا منه قال له انت عبد الله قال نعم قال لهاى الاديان افضل قال انتم تعلمون فى كتبكم ان ديننا افضل ونحن افضل عند الله منكم ولكنكم تنكرون ذلك فقال دعنا الان من هذا الكلام واحمل عليّ او احمل عليك قال له عبد الله احمل انت عليّ (قال) فحمل عدو الله عليه وضربه ضربة شديدة حتى خشى منها المسلمون على عبد الله اذ راوه مال عن سرجه الا انه

 رضى

رضى الله عنه كان قوى الساعدين فتلقاها بدرقته ثم الوى عليه وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب على هامته فشطرها شطرين واخذ سلبه (قال الراوى) فلما راى النصارى ملكهم صريعا فى الارض حملوا على المسلمين حملة واحدة فحمل المسلمون عليهم وثار الغبار واظلم النهار واشتد القتال ولم يكن غير ساعة حتى انهزم الاعداء وولوا الادبار تاركين فى ميدان القتال عددا لا يحصى من الاموات ولما رات لؤلؤة الطرف جيوش الملك مدبرين وللنجاة طالبين امرت جيوشها بالحملة على المسلمين فحملوا وتلاطمت الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان واشتعلت نار الحرب وكثر الطعن والضرب وعند ذلك نادى سليمان يا بنى هاشم اثبتوا مكانكم وتلاحق الناس بعضهم ببعض وكثر الصياح واسماء بنت ياسر رضى الله عنها كانت تنادى باعلى صوتها ايها الناس رحمكم الله اثبتوا ولا تفضحوا اميركم عثمان بن عفان ثم نادت عبد الله ورافع وحزام ومسروق وقالت لهم ها انا وبنات العرب شاهدات عليكم وعلى ما تبدونه اليوم فى قتال الاعادى (قال) فدعا بنو هاشم بنى مخزوم وشددوا الحملة على النصارى فصبروا لهم صبرا جميلا وتقاتلوا معهم قتالا عنيفا وبينما هم فى الحرب الشديد اذا بالعصبة التى كانت مع الامير عقبة ولوا الادبار فنادت اسماء بنت ياسر بعبد الله وقالت له ادرك القوم وكانت جهيرة الصوت فسمعها عبد الله فقال لابن عمه حمزة خذ الراية من يدى حتى نرد بنى امية الى مواضعهم فاخذها منه ومضى ومعه رافع والزبير واعادوا بنى امية الى مراكزهم بعد ان فتكوا بالاعداء وقتلوا منهم مائتين فنادت اسماء وقالت لله درك يا ابن جعفر ثم ان الاعداء تكاثروا على بنى مخزوم فتلقوهم بصبر وثبات لا مزيد عليهما فلله درهم (قال) فلما رات لؤلؤة الطرف جيشها مشرفا على الهلاك امرت الرماة بالطلوع على الاسوار واطلاق النبل ففعلوا فلما راى المسلمون ان النبال قد اضرت بهم وجرح منهم كثير رجعوا الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة يداوون جروحهم والنيران تتوقد الليل كله ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم رتبوا جيوشهم وجلسوا ينتظرون خروج الاعداء من المدينة ولم يزالوا واقفين الى ان قرب وقت صلاة الظهر فلم يخرجوا اليهم ولم يطلبوا القتال فافترقوا رضى الله عنهم ورجعوا كلهم الى فساطيطهم الا عبد الله فانه مكث يبحث فى الارض

ويجول في تلك الانحاء وهو راكب حصانه (قال الراوى) اما لؤلؤة الطرف فانها بعد ان قتل الملك وانهزم جيشها في القتال ودخلت المدينة جمعت اهل المدينة ورجال الدولة فيها وقالت لهم اغلقوا الابواب واحرسوا المدينة ففعلوا ومكثوا على ذلك اربعة عشر يوما فلما كانت ذات ليلة شديدة الظلمة امرت عشرين الفا من جيشها بالركوب فركبوا في الحين وسارت بهم الى جيش المسلمين وهجمت عليهم على حين غفلة (قال) ولم يكن عندهم خبر بما اضمرته لهم اللعينة من المكر والخديعة ولم يشعروا الا والفرسان قد دهمتهم ووضعوا السيف فيهم وقتلوا في اسرع وقت مائة فارس من اخلاط العرب وثمانية من بنى مخزوم وخمسة من بنى هاشم واسروا ثلاثين من بنى امية (قال) فايقظ الضجيج المسلمين فركبوا خيلهم وحملوا على اعداء الله والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واشتغلت الرجال بالرجال ولم تكن غير ساعة حتى ولى اعداء الله مدبرين ورجعوا منهزمين وقد قتل الناس بعضهم بعضا من شدة الظلام واقتفى المسلمون اثرهم ولا يزالون يتبعونهم الى ان ادخلوهم فساطيطهم ولما راى بقية الجيش المسلمين هاجمين عليهم اطلقوا عليهم النبل كالمطر الغزير حتى اضطروهم الى الرجوع الى فساطيطهم (قال الراوى) ولما رجعوا تفقدوا بعضهم بعضا فوجدوا انه قد فقد ايضا من بنى مخزوم سبعة فوارس ومن بنى هاشم ثلاثة ومن اخلاط العرب ستون فارسا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس ولما فرغ من الصلاة امر بضرب الطبول ثم امر بالزحف على الاعداء فزحفوا فتلقاهم النصارى بالنبل فلم يستطع المسلمون صبرا عليها ورجعوا ولم يقع بينهم قتال في ذلك اليوم وبات النصارى في فرح وسرور (قال) ثم ان لؤلؤة الطرف استحضرت وزيرها وكان كاهنا ماهرا وقالت له انظر لمن يكون النصر لنا او للعرب فقال لها لا تغرنك كثرة جيوشك وانظر في عاقبة امرك فان العرب لا بد لهم ان يملكوا المغرب طولا وعرضا ببركة نبيهم لان نبيهم افضل الانبياء على الاطلاق قالت وبم تبين لك هذا قال علمت ذلك من كتبنا قالت له ولاى شئ لم تسع في نشر ديانته وتحرض على اتباعه قال ولو شاء الله لفعل ذلك (قال) فدعت بارباب دولتها فلما حضروا بين يديها قالت لهم كيف يكون الامر مع هؤلاء العرب قالوا لها منك الامر ومنا الطاعة فافعلى ما شئت فنحن بين يديك قالت انى اريد الرحيل الى مدينتنا قالوا ان نحن مضينا وتركنا تلمسان فان العرب يدخلونها لا محالة

لا محالة قالت وعلى كل حال فنحن لا نقدر على منعهم من دخولها لانهم لا بد ان
علاوا المغرب طولا وعرضا ولا يليق بنا الا ان نرحل الى مدينتنا ونتحصن فيها
ونضع الرماة على اسوارها ولا يخرج احد منا لقتالهم وبرازهم فاذا طالت عليهم
الايام يفرغون من الزاد فيرحلون عنا من غير مشقة ولا قتال فقالوا ما قلت الا
الصواب فعند ذلك امرت بالرحيل فلم يكن غير ساعة حتى اقتلعت الفساطيط
من مواضعها وارتحلوا يريدون مدينتهم العقبان (قال) فلما رءاهم المسلمون
راحلين تعرضوا لهم فى سبعين الفا من صناديد ابطالهم فاراد النصارى ان يحملوا
عليهم فمنعتهم الملكة لؤلؤة الطرف ورتبت جيشها ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين
ثم دنت من جيش المسلمين ونادت عبد الله بن جعفر بصوت عال فخرج اليها
وقال لها ما تريدين قالت اريد ان اسالك عن اشياء كثيرة قال سلى عما شئت قالت
اى الاديان افضل قال ديننا افضل الاديان ونبينا افضل الانبياء وقد كنا فيما
مضى اهل جاهلية جهلاء ياكل قوينا ضعيفنا ولا يامن بعضنا بعضا الا فى الاربع
الاشهر الحرم نعبد من دون الله الاصنام والاوثان التى لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع
ونحن عليها مكبون ولها حاملون فبينما نحن كذلك على شفا حفرة من النار من
مات منا مات مشركا وصار الى النار ومن بقى منا كافرا بربه قاطعا لرحمه حتى بعث
الله لنا نبيا نعرف حسبه ونسبه هاديا مهديا رسولا نبيا واماما تقيا اظهر الاسلام
بدعوته ودحض المشركين بكلامه جاءنا بقرءان مبين وصراط مستقيم
ختم الله تعلى به النبيين وامرنا بعبادة رب العالمين نعبده ولا نشرك به شيئا ولا
نتخذ من دونه وليا ولا نجعل لربنا صاحبة ولا ولدا لا شريك له ولا ضد ولا ند له
ولا نسجد للشمس ولا للقمر ولا للنور ولا للنار ولا للصليب ولا للقربان ولا نسجد
الا لله وحده لا شريك له ونقر بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى ءاله
وصحبه انزل الله عليه كلامه الذى هدانا به مولانا فاستجبنا له واطعنا امره فكان
مما امرنا به ان نجاهد من لا يدين بديننا ولا يقول بقولنا ممن كفر بالله واتخذ معه
شريكا جل ربنا وتعلى عن ذلك لا تاخذه سنة ولا نوم فمن اتبعنا كان اخانا وصار
له مالنا وعليه ما علينا ومن ابى الاسلام كانت عليه الجزية يؤديها الينا عن يد وهو
صاغر فاذا اداها حقن بها ماله ودمه وولده ومن ابى الاسلام وان يؤدى الجزية
فالسيف حكم بيننا وبينه حتى يقضى الله جل جلاله بحكمه وهو خير الحاكمين

ونحن خير امة اخرجت للناس نومن بنبينا ونبيكم وبجميع الانبياء وقد جعلنا الله نامر بالمعروف وننهى عن المنكر ونقر بالذنب ونستغفر منه ولو اذنب الرجل منا ذنوبا تبلغ مثل الجبال فتاب منها قبلت توبته وان مات مسلما فله الجنة (قال الراوى) فلما سمعت لؤلؤة الطرف كلام عبد الله قالت له ان فى نفسى اشياء كثيرة يمنعنى طولها من ذكرها الان فدعنى امضى الى مدينتى عسى الله الذى فضل نبيكم على سائر الانبياء ان يهدينا الى الصراط المستقيم قال لها عبد الله افعلى ما بدا لك قالت اكتم هذا الحديث حتى لا يسمع به احد قال لها امضى ولا حرج عليك (قال) فسارت بجيشها فلما رءاها المسلمون سائرة مع قومها هموا بالحملة عليها فصدهم عبد الله وردهم الى مواضعهم فجلسوا يتحدثون الى وقت العشاء ثم صلوا صلاة العشاء وتفرقوا الى فساطيطهم وناموا تلك الليلة الى الصباح (قال الراوى) اما اهل تلمسان فانهم بعد ان رحلت لؤلؤة الطرف اجتمعوا فى القصر فقال راهب من كبرائهم وكان صاحب راى وتدبير اعلموا ان الملك قد قتل وقد تفرق شمل من كان معه وقد وصلكم ما صنع هؤلاء العرب مع ملوك دين النصرانية وبنى ماء المعمودية وكيف ملكوا الشام وارض ربيعة وديار بكر وديار مضر ومصر وغالب البلاد الافريقية وقد دانت لهم الامور وانتشر شرعهم وعلا ذكرهم ودخل فى دينهم الملوك والبطارقة وما نزلوا على بلد الا ملكوه ولا وافوا جيشا الا هزموه وقد دخلوا ارضكم وحلوا ساحتكم فما ترون من الراى الرشيد قالوا ايها الراهب ما تكلمت بشىء الا فهمناه وعرفناه والامر اليك فقال الصواب انكم تحقنون دماءكم وتصونون حريمكم واموالكم وتدخلون فيما دخل فيه اهل البلاد وتصالحون العرب فتامنون على انفسكم وتعيشون فى ظلهم وان تطلقوا سبيل الاسارى من نسائهم وصبيانهم ورجالهم الذين اشتريتموهم لتخففوا عنكم المصاب فقالوا هذا هو الصواب قال فلينطلق منكم رجال الى هؤلاء العرب ويعقدوا لنا معهم صلحا (قال) فتفرق القوم وسار جمع من خيارهم نحو جيش المسلمين فلما رءاهم الامير عقبة وقومه علموا انهم اتوا لطلب الصلح فاستقبلوهم وسلموا عليهم ورحبوا بهم ومشوا معهم الى فسطاط الامير عقبة واذا هو جالس على التراب ووجوه اصحابه حوله وهم يكثرون من ذكر الله وليس لهم حاجب ولا بواب فسلموا عليهم فقرا عقبة واذا حييتم بتحية فحيوا باحسن منها او ردوها فتقدم الجمع وقالوا ايكم

الامير

الامير حتى نخاطبه فقالوا ليس فينا امير ولا من يلحظ اخاه بعين الذل لان الاسلام شملنا والدين جمعنا ونحن عباد الله فلما سمعوا ذلك قالوا باجمعهم والله ما نصركم الله علينا الا باتباع نبيكم وقول الحق فى دينكم ونحن نريد ان نعقد لنا معكم صلحا فقال عبد الله بن جعفر كم تبذلون لنا من المال فقالوا مهما اردتم امتثلناه فقال انا لا نريد الاما ترضى به اهل المدينة حتى تطيب قلوبهم فارجعوا اليهم وشاوروهم فى امر ذلك وفى صبيحة غد افتحوا ابواب المدينة واطلقوا سبيل الاسارى واخرجوا الينا لنتفق معكم على شروط الصلح (قال الراوى) فعاد القوم الى المدينة واجتمعوا مع قومهم فى كنيستهم وحدثوهم بما كان وبما راوا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وحسن تواضعهم وكرم اخلاقهم فقال بعضهم انا نخشى ان فتحنا ابواب المدينة ان يهلكنا العرب وربما كان طلبهم ذلك خديعة منهم للوقيعة بنا فقال لهم راهبهم الاكبر ان العرب لا يخدعون ولا يقولون الا الصدق فاذا كان فى صبيحة غد اخرجوا اليهم ولا تخافوا فانهم اهل صدق ووفاء (قال) فلما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح وما فرغوا من صلاتهم حتى فتحت ابواب المدينة وخرج كبراؤها بالف مطية عليها انواع الحرير وفى كل منها الف دينار مع الف خادم والف جواد والف حلة حمراء وامامهم الاسارى وساروا حتى وصلوا الى فسطاط الامير عقبة وسلموا عليه وفرح المسلمون بجمع شملهم ثم جمع عقبة عنده بنى هاشم وبنى مخزوم وشاورهم فى امر الصلح فاجمع رايهم على ذلك واتفقوا مع وجوه المدينة وصالحوهم على ان يؤدوا لهم فى كل عام مائتى قفيز شعيرا ومائتى قفيز برا وحنطة ومائة خادم ومائة قلة من العسل ومثلها من السمن ومائة جواد من عتاق الخيل وثلاثة قناطير من الفضة وقنطارين من الذهب وكتبوا ذلك فى صك وختم عليه بخاتم الامير عقبة ثم ان عقبة استدعى قسيسهم الاكبر وولاه ملكا عليهم برضاهم واعطاه صك الصلح ورجع القوم الى مدينتهم فرحين مسرورين وضربوا الطبول والمزامير وجلس القسيس على سرير الملك وبايعه ارباب الدولة والامة وبعد ان استراح المسلمون ثلاثة ايام ارتحلوا يريدون مدينة العقبان (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولقد بلغنى من رواية اخرى ان اهل تلمسان لم يصالحوا وانما اسلموا عن آخرهم فقد قال الراوى ان المسلمين لما نزلوا عليهم حاصروهم مدة سبعة ايام فلما كان اليوم الثامن اجتمعوا فى كنيستهم وقالوا ان

هؤلاء العرب قد فتحوا البلاد طولا وعرضا ولولا دينهم الحق ما ملكوا جميع هذه البلاد فمن الاحسن لنا والاليق بنا ان ندخل فى دينهم لننال السعادتين الدنيوية والاخروية فاتفق رايهم على الاسلام فطلعوا على الاسوار ونادوا باجمعهم معاشر المسلمين انا نقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ثم فتحوا ابواب المدينة ودخلها عقبه والمسلمون وبنوا فيها جامعا وجعلوا رافع بن يزيد الغسانى قاضيا عليها ليقضى بين الناس ويعلمهم الصلاة والوضوء والفرائض والسنن وقراءة القرءان وولوا الراهب عليها ملكا واقاموا فيها ثلاثة ايام ثم ارتحلوا قاصدين مدينة العقبان (قال الواقدى) وساروا يجدون السير الى ان نزلوا على المدينة فضربوا الفساطيط باطرافها واطلقوا خيلهم المرعى فى اراضيها واستقروا هنالك ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع امر الامير عقبة عبد الله بن جعفر بان يكتب الى لؤلؤة الطرف اما بقبول الاسلام او الجزية او القتال فدعا بدواة وقرطاس وكتب لها بذلك وطوى الكتاب ودفعه لرجل من حمير وقال له سر به وبلغه للملكة فمضى الرجل حتى بلغ المدينة فوجد الباب مغلقا والحراس متجمعين حوله فلما قرب منهم اطلقوا عليه النبل فاصيب بثلاثة سهام فولى هاربا ودخل على عبد الله فاعلمه بالقصة فغضب غضبا شديدا وقال والله لا نبرح من ههنا حتى نشفى منهم الغليل جزاء تعديهم على رسولنا وبينما كان المسلمون يتحدثون فى امر ذلك واذا باعداء الله ضربوا طبولهم وخرجوا من المدينة وضربوا الفساطيط قريبا من المسلمين وخرجت لؤلؤة الطرف فى موكب عظيم والجوارى حولها يمينا وشمالا والرايات منشورة على راسها فنصب لها غلمانها سريرا من العود وهو مصفح بالذهب ومرصع بانواع الجواهر وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا وكان كل من يراها يظن انها جالسة فى الهواء لما فى هذا السرير من عجيب الصنع (قال) فعند ذلك امرت باحضار ارباب دولتها فحضروا بين يديها ولم يتخلف منهم احد ثم قال لها الوزير الاعظم ان رجال الدولة قد حضروا كلهم فالتفتت اليهم وقالت لهم كيف يكون الامر مع هؤلاء العرب الذين نزلوا علينا قالوا السيف بيننا وبينهم ولا بد ان نقاتلهم ولا نرجع عنهم ابدا حتى نظفر بهذا الشاب المسمى عبد الله بن جعفر الذى هو عماد الجيش كله قالت انكم لا تقدرون على ذلك فقالوا لو كنا غير قادرين ما طلبنا حربهم ونحن عندنا ابطال لا تطاق قالت لهم افعلوا ما بدا لكم (قال) فرتبوا جيوشهم

ميمنة

ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم ايضا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فى الميمنة بنو مخزوم والميسرة حمير وفى الجناحين اخلاط العرب واتت اسماء بنت ياسر رضى الله عنها خلف الصفوف ووقفت مع بنات العرب لرد المنهزمين وتعييرهم وتوبيخهم (قال) وبعد ان رتب النصارى جيوشهم قالت لهم لولوة الطرف اين الذين يزعمون انهم ابطال وشجعان فليخرجوا الى عبد الله بن جعفر ولا يطلبوا سواه (قال) فما استتمت كلامها الا وخرج فارس شديد وبطل صنديد لا يطاق فى الحرب ولا يمل من الطعن والضرب اسمه قهرمان وكان ممن تضرب بهم الامثال فى بلاد المغرب وقد لبس آلة حربه وتقلد حسامه ونادى باعلى صوته اين عبد الله بن جعفر ليخرج للبراز ولا يبارزنى اليوم غيره وشاع خبر اقتتال هذين الفارسين العظيمين بين نساء المدينة فخرج اكثرهن للتفرج عليهما (قال الراوى) فلما سمع عبد الله نداء قهرمان قال له مهلا عليك انا الذى ابارزك ولا يبارزك احد غيرى فقال الزبير يا عبد الله انا اكفيك امر هذا اللعين قال كيف اتاخر على من طلبنى للبراز فهذا لا يكون ابدا فقال له الزبير والله لا يخرج اليه احد غيرى فعند ذلك تاخر عبد الله وتقدم الزبير حتى دنا من الصفين ولما اقترب من عدو الله قال له انت عبد الله بن جعفر قال انا الزبير قال له ارجع لا حاجة لى بك فانى لم اطلبك انت ولم اطلب الا عبد الله بن جعفر قال له الزبير انا ابارزك واطلبك (قال) فلما راى قهرمان الزبير مصمما على برازه ولى راجعا الى اصحابه فرجع الزبير الى المسلمين ولم يقع قتال فى ذلك اليوم وبات الاعداء فى فرح عظيم حيث توهموا ان عبد الله تاخر عن قتال قهرمان رهبة منه وسمعت بذلك لولوة الطرف فقالت لقومها ما سبب فرحكم قالوا عدول عبد الله عن البراز قالت لهم غدا يتبين لكم الحق من الباطل (قال الراوى) فلما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد فراغه من الصلاة امر بترتيب الجيوش ونادى باعلى صوته ايها الناس رحمكم الله تعالى هلموا الى الجنة فانها امامكم فحضروا كلهم وترتبوا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم ان عبد الله لبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب جوادا من عتاق الخيل وسار وحمائل سيفه تجر فى الارض وبينما هو سائر اذ خرج قهرمان ينادى اين عبد الله فاسرع اليه وقال ها انا ذا اتيتك فما كان من عدو الله الا ان حمل عليه فى الحين وبادره بضربة شديدة راغ لها عبد الله فاتت غير

صائبة ثم الوى عليه وضربه ضربة مثلها فاخذها فى درقته ولا يزالان كذلك فى
قتال شديد الى ان غربت الشمس فعند ذلك صاح الزبير بن العوام بعبد الله بن
جعفر وقال له ما هذا التطويل انا لم نعهد منك ذلك فافعل ما نعهده فلما سمع
عبد الله من الزبير هذا الكلام حمل على قهرمان حملة منكرة وخادعه بضربة فقصمه
وجواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وكانت قيمته
الف دينار وكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة (قال) فلما راى النصارى ما
حل بصاحبهم حملوا على عبد الله بركاب واحد وحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت
الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان وكانت ليلة مقمرة ولم يكن
غير ساعة حتى ولت حمير الادبار فلما رءاهم عقبة مدبرين صاح فيهم يا ءال حمير لا
غالب الا الله فما هذا من عمل الابطال الرجعة الرجعة بارك الله فيكم فلما سمعوا
كلام الامير عقبة رضى الله عنه تراجعوا وحملوا معه وتكاثرت عليهم جموع النصارى
ونادت اسماء بنت ياسر يا عبد الله ادرك عقبة وكان عبد الله قد انجرح فى تلك
الليلة عدة جراحات وتخضب بدمائه والزبير بن العوام رضى الله عنه كان يختطف
الفرسان ويضرب بعضهم ببعض فيهلكهم وداهية العقل كانت مكشوفة الراس
وهى تضرب بسيفها وتهشم بدرقتها والنصارى يمطرون النبل عليهم ودام القتال
على هذا المنوال الى ان مات من الجانبين خلق لا يحصى وجرح عدد عظيم (قال
الواقدى رحمه الله تعلى) حدثنى ابو عامر قال كنت ممن حضر ذلك اليوم فرايت
الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه كالاسد الغضبان عليه جبة من صوف وهو لا
يكل ولا يمل من الطعن والضرب وقد ابلى فى الكفار بلاء حسنا ولا يزال كذلك الى
ان مزقهم كل ممزق وهزمهم شر هزيمة وولوا هاربين الى المدينة فدخلوها واغلقوا
الابواب وعند ذلك رجع عقبة والمسلمون الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة وعند
الصباح اشتغلوا بدفن موتاهم وقضوا فى ذلك غالب يومهم ولم يحضر معهم يومئذ
عبد الله بن جعفر لانه كان مثقلا بالجراح ولما فرغوا من ذلك اجتمعوا عند عقبة
وذاكروه فى امر الحرب وما يكون عملهم مع اهل المدينة فقال لهم يلزم الان ان نوقف
كل حركة وان لا نفعل امرا من الامور الا بحضور معمر القبور الاسد الضرغام
مفرج الكربات وميتم البنين والبنات عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله
عليه وسلم فلما سمعوا منه ذلك فاضت اعينهم من الدمع ونهضوا من حينهم فتوجهوا

 الى

الى فسطاط عبد الله فوجدوه متكئا على جنبه الايسر فلما رآهم اراد القيام لهم فلم يستطع من فرط المه فشق عليهم ذلك ثم بعد قليل لحق بهم الامير عقبة فدخل على عبد الله وقبله بين عينيه وضمه اليه واسنده الى صدره وفى اثناء ذلك ادركهم الزبير وبعد ان حياهم وقبل عبد الله دعا بماء فتوضا وصلى ركعتين وتضرع الى الله سبحانه وتعلى ان يشفى عبد الله ثم دعا وقال الهى وسيدى ومولاى انت تعلم ما حل بالمسلمين وكل ذلك ابتغاء مرضاتك فاسالك اللهم بحرمة رسولك ونبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ان تشفى لنا عبد الله بن جعفر (قال الراوى) والله ما استتم الزبير دعاءه حتى اخذت عبد الله سنة فراى رسول الله صلى الله عليه وسلم قد وقف عليه ومسح جراحاته بيده الشريفة وقال له الله حافظك وناصرك حتى تعود الى بلادك فانتبه عبد الله فرحا مسرورا ومس جراحاته فلم يجد لها اثرا فتهلل وجهه واستبشر وذكر ذلك لمن حوله ففرحوا فرحا عظيما وحمدوا الله وصلوا على النبى صلى الله عليه وسلم ثم خرجوا وذبحوا الذبايح من البقر والغنم وطبخوا الاطعمة واكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على برء عبد الله بن جعفر وما بشرهم به سيد الانام من نصر الاسلام وعند الصباح ركب عبد الله جواده وركب معه اصحابه وجعلوا يطوفون حول المدينة لينظروا منفذا يدخلون منه فلم يجدوا غير الابواب التى كانت مغلقة وهى خمسة وثلاثون بابا ولهذه المدينة عشرة اسوار عريضة يسع كل منها صفا به عشرون رجلا وبين كل منها مسافة غير قصيرة وبداخلها قصور مشيدة نحو الخمسين مختلفة الشكل وفيها من الاشجار والثمار والاطيار ما يفوق الوصف وفى كل قصر مائة جارية من البنات الابكار وكانت لولوة الطرف تداول المبيت فيها فتقضى ليلة فى كل قصر وكانت هذه الارض يسكنها العقبان وهى ارض زاهرة خصبة وكان مالكها ملك عظيم القوة والشان وهو ابو لولوة الطرف فاتفق ذات يوم انه خرج للصيد والقنص فى جمع عظيم من وزرائه ورجال دولته فلما وصل اليها وجد فيها انهارا جارية واشجارا متكاثفة تغرد فوقها الاطيار وتسبح لله الواحد القهار وليس بها سكان غير العقبان دون بنى الانسان فقال لرجال دولته انى وددت ان ابنى فى هذا المكان مدينة اجعلها قاعدة مملكتى فما قولكم قالوا انه لراى رشيد فلما عاد الى مدينته امر بارسال الرجال الى المكان لقطع الاشجار وبناء المدينة فساروا وقطعوا الاشجار وشرعوا فى البناء بكد واجتهاد وامر بان يغرس فيها جميع

انواع الاشجار المثمرة ولما تم بناؤها بعد خمس عشرة سنة جعلها قاعدة ملكه وسماها العقبان وصارت من المدن الشهيرة العظيمة وبها ولدت ابنته وسميت لولوة الطرف لفرط حسنها وجمالها ولم يكن لها اخوة ولذلك كتم ابوها على اهل مملكته امر كونها انثى والبسها لباس ذكر وكانت قبل ولايتها تغزو وتشاهد الحروب وتقاتل فيها وهى صاحبة راى وتدبير ودهاء ومكر ولها خبرة تامة بالعلوم والتواريخ مع حداثة سنها وعندما بلغت سن الرشد مات ابوها فانتقل الملك اليها واشتهر يومئذ امر كونها انثى (قال الراوى) ولنرجع الى حديث عبد الله بن جعفر واصحابه فانهم لما لم يجدوا مسلكا يدخلون منه المدينة رجعوا الى فساطيطهم وهم يتذاكرون فى امر ذلك فقال الزبير لعبد الله لا ينفع تدبير ولا راى ارشد من ضرب الحسام والصبر على المقام (قال الراوى) هذا ما كان من امر المسلمين اما ما كان من امر النصارى فانهم بعد ان انهزموا ودخلوا المدينة واغلقوا الابواب دخلت لولوة الطرف قصرها واستدعت بالكهنة والمنجمين وكانوا نحوا من خمسمائة فلما حضروا بين يديها قالت لهم انظروا لمن تكون الدولة لنا او للعرب فقالوا كلهم سمعا وطاعة اجعلى لنا اجلا كافيا لاعمالنا حتى نجيبك عن تحقيق قالت لهم كم يكفيكم من الوقت قالوا سبعة ايام قالت لكم ذلك غير ان من كذب منكم قتلته وامرتهم بالانصراف (قال) فخرجوا من عندها وساروا الى دار كبيرهم واشتركوا فى العمل فكان الذى ظهر لهم ان العرب يملكون المدينة واجمعوا على ذلك ولما كان اليوم الموعود دخلوا على الملكة وعرفوها بالامر فعظم عليها واغتمت غما شديدا ثم دخلت على صنمها الذى كانت تعبده من دون الله وسجدت له وتضرعت وبكت بكاء شديدا وقالت الهى لمن الدولة لنا ام للعرب فاجابها الشيطان من جوفه وقال الدولة لنا لا للعرب وكررت عليه السوال ثلاثا وهو يجيبها فى كل مرة فعند ذلك فرحت فرحا عظيما وخرجت من حينها فلبست آلة حربها ودعت بالكهنة وقالت لهم اتهزاون بى وتقولون ان العرب يملكون بلادنا والحال اننا الغالبون وامرت بقتلهم جميعا فقتلوا عن آخرهم ثم استحضرت رجال دولتها فلما حضروا بين يديها قالت لهم ان الدولة لنا وقد اعلمنى صنمى بانها لا تخرج من ايدينا وعليه فانى عولت على قتال العرب والخروج اليهم بجيشى فقالوا كلهم هذا هو الراى الرشيد ونحن كلنا فى طاعتك وتحت امرك (قال) فامرت بضرب الطبول ونشر الرايات وخرجت فى ثمانين الف مقاتل واربعين الفا

من

من مشاهير الابطال وصناديد الفرسان ولما اقتربوا من جيش المسلمين ضربوا خيامهم ونصبوا للملكة كرسيا من ذهب طوله عشرون ذراعا وله مدارج من الفضة وفى راسه اربع يواقيت فصعدت اليه فجلست ثم دعت برجال دولتها وابطالها فاجتمعوا فحرضتهم على القتال والدفاع عن بلادهم ثم امرت عشرة منهم بالخروج للبراز فلبسوا آلة حربهم وخرجوا (قال الراوى) وكان الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه يراقب حركاتهم ولما رآهم مقبلين امر بترتيب الجيش فرتب ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم امر عبد الله بن جعفر بالبراز فلبس آلة حربه وتدرع بدرع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخرج الى ما بين الصفوف فتقدم اليه الابطال العشرة وقالوا له ايها الشاب نحن عشرة ولا نبارز الا عشرة قال لهم عبد الله انا ابارزكم كلكم ان شاء الله تعالى فلما سمعوا مقاله ضحكوا حيث ظنوا انه لا يستطيع برازهم فقال لهم ما اضحككم قالوا اقدامك على مبارزة عشرة من صناديد الابطال وانت وحيد قال انى قادر على ذلك بعون الله ورسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا له عند ذلك احمل علينا (قال) فما استتموا كلامهم حتى حمل عليهم حملة منكرة وضرب احدهم ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فقسمه نصفين ثم ضرب آخر فجندله ثم حمل عليه الباقون وضربوه فلم يصيبوه ثم حمل عليهم فقتل فارسا ثالثا وزاد رابعا فلما راوا انهم لم يبق منهم الا ستة رجعوا الى اصحابهم فزعين مرعوبين مما راوا من عبد الله وما فعل برفقائهم فصاحت بهم لولوة الطرف وقالت لهم ويحكم كيف يقتل فارس واحد اربعة منكم وانتم عصبة فلبئس الرجال انتم قالوا وحق اللات والعزى والصنم الادنى لو بقينا امامه ساعة اخرى لما رجع اليك منا احد لانه فارس لا يطاق فى الحرب وقد راينا منه الموت عيانا ثم ان عبد الله طلب البراز ولم يجبه احد (قال) فعند ذلك رجع عبد الله الى اصحابه ولم يقع قتال بعد ذلك وبات النصارى حائرين متفكرين فيما حل بهم من المسلمين ومضت لولوة الطرف الى قصرها واختلت بوزيرها وقالت له انت تعلم انى لم اطلع سواك على اسرارى واريد الان ان استشيرك فى التدين بدين العرب فان قلبى قد حنّ اليه منذ رجوعى من تلمسان وقد حاولت ان اعمل بخلاف ما فى ضميرى فما قدرت بل ازددت ميلا اليه قال لها الوزير انى كنت ذكرت لك سابقا ان العرب لا بد ان يملكوا المغرب كله وما ذلك لان دينهم قويم والله قد وعدهم النصر على لسان نبيهم الذى هو افضل الانبياء وسيد

الاولين والاخرين (قال الراوى) وكان الوزير مومنا بالله ورسوله وقد اخفى الاسلام فقالت له اذًا فلندخل فى دين العرب حيث كنت تتحقق انهم على الحق ونرسل هذه الليلة فى طلب عبد الله بن جعفر ونسلم له المدينة قال لها احقا ما تقولين قالت نعم ثم دعت بدواة وقرطاس وكتبت لعبد الله بالقدوم عليها فى عشرة فرسان وطوت الكتاب ودفعته الى غلام لها وقالت له بلغه الى عبد الله بن جعفر فسار الغلام حتى وصل الى فساطيط المسلمين ودخل على عبد الله فوجد الطعام بين يديه فقال له من اين اقبلت قال من المدينة بكتاب اليك من الملكة وناوله اياه وانصرف (قال) ولما فرغ عبد الله من الاكل فكه وقراه واستوى قائما وسار الى فسطاط رافع بن الحارث فدخل عليه فرحب به فشكره ثم قال له انتخب لى عشرة فرسان ممن يجودون بانفسهم فى سبيل الله وانت معهم ليسيروا معى هذه الليلة الى لولوة الطرف لانها بعثت الىّ بذلك وطلبت ان نقدم عليها فى ظلام الليل فقال له حبا وكرامة ومضى من حينه وجمع عشرة من امثاله رضى الله عنهم اجمعين ولبسوا كلهم ءالة حربهم وودعوا اهلهم وساروا مع عبد الله نحو المدينة (قال الراوى) وكان رسول لولوة الطرف لما رجع اخبر جماعة من اهل المدينة بكتاب سيدته الذى ارسلته الى عبد الله وانها طلبت منه ان ياتى اليها الليلة فى عشرة فرسان من صناديد قومه وقال لهم خذوا حذركم منهم وكونوا من مكرها على حذر فلما سمعوا منه هذا الكلام قالوا لبعضهم بعضا وما الحيلة مع هولاء العرب الذين استدعتهم الملكة فقال قائل منهم وكان طاعنا فى السن اذا اردتم ان تاخذوا عبد الله اسيرا فاجعلوا فى كل باب من ابواب المدينة عشرين فارسا من صناديدكم فاتفقوا على ذلك وجعلوا فى كل باب عشرين فارسا يحرسون الليل كله (قال الراوى) ولما وصل عبد الله واصحابه المدينة وجدوا الباب مغلقا وخلفه الحراس فجلسوا يترقبون فرصة (قال) وكانت لولوة الطرف تنتظر قدومهم ومعها وزيرها وهى لا تعلم ان غلامها افشى سرها حتى تعدو على البوابين تنفيذ امرها فى ادخال الصحابة وكانت امراة الوزير ايضا تترقبهم وقد صنعت لهم طعاما فاخرا فلما ابطاوا ارسلت جارية الى الباب الذى اوصى الوزير بدخولهم منه لتاتى بهم عند وصولهم فلما وصلت الجارية وجدت حراسا كثيرين كلهم مستيقظين فغابت قليلا وعادت اليهم بخمر عتيقة وقالت لهم اشربوا منها فانها تشجعكم وتعينكم على السهر فشكروها وجلسوا للشرب وما جرى

بينهم

بينهم القدح الرابع وشربوه حتى طفحوا ووقعوا لا حراك بهم فعند ذلك فتحت الباب
وخرجت فوجدت رجالا واقفين فقالت لهم من انتم فتقدم اليها عبد الله وكلمها
بالنصرانية وقال لها ما شانك واين تريدين قالت انا سائرة الى عبد الله بن جعفر
لتاتي به الليلة قال لاى شيء ذلك قالت لنمكنه من البلد وتسلم على يديه قال لها
ابشرى انا عبد الله بن جعفر فنظرت لوجهه وتاملت فيه وقالت له صدقت فان
صفاتك مطابقة للصفات التى نعلمها ثم دخلت الباب وقالت لهم سيروا خلفى فلما
دخلوا وجدوا الحراس سكارى مطروحين على الارض فنظر اليهم عبد الله ثم جرد
حسامه وذبحهم عن آخرهم وساروا فى ازقة المدينة حتى وصلوا الى امراة الوزير
فلما راتهم تقدمت اليهم ورحبت بهم وادخلتهم القصر واجلستهم فى مجلس
زوجها وقدمت اليهم مائدة من الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى
(قال الراوى) اما لولوة الطرف والوزير فلا يزالان ينتظران قدوم الفرسان ولما
طال عليهما الامر نهض الوزير وقال لها انى ذاهب الى قصرى لارسل من ياتينى
بخبر الفرسان قالت له ومن الذى تريد ارساله قال جارية عندى صاحبة سر قالت
له افعل ولا تمهلك (قال) فسار حتى دخل قصره فوجد عبد الله واصحابه جالسين
على سريره وهم كالاسود فاعلمته امراته بهم فسلم عليهم وقال لهم من عبد الله بن
جعفر منكم قال له عبد الله انا فاستبشر وقال الحمد لله الذى من الله علينا بك يا ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبله بين عينيه وجلس بجانبه وتحدث معه قليلا
ثم قال لهم قوموا على بركة الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيروا معى الى
الملكة لولوة الطرف لانها تنتظركم وهى تريد ان تسلم على ايديكم قال له عبد الله
حبا وكرامة وساروا حتى وصلوا القصر فوجدوه مفتوحا فلما راتهم امرت الغلمان
باسراج الشموع واسرعت الى لقاء عبد الله واخذت بيده وقبلتها وقبلت ايدى
اصحابه وادخلتهم بيتها واحضرت لهم طعاما حسنا وجلست معهم للاكل فاكلوا
ما تيسر وحمدوا الله تعلى ثم قامت لولوة الطرف وقالت ايها السادات اشهدكم علىّ
انى اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرحوا باسلامها وبعد
ذلك قال لها رافع ما الحيلة مع اهل البلد قالت الراى عندى ان تكتبوا الى اميركم
عقبة ليمدنا هذه الليلة بعشرين الف فارس فانهم اذا قدموا يملكون البلد بدون
مشقة ان شاء الله تعلى فقالوا لها حبا وكرامة ودعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب

يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى ءاله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر ورافع بن الحارث الى الامير عقبة بن عامر اما بعد فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد من الله علينا باسلام لولوة الطرف ووزيرها فساعة وصول كتابنا هذا اليك اقدم علينا فى عشرين الف فارس فى ظلام هذه الليلة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لمسروق بن زيد وقال له سر به فسار الى ان دخل على عقبة وسلمه اياه ففكه وقراه ثم دعا ببنى هاشم وبنى مخزوم وبقية القبائل وقراه عليهم جهرا ففرحوا بذلك فرحا عظيما ثم انتخب منهم عشرين الف فارس وركب وركبوا وساروا الى ان دخلوا المدينة واهلها فى غفلة عن ذلك فلما سمعوا دمدمة الخيل خرجوا من ديارهم وحملوا على المسلمين وحمل المسلمون عليهم وتلاطمت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان واضطرمت نار الحرب وقوى الطعن والضرب ولم يلبث الاعداء ان انهزموا وفروا هاربين نحو قصر الملكة فخرج اليهم عبد الله واصحابه وفتكوا بهم وردوهم على الاعقاب وقتلوا منهم عددا كثيرا ولما راوا ان لا سبيل للمقاومة والعناد نادوا باجمعهم الامان الامان فكف المسلمون عن قتالهم وامنوهم (قال) واذ بلغ بقية الجيش خبر امتلاك عقبة للمدينة قدموا اليها ودخلوها بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير فاذنت لولوة الطرف بان تصنع لهم الاطعمة الفاخرة فصنعت وقدمت لهم فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى وقضوا يومهم فى فرح وسرور وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح بعثت لولوة الطرف الزبير الى عبد الله تطلب منه زواجها به فلما بلغه الزبير ذلك توقف فى الجواب وظهرت على وجهه ملامح الحيرة واشتغال البال فقالت له زوجته بنت الملك الاكبر ما بالك حيرانا متفكرا فاعلمها بالخبر فقالت لا مانع من ذلك قال لها انى لا اود اساءتك قالت وحق ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم لا ابارح هذه المدينة حتى تدخل بها قال لها انى اخشى ان يلحق خاطرك كدر من ذلك قالت لا كدر والله فانى اجعلها اختا لى (قال الراوى) فلما سمع عبد الله منها هذا الكلام فرح وشكرها واثنى عليها واجاب الزبير بالقبول فمضى الى لولوة الطرف واعلمها فقالت له انى وكلتك على ان تزوجنى به ثم حضر الامير عقبة وامراء الجيش عقد النكاح ودخل بها عبد الله فوجدها بكرا عذراء ما مسها بشر قط (قال) وبعد ان قضى المسلمون بالمدينة سبعة ايام بنوا مسجدا

ووضعوا

ووضعوا فيها قاضيا واستخلفوا الوزير واقاموا بعد بناء المسجد خمسة ايام ثم ارتحلوا يريدون مدينة الورقة

ذكر غزوة مدينة الورقة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من العقبان يريدون مدينة الورقة فى ستين الفا بين رجال وفرسان وساروا سيرا حثيثا الى ان وصلوا اليها ونزلوا عليها وكانت فى القديم تسمى ترشيش واسم ملكها ترشيش وهو ملك عظيم ذو قوة وباس وكان فارسا شديدا وشيطانا مريدا وله صوت كالرعد اذا تكلم يخيل للناظر ان شرر النار يخرج من فيه وهو عبوس لا يضحك الا مرة واحدة فى العام يوم عيدهم وقوته تعدل قوة مائة رجل وجميع من يراه يخافه ويخشى باسه وله الف قصر كل قصر لا يشبه الاخر وفى كل منها الف صليب وكان يمكث ثلاثة ايام فى كل قصر فاذا انقضت انتقل لغيره وهذا دابه على الدوام والاستمرار وفى كل قصر قبة من البلور قائمة على اساطين من الذهب وجميع الاصنام التى عنده فى قصوره من ذهب مرصعة باليواقيت (قال الراوى) فلما راى اهل المدينة المسلمين قادمين عليهم قالوا لبعضهم بعضا نخرج لقتال هولاء العرب الذين تجاسروا علينا وبينماهم يتحدثون فى امر ذلك اذ اقبل عليهم ابن اخ الملك وقال لهم ويحكم انكم هالكون لا محالة اما علمتم ان هذا الزمان لا ينصر فيه الا الرعاع واوباش الناس اما سمعتم انهم كلما دخلوا مدينة اهلكوها وقرية خربوها ولكن سيروا بنا الى الملك لنستشيره فى الامر (قال) وبعد ان وضعوا الرماة على الاسوار واغلقوا ابواب المدينة ساروا اليه فى جمع عظيم من الوزراء وارباب الدولة والوجوه فلما وصلوا القصر سالوا عن الملك فاذا هو نائم فلم يقدروا على ايقاظه ومكثوا ينتظرون فلما انتبه من نومه دخل عليه وزير من المقربين عنده وذكر له الامر فقال له ادخلهم علي (قال) فدخلوا ولما اقتربوا من السرير سجدوا له من دون الله ولم يزالوا ساجدين حتى اذن لهم برفع رؤوسهم فلما قاموا قال لهم ما تريدون قالوا جئنا لنتشاور معك فى شان العرب الذين نزلوا علينا وننتقى منك الامر قال لهم بادروا بالخروج اليهم وقاتلوا عن دينكم وبلادكم وامران ينادى فى المدينة بالخروج للقتال وان من تخلف يقتل (قال) فنادى المنادى وضربت الطبول وفتحت الابواب وخرج القوم كانهم جراد منتشر فلما رءاهم المسلمون وكانوا غير متاهبين للحرب حيث لم يتوقعوا من النصارى الخروج اليهم

فى اقرب وقت ركبوا خيلهم فى الحين بدون ان يتمكن اكثرهم من اسراجها وادركهم
النصارى وحملوا عليهم بعنان واحد فحمل المسلمون عليهم ايضا والتقت الابطال
بالابطال والفرسان بالفرسان وثار الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله
الدمار واشتد الخطب وعظم الطعن والضرب وكانت اسماء بنت ياسر رضى الله
عنها تحرض المسلمين على القتال وتنادى باعلى صوتها اين انت يا عبد الله بن جعفر
ادرك المسلمين لئلا يفتضح امرهم (قال) فلما سمع عبد الله نداء اسماء شدد
الحملة على الاعداء وصار يختطفهم ويضرب بعضهم ببعض ذات اليمين وذات الشمال
فيهلكهم ولم يلبثوا غير قليل حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم عبد الله
ابن جعفر رضى الله عنه بنفسه فلما راوه منفردا احاطوا به من كل جانب وتراكموا
عليه فصاحت اسماء بنت ياسر بالزبير وقالت يا ابن العوام ادرك عبد الله فقد
احدق به النصارى وهو وحيد فحمل الزبير عليهم فى الحين حملة منكرة وصاح فيهم
صيحة عظيمة اوقعت الرعب فى قلوبهم وقتل منهم عددا كثيرا وصدمهم صدمة
عظيمة الى ان ادخلهم البلد ثم رجع عبد الله والزبير وقد انجرح الاول اربعة جروح
والثانى ثلاثة ومات من الاعداء يومئذ خلق كثير (قال الراوى) وبعد ان انهزم
النصارى ودخلوا المدينة اغلقوا الابواب ودخلوا على ملكهم فقال لهم ما وراءكم
قالوا انا قد لقينا من هولاء العرب ما لا يخطر ببال فقال لهم اذا كان فى صبيحة غد
انا اخرج اليهم بنفسى واسقيهم كاس الردى (قال) ولما اصبح الصباح جمع الملك
رجال دولته وابطال عشيرته وقال لهم ايكم يفتح باب الحرب اليوم ويبارز العرب
وله منى ما اراد فسكتوا كلهم فكرر القول عليهم ولما لم يجبه منهم احد استوى
قائما على قدميه ورمى التاج من على راسه وصاح قائلا لمثلى ياتى صعاليك العرب
ورعاة الابل ولا يجدون رجالا ينتقمون منهم اين ديلاق بن الابطح ولم يكن
ديلاق حاضرا وجاء وقتئذ فلما رءاه قال له اخرج لبراز الشاب المسمى عبد الله بن
جعفر فان انت قتلته او اخذته اسيرا فلك عندى ابنتى ونصف مملكتى قال له
رضيت بذلك لكن على شرط قال وما شرطك قال ان تتزين ابنتك وتركب جوادا
وتخرج امامى لموطن القتال لكى ازداد شجاعة واتقوى بحضورها على هذا الشاب
قال له الملك حبا وكرامة وامر ابنته بذلك (قال) فلبست افخر ملابسها وتزينت
احسن زينة وركبت فرسا من عتاق الخيل وخرجت وعند ذلك ضربت الطبول

وخرج

وخرج النصارى قاصدين جيش المسلمين ورتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون جيوشهم كذلك ولما صاروا على مقربة من بعضهم بعضا خرج ديلاق الى ما بين الصفين وبنت الملك معه على مطية دهماء ونادى باعلى صوته يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز (قال) فاتى اليه فارس منهم وقال له ارجع يا ديلاق فقال لماذا قال انى نظرت البارحة فى الفلك فوجدت ان كل من يخرج لهذا الشاب الذى طلبته للبراز يقتل امامه بلا شك ولا ارتياب لانه شجاع لا يطاق وابن عم نبى العرب قال له اذهب عنى لعنك المسيح ولعن تنجيمك وعلمك فقال له الان ترى ما يحل بك وانصرف وكان الملك ينظر اليه فلما عاد بعث فى طلبه ولما حضر بين يديه قال له من اين اقبلت قال من عند ديلاق لانه طلب عبد الله بن جعفر للبراز فذهبت اليه لانصحه لانى رايت البارحة فى الفلك ان هذا الشاب يقتل كل من خرج اليه فلما سمع منه هذا الكلام غضب عليه غضبا شديدا وامر بسجنه وتعذيبه وقال له ان العرب سحروك فاجابه ان العرب ما سحرونى ولا يعرفون السحر وفى هاته الساعة يتبين لك الحق من الباطل (قال) ولما سمع عبد الله نداء ديلاق خرج اليه ولما دنا منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم فحمل عليه عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه عبد الله وضربه فلم يصبه ولا يزالان كذلك ساعة زمانية فغضب عبد الله وشدد الحملة عليه وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ جواده وسلبه وكانت قيمتهما الفى دينار فكبر المسلمون عند ذلك بصوت واحد ثم التفت عبد الله الى بنت الملك وقال لها هل يرضيك ما فعلت بالفارس فان انت رضيت به فستكون لك عند الله منزلة عظمى فقالت له ان ذلك لاجل سرور عندى (قال الراوى) ثم طلب عبد الله البراز وكرر فلم يجبه احد ورجع النصارى الى المدينة واغلقوا الابواب فرجع المسلمون الى فساطيطهم وبات الاعداء فى غم شديد ولما اصبح الصباح دعا الملك ارباب دولته فلما حضروا قال لهم ما الحيلة مع هؤلاء العرب قالوا لا طاقة لنا بهم فان رايت ان نخادعهم بان نرسل اليهم ونطلب من اميرهم ان يرسل لنا عشرة فرسان من وجوههم منهم عبد الله بن جعفر بدعوى المذاكرة معهم فى الصلح فاذا اتوا الينا وصاروا فى المدينة قبضنا عليهم واوثقناهم كتافا وبذلك نظفر بهم ونتخلص من شرهم قال لهم

الملك افعلوا ما بدا لكم (قال) فارسلوا الى المسلمين رسولا فلما مثل بين يدى الامير عقبة رضى الله عنه قال له ان الملك يطلب حضور عشرة فرسان من امرائكم منهم عبد الله بن جعفر ليذاكرهم فى الصلح لان اهل المدينة قد جنحوا الى السلم فقال عقبة لمن معه ان القوم يريدون الغدر بنا وما هذه الا خديعة منهم قال له عبد الله نمضى اليهم ولكن لا ندخل المدينة ثم لبس هو ومن عين للمسير معه آلة حربهم وساروا حتى بلغوا المدينة فاذا الباب قد فتح وخرج الملك وارباب دولته وجماعة من ابطاله ولما قرب منهم قال لهم انزلوا عن خيلكم حتى نجلس ونتفق على الصلح قال له الزبير لا ننزل حتى تاتونا فى عشرة مثلنا (قال) فما كان من اعداء الله الا ان احدقوا بهم فعلم الصحابة وقتئذ ان ما قاله عقبة حق وجردوا سيوفهم وصاحوا باعلى صوتهم لا اله الا الله محمد رسول الله ووضعوا السيف فيهم ودفعوهم الى المدينة ثم رجعوا الى فساطيطهم وحكوا قصتهم الى المسلمين فسروا بسلامتهم وحمدوا الله على نجاتهم من كيد الاعداء ومكرهم (قال الراوى) اما اعداء الله فانهم بعد ان ولوا هاربين اغلقوا الابواب واجتمعوا فى قصر ملكهم وقالوا له ما ترى من الراى فى التوصل الى قهر هولاء العرب وصرفهم عن ارضنا فاطرق قليلا وقال الراى عندى ان نمكث فى بلدنا متحصنين ونضع الرماة على الاسوار ونكتب فى اثناء ذلك الى الملك الاكبر سنطليش صاحب المدينة الحمراء لعله ينجدنا فاذا امدنا بنصرة بلغنا ما نتمنى فقالوا كلهم نعم الراى هذا فعند ذلك دعا بدواة وقرطاس وكتب كتابا وطواه وختمه ودعا بعشرة فرسان من صناديد رجاله ودفعه اليهم وقال اسرعوا بتبليغه وائتونى عاجلين فلبسوا آلة حربهم وركبوا خيلهم وخرجوا عند منتصف الليل وكانت الليلة مظلمة واتفق ان عبد الله كان يطوف للحراسة مع عشرة فرسان فلما خرجوا من باب المدينة وساروا قليلا تلقاهم عبد الله ومن معه وحملوا عليهم وقتلوا منهم ستة واسروا الاربعة الباقين وساقوهم الى الفساطيط (قال الراوى) ومكث الملك ينتظر رجوع رسله مدة عشرين يوما وهو لا يعلم ما حل بهم والمدينة مغلقة الابواب والمسلمون حولها فلما طالت بهم الاقامة بلا حرب جمع الامير عقبة اصحابه وقال لهم الى متى هاته الاقامة على غير طائل وكيف السبيل الى فتح هذه المدينة وهى منيعة واهلها متحصنون بها فاجابه عبد الله وقال ايها الامير انا اشير عليكم براى اذا عملتم بمقتضاه بلغتم بحول الله وقوته المراد فقال له الحاضرون وما

هو

هو يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان نطلق سبيل الاسارى الاربعة ونتركهم يمضون لبلدهم ويخبرون اهلها بما وقع عليهم لانهم يترقبون وصولهم ويظنون ان كتابهم بلغ الملك الاكبر وان النصرة آتية اليهم ونرسل معهم كتابا الى ملكهم فى قبول الاسلام او الجزية او الحرب فقالوا كلهم نعم الراى هذا (قال) فامر عقبة بسراح الاسارى واكرامهم واعطائهم الملابس الحسنة والاتيان بهم الى فسطاطه ثم امر عبد الله بان يكتب الى الملك فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما من عقبة بن عامر الى ملك الورقة اما بعد فلتعلم انا لا نرحل عنك ولو اقمنا الدهر كله الا باحدى خصال ثلاث اما الاسلام فيكون لكم ما لنا وعليكم ما علينا او الجزية فتحقنون بها دماءكم او القتال فاختر لنفسك ما تريد منها والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه للاسارى وقال لهم انطلقوا وبلغوه الى ملككم (قال) فمضوا فرحين ولما بلغوا المدينة صاحوا بالحراس الذين كانوا على الاسوار ففتحوا لهم الباب وفرحوا بقدومهم وفرح بهم اهل المدينة وساروا حتى دخلوا على الملك فرحب بهم وقال لهم اين اصحابكم فذكروا له قصتهم فتغير وجهه ووقع مغشيا عليه فلما افاق من غشيته قال لهم وانتم باى سبب نجوتم فعرفوه بالخبر ودفعوا له الكتاب فقراه سرا ثم اجهر به وقال لاصحابه ارايتم ما يقول العرب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاخرجن اليهم بنفسى ولاسقينهم كاس الردى وامر فى الحين بضرب الطبول وخروج الجيش ثم ركب جوادا من عتاق الخيل وقدم امامه الانجيل والصلبان وهى الف صليب كلها من الذهب الوهاج وامر بصليبه الاكبر فرفع امامه ايضا يتقدمه كثير من الرهبان وخرج فى جيش عرمرم ولما صار على مقربة من المسلمين امر بنصب الخيام والرايات وجلس على كرسيه ووزراؤه عن يمينه وعن يساره وحولهم رجال دولته وبطارقته ثم انه رتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين واقام صفوفا كثيرة من الرماة (قال الراوى) فلما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم مثلهم وجعلوا رافع بن الحارث فى الميمنة ومسروق بن زيد فى الميسرة وعبد الله بن جعفر فى القلب والامير عقبة ولخم وجذام وطئ فى الجناحين ونادى عقبة رضى الله عنه معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اكثروا من الصلاة على البشير النذير محمد صلى الله عليه وسلم وقدموا الموت على الحياة (قال) ثم تقاربت صفوف الجمعين من بعضها

بعضا وعند ذلك نادى عقبة بعبد الله وقال له افتح لنا بابا الحرب فقال له سمعا وطاعة فلما سمع رافع ذلك دفع رايته التى كان حاملها الى من كان بالقرب منه من بنى هاشم وسبق عبد الله الى ما بين الصفوف ودنا من النصارى وقال يا معشر اللئام وعباد الاصنام اخرجوا للبراز فقال الملك لقومه من يخرج الى هـذا العربى ويكفينا امره (قال) فخرج اليه بطريق يسمى سندس بن الاخضر وهو ابن خالة الملك وكان ذا باس شديد فنادته زوجة الملك وقالت له يا سندس انت لا يوجد فى بلادنا مثلك فاظهر اليوم شجاعتك ونادت بنت الملك الاكبر يا رافع بيض اليوم وجوهنا فاجابها اللعين وقال لها وهل رافع اله حتى تناديه ثم حمل على رافع وحمل رافع عليه واقتتلا وتقاربا وتباعدا وطال بينهما القتال فصاح عبد الله برافع وقال له ما هذا ايقظ نفسك فلما سمع رافع ذلك عطف على سندس والتقيا بضربتين فكان رافع اسبق فوقعت الضربة على عاتق سندس فخرجت من علائقه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر عنـد ذلك عبد الله والمسلمون وفرحت بنت الملك فرحا شديدا ثم اخذ رافع سلبه وطلب البراز فخرج اليه فارس شديد الباس غضوب فى الحرب كانت تضرب بفروسيته الامثال فى بلاد المغرب فلما دنا منه قال له قد غررتم بانفسكم فلا تظنوا انى مثل غيرى ممن لقيتم وحق اللات والعزى لاريكم حروبا تشيب منها الولدان فقال له رافع ما هذا وقت الهذيان وحمل عليه فراغ له عدو الله واختطفه بخديعة من على سرجه كالعصفور وسار به الى الملك وطرحه بين يديه ورجع الى البراز وصاح باعلى صوته انا سفاك الدماء انا ميتم البنين والبنات انا معمر القبور انا دالس بن دامس وكان عدو الله له قوة تعـدل مائة رجل (قال) فلبس عبد الله ثيابا بيضا وعمامة بيضاء وجعل ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلى جسده وكان يلبسه جده ابو طالب وركب جوادا ابيض وسار اليه ولما دنا منه قال له عدو الله انت الذى تزوجت بنات الملوك وخربت بلادهم وكسرت اصنامهم قال له نعم وانتم نفعل بكم كذلك ان شاء الله تعلى فقال له لو رجعت سالما بنفسك لكان خيرا لك فتبسم عبد الله ضاحكا من كلامه وقال له الساعة يتبين لك الامر يا لعين والمسلمون والنصارى ينظرون اليهما (قال) ثم ان عبد الله صاح بكلمة الاخلاص وقال باسم الله والله اكبر وحمل على اللعين وضربه ضربة شديدة فاراد ان يروغ لها فانقلب من عـلى سرجه فوقع فى

الارض

الارض فنزل اليه عبد الله بسرعة ووثقه كتافا واخذ سلبه وسار به الى الامير عقبة ووضعه بين يديه فقام عقبة لعبد الله وقبله بين عينيه (قال) ثم رجع عبد الله للميدان ونادى باعلى صوته ايلكم يخرج للبراز انا عبد الله بن جعفر من لم يعرفني فها انا اعرفه بنفسي ومن عرفني فقد اطاع الله ورسوله انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ولما لم يجب احد من النصارى نداء عبد الله وراى الملك من بطارقته الاعراض عن البراز غضب غضبا شديدا وقبض على جانب كرسيه حتى كاد يكسره وقال لخدامه ائتونى بجوادى الاحمر وكان هذا الجواد من عتاق الخيل لا نظير له فى بلاد المغرب (قال) فاتوه بالجواد مسرجا فى الحين فلبس آلة حربه وتقلد حسامه وركب وكان كثير الشعر فى صدره ويديه ووجهه ولما استوى على ظهر الجواد نادى بصوت كالرعد انا ميتم الاطفال ومهلك الرجال فقال له عبد الله كذبت يا لعين وسار عدو الله حتى قرب من عبد الله وقال له انت الذى تزوجت بنات الملوك قال له نعم وسالحق بهن ابنتك ان شاء الله تعالى وانقذها من عبادة الاصنام فلما سمع هذا الكلام من عبد الله غضب غضبا شديدا وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فانت غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه فلم يصبه ولا يزالان كذلك ساعة زمانية الى ان قتل عبد الله جواد الملك وضربه وهو فى الارض فاخذ الضربة فى درقته وقال له لا تفعل هذا فانك فارس فانت راكب وانا راجل فليس هذا من شيم الصناديد فرفع عنه وقال له ارجع حتى تاتى بجواد اخر فرجع واتى على جواد ابلق وعاد للبراز فلم يلبث غير قليل حتى قتل هذا الجواد ولم يزل عبد الله يقتل جوادا بعد جواد الى ان قتل عشرين ثم ادركهما الظلام فتفرقا وسار كل منهما الى قومه (قال الراوى) ولما كان وقت العشاء جمع الملك وزراءه وارباب دولته وقال لهم كيف يكون الامر مع هذا الشاب فانى لم ار قط مثل شجاعته وفروسيته والراى عندى ان نجعل له مكيدة وناخذه اسيرا قالوا له افعل ما بدا لك فنحن طوع امرك فقال لهم بعد عشرة ايام انا اخرج اليه بنفسى واطلب منه البراز لعلى اجد فيه فرصة قالوا نعم ما رايت (قال) ثم افترقوا وسار الملك الى قصره واعتزل عن جواريه ولم يهنأ له طعام ولا شراب وبات حيرانا متفكرا ولما اصبح الصباح امر بوضع الرماة على الاسوار وابقاء الابواب مغلقة وظل المسلمون ينتظرون خروجهم ولما طال بهم الانتظار قال عقبة لاصحابه ما الحيلة مع اعداء الله

وقد تحصنوا فى المدينة فقال له الفضل بن العباس رضى الله عنه لا بد لنا ان نملكها ولو بقينا الدهر كله ولا نبارحها الا بعد دخول اهلها فى الاسلام او اداء الجزية عن يد وهم صاغرون (قال الراوى) هذا ما كان من امر المسلمين والنصارى واما ما كان من امر رافع بن الحارث فانه لما وقع اسيرا عند الملك امر بسجنه وجعله فى بيت مظلم وكلف به جارية كانت امينة على قصره فلما نامت العيون فتحت باب السجن ودخلت عليه ونظرت اليه فاعجبها حسنه وشمائله وسالته عن اسمه فقال رافع ابن الحارث بن خالد بن الوليد ثم تقدمت اليه وحلت وثاقه فقال ومن امرك بهذا قالت ان الله الهمنى ذلك وحبب الي الاسلام وقد فعلت ما فعلت ابتغاء مرضاة الله وها انا اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلمت وحسن اسلامها ففرح باسلامها ووعدها بان يتزوجها بعد فتح المدينة ثم قال لها ائتنى بسيف فغابت قليلا واتته بسيف ثم سارت به الى القصر ودخلت على الملك فوجدته نائما فالتفتت الى رافع وقالت له هذا الملك فدونك واياه وافعل به ما تريد فتقدم اليه وسيفه مسلول ومسك لحيته بشماله واراد ان يذبحه فانتبه من نومه وقال له لا تفعل يا رافع فانى رايت النبي صلى الله عليه وسلم هذه الساعة فى النوم ووضع يده الشريفة على راسى مدة زمانية ولم يخاطبنى بشئ من الكلام وهممت بان اكلمه فما قدرت وقد رايته متبسما ضاحكا ففهمت عنه انه يريد منى ان ادخل فى دينه وانا الان اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله ففرح رافع باسلامه وهناه بهذا الفوز العظيم والخروج من الظلمات الى النور (قال) ثم امر الملك باحضار الطعام فى ذلك الوقت وكان قد مضى من الليل نصفه فحضر فاكلا وشربا وحمدا الله تعلى ولما فرغا من الطعام قال لرافع ما نصنع الان قال الراى عندى ان نبعث الى عبد الله بن جعفر ياتى الينا فقال ما اشرت به هو الصواب (قال) فدعا رافع بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم تسليما من رافع بن الحارث الى عبد الله بن جعفر اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فان الله قد منّ علي باسلام المراة التى كانت مكلفة بى وقد حلت وثاقى واخرجتنى من السجن ومكنتنى من الدخول على الملك وهو نائم ولما اردت قتله استيقظ وقال لى انه راى النبي صلى الله عليه وسلم فى النوم وقد اهتدى الى الدين القويم واسلم على يدى فساعة

وقوفك

وقوفك على هذا الكتاب اقدم الينا عاجلا مع عشرة فرسان من صناديد الابطال وسلام عليك ورحمة الله وبركاته ثم طوى الكتاب وختمه وقال للملك انظر مع من ترسله فاخذه من يده وسلمه لغلام له نبيه واوصاه بتبليغه ليد عبد الله بن جعفر وقال له ان انت اتيت بعبد الله فانت حر لوجه الله ولك عندى الف دينار فقال له الغلام سمعا وطاعة ومضى حتى وصل الباب فوجد به الحراس فعرفوه وقالوا له اين تريد قال لهم ان الملك بعثنى للتجسس على العرب وكان الغلام مشهورا بالشجاعة والاقدام فقالوا له احسنت وفتحوا له الباب وسار الى ان بلغ جيش المسلمين ووقف على فسطاط عبد الله بن جعفر فقال له عبد الله من انت يا غلام قال انى رسول الملك بعثنى اليك بكتاب وناوله اياه فاخذه وفكه ولما قراه نهض من حينه وهو مستبشر وسار الى الامير عقبة ودخل عليه فلما رءاه قال له ما وراءك يا مفرج الكروب قال جئتك بشيرا وناوله الكتاب فلما قراه سر سرورا عظيما وقال له بادر بالاجابة (قال) فاستدعى عبد الله بعشرة من مشاهير ابطال المسلمين ولما حضروا اعلمهم بما فى الكتاب ثم لبس ءالة حربه وركب جوادا من عتاق الخيل وسار ومعه الفرسان والغلام حتى وصلوا الى المدينة فوجدوا الباب مغلقا فوقفوا ينتظرون (قال الراوى) اما الملك فانه بعد ان ارسل غلامه بساعة زمانية ركب جواده وركب معه رافع على جواد من عتاق الخيل وسارا الى لقاء عبد الله ولما اقتربا من الباب وجداه مغلقا والحراس حوله فسل رافع سيفه وكل من تقدم اليه ليكلمه ضرب عنقه الى ان قتلهم عن ءاخرهم وعند ذلك اخذ الملك المفاتيح وفتح الباب وخرجا ولما اقتربا من عبد الله واصحابه قال لهم رافع هذا الملك اتى للقائكم فترجلوا وترجل رافع والملك وسلموا على بعضهم بعضا ثم ركبوا وساروا يتقدمهم الملك الى ان بلغوا القصر فنزلوا عن خيلهم ودخلوا القصر وامر الملك بتقديم الطعام فقدمت لهم مائدة من الاطعمة الفاخرة فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى ثم جلسوا يتحدثون فاثنى الملك على عبد الله وشكره وقال انى منذ خلقنى الله وانا ابارز الفرسان ورايت عددا لا يحصى من ابطالهم ومشاهير شجعانهم وما رايت قط اقوى من عبد الله ولا اشجع وافرس منه ولولا ان منّ الله به عليكم لما قامت لكم قائمة قالوا له نعم الامر كذلك ثم قال لهم الملك اختفوا فى هذا المكان فان الصباح قد ادركنا وقرب وقت مجئ الوزراء ورجال الدولة فاذا دخلوا لمقابلتى اضربوا اعناقهم واحدا بعد واحد حتى لا يبقى

منهم احد ففعلوا (قال) وكان الموضع الذى كمنوا فيه مما يلى الباب الذى يدخلون منه لقصر الملك ولما اصبح الصباح اتى الوزراء ورجال الدولة كعادتهم ولما ارادوا الدخول منعهم البواب وقال لهم لا تدخلوا جملة وادخلوا واحدا بعد واحد لان الملك امرنى بذلك فامتثلوا وصاروا يدخلون واحدا بعد ءاخر وكل من دخل قطعوا راسه حتى قتلوا ثلاثمائة وخمسين رجلا ولم يبق منهم احد فعند ذلك اتى الملك الى الصحابة فوجد رجاله صرعى مكومين فلما رءاهم على تلك الحالة استبشر وشكر عبد الله ومن معه واثنى عليهم ثناء جميلا (قال) ثم جلسوا يتشاورون فيما يجب عمله مع اهل المدينة فقال الملك نركب جميعا ونمشى فى ازقة المدينة وكل من لقيناه نقتله حتى يسلموا كلهم فاستحسنوا رايه واتفقوا عليه ثم خرجوا وركبوا خيلهم وساروا وسيوفهم مسلولة ووضعوها فى اعداء الله وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولما ايقنوا بالهلاك نطقوا بالشهادتين واسلموا كلهم وعند ذلك كف المسلمون عن قتالهم ورجعوا الى قصر الملك فامروا بفتح ابواب البلد وبعثوا الى الامير عقبة يعلمونه بالخبر ويستقدمونه فاتى اليهم فى عشرين الفا ودخل المدينة فخرج عبد الله واصحابه والملك الى لقائهم ولما راوا الامير عقبة ترجلوا وترجل هو لهم وفرح بالملك وسلم عليه وهناه باسلامه وساروا جميعا الى ان دخلوا القصر فوجدوا الطعام حاضرا فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى وشكروه على ما انعم به عليهم من الفتح والنصر المبين ثم انهم كسروا الصلبان وهدموا الكنائس وبنوا فى المدينة مسجدا وجعلوا فيها قاضيا واقروا عليها ملكها وعقدوا نكاح رافع على الجارية التى اخرجته من السجن واسلمت على يديه ودخل بها واقام المسلمون بالمدينة خمسة عشر يوما ثم ودعوا الملك وارتحلوا يريدون مدينة مراكش ويقال لها ايضا المدينة الحمراء

ذكر غزوة مراكش

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) وارتحل المسلمون من مدينة الورقة يريدون مراكش وساروا سيرا حثيثا الليل كله ولما ادركهم الصباح نزلوا بواد هناك كثير الاشجار وحطوا رحالهم وصلى عقبة بهم صلاة الصبح ثم تفرقوا للاستراحة من تعب السفر والسهر وبينما هم كذلك اذ لاحت لهم خيل فى عدد نحو مائة فارس من صناديد النصارى وهم عيون الملك الاكبر سنطليش (قال) فلما رءاهم المسلمون لبسوا ءالة حربهم وساروا نحوهم ولما اقتربوا منهم حمل اعداء الله عليهم بعنان واحد

 وحمل

وحمل المسلمون عليهم وما اشتبكوا معهم فى القتال حتى لحق بالنصارى جيش جرار كان خلف الاشجار يبلغ المائة الف لان المائة فارس كانت مقدمة لهم (قال) فلما راى المسلمون ذلك اسرعوا كلهم لقتالهم واشتعلت بين الفريقين نار الحرب وقوى الطعن والضرب وارتفع الغبار واظلم النهار ولم يلبث الاعداء غير ساعة حتى انهزموا وولوا الادبار فمكثوا قليلا ثم تراجعوا وعادوا للزحف على المسلمين فتلقوهم بصبر وثبات وقاتلوهم قتال الابطال الى ان ادركهم الليل وفرق بينهم الظلام وعند ذلك رجع المسلمون الى فساطيطهم ورجع النصارى من حيث اتوا وساروا سيرا عنيفا الى ان وصلوا المدينة الحمراء ودخلوا على ملكهم وقالوا له ايها الملك ستاتيك غنيمة وهى صعاليك العرب فقد توهموا اننا مثل اهل افريقية وقد ظفرنا بهم وقاتلناهم يوما كاملا وقهرناهم ولما فرق بيننا الظلام تركناهم ورجعنا والمظنون انهم يصلون الينا قريبا ونرى ان الاليق بنا ان نحتقرهم ولا نسير اليهم قال لهم هذا هو الراى الرشيد (قال الراوى) وبات المسلمون فى كرب عظيم مما لحقهم من التعب وكثرة الجروح ولما اصبح الله بخير الصباح ارادوا الاقامة فقال لهم عبد الله بن جعفر ولاى شئ هاته الاقامة قالوا لان الجرحى منا كثيرون فلا باس ان ننتظرهم حتى تلتئم جروحهم قال الصواب ان نرحل ولو كان فى ذلك مشقة على جرحانا اذ بقاؤنا هنا لا يجلب لنا فخرا وانما الفخر فى الارتحال ومقاساة الاهوال قالوا اذا نسير ونتكل على الكبير المتعال (قال) فرحلوا وهم يجدون السير الى ان بلغوا جبلا شامخا فقال عبد الله انزلوا بنا ههنا فنزلوا وضربوا الفساطيط وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا للشورى فقال لهم عبد الله اتريدون الاقامة ام الرحيل فاجابه رافع بن الحارث وقال ارحلوا بنا فقال له عبد الله لقد اصبت الراى ثم رحلوا وساروا يومهم كله وعند الغروب نزلوا وباتوا يرتلون القرءان ويذكرون الله ويصلون على النبى صلى الله عليه وسلم وفى الصباح رحلوا وساروا الى الليل ثم نزلوا وباتوا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح ثم جلسوا يتشاورون فاتفق رايهم على ان يكتبوا كتابا الى الملك الاكبر فامر عقبة رضى الله عنه عبد الله بكتبه فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وسلم من عقبة بن عامر وكافة المسلمين الى الملك الاكبر اما بعد فانا نحمد الله ونشكره على نعمة الايمان

والاسلام فساعة وصول كتابنا اليك انجز بقبول احدى الخصال الثلاث الاسلام او الجزية او القتال والسلام على من اتبع الهدى ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال من يمضى بهذا الكتاب واجره على الله فقال سليمان بن خالد انا يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له عبد الله انت لها يا ابن خالد واوصيك اذا دخلت على عدو الله فلا تهب ملكه وكن سريع الجواب (قال) فنهض سليمان وودع المسلمين وسار سيرا حثيثا وطوى الله له الارض بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى وصل المدينة الحمراء فلما رءاه اهلها تسابقوا اليه وقالوا له من اى قوم انت قال جئت من قوم ههنا بكتاب الى ملككم فساروا مسرعين الى الملك واعلموه به فقال لهم ائتونى به وادخلوه علي فعادوا اليه وقالوا له ان الملك قد اذن لك فى الدخول (قال) فدخل سليمان ابوابا كثيرة مختلفة اللون والشكل حتى انتهى الى وسط قصر يعجز عن وصفه الواصفون فوجد الملك جالسا على كرسيه فتقدم اليه وسلم له الكتاب فدعا بقسيس عنده يعرف العربية ودفعه له ففكه القسيس وقراه جهرا ولما بلغ قوله الاسلام او الجزية او القتال قهقه الملك وقال ان هولاء العرب مجانين حيث يقولون مثل هذا الكلام وامر القسيس ان يكتب الى عقبة كتابا يقول فيه ارجعوا من حيث اتيتم والا هلكتم عن واخركم فلما سمع سليمان منه هذا الكلام قال له كذبت اما سمعت ما فعله العرب والله لقد قهروا الملوك العظام (قال) فلما سمع الملك ذلك غضب غضبا شديدا واستوى قائما على قدميه وقال لسليمان وحق اللات والعزى والصنم الادنى لو ان قتل الرسول مباح لقتلتك شر قتلة ثم التفت الى بعض حاشيته وقال اخرجوه عنى فقال له سليمان سيتبين لك صدقى وتتيقن صحة قولى وانطلق وبينما كان سائرا واذا بعجوز تعرضت له فى طريقه وقالت السلام عليك يا ابن خالد قال لها وعليك السلام ايتها العجوز ومن عرفك باسمى قالت علمت من تواريخنا انه سياتينا فى يومنا هذا من قبل العرب رسول اسمه سليمان بن خالد وانكم لا بد ان تملكوا هذه المدينة لكن بعد مشقة عظيمة ويكون فتحها على يدى شاب هو ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمه عبد الله بن جعفر وهو يعرف اللسان النصرانى ثم قالت له ايها الشاب اطلب منك ان تمضى معى الى دارى قال لها حبا وكرامة (قال) فمضت ومضى معها الى ان وصلت دارها ففتحت الباب وادخلت سليمان فلما دخل وجد عندها بنتا على

غاية

غاية من الحسن والجمال فقال لها ما هذه البنت قالت ابنتى ولها معرفة تامة بعلم الفلك والتنجيم وكان بيد البنت حين دخول سليمان اوراق تنظر فيها ولما راته نظرت اليه متبسمة وقالت انت صاحب عبد الله بن جعفر فقال لها ومن اعلمك بعبد الله قالت اوصافه عندى فى هذه الاوراق قال لها اطلعينى عليها فاطلعته على محل الحاجة وقرات عليه ذلك فاذا هو كما قالت فتعجب سليمان من براعتها فى علم التنجيم (قال) وبعد قليل اتت العجوز بطعام فائق لم يكن احسن منه ووضعته بين يديه وقالت كل على بركة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم واقسمت عليه ان يشبع منه فاكل وشرب وحمد الله تعلى وبعد الفراغ من الاكل قال لها اخبرينى اين تعلمت هاته الصبية هذا العلم وهل هى ابنتك حقا ام لا فقد خيل لى انها بنت ملك عظيم لرقتها وفرط جالها وقوة معرفتها بهذا العلم وانت حين اقسمت على فى الاكل اجبتك وانا الان اقسم عليك بالله ان تخبرينى بالحقيقة فقالت يا سليمان وحق ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جعفر ما اقول لك الا الحق اعلم ان ابا هذه البنت كان زوجى وهى ابنة صلبه وكان وحيد زمانه فى الحكمة وعلم الفلك والتنجيم وكان لا يفارق ابنته ولا هى تفارقه طرفة عين وقد علمها جميع علومه وكلما تلقت منه شيئا الا حفظته ورسخ فى ذهنها ولما قربت وفاته اوصانى بكفالتها وان لا اخبر بامرها احدا وهى لا تخفى عنى ما تراه ومهمى رات شيئا او كتبته الا اخبرتنى به فى وقته وقد علمت اليوم انك اتيت الى هنا فاعلمتنى وامرتنى بان ندعوك الى ضيافتنا فسرت للقائك فى طريقك واتيت بك اليها وقد كانت لى بنت اخرى تركها ابوها فى بطنى وماتت بعده وليس لى الان غير هذه البنت (قال) ثم انها اتت سليمان بكسوة وقالت له هذه هدية منى اليك فقبلها منها وشكرها وقام يريد الانصراف فخرجت معه لتشيعه وسارت متنكرة الى ان اوصلته الى خارج المدينة ولما اراد وداعها قالت له بلغ سلامى الى الامير عقبة وعبد الله بن جعفر وكافة المسلمين وبشرهم بانهم لا بد ان يملكوا المدينة بحرمة رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد مشقة عظيمة وفتحها يكون على يدى عبد الله بن جعفر فقال حبا وكرامة وودعها وانطلق وسار يومين حتى وصل جيش المسلمين فوجد الامير عقبة يصلى بالناس العشاء فلما فرغوا من صلاتهم تقدم اليه وقبل يديه وسلم عليه واعلمه بخبر الملك والعجوز ثم ساله الحاضرون عن الملك وقوته وحالة مدينته فقال لهم ان قوته

وعظمته ومنعة مدينته مما يفوق الوصف واظن اننا لا نملك هذه المدينة الا بشق الانفس والعناء الشديد ثم تفرق الناس على نية الرحيل (قال الراوى) ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح وامر بالسير فساروا يومهم كله ولما غربت الشمس نزلوا وباتوا وفى الصباح ارتحلوا ولا يزالون سائرين الى ان جن الظلام فنزلوا وباتوا ولما اصبح الصباح صلى عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم قال سليمان لعبد الله لقد اتعبت الناس فارفق بهم فقال له الان قد قاربنا المدينة والاليق بنا ان لا نعطل سيرنا حتى نبصرها ونستريح حولها ثم امر بالرحيل فارتحلوا وساروا مجدين الى ان لاح لهم ضياء المدينة فعند ذلك امر عبد الله بالنزول فنزلوا وباتوا يحرسون انفسهم مخافة ان يخدعهم الاعداء ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم قال لهم تعلمون انه لم يبق فى المغرب اعظم من هذا الملك سنطليش لانه صاحب المغرب كله وله سطوة عظيمة على كل ملك فيه فخذوا على انفسكم وقاتلوا فى سبيل الله ورسوله بصدق وثبات واعتصموا بالصبر تنالوا الاجر ولما فرغ عقبة من كلامه اتى اليه الملوك الذين كانوا اسلموا مثل ابن الملك صاحب المهدية وصاحب سطيف وغيرهما وقالوا ايها الامير انت تعلم اننا لم نات معك الا ابتغاء مرضاة الله ورسوله ورغبة فى ثوابه وتكفير سيئاتنا الماضية فاذا كان فى صبيحة غد لا تترك احدا غيرنا يطلب البراز فاجابهم عقبة لذلك بعد ان شكرهم هو واصحابه واثنوا عليهم وقضى الجميع يومهم يتدبرون لامر الحرب وباتوا فى فسطاط واحد (قال الراوى) ولما راى النصارى المسلمين ضاربين حول مدينتهم غضبوا غضبا شديدا وامروا بضرب الطبول والنداء فى الازقة بالاستعداد للقتال وان كل من تخلف ولم يخرج للحرب يقتل فما كان غير قليل حتى اجتمعت جنود لا تحصى ومن الغد امر الملك عليهم مائة امير من حجابه وامرهم بالخروج من ابواب متفرقة ليرهبوا المسلمين بكثرهم لانهم اذا خرجوا من باب واحد لا تظهر للرائين كثرتهم ويضيق بهم المكان (قال) فخرجوا كانهم النمل وثار غبارهم حتى صار النهار كالليل المظلم وما راى المسلمون هذه الجنود التى لم يشاهدوا فى افريقية مثلها كثرة واستعدادا حتى اندهشوا وعظم عليهم الامر وكانوا اذ ذاك جالسين مع عبد الله بن جعفر فى فسطاطه فقال لهم عبد الله احسنوا الظن بالله واصبروا فانتم الغالبون ان شاء الله تعلى وبينما كان يعظهم ويهون عليهم

الامر

الامراذ تقدم النصارى نحوهم يريدون حصارهم والاحاطة بهم فعند ذلك صاح
عقبة بالامراء وقال لهم رتبوا الجيوش فرتبوا صفوفهم والنصارى ينظرون اليهم
ويسخرون منهم (قال) ولما اقتربت الصفوف من بعضها بعضا خرج صاحب
سطيف كانه برج من ذهب ونادى هل من مبارز من لم يعرفنى فانا اعرفه بنفسى
انا صاحب سطيف فخرج اليه فارس كانه شعلة نار وحمل عليه وضربه ضربة شديدة
فراغ لها فاتت غير صائبة فالوى عليه صاحب سطيف وضربه ضربة صائبة فقسمه
نصفين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وجواده وطلب البراز
ثانيا فخرج اليه فارس ءاخر فلما دنا منه قال له انت قتلت ابن اخى فاحمل عليّ او
احمل عليك قال له صاحب سطيف احمل انت فحمل عليه وضربه فلم يصبه وضربه
صاحب سطيف فقتله (قال الراوى) وما زالوا يخرجون اليه وهو يقتل فارسا بعد
فارس حتى قتل منهم عشرين فارسا فعند ذلك خرج اليه الزبير وشكره وقال له لقد
جاهدت فى الله حق جهاده فارجع الان واسترح واخذ بعنان جواده ورجع به ثم
خرج بعده ابن الملك صاحب المهدية وطلب البراز فبرز اليه فارس كانه جبل من
حديد فلما تقاربا حمل عدو الله على صاحب المهدية حملة منكرة وضربه فاصابت
الضربة جواده فقتلته فالوى عليه صاحب المهدية وقتل جواده وتصارعا على ارجلهما
من الضحى الى وقت الظهر ولم يقدر احدهما على الاخر وافترقا ولم يقع قتال فى بقية
ذلك اليوم وفى صباح الغد رتب الجيشان صفوفهم وتزينت نساء النصارى
وخرجن للتفرج على القتال لعلمهن ان بطريقا يطلب عبد الله للبراز فى ذلك اليوم
وكانت بينهن بنت الملك مرتقية على سرير من عود طوله مائة ذراع وهى عالمة
بامور دينهم عارفة بالتواريخ وعلم الفلك (قال) ولما تم ترتيب الصفوف خرج
فارس اسمه هماج بن الاصفر ونادى باعلى صوته اين عبد الله بن جعفر يخرج
للبراز ولا يبارزنى اليوم سواه فلما سمع عبد الله نداءه لبس ثوب رسول الله صلى
الله عليه وسلم وخرج اليه فلما راته بنت الملك افتتنت بحسنه وجماله وفروسيته
ومثلها النسوة اللاتى حضرن يومئذ للفرجة (قال) فحملا على بعضهما بعضا وتقاربا
وتباعدا ساعة ثم ضرب هماج عبد الله فراغ له واختطفه من سرجه بخديعة واخذه
اسيرا واوثقه كتافا فعند ذلك صاحت به ابنة الملك وقالت له اين شجاعتك يا هماج
فقال لها خدعنى فقالت لعبد الله ايها الشاب ان كنت شجاعا فاطلقه واعد معه البراز

فحمل عبد الله وثاقه وقال له اتريد ان تحمل على او احمل عليك قال انا احمل عليك (قال) فحمل على عبد الله وضربه ضربة قوية فاخذها فى درقته وعطف عليه وضربه ضربة هاشمية فقسمه وجواده نصفين واخذ سلبه وكانت قيمته ثلاثمائة دينار ثم عاد للبراز ونادى هل من مبارز انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكرر ذلك ولما لم يجبه احد حمل المسلمون على النصارى بعنان واحد وحمل النصارى عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وثار الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار (قال) وقد ثبت الاعداء فى مراكزهم ولم يتحركوا منها فانضم بنو هاشم وبنو مخزوم الى بنى امية وشددوا الحملة عليهم وكشفوهم عن مواضعهم فولوا هاربين نحو البلد فاقتفى المسلمون اثرهم ولما توسطوا بينهم تراجعوا واحدقوا بهم فاحتدم بينهم القتال ودام النزال الى ان اقبل الليل وفرق بينهم الظلام فسار كل فريق الى جهته ولله در بنى هاشم فقد صبروا يومئذ صبر الكرام وابلوا فى الاعداء بلاء حسنا (قال) وبات النصارى فى غم شديد وكرب عظيم مما اصابهم من عبد الله بن جعفر واصحابه وبات المسلمون فى فرح وسرور ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغ امر بترتيب الجيش كما كان بالامس وزحفت الصفوف وضربت الطبول وخرجت بنت الملك وجلست على سريرها ثم خرج بطريق من عظماء النصارى ونادى باعلى صوته معاشر العرب انا دمدام بن كركار فارس الليل والنهار ايكم يخرج للبراز فاسرع اليه رافع وحمل عليه بدون امهال وضربه ولم يصبه فالوى عليه عدو الله وضربه فاصاب جواده فقتله وقال له ارجع لتاتى بجواد آخر فرجع رافع واتى بجواد وتقاتلا ساعة ثم قتل رافع جواد اللعين فسار واتى بغيره فقتله ايضا ولا يزالان كذلك الى ان قتل له رافع خمسة عشر جوادا وادركهما الليل فافترقا (قال الراوى) وفى تلك الليلة اجتمع كبراؤهم عند حاجبهم الاكبر واتفقوا على ان يعلموا الملك بما وقع لهم فى الحرب مع العرب فساروا اليه واعلموه بذلك وقالوا له ان لم تتدبر لانجادنا فاننا هالكون لا محالة (قال) فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يغلبكم صعاليك العرب وحق اللات والعزى والصنم الادنى لابد ان اخرج اليهم يوما واسقيهم كاس الردى ولكن خذوا الان هذا الصليب معكم فانكم بلا ريب تنصرون (قال) فحملوه وساروا به الى الجيش ووضعوه فى مكان

وسجدوا

وسجدوا له من دون الله وفرحوا به فرحا عظيما وايقنوا انهم ينصرون به (قال الراوى) ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم قام عبد الله ابن جعفر وخطب فى الناس يحرضهم على الجهاد ويتلو عليهم ءايات النصر وبينما هو كذلك واذا باعداء الله ضربوا طبولهم دفعة واحدة وتقدموا والصليب امامهم نحو المسلمين فلما راى عقبة ذلك امر بترتيب الصفوف وما تم ترتيبها حتى خرج دمدام الذى كان بالامس يبارز راقعا ونادى معاشر العرب ايكم يخرج للبراز فخرج اليه الزبير بن العوام رضى الله عنه وحمل عليه وضربه فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه دمدام وقتل جواده فتصارعا على ارجلهما الى وقت الظهر ثم رجع كل منهما الى قومه ومن الغد قال عبد الله لابد ان اخرج اليوم لهذا الفارس فقال له الزبير وحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يبارزه احد غيرى (قال) وعند ذلك ضرب النصارى طبولهم ورتبوا صفوفهم فرتب المسلمون صفوفهم كما سبق ثم خرج دمدام وطلب الزبير للبراز وما استتم كلامه حتى خرج اليه فتقاربا وتباعدا ساعة ثم ان عدو الله حمل على الزبير وحمل الزبير عليه والتقيا بضربتين فاصاب الضربتان جواديهما فسقطا ميتين فتصارعا على ارجلهما ثم ان الزبير حمل عليه وضربه فاخذها فى درقته وحمل عدو الله عليه وضربه فاخذها فى درقته ولا يزالان كذلك الى غروب الشمس ثم رجع كل منهما الى اصحابه ولما كان فى صبيحة غد جلس المسلمون بعد صلاة الصبح يتحدثون فقال عبد الله للزبير ان انت لم تقتل عدو الله اليوم اخرج اليه انا غدا لان الامر طال علينا ونحن لا يليق بنا الا الحملة فاجابه الزبير انى لا ازيد معه اكثر من هذا اليوم واذا طال اجله فانى اتركه لك ثم انه لبس ءالة حربه وركب جوادا من عتاق الخيل وخرج اليه فتبارزا يوما كاملا وادركهما الليل فرجعا الى مقرهما فقال المسلمون للزبير قد اطلت فى قتال هذا اللعين فقال لهم انى لم اترك معه شيئا من جهدى وطاقتى قال لهم عبد الله انا اخرج اليه فى صبيحة غد (قال) وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلوا الصبح ولما فرغوا رتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ثم ان عبد الله لبس ءالة حربه ولبس ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلى جسده وركب جواده ونادى بالبراز فخرج دمدام ولما دنا منه قال له من انت قال عبد الله بن جعفر وفى هذا اليوم تعرفنى حقا فقال دمدام واين الزبير قال له وما تريد منه فان كنت تريد الحرب فبادر قال

لا ابارز الا الزبير قال له عبد الله لا يبارزك احد الا انا فعند ذلك صاح دمدام بصوت عال وقال لا يبارزني الا الزبير (قال) فلما سمعه الزبير خرج وقال لعبد الله أرجع فرجع فعند ذلك قال دمدام للزبير ما كان عليك ان تتخلف حتى ادعوك فما هذا من شيم الصناديد قال له خذ حذرك فان اجلك قريب ثم حملا على بعضهما بعضا واقتتلا قتالا شديدا ولا يزالان كذلك الى ان قرب وقت الغروب فعند ذلك صاح عبد الله بالزبير وقال له الى متى يا ابن العوام فلما سمعه استشاط غيظا وحمل على اللعين حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار (قال الراوى) فلما راى اعداء الله صاحبهم صريعا يتخبط فى دمائه حملوا كلهم على عبد الله بعنان واحد فحمل المسلمون عليهم ايضا واختلط الجمعان ووقع القتال واشتبكت الرجال ودام الحرب من غروب الشمس الى الفجر ولما راى المسلمون ان النهار قد اقبل وهم لم يتغلبوا على الاعداء صاحوا ببعضهم بعضا وقالوا شددوا الحملة على الاعداء واكثروا من الصلاة على اشرف المخلوقات وسيد الكائنات (قال) فشددوا الحملة ورفعوا اصواتهم بكلمة التوحيد والتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ولم يكن غير ساعة حتى انهزم النصارى وولوا الادبار فتبعهم المسلمون الى ان دخلوا المدينة واغلقوا الابواب ثم رجعوا الى فساطيطهم وقتلوا منهم يومئذ خلقا لا يحصى (قال الراوى) وبعد ان اغلقوا ابواب المدينة وضعوا الرماة على الاسوار وساروا الى ملكهم وكان لا يعلم شيئا مما حل بهم لانه كان مشتغلا بلذائذه وشهواته ومعتمدا على ابطاله وكثرة جنوده فقال لهم ما خبركم قالوا ان العرب انتصروا علينا وفتكوا بنا فتكا ذريعا ولولا اننا التجانا الى المدينة وغلقنا دونهم الابواب لافنونا عن آخرنا قال لهم لعنكم الصليب وغضب عليكم المسيح كيف يتغلب عليكم صعاليك العرب وانتم اكثر منهم قوة وعددا وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم ترجعوا الان اليهم وتطردوهم عن البلاد لاقتلنكم جميعا فغضبوا من كلامه غضبا شديدا وتركوه فى مجلسه وولوا عنه معرضين واتفقوا فى طريقهم على ان يمضوا الى قسيسهم الاكبر لاستشارته وشكوى حالهم اليه (قال الراوى) وكان هذا القسيس محبا فى اهل بلاده مطاوعا لرغائبهم وبذلك حصل على ميلهم القلبي ونفوذ الكلمة بينهم وهو شيخ طاعن فى السن يتجاوز المائة عام وكان عالما بالتواريخ المتقدمة وعلم الفلك والتنجيم

 فدخلوا

فدخلوا عليه وقالوا يا سيدنا ما ترى فى هذا الملك المنهمك فى لذاته فهو لا يزال مكبا على شهواته والعرب كما علمت ضاربون على بلاده وقد افنوا جمعنا وشتتوا شملنا وقد جئناك لتنظر لنا ما يئول اليه امرنا وتشير علينا بما تراه صالحا لاحوالنا فقال لهم انظرونى الى غد حتى انظر هاته الليلة فى الفلك وفى الصباح اعلمكم بما يكون فانصرفوا (قال الراوى) ولما جنّ الليل دخل القسيس خلوته ونظر فى كتبه وحرر حسابه فظهر له عكس الواقع وهو ان النصر يكون لهم فى ذلك اليوم فلما كان الصباح اتوا اليه فاعلمهم بما راى ففرحوا وخرجوا من عنده مسرورين وقالوا له اذا نحن غلبناهم اليوم فلك عندنا ما تريد ثم سار القسيس حتى دخل على الملك وبشره بالنصر فقال له نعم الاب انت وشكره واستوى من حينه قائما على قدميه ودعا بارباب دولته ولبس آلة حربه وامر ان ينادى فى المدينة بانه خارج لقتال العرب وضربت الطبول واجتمع الناس وكثرت الغوغاء حتى خيل للمسلمين ان اهل المدينة يقاتلون بعضهم بعضا ولم يكن غير ساعة حتى خرج اعداء الله كانهم جراد منتشر وخرج معهم الملك وحوله رجال دولته وبطارقته وساروا قليلا ثم امرهم بالوقوف وضرب الخيام فوقف القوم وضربوا الخيام فنزل الملك وحلف يمينا انه لا يبرح من مكانه حتى يهلك العرب عن آخرهم ولما راى المسلمون هذا الجيش العظيم الذى خرج لقتالهم عظم عليهم الامر فقال لهم عبد الله بن جعفر لا تعجبكم كثرتهم فقد قال تعالى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واصبروا فانتم الغالبون بفضل الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم فقالوا على يدك ان شاء الله فانت اهل لذلك وقد كان اسلافك اذا ضاق الامر لا يوسعه احد سواهم (قال) وما استتموا كلامهم حتى ضربت الطبول دفعة واحدة واخذ الاعداء يرتبون صفوفهم فلما رآهم المسلمون رتبوا صفوفهم ايضا ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين واقاموا النسوة خلف الصفوف ليشهدن على من يولى الادبار ويوبخنهم ثم زحفت صفوف الجيشين وكانت بنت الملك واقفة هناك وابوها الملك فى القلب على جواد ادهم من عتاق الخيل ولما تقاربت الصفوف خرج عبد الله بن جعفر رضى الله عنه الى ما بين الجيشين ونادى هل من مبارز فاندهش النصارى من فروسيته وحسنه وجماله ومكثوا ينظرون اليه فكرر طلب البراز وقال انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ايكم يبرز لى فعند ذلك خرج اليه فارس من صناديد النصارى كانه قطعة

من

من جبل ولما قرب منه قال له انت ابن جعفر قال نعم قال له اليوم افضح طلعتك بين اقرانك قال له كذبت يا عدو الله ثم قال له عبد الله احمل علي او احمل عليك قال انا احمل عليك فقال له افعل (قال) فحمل وحمل عبد الله عليه وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية ثم ان عدو الله حمل عليه وضربه ضربة شديدة خشي منها المسلمون على عبد الله فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه وضربه فازال راسه عن جسده وعجل الله بروحه الخبيثة الى النار واخذ جواده وسلبه ورجع طالبا للبراز فخرج اليه اخو القتيل وهو من كبار الفرسان وحمل عليه واقتتلا ساعة واخذه عبد الله اسيرا واوثقه كتافا ومضى به الى فسطاط عقبة وطرحه امامه وعاد للبراز فخرج اليه اخو الاسير ولما دنا منه قال له وهل مثلك ياخذ اخى اسيرا فقال له عبد الله وانت ملحق به ان لم تقتل (قال) فلما سمع ذلك من عبد الله حمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة قوية فراغ لها فاتت غير صائبة ثم الوى عليه عبد الله وضربه بصفح سيفه فانقلب من على جواده فاخذه اسيرا فاوثقه كتافا ومضى به فوضعه بجانب اخيه وعاد للبراز فخرج اليه فارس صنديد ولما اقترب منه قال له ارجع وات بالاسيرين اللذين اخذتهما قبل ان افضحك بين اقرانك قال له عبد الله وانت ايضا الحقك بهما ان شاء الله تعلى فلما سمع اللعين كلامه حمل عليه وضربه فلم يصبه فالوى عليه عبد الله واختطفه من سرجه كالعصفور ومضى به الى فسطاط الامير عقبة حيث وضعه مع الاسيرين (قال) وما زال عبد الله ياخذ فارسا بعد فارس الى ان اسر خمسين بطريقا من عظمائهم ومشاهير ابطالهم فلما رات اسماء بنت ياسر ذلك ولولت هى وبنات العرب وقالت هكذا والله تلد النساء والا فلا ولما طال براز عبد الله للنصارى خرج اليه جماعة من بنى هاشم وبنى مخزوم وقالوا له ارجع لتستريح ويخرج غيرك للبراز فامتنع وقال ما انا براجع فى هذا اليوم فرجعوا ولما راى النصارى من عبد الله الاصرار على عدم الرجوع اعرضوا عن برازه خوفا على فرسانهم وحملوا عليه بعنان واحد فتلقاهم فرسان المسلمين وحملوا عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار واظلم النهار وتكاثر النصارى على بنى امية وكشفوهم عن مواضعهم فعند ذلك صاحت فيهم اسماء بنت ياسر وبعتهم فسمعها بنو هاشم فقصدوا جهتهم وحملوا على النصارى بعنان واحد وصدموهم صدمة عظيمة فردوهم على الاعقاب واعادوا بنى امية الى

مواضعهم ورجع النصارى الى معسكرهم (قال الواقدى رحمه الله تعلى) حدثنى
من سمع ممن حضر هذه الواقعة قال قال كنت حاضرا فى ذلك اليوم نخيل لى انه
يوم القيامة لما رايت من شدة الهول وكثرة الضجيج والصياح فلم ار غير القتلى
مطروحين والناس هاربين لابسين وعارين ودام هذا الحال والقوم فى القتال الى ان
ادبر النهار وفرق بينهم الظلام (قال) ثم ان عبد الله ذهب الى فسطاط الامير عقبة
ودعا بمسروق بن زيد ورافع بن الحارث وسليمان بن خالد وحزام بن ضرار وكندة
وابن الملك الاكبر وصاحب سطيف وغيرهم من مثل هولاء السادات رضى الله عنهم
اجمعين حتى جمع لديه الف فارس من صناديد الابطال الذين يوثرون الموت على الحياة
ويجودون بانفسهم ابتغاء مرضاة الله ورسوله وبعد ان ودعوا اهلهم واولادهم
ولبسوا الة حربهم ركبوا وساروا مع عبد الله وهجموا على النصارى على حين غفلة
ووضعوا السيف فى رقابهم فما كان من اعداء الله الا ان ركبوا خيلهم وقاوموهم
مقاومة شديدة وقاتلوهم قتالا عنيفا ولكنهم لم يستطيعوا مع المسلمين صبرا وولوا
هاربين والى النجاة طالبين وتركوا خيامهم بما فيها ومات منهم يومئذ خلق كثير
لا يحصى (قال الراوى) فغنم المسلمون خيامهم وما فيها ورجعوا الى فساطيطهم
وباتوا فى فرح وسرور وبات الاعداء فى غم عظيم ولما اصبح الصباح قال لهم الملك
ويحكم ما هذا الفشل والجبن فقالوا كلهم لا طاقة لنا بهولاء العرب فانهم قوم يرون
الحياة فى الموت فقال لهم لابد من قتالهم وطردهم من البلاد ثم امر بترتيب الصفوف
(قال) فرتبوا جيوشهم وضربوا طبولهم ونادى الملك اين الذين ياكلون خبزى
ويتنعمون بخيراتى فاجابه فارس من اقاربه وقال لبيك ايها الملك قال له اخرج الى
عبد الله بن جعفر واكفنا امره ولك عندى ابنتى ونصف مملكتى واشهد على ذلك
القسيسين فشهدوا فعند ذلك سار الفارس الى محله ليلبس الة حربه فقال له ابوه
الى اين يابنى قال ان الملك وعدنى بزواج ابنته ونصف مملكته ان انا قتلت عبد الله بن
جعفر قال له ابوه انك لا تقدر على هذا الشاب فقد احتارت فيه الشجعان ومشاهير
الابطال الذين هم اقوى منك ساعدا واعظم فروسية ودراية بالحروب وما من احد
بارزه الا قضى نحبه او اخذه اسيرا وانا قد نصحتك يابنى وشفقت عليك منه فلا
تغرنك مواعيد الملك فقال له دع عنك هذا الكلام فانى اقوى منه واشد بطشا
فلما راى ابوه انه مصمم على القتال قال له ادن منى حتى اودعك لانى على يقين

من انى لا ارى لك بعد الان وجها فقال له ابنه لا شك انك عدمت العقل والميز قال له ابوه حينئذ افعل ما بدا لك (قال) فخرج وسار الى ما بين الصفوف ونادى باعلى صوته يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز فما استتم كلامه حتى اتى عبد الله اليه وحمل عليه حملة منكرة واختطفه من سرجه كالعصفور واوثقه كتافا ورجع به الى المسلمين فوضعه بين يدى الامير عقبة ورجع للبراز فخرج اليه ابو الاسير بغير سلاح فقال له عبد الله ارجع وائت بسلاحك فقال ما اريد مبارزتك وانما اتيت لاسلم على يديك وها انا اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واتوسل عليك بابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم ان تكتم امرى لانى اخاف ان يسمع بى الملك وان تذهب فى هذه الساعة الى ابنى الذى اخذته الان اسيرا وتعلمه باسلامى وتامره بالاسلام فان اسلم واهتدى فاطلقه لوجه الله ورسوله لانه ابنى الوحيد وليس لى سواه (قال) ثم رجع الاب من حيث اتى ومضى عبد الله الى الابن وقال له ان اباك اسلم على يدى الان وقد اوصانى بان اعلمك واعرض عليك الاسلام لتصير مثله وتسلم على يدى قال انى اقتديت به ونطق بالشهادتين واسلم وحسن اسلامه فحل عبد الله قيوده واطلق سبيله وقال له سر الى ابيك فسار حتى دخل عليه فلما رآه قبله بين عينيه وبكى من شدة الفرح وقال الحمد لله يا بنى الذى نجاك وهدانا الى الدين القويم واخرجنا من الظلمات الى النور ثم اخذ بيده وسار به الى الملك وقال له لا تؤاخذنى ايها الملك ان رايتنى خرجت الى عبد الله ولم ابارزه فانما ذلك لاجل ابنى الذى اسره وقد طلبت منه ان يطلق سبيله فاجاب طلبى وارسله اليّ فانظر خصال الصناديد والله انه على الحق وصاحب عهد ووفاء فقال له الملك ما نصروا علينا الا من اجل ذلك (قال) وكان عبد الله فى ذلك الوقت ينادى بالبراز ولم يجبه احد من الاعداء وقد تمكن الرعب منهم بسبب ما فعله بابطالهم ورجع الملك الى قصره مع معظم عساكره ثم امر بوزرائه ورجال دولته فلما حضروا بين يديه قال لهم ما نصنع مع هولاء العرب قالوا باجمعهم اما الحرب فلا طاقة لنا بها والراى عندنا ان نتحصن فى مدينتنا ونغلق ابوابها ونترك العرب ولا نخرج اليهم ابدا فاذا طالت اقامتهم يفرغون من الزاد ويضطرهم الجوع الى الرحيل عنا بدون قتال فيرجعون من حيث اتوا فقال لهم الملك هذا هو الراى السديد وامر فى الحين بقلع الخيام التى كانت حول المدينة ورجوع العساكر وغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار

قال

(قال) فاقتلعوا خيامهم ودخلوا المدينة واغلقوا ابوابها ووضعوا الرماة على الاسوار فلما راى المسلمون ذلك قالوا لبعضهم بعضا ما الحيلة الان وقد تحصنوا فى بلدهم وهى منيعة لا نستطيع فتحها وربما كان فيها من الزاد ما يحوجنا الى الاقامة عليها زمنا بعيدا فقال لهم عبد الله بن جعفر الذى نصرنا عليهم خارجها ينصرنا عليهم داخلها (قال) ولما كانت صبيحة الغد صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح وبعد فراغهم من الصلاة جلسوا يتحدثون الى ان حضرت صلاة الظهر فصلى بهم عقبة ولما فرغ من الصلاة التفت اليهم وقال لهم الى متى نقيم على هذا الحال والاعداء فى منعة عنا فقال له عبد الله الى ان يشاء الله ولابد ان نتدبر لامر ذلك ان شاء الله تعالى ثم تفرقوا وسار كل الى فسطاطه وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح صلى بهم الامير عقبة صلاة الصبح وجلسوا معه الى ان صلوا خلفه صلاة الظهر ثم تفرقوا الى فساطيطهم (قال) ولا يزالون على هذا الحال مدة ثمانية اشهر واشتد قلقهم من طول هذا الحصار ولما كانت ذات ليلة لبس عبد الله بن جعفر آلة حربه وتقلد حسامه وسار نحو المدينة عسى ان يجد مسلكا او سبيلة تمكنه من دخولها فدار بها من جميع جهاتها ولم يجد فى اسوارها منفذا وادركه الصباح فرجع الى الفساطيط فوجد الامير عقبة يصلى بالناس الصبح وبعد فراغه من الصلاة قال لعبد الله لقد بتنا ليلتنا هاته فى قلق من اجلك لانك خرجت وحدك بدون رفيق فقال له سرت الى المدينة لعلى اجد مسلكا او استمع من خلف سورها كلاما وقد طفت بها فما وجدت منفذا ولا سمعت صوتا قط (قال) ومكث عبد الله والمسلمون يتحدثون الى ان صلوا صلاة العشاء ثم تفرقوا وسار عبد الله الى فسطاطه ولبس آلة حربه وقصد نحو المدينة وفعل ما فعل بالامس وادركه الصباح فرجع ولا يزال يفعل كل ليلة هكذا الى ان انقضت ست ليال فلما كانت الليلة السابعة خرج كعادته وبينما كان واقفا عند الباب اذ برجل اقبل وهو يقول بصوت منخفض اللهم يا خالقى يا واحد يا احد يا فرد يا صمد يا سيدى ومولاى سالتك بنبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان تجمع بينى وبين عبد الله بن جعفر فى هذه الليلة انك على كل شئ قدير فلما سمع عبد الله ذلك تقدم اليه وقال له بلسان النصرانية من انت ايها الرجل قال انا من اهل المدينة فقال له وما تريد من عبد الله الذى تسال الاجتماع به قال لكى ادخله المدينة واكون سببا فى فتحها حتى افوز فوزا عظيما فقال له عبد

الله وهل صحيح ما تقول قال نعم قال ابشر فانا عبد الله بن جعفر قال له اتهزا بي وانا اكبر منك سنا قال له عبد الله نحن قوم لا نقول الا الجد ولا نهزا بمن يتبع دين الاسلام وانا عبد الله بن جعفر حقا فعند ذلك قال له احفر تحت الباب ان كان عندك شئ يمكن الحفر به فاخذ عبد الله سيفه وحفر به قدر ما يدخله ودخل فقبله الرجل بين عينيه وقال له اتبعني وضع رجلك حيث اضع رجلي ولا حرج عليك (قال) فسار الرجل وعبد الله خلفه وبينما كانا سائرين والرجل مرتاب في كون رفيقه هو عبد الله حقا اذ تعرضت لهما في طريقهما جارية وقالت مرحبا بعبد الله قد قرب الوقت فقال لها الرجل وما هذا الوقت الذي قرب قالت لعلك تظن انه ليس عبد الله والله انه هو من غير شك ولا ريب فتعجب من كلامها وقال لها ومن اين لك هذا قالت وجدت ذلك في الكتب المتقدمة وان عبد الله يدخل المدينة في هاته الليلة ولذلك خرجت اترقبه وقد وجدته والمنة لله وانت ايها الرجل قد فزت بخير كثير وانا لا اتركه يدخل دارك حتى يذهب معي الى داري لاتبرك به وطلبت ذلك من عبد الله فقال لها حبا وكرامة وساروا جميعا فصادفهم في طريقهم رجل ومعه صبي على ذراعه فلما دنا منهم قال لهم الى اين سائرون قالوا الى منازلنا قال وما اسمكم فاجابه الرجل وقال انا اسمي جعاب وقالت المراة انا اسمي سعيدة وهذا الشاب اخي واشارت الى عبد الله فقال لها الرجل حاشا لله ان يكون عبد الله بن جعفر اخاك اللهم الا ان يكون من الاسلام قالوا له ومن اعلمك بهذا قال الذي اعلمكم اعلمني والان يا عبد الله اطلب منك ان تضع يدك الشريفة على راس هذا الصبي وكان الصبي اقرع الراس فلما وضع عبد الله يده عليه شفاه الله في الوقت والحين ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ثم ساروا جميعا الى ان بلغوا منزل الجارية فادخلتهم واحضرت لهم طعاما حسنا وبينماهم في الاكل واذا بزوج المراة قرع الباب فاخفت المراة عبد الله ومن معه في مكان وفتحت له الباب فلما دخل قال لها ائتني بالمصباح وكتاب الفلك فاتته بهما ففتح الكتاب ونظر فيه ساعة فقالت له وما تنظر قال اريد ان اعلم وقت دخول عبد الله بن جعفر للمدينة قالت وما فائدتك من دخوله قال لانظر الى وجهه واتمتع برؤيته قالت وهل قولك صحيح قال نعم قالت تامل في حسابك وانظر هل هو الان في المدينة ام خارجها (قال) فاطرق براسه وتامل مليا في حسابه ثم رفع راسه ونظر اليها متبسما فقالت له وما سبب ابتسامك قال لها لا

شك

شك انك مخادعة لاى شئ لا تعلميني من اول وهلة بانه عندنا فى الدار قالت خشية منك ثم اخذت بيده وادخلته على عبد فقبل يده وقال له اخرج يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد شرفت بك الديار فخرج هو ومن معه وجلسوا يتحدثون وما استقروا فى مجالسهم حتى اتت امراة وهى تبكى فتلقتها الجارية التى اتت بعبد الله وقالت لها مالى اراك باكية قالت ان زوجى اختل شعوره وقد تهددنى بالقتل قالت لها وما السبب قالت كان نائما ثم استيقظ وقال لى امضى وادخلى هاته الدار المجاورة لدارنا فاذا وجدت عبد الله فاعلميني بالخبر فهو جالس هناك فامتنعت وقلت له لا افعل ذلك ابدا فقال ان لم تفعلى قتلتك شر قتلة فقلت له لا شك انك مجنون كيف يكون عبد الله هنا وهو مع العرب خارج البلد فقال لا بد ان تفعلى والزمنى الخروج فى هذا الوقت (قال) فقالت لها الجارية وهل يسرك ان تجديه الان عندى قالت ان ذلك لمن اعظم السرور عندى فعند ذلك ادخلتها عليه وهو يذكر الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم فلما راته استعظمته وقبلت يده واعلمته بامر زوجها فقال لها ادخليه علينا فان اتانا بخير نكافئه بمثله وان بشر كذلك (قال) فرجعت الى زوجها فوجدته ينظر الى السماء كالمجنون فلما رءاها قال لها ما الخبر قالت ابشر فانه هناك وقد اذن لك فى الدخول ففرح فرحا شديدا ومضى مع زوجته ولما دخل على عبد الله قال له اتيتك حبا فى دينكم ورغبة فى الاسلام على يديك قال له عبد الله وما حملك على ذلك قال كنت نائما هاته الليلة فرايت سيد الكائنات ونور الارضين والسموات وكل ما عليه من اللباس ابيض فقلت له من انت قال محمد ثم قال لى صلى الله عليه وسلم قم وادخل هذه الدار التى تلى دارك تجد فيها ابن عمى عبد الله بن جعفر فانتبهت وانا ارتعد كالورقة فى يوم ريح عاصفة وبعثت امراتى لتسال عنك فبشرتنى بانك اذنت لى فى الدخول والان اقول بين يديك اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله فلما سمع عبد الله كلامه بكى وبكى الحاضرون معه واسلموا كلهم ثم قال له عبد الله وما الحيلة مع اهل المدينة قال له امكث ههنا ونحن ندبر الامر فمكث عبد الله ولما اصبح الصباح صلى بهم صلاة الصبح وجلس يذكر الله ويصلى على النبى صلى الله عليه وسلم (قال الراوى) ولم يكن عند المسلمين خبر بما فعل عبد الله فبعد ان صلوا خلف الامير عقبة صلاة الصبح افتقدوه ولما لم يجدوه عظم عليهم الامر وكثر ضجيجهم

فقال لهم عقبة احسنوا الظن بالله تجدوا الخير ان شاء الله (قال) وسمع الملك ضجيج المسلمين فقال لقومه ما هذا الصياح قالوا لا يكون ذلك الا لامرين اما لزيادة او لنقصان فامران يسال الحراس على ذلك فمضوا اليهم وسالوهم فقالوا سمعنا صياحا ولكالم نر شيئا فعادوا اليه واخبروه بما قال الحراس فعند ذلك استدعى بقسيسه الاكبر وكان كاهنا طاعنا فى السن له من العمر مائة وخمسون سنة وقال له انظر لنا حالة العرب واخبرنى بالحقيقة قال سمعا وطاعة واستدعى بدواة وقرطاس وكتاب عنده قديم وانعزل عن الناس فى خلوة ومكث ينظر ويحسب ساعة ثم صاح صيحة اسمعت الملك ومن معه فسار اليه الملك وقال له ما الخبر قال ان سبب صياح العرب فقدهم لعبد الله بن جعفر وهو الان مختفى فى المدينة قال له الملك تثبت فى قولك قال ما قلت لك الا الواقع وان لم يصح قولى فافعل بى ما اردت فانا بين يديك (قال) فامر الملك بعشرين فارسا من ابطاله ولما حضروا امرهم ان يفتشوا جميع الديار وكل دار دخلوها يتركون على بابها حراسا حتى لا ينفلت وقت التفتيش منها احد فقالوا سمعا وطاعة ومضوا وفعلوا ما امرهم ولم يجدوا عبد الله فرجعوا اليه وقالوا له قد دخلنا جميع الديار دارا بعد دار ولم نجد له اثرا ولا خبرا (قال الراوى) فعند ذلك قال له وزراؤه ايها الملك اخرج بنا الى هولاء العرب لنغتنم فرصة غيبة عبد الله ونطلبهم للبراز ونقتل ابطالهم ثم نحمل على الباقين ونقتلهم عن اخرهم لانهم بدون هذا الشاب لا يقدرون على برازنا ولا قتالنا وهو الان مفقود (قال) فلما غربت الشمس وانسدل الظلام امر الملك بان ينادى فى المدينة بالخروج للقتال وان من يتخلف يقتل فى الحال فلما سمع عبد الله هذا النداء ارسل صاحب الدار ليتجسس له الاخبار فخرج وسار الى ان وصل قصر الملك فاستفاد منه اخبار القوم وما عولوا عليه ثم عاد الى عبد الله واعلمه بالخبر فتكدر وعظم عليه الامر ثم دعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم من عبد الله بن جعفر الى الامير عقبة بن عامر ورافع والزبير وسليمان ومسروق وكافة المسلمين اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم انى دخلت المدينة ليلا وقد من الله علي باسلام رجلين وامراتين من اهلها وهم الواسطة ان شاء الله فى فتحها وانا الان مختفى عندهم ولتكونوا من اعداء الله على حذر فانهم خارجون اليكم غدا فاذا طلبوا منكم البراز فانتم تعرفون

فرسان البراز فلا تتركوا غيرهم يخرجون اليهم واياكم ان تولوا الادبار واصبروا ينصركم الله وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وقال من يسير به واجره على الله فقال صاحب الدار انا لها يا عبد الله فشكره واثنى عليه ودفع له الكتاب فسار به فى جنح الظلام وقضى بقية الليل خلف السور بداخل المدينة (قال) ولما اصبح الصباح امر الملك بضرب الطبول والخروج للقتال ففتحت ابواب المدينة وخرج اعداء الله كانهم جراد منتشر وساروا حتى اقتربوا من المسلمين وكان رسول عبد الله مع النصارى فلما وقفوا واشتغلوا بترتيب مراكزهم سار الى الامير عقبة (قال الراوى) فرتب النصارى جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى المسلمون ذلك رتبوا جيوشهم مثلهم ثم دعا الامير عقبة بالزبير وقال له اطلب البراز فانا لا اعتماد لنا الا على الله وعليك فقال سمعا وطاعة وبينماهم كذلك اذ خرج من اعداء الله شيطان كانه جبل من حديد ودخل بين الصفين ونادى باعلى صوته ابن الزبير بن العوام يخرج للبراز فخرج اليه الزبير فى الحين وكان على وجهه علائم التاثير بسبب تذكر عبد الله بن جعفر وعدم حضوره فى ذلك اليوم فلما دنا من عدو الله قال له مالى اراك كئيبا فهل جزعت فقال له وهل انا ممن يجزع من مثلك وحمل على عدو الله حملة منكرة وضربه فقسم راسه نصفين وعجل الله بروحه الى النار فاخذ سلبه وعاد للميدان ونادى باعلى صوته من يخرج للبراز (قال الراوى) وفى اثناء ذلك بلغ الرسول الى عقبة ودفع له كتاب عبد الله فلما قراه سر سرورا عظيما وحمد الله تعلى واثنى عليه ثم تلاه على المسلمين ففرحوا فرحا شديدا وذهب عنهم الغم والحزن ثم اجتمعوا على الرسول وطلبوا منه ان يقص عليهم حديث عبد الله وما وقع له معه وكيف خرج من المدينة وتمكن من تبليغ الكتاب الى الامير وما حال عبد الله الان فقال اما حال عبد الله وما وقع بينى وبينه فيكفيكم لمعرفته كتابه واما وصولى اليكم فانى لما دفع لى عبد الله الكتاب اخفيته بين جسدى وقميصى وسرت الى الباب فوجدته مغلقا فجلست وراء السور انتظر فتحه ولما ادبر الليل واقبل النهار انفتح الباب وخرج منه اهل المدينة فاندمجت فيهم وخرجت معهم ولما اقتربوا من جيشكم اخذوا يرتبون انفسهم فخرجت من بينهم حتى انتهيت الى صفوفكم وعبرت صفا بعد صف الى ان وقفت بين يدى الامير عقبة وسلمت له الكتاب فهذه قصتى (قال) وكان الزبير اذ ذاك واقفا بين الصفين لطلب البراز فسار اليه الفضل بن العباس

ومسروق وسليمان واخبروه بكتاب عبد الله بن جعفر ففرح فرحا شديدا ونزل من على جواده وسجد لله تبارك وتعالى (قال الراوى) ولما قتل الزبير الفارس النصرانى وعاد للبرازاتى قسيس كبير الى الملك وقال له ايها الملك قد ثبت من عدم ظهور عبد الله وخروجه اليوم للبرازانه فى المدينة فان انت بقيت ههنا ولم ترجع اليها الان فانه يهلكها فادخلها لعل المسيح يوفق بينكما والافانت هالك لامحالة ولما سمع الملك هذا الكلام تغير لونه واصفر وجهه وامر جيشه بالدخول فلما رءاهم بنو هاشم وبنو مخزوم واجمعين حملوا عليهم بعنان واحد فلله درهم واعلنوا بكلمة التوحيد فرجع النصارى اليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان والرجال بالرجال وثار الغبار حتى صار النهار كالليل المظلم ولم يكن غير ساعة حتى انهزم الاعداء وولوا هاربين نحو البلد فتبعهم مسروق والفضل والزبير وسليمان ورافع ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ودخلوا فى اثر الملك الى ان بلغوا القصر وجرحوه فى ذراعه الايسر ولما راى النصارى ان المسلمين قد دخلوا فى اثرهم للبلد طلعوا على الاسوار ورموهم بالنبال فمنعوهم من الدخول والزموهم الرجوع فرجعوا ورجع الفضل والزبير ومسروق ومن معهم حين راوا الملك دخل قصره وتحصن فيه وبات المسلمون فى فرح وسرور (قال الراوى) اما عبد الله بن جعفر فانه لا يزال مختفيا فى دار الرجل الذى اسلم ولما جن الظلام قال له صاحب الدار انى اريد ان امضى الى قصر الملك وآتيك بالاخبار فشكره عبد الله وقال له افعل فسار الى ان بلغ قصر الملك فقال له الحجاب ما تريد قال انى رايت شيئا فى منامى واريد ان ابشر به الملك فاذا عمل بمقتضاه تغلب على العرب وكان من الظافرين فدخلوا على الملك واعلموه بما قال الرجل فقال لهم ائتونى به فادخلوه عليه فوجدوه جالسا على سريره فقال له ما هذه الرؤيا قال رايت كأن رجلا قد اتانى وقال لى امض الى الملك وقل له اذا اراد النصر على العرب فليستشر الرجل الجديد الساكن بالدار المجاورة لك وان يفعل جميع ما يشير به عليه فانه يغلب العرب لا محالة فقال له الملك وهل تعرف هذا الرجل قال نعم قال ائتنى به (قال) فسار الرجل الى منزله فوجد عبد الله ينتظره فقال له قم على بركة الله فقام عبد الله وتقلد حسامه ولبس درع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت اثوابه وسار مع الرجل الى قصر الملك فلما دخلا عليه وجداه جالسا ينتظرهما فقال لهما اجلسا فجلسا بالقرب منه ثم قال

لعبد

لعبد الله ما ذا تشير به علينا فى امر العرب فاجابه عبد الله بلسان النصرانية قائلا ان اردت ان تنتصر عليهم فافعل ما نامرك به فقال له الملك انى لا افعل امرا من الامور الا اذا خرجنا اليهم وطلبنا منهم البراز فان انت قهرتهم وغلبتهم فى ميدان الحروب فعلت كل ما تامرنى به فقال عبد الله حبا وكرامة فاذا كان فى صبيحة غد نخرج اليهم وابارزهم انا بنفسى واريهم حروبا تشيب منها الولدان ولما سمع الملك هذا الكلام من عبد الله بن جعفر فرح فرحا عظيما (قال) وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح امر الملك لعبد الله بن جعفر بجواد من عتاق الخيل وسيف واثواب رفيعة وركب الملك فى جيش عظيم وركب معه عبد الله وساروا الى ان اقتربوا من جيش المسلمين فرتبوا جيوشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب المسلمون جيوشهم ايضا ثم قال الملك لعبد الله اين وعدك الصادق فقال له حبا وكرامة فخرج عبد الله وجال بجواده يمينا وشمالا وكان ملثما لا يظهر منه الا عيناه فلما رآه المسلمون تعجبوا من فروسيته وقال عقبة انى لم ار قط فى فرسان النصارى مثل هذا الفارس ثم قال ايكم يخرج لبرازه فقال الزبير انا وخرج اليه فلما دنا من عبد الله عرفه وتبسم ضاحكا فقال له عبد الله اكتم الامر واطعنى فيما افعله معك قال وما تريد ان تفعل قال احمل عليك وآخذك اسيرا قال له افعل (قال) فعند ذلك حمل عليه واختطفه من سرجه واخذه اسيرا ومضى به الى الملك وقال له احفظه عندك ففرح الملك وشكره وجزع المسلمون حين راوا الزبير اسيرا وتمكن منهم الرعب خوفا من عبد الله ثم رجع عبد الله للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث فلما اقترب منه كشف له عبد الله عن وجهه فاراد رافع ان يترجل فقال له لا تفعل وانى اريد اخذك اسيرا قال له افعل فحمل عليه عبد الله واخذه اسيرا ومضى به الى الملك فلما راى الملك ذلك فرح فرحا شديدا وفرح النصارى وتعجبوا من شجاعة عبد الله وهم لا يعرفون له اسما ولا وجها لانه كان ملثما (قال) ثم تقدم عبد الله الى الملك وكلمه بلسان النصرانية وقال له ارجع بنا الى المدينة حتى نتدبر لهلاك العرب وقد هدمنا الان لهم ركنا عظيما من قوتهم حيث اسرنا منهم فارسين عظيمين اللذين هما عمد الجيش كله فامر الملك بضرب الطبول والدخول الى المدينة فدخلوا واغلقوا الابواب واقاموا الرماة على الاسوار وسار الملك الى قصره وامر بسجن الزبير ورافع وجعلهما فى القيود والاغلال وكان عبد الله حاضرا عنده فقال له ايها الملك

ليس هذا من شيم الابطال وانما الاولى ان تجعلهما فى بيت تحت مراقبة حراس
لانهما من اعزاء القوم قال له صدقت وامر بوضعهما فى بيت بقصره وان يؤتى
لهما بفراش رفيع (قال) وقد تعلق الملك بعبد الله واشتدت محبته له وبعد حديث
طويل قال عبد الله للملك ما رايك لو استحضرنا الاسيرين وسالناهما عن الاديان
ايها افضل فقال له الملك افعل ما تريد قال فامر عبد الله باحضارهما ولما حضرا
وجدا عبد الله جالسا على يمين الملك فامرهما الملك بالجلوس فجلسا فقال لهما عبد
الله اى الاديان افضل قال له الزبير ديننا افضل فقال له الملك وما دليلك فى ذلك
قال انتم تعبدون الاصنام التى لا تنفع ولا تضر ونحن نعبد الله الذى خلق
السموات والارض وخلق الخلائق باجمعهم من انس وجن وخلق ما فى البر والبحر
وما نعلم وما لا نعلم وهو الله الذى لا اله الا هو النافع الضار الوهاب الرزاق الخافض
الرافع لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا احد (قال) فلما سمع الملك ذلك سكت
ومكث ساعة يتفكر فقال له عبد الله مالى اراك ساكتا ولم ترد جوابا قال وماذا اقول
فما قاله هو عين الحق والصواب قال له عبد الله حينئذ تيقنت انه حق قال نعم قال
له ولعلك تريد الدخول فى دين العرب قال انى عولت على ذلك لان العرب على
الحق ونحن على الباطل وقد مال قلبي اليهم كثيرا فقال له عبد الله وانا مثلك لانى
وجدتهم على الحق ولا شك انهم يملكون الارض طولا وعرضا فقال له الملك وحينئذ
كيف السبيل الى لقاء عبد الله بن جعفر وهو عندنا فى المدينة على ما اخبرنى
القسيس ولا ادرى فى اى مكان اختفى وانى لواهب لمن يجمعنى به ما اراد من المال
فقال له عبد الله وما تريد منه قال لاسلم على يديه واتكلم معه فى امر المدينة (قال)
فعند ذلك تبسم الزبير ورافع ضاحكين من كلامه فقال لهما الملك ما سبب ابتسامكما
قالا لانك تركت الامير عقبة وجميع المسلمين ولم تطلب الا عبد الله بن جعفر فقال
لهما لانه عماد جيشكم ولولاه ما قامت لكم فى افريقية قائمة وزيادة على ذلك فهو
ابن عم النبي محمد صلى الله عليه وسلم قال له عبد الله ابعث الى القسيس وامره ان ينظر
فى الفلك لعله يطلع على مكان عبد الله بن جعفر فارسل الملك فى طلب القسيس وكان
قد مضى من الليل نصفه ولما حضر بين يديه قال له حقق لى فى اى مكان اختفى
عبد الله بن جعفر لانى قد قيل لى انه فى المدينة (قال الراوى) وكان هذا القسيس
حكيما ماهرا كاهنا عارفا بعلوم الفلك والرمل فارسل الى داره من اتاه ببعض الكتب
والاوراق

والاوراق وجعل ينظر فى اوراقه ويحسب وينظر الى عبد الله ولا يزال كذلك مدة زمانية فقال له الملك ما ظهر لك قال امر عجيب قال له قل ولا حرج عليك فقال من هذا الرجل الذى بجانبك قال من اهل بلادنا قال لا بل هو عبد الله بن جعفر نفسه قال له الملك وهل هذا حذقك ومهارتك قال وحق ابن عمه الذى لولاه ما خلقت جنة ولا نار ولا سموات ولا ارضين وهو محمد صلى الله عليه وسلم ما هو الا عبد الله ابن جعفر وان ظهر خلاف ذلك فاحرقنى بالنار (قال) وعند ذلك تبسم عبد الله ابن جعفر فقال له الملك سالتك بالله ان تصدق معى فى قول هذا القسيس قال نعم انا عبد الله بن جعفر فلما سمع الملك منه ذلك قام على قدميه وقبل يديه وقدميه واسلم فى الحين ونطق بالشهادتين وامر باحضار الطعام فاحضرت مائدة فاخرة فاكل معهما رافع والزبير وحمدوا الله تعلى وشكروه ثم جلسوا يتحدثون فقال الملك لعبد الله ما نصنع مع اهل المدينة قال انا اخرج من البلد وابيت عند المسلمين وانت فى صبيحة غد اخرج فى قومك كعادتك واكتم اسلامك ولا تفش سرك لاحد قال له حبا وكرامة (قال الراوى) ثم لبس عبد الله والزبير ورافع ملابس النصارى وخرجوا رضى الله عنهم متنكرين وهم كالاسود وساروا حتى بلغوا الباب الذى يلى معسكر المسلمين فوجدوه مقفلا والحراس حوله فقال لهم الحراس من انتم فاجابهم عبد الله بلغتهم نحن رسل الملك قد بعثنا الى العرب لنعقد لنا معهم صلحا ويذهبون عنا الى بلادهم ففرحوا بذلك وفتحوا لهم الباب (قال) ولما خرجوا وساروا قليلا صادفهم عقبة مع بعض اصحابه اذ كانوا يطوفون حول البلد وهجموا عليهم لظنهم انهم نصارى خرجوا يتجسسون على العرب وكانت الليلة مظلمة فلما اختلطوا عرفوا بعضهم بعضا من اصواتهم وعندما سمع الامير عقبة صوت عبد الله اتى اليه وقبله بين عينيه بعد ان ترجل جميعهم وسلموا على بعضهم بعضا ثم ساروا الى الفساطيط ففرح المسلمون بعبد الله والزبير ورافع وبشرهم عبد الله باسلام الملك واخبرهم بقصته من وقت دخوله المدينة الى قدومه اليهم ثم جلسوا يتحدثون الى الصباح (قال) ولما حضر وقت الصلاة صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر بترتيب الجيوش والتاهب للقتال ظنا منه ان الاعداء يخرجون اليهم كما وقع الاتفاق بين عبد الله والملك فرتب الامراء جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وبعد ذلك اتى اليه عبد الله وقال ايها الامير حرض الناس على القتال لان هذا يوم الفصل فاذا

شددنا القتال فيه على الاعداء ملكنا مدينتهم قال له حبا وكرامة وركب جواده وسار الى ما بين الصفوف وقال ايها الناس تعلمون ان الدنيا دار صدق لمن صدقها ودار وفاء لمن اخذ منها بحقها ودار رجاء لمن تزود منها ودار نجاة لمن فهم عنها الدنيا مهبط وحى الله ومصلى ملائكته ومسجد احبابه واوليائه اتخذوها مزرعة فرحمنا الله واياكم وكان لنا ولكم فمن اراد الزاد من هذه الدنيا الفانية الى يوم حشره فليبادر الى التجارة الرابحة ولا يغره طول الاجل فيطمئن الى التقصير فى العمل ألا وانى قد وهبت نفسى لله وقد اشترى ثم قرا ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة فمن باع فليبادر ولا يجزع مما يحاذر فالموعد بيننا فى عرصات القيامة وموقف الحشر والندامة فاتبعوا سلفكم الطاهر والدين الباهر فعولوا على بركة الله وعونه فقد وعدكم النصر فى كتابه المبين فقال عز من قائل وكان حقا علينا نصر المومنين (قال الراوى) هذا ما كان من المسلمين واما ما كان من امر اعداء الله فانهم لما اصبح الصباح اجتمعوا عند قسيس لهم وقالوا يا ابانا الشفيق ما ذا رايت البارحة فى الفلك ولمن النصر اليوم لنا ام للعرب قال لهم علمت ان الملك قد اسلم على يدى عبد الله بن جعفر واطلق سبيل الاسيرين اللذين عنده وقد خرجا من المدينة مع عبد الله فخذوا حذركم منه وكونوا على اهبة لئلا يهلككم العرب فلما سمعوا منه ذلك ساروا باجمعهم الى الملك وقالوا له ما هاته الفعلة التى فعلتها قال وما هى قالوا بلغنا انك دخلت فى دين العرب وانهم سحروك قال وانتم ما قولكم فى دينهم قالوا باطل لانه دين محدث ودينا دين قديم قال لهم لا دين الا دينهم ولا شك انهم يملكون الارض طولا وعرضا فلما سمعوا منه ذلك غضبوا غضبا شديدا وقال بعضهم لبعض ما نصنع بهذا الملك وكان القسيس حاضرا معهم فقال لهم اوثقوه فان العرب سحروه واتركوه مقيدا حتى يزول ما به من السحر (قال) فاوثقوه وسجنوه فى بيت بقصره وهو يقول بصوت عال انا على دين محمد صلى الله عليه وسلم وكلما سمع اعداء الله منه ذلك ازدادوا غضبا واغاظوا عليه ومنعوا عنه الاكل والشرب ومكثوا فى المدينة متحصنين باسوارها المنيعة ولم يخرجوا لقتال العرب (قال) فغاظ ذلك صاحب عبد الله بن جعفر الذى كان اسلم على يديه وجعه بالملك فتحيل على الحراس وخرج ليلا من المدينة وسار الى عبد الله واعلمه بما وقع فلما سمع المسلمون ما حل بالملك عظم عليهم الامر وقام عبد الله ورافع والزبير من حينهم ولبسوا ملابس

نصرانية

نصرانية وتقلدوا بسلاحهم وساروا مع الرجل حتى اذا انتهوا الى الباب قال لهم الحراس اى الناس انتم فاجابهم صاحب عبد الله وقال من اهل المدينة وقد كنا اسارى عند العرب والان هربنا ففتحوا لهم الباب فدخلوا رضى الله عنهم كالاسود وساروا فى ازقة المدينة حتى وصلوا الى جمع كثير كانوا مجتمعين حول قسيس كان بيده كتاب واوراق وهو يقول لهم ان عبد الله الان فى المدينة ثم خط خطوطا وحسب وقال هو الان معكم ومعه اثنان من اصحابه (قال) فعند ذلك اوقدوا الشموع واخذوا يفتشون وينظرون لوجوه الحاضرين ولما دنوا من المسلمين جرد عبد الله واصحابه سيوفهم وصاحوا بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ووضعوا السيف فى رقابهم ولم يكن غير ساعة حتى ولوا الادبار ولم يبق الا القسيس وحده فاسرع اليه عبد الله وضرب هامة راسه فشطرها شطرين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار ومات من المشركين فى تلك الليلة خلق كثير (قال) ثم سار عبد الله واصحابه مع صاحبهم الى داره فجلسوا عنده وطلبوا منه ان يوجه الى الملك من يخبره بقدومهم فقالت امراته انا امضى اليه لانه قريبي ولى معرفة بجميع قصره قالوا لها اسرعى بارك الله فيك (قال) فمضت اليه وتمكنت من الدخول عليه فوجدته مكبلا بالحديد ولما دنت منه قال لها وهو متبسم ان الوقت قد قرب والحمد لله قالت ومن اين لك هذا قال علمته قبل قدومك بوقت يسير وقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم فى النوم وقال لى ابشر فان ابن عمى يرسل اليك عجوزا فى هذه الساعة ولما استيقظت وجلست دخلت انت عليّ فتعجبت العجوز من ذلك فقال لها لا تعجبي من امر الله قالت وكيف اعجب من قدرة الذى خلقنا وصورنا واخرجنا من الظلمات الى النور ثم قال لها الملك ائتنى بعبد الله واصحابه ولك عندى الف دينار ذهبا (قال) فرجعت اليهم وقالت لهم قوموا ايها السادات الكرام وسارت وساروا خلفها الى القصر ودخلوا على الملك وسلموا عليه وفكوا قيوده واطلقوه فشكا لهم حاله وما فعل به اهل المدينة ثم قال بادروا بكتب كتاب الى الامير عقبة ليمدنا بعشرة الاف فارس من صناديد الابطال فى ظلام هاته الليلة قالوا نعم ودعا عبد الله بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر والزبير ورافع الى الامير عقبة بن عامر فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم اما بعد ايها الامير فساعة

وقوفك على كتابنا هذا ارسل لنا عشرة الاف من خيار الفرسان وانجز بهم فى ظلام هاته الليلة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه الى رجل من خدام القصر (قال) فمضى الرجل وسار الى ان وصل الباب فاذا اعداء الله يحرسون فقالوا له من انت قال من المدينة قالوا اين تريد قال بعثنى اهل المدينة بكتاب الى هولاء العرب لاجل الصلح وحين ارجع اليكم الان بالفرسان الذين ياتون معى لعقد الصلح افتحوا الباب فاذا دخلوا اغلقوه كما كان (قال) ففتحوا له الباب فخرج وسار الى ان دخل على الامير عقبة فوجده جالسا يذكر الله تعلى فدنا منه وسلم له الكتاب فاخذه ولما قراه سر سرورا عظيما وسجد شكرا لله تعلى ثم نهض ودعا بالفضل وحزام وسليمان ومسروق ومثل هولاء السادات رضى الله تعلى عنهم اجمعين ولما وقفوا بين يديه تلا عليهم الكتاب وامرهم بانتخاب عشرة الاف من ابطال الفرسان فاجابوا بالسمع والطاعة واحضروا العشرة الاف فارس فى اقرب وقت فامرهم عقبة عند ذلك بالمسير الى المدينة فودعوا اهلهم وساروا والرجل امامهم الى ان وصلوا الباب فكلم الرجل الحراس بلغتهم ففتحوا لهم وبعد ان دخلوا اغلق الحراس الباب (قال) فسار اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الى القصر فتلقاهم عبد الله والملك فلما راوهما ترجلوا لهما وسلموا عليهما ثم دخلوا معهما القصر وجلسوا يتحدثون وبينماهم كذلك اذ دخلت بنت الملك ورحبت بهم واثنت على عبد الله وشكرته واسلمت على يديه (قال الراوى) وكان الصباح قد قرب والناس قد خرجوا للكنائس فقال الملك لعبد الله ومن معه قوموا لقتال اهل المدينة حتى يسلموا او يعطوا الجزية فنهضوا وركبوا ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير وسلوا سيوفهم ووضعوها فى اعداء الله وقتلوا منهم ما لا يحصى حتى نادوا الامان الامان فعند ذلك رفعوا السيف عنهم وامنوهم واسلم منهم يومئذ خلق كثير (قال الواقدى رحمه الله) وامتلك المسلمون المدينة وفتحوا ابوابها الى بقية جيشهم فدخلوا وهم يذكرون الله ويسبحون وعلى اشرف المخلوقات يصلون واقتسموا الغنائم وذبحوا الغنم وطبخوا اللحوم واكلوا وشربوا وحمدوا الله تعلى على ما انعم به عليهم من النصر المبين واقاموا فى المدينة خمسة عشر يوما بنوا فى اثنائها مسجدا وجعلوا فيها قاضيا واقروا عليها صاحبها الملك الاعظم ثم رحلوا عنها يريدون مدينة الجدار

ذكر

ذكر غزوة مدينة الجدار

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) وارتحل المسلمون من المدينة الحمراء يريدون الجدار وكان معهم صاحب شرشال فقال لهم خذوا حذركم من صاحب الجدار فانه شيطان مريد وليس فى بلاد المغرب اعظم ولا اكثر جيوشا منه تخضع له الملوك العظام وتؤدى له الجزية من اطراف البلاد ومهما طلب من احدهم شيئا الا واسرع به فى الحين واذا قربتم من المدينة فكونوا على حذر من غائلته ومكره لانه همام وله اعتماد على كثرة جنوده قال له عبد الله نحن لا نبالى بكثرتهم فان الله سبحانه وتعلى وعدنا النصر وقال فى كتابه المبين كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين (قال) وسار عبد الله فى اول الجيش بعشرين الفا وعقبة فى اثره مع بقية الجيش وكانت اعلامهم منشورة كانها اجنحة طيور والطبول تضرب ولما غربت الشمس حطوا رحالهم ونزلوا وباتوا تلك الليله ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم امر بالرحيل وقال لعبد الله بن جعفر سر انت امام الجيش كما فعلت بالامس فتقدم عبد الله بعشرين الفا وسار القوم مسرعين نحو الجدار (قال) وكان لملك الجدار عيون على العرب فاتوا اليه واخبروه بان العرب قادمون عليه فلما سمع منهم ذلك امر ان ينادى فى المدينة بالاسراع اليه والحضور لديه فاجتمع الناس فى الحين ولما حضروا بين يديه قال لهم تاهبوا لقتال العرب فانهم قادمون اليكم واخرجوا الخيام وسيروا للقائهم فاذا رايتموهم اهجموا عليهم هجمة واحدة باجمعكم (قال) ولما كان الغد ضربت الطبول وخرج من اعداء الله مائة الف وساروا سيرا حثيثا الى ان غربت الشمس وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الصباح رحلوا وكان لهم عيون متقدمة فى عدد ثلاثمائة فارس فلما اشرفوا على عيون المسلمين الذين كانوا ستين فارسا من الابطال كسليمان بن خالد وحزام بن ضرار ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين هجم عليهم المسلمون وقتلوا منهم مائة وهزموهم وردوهم على الاعقاب فولوا هاربين الى اصحابهم فلما وصلوا اليهم قالوا لهم ما وراءكم قالوا راينا الموت عيانا واعلموهم بالخبر فقالوا كيف تفرون من شرذمة قليلة وكيف يفعلون بكم ما فعلوا وانتم كثيرون قالوا سترون فعلهم اذا لقيتموهم (قال الراوى) وعاد عيون المسلمين الى الامير عقبة بن عامر رضى الله عنه واخبروه بما حصل بينهم وبين عيون النصارى فاستبشر الناس وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح

صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم قال لعبد الله بن جعفر اجعل فى مقدمة الجيش فرسانا يطيقون الحرب ولا يبالون بالموت لان الاعداء قد اقتربوا منا وخلوا حذركم منهم فقال له لا تستصعب امرهم ايها الامير ثم ان عبد الله لبس آلة حربه وركب جواده وقال لعقبة مر الناس بالرحيل فامرهم (قال) وتقدم عبد الله فى الف فارس من صناديد الابطال وقال لرافع ومسروق كونا انتما مع الظعن والنساء والامير عقبة فقالا سمعا وطاعة (قال) وارتحل المسلمون وساروا الى الظهر ثم نزلوا بمكان يقال قنطرة الملك واقاموا به الى الليل ثم رحلوا وباتوا سائرين الليل كله ولما اصبح الصباح صلوا صلاة الصبح وساروا يوما كاملا وعند الغروب نزلوا بارض واسعة كثيرة الثمار والاشجار وكانوا اذ ذاك فى فصل الخريف (قال) وكان عبد الله سبق الرحل مع اصحابه بسير ليلة ويوم ولما بلغ وادى الريحان وجبل المعمور التقى بجيش النصارى ولما رآهم امر اصحابه بالحملة فحملوا بعنان واحد وحمل المشركون عليهم وتقاتلوا قتالا شديدا ولم يلبث الاعداء ان ولوا الادبار وركنوا الى الفرار تاركين فى ميدان القتال ثلاثين الفا وساروا الى الجدار فى سبعين الفا بعد ان كانوا مائة ولما وصلوا الى ملكهم ودخلوا عليه قال لهم ما الخبر قالوا راينا قوما اعظم من البلاء يرون الحياة فى الموت ولا شك انهم ينصرون علينا فغضب عليهم الملك وقال لهم لعنكم المسيح كيف يغلبكم صعاليك العرب ورعاة الابل قالوا ايها الملك لو خرجت انت ما كنت رجعت فاحمد الله على عدم خروجك فاغتاظ الملك غيظا شديدا وقال وحق المسيح لاخرجن اليهم بنفسى ولاطردنهم من جميع البلاد واجعل الحبال فى اعناقهم واقتل عبد الله بن جعفر شر قتلة (قال الراوى) اما عبد الله واصحابه فقد اقاموا بوادى الريحان الى ان اقبل عليهم الامير عقبة والجيش واستقر جميعهم هناك ثلاثة ايام وفى اليوم الرابع امر عقبة بالرحيل فرحلوا ولما بلغوا جبل الخضر المسمى الان بجبل الحديد نزلوا وانحازت كل قبيلة الى قبيلتها وساروا الى ان صاروا قريبا من المدينة ونزلوا بموضع يسمى بمسكانة (قال) وكانت مدينة الجدار حصينة جدا وملكها فارس شديد وبطل صنديد تضرب به الامثال فى افريقية ولما حط العرب رحالهم خرج اليهم الرماة ورموهم بسهم واحد فجرحوا منهم خلقا كثيرا ولما كان آخر النهار اجتمع المسلمون عند عقبة وقالوا له كيف السبيل الى فتح هذه المدينة وهى على ما رايت من المنعة وقد انجرح اليوم منا خلق كثير فقال لهم عبد الله لابد لنا من الاقامة عليها

الى

الى ان يقضى الله امرا كان مفعولا فقال الفضل بن العباس وامراء الجيش هذا هو الصواب (قال) واقاموا على حصارها ثلاثة اسابيع وكانوا ذات ليلة مطمئنين فخرج اليهم الملك على حين غفلة فى سبعين الفا وهجموا عليهم دفعة واحدة وقتلوا الفا وخمسمائة فارس من غسان ولخم وطى وجزام ومن بنى مخزوم عشرين فارسا ومن حمير ثلاثين ومن بنى هاشم ثمانية ثم عاد اللعين بسرعة الى المدينة (قال الراوى) فعظم امر ذلك على المسلمين واجتمعوا عند الامير عقبة وقالوا لعبد الله اارايت ماحل بنا وكل هذا من اتباع رايك فقال لهم الامير عقبة هذا امر قدره الله وهل تعاندون القدر فامتثل القوم لاحكام القدر وقالوا انا لله وانا اليه راجعون وقراوا قل لن يصيبنا الا ما كتب الله لنا الاية ثم تفرقوا ومكث عبد الله عند عقبة ولما لم يبق احد من الناس قال له ايها الامير ان هذه المدينة كما علمت حصينة جدا وجيوشها كثيرة فماذا ترى من الراى لدخولها فقال له عقبة تدبر لذلك فانك لا تعدم رايا سديدا (قال) فخرج عبد الله من عند عقبة وهو يقول لاحول ولا قوة الا بالله العلى العظيم ثم دعا بالامراء فاجتمع عنده خمسة عشر من وجوههم وقالوا لبيك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لهم قد علمتم الحالة التى نحن عليها الان امام هذه المدينة المنيعة فمن كان له راى فليتكلم فقال عبد الله بن شداد كلنا يعلم ان المدينة حصينة ولها سبعة اسوار كل سور عليه حراس لايحصى لهم عدد يرمون بالنبل كلهم فى وقت واحد وان فتحها لا ينال الا بعد مشقة عظيمة وان مالكها اطغى الملوك وليس هو كمن لقينا من ملوك الاقطار الاخرى ولكن كيفما كان الحال فلابد لنا من فتحها ولا يسعنا الان حيث قدمنا اليها الا الضرب بالحسام والصبر على المقام فقال له عبد الله ما قلت الا الصواب واتفقوا كلهم على ذلك ثم تفرقوا الى فساطيطهم وباتوا تلك الليلة ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين صلاة الصبح بسورة الغاشية والشمس وما فرغوا من الصلاة حتى خرج اللعين فى جيش عظيم وهو بينهم كانه برج من ذهب عليه درعان مزردان وامامه الفرسان وعلى رؤوسهم التيجان المكللة باللالى والجواهر راكبين على خيل مسرجة عليها سروج الذهب والجنائب مغطاة باغشية من الحرير الملون المرقوم بالذهب والفضة والخز وكان معهم مائة صليب كل صليب طوله اربعة اشبار من الذهب تحت كل صليب الف فارس على كل صليب رمانة من الذهب المنقوش وهم فى زى عظيم عجيب وقد اكثروا من الطبول والزمور وضرب

القرون والمعازف حتى ارتجت الارض ومعهم النسوة متزينات احسن زينة والوان ملابسهن كازهار الربيع وبنت الملك بينهن كالبدر بين النجوم عليها حلة من ذهب بها اربع يواقيت تضئ كانها القمر المنير وقد ارخت ذوائبها وجعلت فى كل ذوابة الف جوهرة من الجواهر النفيسة وكانت راكبة على مطية حمراء كانها الارجوان وحولها الخدم والحشم والغلمان وهى بكر عذراء لم يمسها بشر قط (قال الواقدى رحمه الله تعلى) وتقدم الملك الى ان صار قريبا من المسلمين فاذن بترتيب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى المسلمون من اعداء الله هذه القوة العظيمة شق عليهم الامر فركب عند ذلك عبد الله بن جعفر على جواد ادهم وتوسط بين الجيش وقال معاشر المسلمين رحمكم الله تعلى اعلموا ان الجنان قد فتحت والملائكة قد اشرفت من الجنان ثم قرا ان الله اشترى من المومنين انفسهم واموالهم بان لهم الجنة وقال اثبتوا ولا تنظروا الى كثرتهم وقلتكم فقد كان المصطفى صلى الله عليه وسلم يوم بدر فى ثلاثمائة وثلاثة عشر رجلا وخذل الكافرين وقد كانت قريش فى حدها وحديدها وعدها وعديدها ونصر الله نبيه ورسوله وقال تعلى كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين واعلموا ان الصبر والثبات جندان لا يغلبان فاياكم ان تولوا الادبار فمن ولى الادبار كان ماواه النار وغضب عليه الجبار واعلموا ان الله فرض عليكم الجهاد وقتل الاعداء وان الاحب اليه جل وعلا قطرتان قطرة دم جرت فى سبيل الله وقطرة دمع جرت من خشية الله وهذا اليوم له من الاجر ما لا يعد فاتقوا الله عباد الله واثبتوا فى هذه المواطن كما ثبتم فى غيرها واياكم والفشل فتذهب ريحكم واعلموا ان الله مع الصابرين ولا يضيع اجر المحسنين (قال الراوى) فلما فرغ عبد الله من وعظ الناس رتبهم الامير عقبة فى الجيش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين فجعل فى الميمنة بنى مخزوم وفى الميسرة بنى امية وفى القلب بنى هاشم وفى الجناحين اخلاط العرب وعند ذلك قالت بنت الملك الاكبر لزوجها عبد الله بن جعفر خذ حذرك من الملك فانه فارس شديد مشهور عند اهل افريقية بالشجاعة والمكر والغدر والملوك تهاب سطوته وتخشى باسه فقال لها طيبي نفسا وقرى عينا فانا اقهره فى ميدان الحرب وانصر عليه ان شاء الله تعلى (قال) ولما ترتبت صفوف الجيشين وانتظمت هيئة الجمعين صاح الملك اين سيراج فقال لبيك وسعديك ايها الملك قال له اخرج واطلب البراز من عبد الله بن جعفر فان انت قتلته او اخذته

اسيرا

اسيرا فلك عندى فى جميع بلادى ما تريد قال سيراج لى عليك شرط اخر لا بد من
بيانه قال وما هو قال ان تزوجنى ابنتك شعاع الشمس قال هى لك (قال) فلبس
سيراج والة حربه وركب جواده ودخل بين الصفين ونادى بصوت عال ابن عبد الله
ابن جعفر فخرج اليه عبد الله كانه اسد غضبان ونساء المدينة ينظرن اليه
ويتعجبن من حسنه وجماله ولما دنا منه قال له عدو الله ارجع واتنى ببنت الملك
الاكبر هدية لتفتدى بها نفسك من الموت فقال له يا عدو انت فى حاجة لافتداء
نفسك فاحمل على او احمل عليك فحمل اللعين عليه وضربه ضربة قوية فراغ لها فاتت
غير صائبة فالوى عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية فقسمه نصفين وعجل الله بروحه
الى النار وبئس القرار فاخذ جواده وسلبه وكانت قيمته الف دينار ذهبا وعاد للبراز
ونادى هل من مبارز انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم
فخرج اليه فارس مشهور من اعز ابطال الملك اسمه دبداب بعد ان لبس درعين
مزردين ولما قرب من عبد الله صاح صيحة عظيمة وحمل عليه وضربه ضربة شديدة
فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه عبد الله وقتل جواده ورجع كل منهما الى قومه
واتى بجواد وعادا للبراز فتجاولا طويلا واعتركا مليا وارى كل منهما ما ادهش الناس
وكانت بنت ملك الجدار تنظر الى عبد الله وقد افتتنت بحسنه وجماله وفروسيته
وشجاعته (قال) وادرك الخصمين الليل فرجع كل منهما الى جيشه ورجع الملك
الى المدينة ودخل قصره وبات المسلمون يتحارسون مخافة ان يهجم عليهم عدو الله
بغتة ولما اصبح الصباح صلى المسلمون صلاة الصبح ورتبوا صفوفهم ورفعوا اصواتهم
بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير فلما سمع عدو الله ذلك غضب
غضبا شديدا وقال هل مثلى يتهدده صعاليك العرب ورعاة الابل وحق اللات
والعزى والصنم الادنى لاجعلن الحبل فى عنق اميرهم ولاقتلن عبد الله بن جعفر
شر قتلة ثم امر جيشه بالخروج وخرج معهم ونزل بالمكان الذى كان به بالامس
قرب المسلمين ورتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين وامر البطارقة بالبراز
(قال) فخرج دبداب فالتقى عبد الله فى انتظاره فحمل كل منهما على الاخر وتقاربا
وتباعدا وتصادما وصارا فى حرب عظيم وحميت عليهما الشمس وثار الحرب حتى
كل منهما الساعدان وعرق من تحتهما الجوادان ونادى الملك يا دبداب احمله الينا
اسيرا فلما سمع عبد الله كلامه غضب غضبا شديدا وحمل على عدو الله حملة منكرة

وضربه ضربة هاشمية فارداه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر عند ذلك المسلمون تكبيرة واحدة ثم حمل عبد الله على الميمنة فقتل عشرة فرسان وعلى الميسرة فقتل سبعة ثم حمل على القلب فعند ذلك حمل اعداء الله عليه واحاطوا به فحمل عليهم المسلمون بعنان واحد والتقت الرجال بالرجال والتحمت الابطال وقوى القتال وعظم النزال وسال العرق وازور الحدق وعظمت الرزايا واظلمت الدنيا وضاقت الصدور واشتدت الامور وضاقت المذاهب وقطعت المناكب وما كنت ترى الا دما فائرا وكفا طائرا وجوادا عاثرا هذا ونساء العرب ينادين باعلى اصواتهن ايها الابطال الكرام والسادة العظام اذكروا غرف الجنان ولا تفضحوا اليوم اميركم وامير المومنين عثمان بن عفان (قال) وتراكم النصارى على بنى امية حتى كشفوهم عن مواضعهم فادركهم عبد الله وابلى بالمشركين بلاء حسنا وعند ذلك تراجع بنو امية وعادوا الى مواضعهم ولا يزال القوم فى قتال ونزال واهوال حتى جاء الليل وحجز بينهم الظلام ورجع الملك الى قصره وامر بغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار ومات يومئذ من اعداء الله خلق لا يحصى (قال الراوى) وبات المسلمون فى كرب عظيم من كثرة الجراحات التى اصابتهم من النبال وكانوا طائفة يدفنون القتلى وطائفة يداوون الجرحى وطائفة نيام من كثرة ما لحقهم من التعب وبات طائفة منهم يدورون حول العسكر الى الصباح (قال) وبينما كان عبد الله فى تلك الليلة جالسا عند الامير عقبة بفسطاط اسماء بنت ياسر وهم يتدبرون لامر الحروب وفتح المدينة واذا بعجوز طاعنة فى السن قد اتت الى الفساطيط تسال عن عبد الله بن جعفر فتلقاها حزام وقال لها ما حاجتك قالت اريد ان احدثه بحديث سر فاتى بها حزام الى فسطاط اسماء (قال) فلما دخلت عليهم قالت يا عبد الله اريد ان اكلمك سرا فقال لها تكلمى ولا حرج فهذا اميرنا وهذه زوجته واشار الى عقبة واسماء فناولته الكتاب ففكه وقراه سرا ثم قراه جهرا فاذا مكتوب فيه * من شعاع الشمس بنت الملك الاكبر صاحب مدينة الجدار الى عبد الله بن جعفر السلام عليك اما بعد فانى مشتاقة الى لقاك والى دينك الحق ووددت ان تكون لى بعلا فساعة وصول كتابى اقدم مع العجوز بدون امهال ولا تاخير (قال الراوى) ولما اتم عبد الله تلاوة الكتاب قال لعقبة واسماء ما قولكما فى هذا الكتاب قالا له انت ادرى فقال الراى عندى ان اكتب لها جوابا على كتابها وارسله مع العجوز ولا امضى اليها بنفسى اذ ربما يكون ذلك خديعة منها

ومكيدة

ومكيدة قالا له نعم الراى هذا فدعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم
من عبد الله بن جعفر الى بنت الملك شعاع الشمس اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله
الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد اتانى كتابك وفهمت خطابك وما
ذكرت من رغبتك فى لقائى والدخول فى دينى فاصبرى حتى تظفر بابيك ولا يكون
الا ما تريدين ان شاء الله تعالى ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله
عليه وسلم ودفعه للعجوز فاخذته وانصرفت (قال الراوى) اما عدو الله الملك فانه
حين دخل قصره خلع اثواب العز والملك ولبس اثواب الذل والاحتقار وخر ساجدا
لصنمه ومكث يتضرع اليه مدة سبعة ايام وهو منعزل عن الناس فى خلوة حتى ظن
قومه انه هلك فلما كان فى اليوم السابع كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال له اخرج
بجيشك الى العرب وانا اعينك عليهم واكفيك امرهم ففرح اللعين فرحا عظيما
ولبس ثيابه وسلاحه وامر عساكره بالخروج (قال) وبينما كان المسلمون يتفكرون
فى امر المدينة وتعطيل الحرب واذا بالطبول قد ضربت دفعة واحدة حتى ارتجت
منها الارض وخرج اعداء الله كانهم جراد منتشر والملك امامهم على راسه تاج تحفه
الرايات الملونة وحوله الوزراء ورجال الدولة وامامه وجوه البطارقة والفرسان وساروا
الى ان اقتربوا من جيش المسلمين فنزلوا ورتبوا جيشهم ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين
فلما راى عقبة ذلك رتب جيشه كذلك وامرهم بالتكبير والصلاة على البشير النذير
ووعظهم ثم نادى يا عبد الله بن جعفر فقال لبيك وسعديك ايها الامير قال له عقبة
افتح لنا باب البراز وهون علينا هون الله عليك هم الدنيا والاخرة فقال سمعا وطاعة
وخرج فى الحين وجال بين الصفين ونادى باعلى صوته هل من مبارز انا عبد الله بن
جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فما اتم كلامه حتى خرج اليه بطريق كانه
قطعة من جبل وفى يده عمود من حديد زنته ستون رطلا وهو راكب على فيل
وشعره كشعر الاسد وطوله وعرضه سواء (قال) وكان هذا البطريق فارسا شديدا
تضرب به الامثال فى بلاد افريقية فلما دنا من عبد الله قال له انت تزوجت بنت
الملك الاكبر صاحب المعلقة وقتلت اباها فقال عبد الله نعم قال كيف حالها اليوم
عندكم قال هى بخير من الله ونعمة قال وما هذا الخير والنعمة وهى تنام على الارض
وتاكل الشعير بعد ان كانت تلبس الحرير وتاكل اشهى الاطعمة وتنام على السرير
(قال) فلما سمع منه عبد الله هذا الكلام غضب وقال له يا احقر اللئام وهل نحن

عندكم بهذه المثابة وهذا المقام وحمل عليه فحمل ايضا عدو الله وتلاقيا وتصادما وتقاربا وتباعدا وضرب اللعين عبدالله فراغ له فلم يصبه فالوى عليه عبدالله وضربه على هامة راسه فشطره مع الفيل شطرين وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فكبر المسلمون عند ذلك تكبيرة واحدة ثم طلب عبدالله البراز فخرج اليه بطريق ثان فقتله وثالث فجندله ولا يزال عبدالله يقتل كل من خرج اليه حتى قتل مائة من صناديدهم فلله دره من بطل شجاع وفارس صنديد (قال) فعند ذلك سار اليه الامير عقبة وحلف عليه ان يرجع ويستريح بعد ان شكره واثنى عليه الثناء الجميل فرجع عبد الله مع الامير عقبة وخرج مكانه حزام بن ضرار ونادى هل من مبارز فصاح الملك فى قومه وقال اخرجوا البرازه فخرج اليه فارس من عظمائهم اسمه رجراج بن ساجح وكان فارسا شديدا وبطلا صنديدا فلما قرب من حزام قال له ايها الشاب فز بنفسك قبل ان تفتضح بين اقرانك فانت لست كفؤا لان تبارزنى فلما سمع منه هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال له يا لعين او بلغ منك العجب هذا الحد حتى تخاطب مثلى بهذا الخطاب وحمل عليه وضربه ضربة شديدة فرمى راسه عن جسده فسقط فى الارض صريعا فاخذ سلبه وكانت قيمته الف دينار وعاد للبراز (قال الراوى) فخرج اليه بطريق اخر فجندله ولم يزل يبارز ويقتل فارسا بعد فارس حتى قتل ثلاثين فسار اليه عند ذلك عبدالله بن جعفر فشكره واقسم عليه ان يرجع الى الجيش ليستريح فرجع ودخل مكانه عبد الله ونادى هل من مبارز يبارزنى انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم اليوم اشفى غليلى بقتلكم يا اعداء الله ورسوله فنادى الملك وقال من يخرج لهذا العربى ويكفينى امره وانا اشاطره مملكتى وازوجه شعاع الشمس ابنتى فخرج من بين القوم بطريق وقال باعلى صوته انا اقتله فى هذه الساعة او آتيك به اسيرا وسار كانه قطعة من جبل وحمل على عبد الله وضربه ضربة قوية فراغ لها ثم عطف عليه عبد الله وضربه ضربة هاشمية فانجدل يخور فى دمه وعجل الله بروحه الى النار فاخذ سلبه وكانت قيمته ستمائة دينار ذهبا وعاد للبراز ونادى هل من مبارز فلم يجب نداءه احد فلما راى القوم ساكنين وقد احجموا عن برازه حمل رضى الله عنه على القلب فالتحقت به فرسان المسلمين وحملوا معه بعنان واحد وحمل النصارى عليهم ايضا والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال والفرسان بالفرسان واقتتلوا قتالا شديدا وارتفع

 الغبار

الغبار واظلم النهار وقرب من اعداء الله ورسوله الدمار ولم يلبثوا غير قليل حتى
ولوا الادبار والتجاوا الى المدينة واغلقوا الابواب ووضعوا الرماة على الاسوار وقتل
منهم يومئذ خلق كثير لا يحصى واستشهد من المسلمين عدد يسير رحمة الله عليهم
اجمعين (قال الراوى) وسار الملك الى قصره وهو فى غم شديد مما حل به من المسلمين
وكان يتاوه ويقول هكذا يفعل بى صعاليك العرب ورعاة الابل يخربون بلادى
ويقتلون رجالى وقال وحق اللات والعزى والصنم الادنى لاخرجن اليهم بنفسى
ولاسقينهم كاس الردى ولا يبارزهم بعد الان غيرى (قال) ثم دخل عليه وزراؤه
ورجال دولته واعيان قومه وسجدوا له من دون الله ثم قالوا ايها الملك ما المفعول مع
هولاء العرب قال قد عولت على ان اخرج اليهم فى صبيحة غد وآليت على نفسى ان
لا اترك غيرى يبارزهم واخرج اليهم بنفسى وان انا قتلت عبدالله بن جعفر ملكت
العرب جميعا فقالوا كلهم افعل ما فيه الصواب واستصوبوا رايه وخرجوا من عنده
مسرورين وباتوا مطمئنين لما يعلمون من شجاعة الملك وتجلده فى القتال لانه ما
حضر موطن حرب الا قارنه الفوز والظفر (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما كان
من امر اعداء الله اما ما كان من امر المسلمين فلما رجعوا الى فساطيطهم اجتمعوا
عند الامير عقبة فقام عبد الله بن جعفر فيهم خطيبا فجعل يعظهم ويهون عليهم
امر فتح المدينة ثم تفرقوا وباتوا يتحارسون ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير
عقبة بالناس صلاة الصبح واذا بالملك قد ضرب طبوله وخرج من المدينة فى جيش
عظيم تحفه خمسمائة راية وهو راكب على جواد من عتاق الخيل وخرج النسوة
متزينات راكبات على المطايا ولما اقترب من المسلمين رتب جيشه ميمنة وميسرة
وقلبا وجناحين ووقف عدو الله فى القلب مع بطارقته وابطاله وعددهم كثير لا
يحصى واوصاهم وقال لهم اذا رايتم عبد الله بن جعفر تغلب علىَّ فى ميدان البراز
فادركونى وان انا غلبته فاحملوا انتم على العرب واقتلوهم عن آخرهم فقالوا سمعا
وطاعة (قال الراوى) ولما فرغ عقبة من الصلاة رتب جيشه كما سبق واذا بمناد
من النصارى ينادى ايها الناس اعلموا ان الملك يريد اليوم مبارزة عبد الله بن
جعفر العربى ولما تم النداء خرج عدو الله كانه برج من ذهب ونادى يا عبد الله بن
جعفر اخرج للبراز فاجابه عبد الله وقال انى قادم اليك يا لعين فاراد مسروق ان يسبقه
للبراز فخالف عبد الله وقال والله لا يبارزه احد غيرى فبكت زوجته بنت الملك وقالت

من لى بعدك يا عبد الله فهذا اللعين مشهور فى جميع الاقطار بالشجاعة والفروسية وانه لايجارى ولايمارى فى الحروب وانت الان مجروح ومتالم من اتعاب الاسفار والقتال فقال لها طيبي نفسا وقرى عينا فوالله وحق ابن عمى رسول الله صلى الله عليه وسلم لاملأنّ قلبك فرحا وسرورا ولا بيضنّ وجهك ووجوه بنات العرب (قال) ثم كر الملك طلب البراز وقال اين انت يا من تدعى الشجاعة وتحسب انك من الرجال الابطال وكانت اذ ذاك شعاع الشمس فى قلق عظيم خوفا على عبد الله من ابيها (قال) وكان عبد الله فى القلب ومعه ثلاثون فارسا من اصحابه فلبس عند ذلك ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله مما يلى جسده ولبس هالة حربه وركب جواده ودفعه يمينا وشمالا وجال بين الصفين والنصارى ينظرون اليه ويتعجبون من فروسيته وما اودع الله فيه من الجمال والجلال ولما دنا من الملك انشد يقول

لقد ملكت يدى سنانا وصارما * اذل اعداء السوء ان جئت قادما
واتركهم شبه الرخام اذا مشى * عليه شجاع لا يزال مصادما
والاكاغنام مضين بقفرة * واصبح مولاها عن السعى نائما
وقد ملك الليث الغضنفر جمعها * واصبح فيها بالمخالب حاطما

(قال الراوى) ثم صاح عبد الله انا الفارس المقدام انا عبد الله بن جعفر قاتل ملوك افريقية والشام وناصر دين الاسلام والساطِ على من لم يتبع شريعة سيد الانام فقال له عدو الله ألم تعلم يا فتى انى بطل لا اطاق فلماذا قدمت على برازى اما خشيت الفضيحة والعار (قال) فما استتم كلامه حتى حمل عبد الله عليه وضربه فراغ له فلم يصبه وحمل اللعين عليه وضربه فحاد عنها واستمرا يتقاتلان حتى سقط من تحتهما الجوادان ووقعا ميتين فترجلا وما زالا يعتركان الى ان ادركهما الليل فعاد كل منهما الى قومه (قال) ولما وصل عبد الله الى عقبة قال له انى ما رايت فى الروم مثل فروسية هذا الملك فقال عبد الله وانا كذلك ايها الامير قال له عقبة ان انت قتلته ملكنا المدينة لا محالة قال نسال الله ان يعيننا عليه بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) ولما رجع الملك اجتمع عنده رجال دولته وعشيرته وقالوا له ما قولك فى هذا الشاب العربى قال قد بارزت الابطال ورايت الشجعان وصناديد الفرسان فى غير جهة وما رايت قط اقوى ولا اصبر ولا اشد باسا واصعب مراسا منه ولكن وحق الصليب وعيسى الحبيب لا ابرح من هذا المكان حتى اقتله واملك العرب باجمعهم ثم امر

بذبح

بذبح البقر والاغنام وطبخ الطعام واحضار الموائد والفواكه والمدام فحضر جميع ذلك فاكلوا وشربوا وضربوا المزامير والقرون وطربوا وباتوا فرحين وبامر العرب غير مكترثين (قال الراوى) وقد ساء المسلمين ما راوه من شجاعة عدو الله وصلابة قومه وكثرة جنوده واوجسوا فى انفسهم خيفة فوعظهم عبد الله وهون عليهم الامر ولما كان الغد صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ثم رتب جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ورتب الملك جيشه وكان الجمعان متقابلين ينظرون الى حركات بعضهم بعضا ثم لبس اللعين آلة حربه وركب جواده وخرج للبراز ونادى باعلى صوته اخرج يا عبد الله فبادر عبد الله اليه وحمل فى الحين عليه فتجاولا واعتركا عراكا شديدا اشد مما كان بالامس حتى كل منهما الساعدان وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما الى جيشه (قال الراوى) ومن الغد رجعا الى البراز ولا يزالان كذلك مدة خمسة عشر يوما بدون ان يظفر احدهما بالآخر وكلاهما قد كل من البراز فلما كان اليوم السادس عشر اقسم الامير عقبة على عبد الله بان يستريح ولا يخرج للبراز فعند ذلك دفع رافع بن الحارث رايته الى معاذ بن كندة وقال لعبد انا اخرج اليوم مكانك للبراز وسار الى ما بين الصفوف وهو ينشد

اسير باسم الواحد المنان * جهرا لاهل الكفر والطغيان
اذيقهم ضربا على الابدان * بكل هندى مبيد الجان
انصر دين المصطفى العدنانى * صلى عليه الملك الديان
وآله والصحب والاخوان * ما ناح قمرى على الاغصان

ثم نادى هل من مبارز انا رافع بن الحارث (قال الراوى) فاراد الملك الخروج اليه فسبقه سيال الدم احد بطارقته وحلف لا يخرج اليه غيره وتقدم الى رافع وقال له انت الذى قتل ابوك عمى فى وقعة تبوك بالشام قال نعم قال اليوم اخذ بثاره منك وحمل عليه وضربه فراغ عنه رافع وضربه فاصاب جواده فقتله فنزل وضرب جواد رافع فقتله ثم تصارعا ولم يلبث رافع غير ساعة حتى صرعه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فاخذ رافع سلبه وكانت قيمته خمسمائة دينار وعاد للبراز فخرج اليه بطريق اسمه سيسار وهو ابن خالة الملك وكان ذا شجاعة واقدام لا يطاق فى الحرب ولا يكل من الطعن والضرب فلما قرب من رافع حمل عليه فتجاولا وتقاربا وتباعدا وتعاركا فما كان اكثر من ساعة حتى طعنه رافع طعنة صادقة فى صدره

خرقت الدروع وخرجت من ظهره فانجدل صريعا وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فعند ذلك كبر المسلمون وشكروا الله عز وجل (قال) فاخذ رافع سلبه وجواده وعاد للبراز فخرج اليه بطريق اخر فقتله ولا زالوا يخرجون اليه فارسا بعد فارس حتى قتل منهم اكثر من ثلاثين بطريقا فعند ذلك سار اليه الامير عقبة وشكره واقسم عليه ان يرجع فرجع وخرج مكانه سليمان وهو يقول

انا الفارس المشهور يوم الوقائع * بحد حسام فى الجماجم قاطع
ورمحى على الاعداء مازال طائلا * اذا التحم الاعداء للضد قامع
وعزمى فى الهيجاء ما زال ماضيا * براى سديد للمحاسن جامع
اصول على الاعداء صولة قادر * واشبعهم ضربا ببيض لوامع

ثم نادى هل من مبارز فخرج اليه بطريق اسمه طلياس كان من اقرب المقربين عند الملك فجال بين الصفين ودفع الجواد ذات اليسار وذات اليمين ثم حمل على سليمان وضربه فاصاب الجواد فقتله فالوى عليه سليمان وعقر جواده من تحته فاتيا بجوادين اخرين فقتلا ايضا ولا يزالان كذلك الى ان مات لكل منهما اربعة وعشرون جوادا (قال) فغضب سليمان وحمل على عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة صادقة فقسمه وجواده نصفين فكبر المسلمون تكبيرة عظيمة (قال) فلما راى النصارى ما حل بصاحبهم حملوا باجمعهم على سليمان فتبادرت اليهم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتقى الجمعان واصطدم الفريقان واشتد القتال وعظم النزال وازدحمت الالوف وتلفت النفوس وقطعت الرؤوس وعظم البلاء واسودت السماء وثار الغبار وقدحت حوافر الخيل الشرار (قال) ولم تزل الابطال تبطح وتطرح وصدور المسلمين تشرح ونحور الكفرة تذبح والصوارم تقطع والانوف تجدع وقلب الذليل يفزع والجبان يجزع والعيون تدمع والصايح لا يسمع ولا شافع يشفع ولا مانع يمنع ولا دافع يدفع ولا قلب يخشع حتى انهزم اعداء الله وولوا هاربين والى المدينة طالبين ومات يومئذ من بطارقتهم الفان وخمسمائة فارس ومن العسكر خلق كثير وجرت من دمائهم انهار وتخضبت بها الارض واعشابها ومات من المسلمين خمسون من بنى امية وعشرون من اخلاط العرب وعشرون من بنى هاشم ومائتان من حمير وطى ولخم وجذام ختم الله لهم بالشهادة اما جرحى الجانبين فلا يحصى لهم عدد (قال الواقدى رحمه الله تعالى) حدثنى مالك بن بشر قال حدثنى عبد الله بن حضرمة وكان ممن حضر

فتوح

فتوح افريقية قال كنت حاضرا فى ذلك اليوم فظننت ان القيامة قد قامت ولله در بنى هاشم وبنى مخزوم فلقد جاهدوا فى الله حق جهاده وابلوا بالاكفار بلاء حسنا وكان عبد الله بن جعفر رضى الله عنه يختطف الفارس ويرمى به الاخر فيقتلهما معا وهو كالجمل الهايج تارة يحمل على الميمنة واخرى على الميسرة ومرة على القلب وطورا على الجناحين (قال) فلما دخل الملك المدينة امر بغلق الابواب ووضع حراسة من الرماة على الاسوار وسار الى قصره وهو حزين القلب فجلس على كرسيه ومكث حيرانا لا يدرى ما يصنع فاتى اليه ارباب دولته وسجدوا له من دون الله ثم قالوا ايها الملك ماذا تامرنا فى امر العرب قال كنت الساعة اتفكر فى هذا الشان ولم ار طريقا للنجاة غير استنجاد الملك الابلق صاحب وجدة فاذا انجدنا واتى لاعانتنا امكننا قتل العرب جميعهم فماذا ترون فى هذا الراى قالوا انه لراى سديد فاكتب اليه وصالحه وتلطف معه لعله يجيب نداءنا ويقع اصلاح ذات البين بيننا (قال الراوى) وكان الملك الابلق جبارا عنيدا وشيطانا مريدا وكان بينه وبين صاحب الجدار عداوة من اجل مصاهرة لانه كان خطب ابنته شعاع الشمس فابى تزويجها اياه فاتى اليه فى جيش عظيم ووقعت بينهما حرب شديدة مات فيها من الفريقين خلق كثير وعاد الى بلاده بدون ان ينال مقصوده (قال) فدعا الملك بدواة وقرطاس وكتب يقول الى الملك صاحب وجدة اما بعد فان صعاليك العرب قدموا الى بلادنا ونزلوا علينا ونحن من مدة كذا فى حرب شديدة معهم وانى وان كنت اذنبت ذنبا سابقا فقد ندمت على ما فرط منى واعترفت بذنبى ويمكنك ان تعتبرنى من اليوم عبد رق وابنتى شعاع الشمس خادمة لك والان اطلب منك الاعانة فان تكرمت ايها الملك بانجادى فعجل قبل ان يفضحنا العرب والسلام ثم طوى الكتاب وختمه وبعثه مع اربعة فرسان من حاشيته وقال لهم اسرعوا بتبليغه (قال) فساروا يوما كاملا فوصلوا الى وجدة وقت الغروب فوجدوا ابوابها مقفلة فباتوا خارجها ولما كان الصباح وفتحت الابواب دخلوا فلما رآهم الحراس تسابقوا اليهم وانكروا حالهم وقالوا لهم من اى الناس انتم ومن اين اتيتم قالوا نحن من اهل الجدار اتينا بكتاب الى ملككم فاسرع الحراس الى الملك واعلموه بخبرهم فامرهم بادخالهم (قال) فلما دخلوا عليه وجدوه جالسا على سرير من ذهب وحوله رجال دولته وامامه مباخر الطيب فسجدوا له من دون الله وقالوا قد اتيناك بكتاب من ملك الجدار فلم يطلبه منهم

وامر غلمانه بان يفرجوهم على القصر وان يخصصوا لهم بيتا فيه للاقامة به وهو قصر مشيد لم ير الراؤون احسن منه (قال) وكان الملك اقرع الراس واسع الصدر طويل الانف ابخر الفم مولعا باللذائذ والخمر والطيب والنساء حتى انه اذا اراد ان ينام تاتى الجوارى اليه فياخذن بانامل رجليه ويحركنها قليلا الى ان ينام فاذا نام لا يستيقظ الا بعد ثلاثة ايام وله جارية بديعة الحسن والجمال تدعى بهجة الكمال كان يحبها حبا شديدا لفرط بهائها وجمالها ولا يفارقها ليلا ولا نهارا وقد بنى لها خارج المدينة قصرا شاهقا متعلقا باكناف السحاب وفيه الوحوش والاطيار والانهار وجميع انواع الاشجار وكان كل عام يتفرج فيه مع بهجة الكمال فخرج اليه يومئذ ومكث به خمسة عشر يوما قضاها فى لهو ولعب وزهو وطرب (قال الراوى) فلما رجع الملك الى قصره بالمدينة قال له وزراؤه ان الرسل الذين اتوا اليك بكتاب من ملك الجدار لا يزالون ههنا فامر بادخالهم فلما دخلوا عليه قال لهم ما خبركم فاخبروه بما فعل بهم العرب وناولوه كتاب الملك فلما قراه غضب غضبا شديدا وقال اين شجاعة ملككم وصلابة بطارقته وكيف يحاصره العرب وهو ممن تضرب بهم الامثال فى بلاد المغرب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى لابد ان ناخذ اميرهم وعبد الله بن جعفر اسيرين ثم نهض ورمى بتاجه الى الارض وصاح بغلمانه وقال لهم ائتونى بجوادى ولبس آلة حربه وامر ان ينادى فى المدينة بالاستعداد للنفير معه للقتال وان من تخلف يقتل فنودى لذلك فى الازقة واطراف البلد (قال) فلم يكن غير ساعة حتى اجتمع عنده جند عظيم واتى اليه بجواده وكان فى مربطه من مدة سبعة اعوام لم يركبه فى اثنائها احد فلما اخرج فزع من الناس وضرب من كان حوله بحافريه فقتل خمسة عشر رجلا فلما راى الملك ذلك قال لقومه ويحكم اذا كان جوادى فعل بكم هذا فاذا تفعلون اذا لقيتم العرب قالوا هذا الجواد لا يقدر عليه احد فقال انا له وتقدم اليه ووضع يده على راسه فسكن ولم يتحرك من مكانه ثم استوى على ظهره وركضه ساعة حتى سكن وامر ان ينادى مرة ثانية بان من يتخلف عنه يضرب عنقه وامر باخراج الخيام فاخرجت فى الحين وضربت الطبول وكانت الف طبل كلها من النحاس وخرج عدو الله فى ستين الف فارس وسار والناس يتلاحقون به من المدينة (قال الراوى) اما المسلمون فانهم لما بلغهم خبر كتاب ملك الجدار الى صاحب وجلة عظم عليهم الامر وبينما كان عبد الله بن جعفر يتفكر فى امر ذلك

فى فسطاطه اذ دخل رافع بن الحارث وسلم عليه وقال له ما لى اراك متفكرا اذكر الله قال قد خطر ببالى ان اركب الى هذا اللعين القادم الينا لعلى اجد فيه فرصة فقال وانا معك فاذا عزمت فتوكل على الله (قال) واتفق ان ابن الملك صهر عبد الله بن جعفر وسليمان ومسروق وحزام وعكرمة كانوا تحدثوا فى هذا الشان فى ذلك الوقت واتفقوا على غزو وجدة وان يسيروا اليها فى صباح الغد ثم تفرقوا الى فساطيطهم وفى الصباح لبسوا آلة حربهم واجتمعوا عند عبد الله فوجدوه متاهبا للسير فساروا معه (قال الراوى) ولا يزال عبد الله واصحابه سائرين فلما بلغوا وادى المزايات التقوا بخمسة رجال فقال لهم رافع من اى الناس انتم ومن اين اقبلتم واين تريدون قالوا نحن من اهل وجدة وقد خرجنا منها نريد مدينة الجدار قال لهم وماذا يصنع ملككم الان قالوا قد خرج لاعانة ملك الجدار وفى هذا اليوم يصل اليكم وينزل بقربكم ثم تقدم واحد منهم الى عبد الله بن جعفر واخذ بعنان فرسه وقال له انى اريد ان اقول لك كلاما فهل تجيبنى بالصدق قال نعم قل قال انت عبد الله بن جعفر وهذا رافع وهذا فلان وهذا فلان الى ان اتى على اسماء جميع اصحابه فقال له عبد الله ومن اعلمك بهذا قال تواريخنا وكتب حكمائنا وعلمت ايضا انكم تجدون فرصة فى صاحب وجدة ونحن ما اتينا الا لنسلم على يديك ونطق بالشهادتين واسلم من كان معه وحسن اسلامهم (قال الراوى) ثم نزل عبد الله واصحابه للاستراحة فما كان غير قليل حتى اشرف عليهم عيون صاحب وجدة وكانوا فرقة كثيرة من الخيل فلما راوهم اخذوا على انفسهم ولبسوا سلاحهم وركبوا فى الحين ووعظهم عبد الله وحرضهم وقال لهم ان الله وعدكم النصر وايدكم بالملائكة وقال الله تعالى فى كتابه العزيز كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله والله مع الصابرين وقد قال صلى الله عليه وسلم الجنة تحت ظلال السيوف فاثبتوا واياكم ان تطمعوا الاعداء فيكم وانصروا الله ينصركم ثم حمل وحملوا معه كالاسود رضى الله عنهم اجمعين ولحقوا بالعيون ووضعوا السيف فيهم فولوا هاربين فاقتفوا اثرهم ولا زالوا يقتلون بهم الى ان وصلوا خيام الملك وهجموا على عسكره وقتلوا منهم عددا وافرا ثم رجعوا من حيث اتوا (قال الراوى) فلما راى الملك ما حل بقومه وعيونه غضب غضبا شديدا وحلف انه لا يرجع الى بلاده الا اذا قتل عبد الله بن جعفر او اخذه اسيرا ثم امر بالرحيل فارتحلوا ولا يزالون سائرين والطبول تضرب الى ان اقتربوا من

المسلمين ونزلوا مما يلى المدينة وضربوا خيامهم (قال) وكان صاحب الجدار يعلم
وقت وصول صاحب وجدة فتهيا للقائه وامر باحضار ما يناسب من الطعام والشراب
ولما اشرف على المدينة امر صاحب الجدار قومه بالخروج للقتال وان ينادى بذلك
فى المدينة فلم يكن غير ساعة حتى خرج اللعين فى جيش عظيم وخرج النسوة متزينات
راكبات على المطايا وشعاع الشمس امامهن وحولها الجوارى ذات اليمين وذات الشمال
وسار الملك على جواد ادهم من عتاق الخيل ونزل بجيشه بالقرب من جيش وجدة
وصار المسلمون بينهم كالشامة البيضاء فى جلد البعير الاسود ولما راوا ذلك قال
بعضهم لبعض هلكنا لا محالة كيف نقدر على قتال هذه الجنود العظيمة ونحن قد
عجزنا عن اهل الجدار فكيف الان وقد تضاعفت القوات فقال عبد الله بن جعفر
رضى الله عنه نقدر عليهم بحول الله وقوته وفضل رسول الله صلى الله عليه وسلم
(قال الراوى) ورتب صاحب الجدار صفوفه ثم سار الى الملك الابلق وسلم عليه
وقبله بين عينيه وشكره واثنى عليه ثم امر باحضار الطعام والمدام فاحضرت موائد
الاطعمة الفاخرة فامتنع الملك الابلق من الاكل وحلف بالصليب انه لا ياكل طعاما ولا
يشرب شرابا حتى يشفى غليله من عبد الله بن جعفر واصحابه الذين هجموا على مقدمة
جيشه (قال الراوى) ولما راى نساء العرب كثرة الاعداء جزعن وبكين فسار عبد
الله الى فسطاط اسماء بنت ياسر وقال لها لا تجزعى وابشرى بنصر الله ولا بد ان شاء
الله ان نشتت شمل الاعداء ونفرقهم كل ممزق فقالت جزيت خيرا يا ابن جعفر
هكذا كان اسلافك يهونون على المسلمين اذا ضاق بهم الامر فهون عليهم وعظهم
بالكتاب والسنة هون الله عليك امر الدنيا والاخرة ثم خرج عبد الله بعد ان سكن روع
النسوة اللائى كن عند اسماء ومضى الى عقبة وقال له ما نصنع مع هذا اللعين الذى قدم
لاعانة ملك الجدار قال الراى عندى ان تسير اليه بالف فارس وتغافله هاته الليلة
وتهجم عليه بغتة عسى ان تجد فيه فرصة فقال اصبت الراى ايها الامير (قال الراوى)
فانطلق عبد الله فانتخب الف فارس من ابطال المسلمين واوصاهم بالتاهب للقتال
والزحف على اعداء الله ورسوله فى جنح الظلام (قال) فلما كان نصف الليل ساروا
الى اعداء الله وحملوا عليهم ووضعوا السيف فيهم فاستيقظوا من نومهم بعد ان
هلك منهم خلق كثير وركبوا خيلهم ولبسوا سلاحهم وحملوا على المسلمين والتقت
الابطال بالابطال والرجال بالرجال وصاح المسلمون قائلين لا اله الا الله محمد رسول الله

 وشددوا

وشددوا الحملة على الكفار حتى لم يستطيعوا معهم صبرا وولوا هاربين الى ان وصلوا
الى ملكهم وكان بعيدا عنهم فلما اعلموه بما وقع لهم غضب غضبا شديدا ولبس
آلة حربه وركب جواده وجعل يحرضهم ويقول الرجعة الرجعة فتراجعوا وحملوا
على المسلمين ولكنهم لم يلبثوا غير ساعة حتى قتل منهم خلق كثير وولوا منهزمين
(قال الراوى) فرجع المسلمون رضى الله عنهم الى فساطيطهم وقد اخذ عبد الله
فى تلك الليلة خمسة عشر اسيرا ورافع عشرة وسليمان ثمانية منهم ابن اخ الملك ولما
اصبح الصباح صلى الناس خلف الامير عقبة الصبح وجلسوا يتحدثون واذا بجيش
الملك الابلق قد ضربوا الطبول واخذوا يتاهبون للقتال فلما راى صاحب الجدار
ذلك امر بضرب الطبول وترتيب الجيش وهجم الجيشان على المسلمين فتلقوهم بصبر
وثبات وبعد حرب عنيد وقتال شديد انكشف بنو امية عن مواضعهم فتصايح بنو
هاشم وبنو مخزوم بعضهم ببعض وحملوا على اعداء الله وكان فى مقدمتهم عبد الله
ابن جعفر ورافع وابن الملك الاكبر وصاحب سطيف (قال) ولما راى النصارى هولاء
السادات قد زحفوا اليهم وابلوا بهم بلاء عظيما اخشوا على انفسهم الهلاك فرجعوا
على اعقابهم خاسرين ومات يومئذ من بنى امية اربعمائة فارس (قال الراوى)
ثم بدل عقبة ترتيب الجيش فجعل فى الميمنة بنى مخزوم وفى الميسرة بنى امية وفى
القلب بنى هاشم وفى الجناحين اخلاط العرب فلما رآهم اعداء الله هموا بالحملة
فقال لهم الملك الابلق لا تفعلوا فانى اريد مبارزتهم لعلى اخذ عبد الله بن جعفر اسيرا
او اقتله فقالوا لا تفعل ايها الملك فانت اعظم واجل من ان تبارز رعاة الابل وكيف
تبارز عبد الله بن جعفر وهو دونك منزلة وقدرا قال لا بد من برازه (قال) فلبس
اللعين عند ذلك درعين مزردين وركب جواده ودخل بين الصفين كانه برج من
ذهب والناس ينظرون اليه وشعاع الشمس واقفة تتفرج وحولها جواريها فجال
بين الصفين ونادى باعلى صوته هل من مبارز انا ميتم الاطفال ومردى الابطال
انا الملك الابلق صاحب وجدة (قال) فخرج اليه رافع فلما دنا منه قال له من انت
قال رافع بن الحارث فقال له ارجع لا يبارزنى الا عبد الله بن جعفر الذى تجاسر
علينا وهجم على جيشنا فلما سمعه عبد الله قال له مهلا عليك يا لعين فلبس ثوب
رسول الله صلى الله عليه وسلم مما يلى جسده ولبس سلاحه وخرج رضى الله عنه
كالاسد الغضبان ولما دنا منه قال له اللعين انت عبد الله قال نعم فقال وحق الصليب

لافعلن بك اليوم ما لم يفعله احد قبلي قال له لعنك الله ولعن صليبك الذي اقسمت به فلما سمع من عبدالله هذا الكلام غضب غضبا شديدا وحمل عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها وضربه عبدالله فاخذها في درقته فانقسمت نصفين والوى عليه عدو الله وقتل جواده فوقع عبدالله في الارض (قال الراوى) وعند ذلك قال له الملك امض لتاتي بجواد اخر فاذا مسروق قد اقبل واتى بالجواد فركب عبدالله وحمل على الملك وتقاربا وتباعدا ساعة زمانية والتقيا بضربتين فاصابتا الجوادين فوقعا ميتين فعند ذلك تصارعا على ارجلهما واقتتلا قتالا شديدا وما زالا يعتركان حتى ولى النهار واقبل الليل فعاد كل منهما الى قومه (قال) فلما رجع الملك الا باق سار اليه صاحب الجدار وقبله بين عينيه وشكره واثنى على شجاعته وامر بضرب الطبول والمزامير والالات المطربة (قال) فساء ذلك شعاع الشمس وتمكن منها الخوف على عبدالله فتضرعت الى الله سبحانه وتعلى ودعت وقالت اللهم انى اسالك بحرمة نبيك محمد صلى الله عليه وسلم ان لا تفضح عباد المسلمين يا سامع الاصوات يا مجيب دعوة المضطر اذا دعاك (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا يتحدثون فى امر الحرب فاذا بطبول الاعداء قد ضربت وخرج عدو الله وعلى راسه لامة فى وسطها ياقوتة تضئ كانها القمر المنير وعليه من الذهب والجواهر شئ كثير ونادى باعلى صوته اين انت يا هجران وهو احد بطارقته فقال نعم قال له اليوم نرى شجاعتك فاخرج لهذا العربى واكفنا امره هو ومن معه من هولاء العرب الذين اعتدوا علينا قال سمعا وطاعة ولبس الة حربه وركب جواده ودخل بين الصفين ونادى هل من مبارز (قال الراوى) وكان الامير عقبة رتب جيشه وجعل فى الميمنة بنى مخزوم وفى الميسرة بنى امية وفى القلب بنى هاشم وفى الجناحين اخلاط العرب مثل حمير وغسان وجذام ولخم وطى ولما تم ترتيبهم اقبل عبدالله على اسماء بنت ياسر رضى الله عنها وكان معها نساء المسلمين فقال لها ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان النساء ناقصات عقل ودين فلكن ممن احتفظن على اديانهن وقدمن فى ذلك النية وحرضن ازواجكن على القتال ومن رجع منهزما فاحصبن وجهه بالحجارة واضربن جواده بالعمد واظهرن اولادكن لازواجكن حتى يرجعوا (قال) فوقف النساء خلف الصفوف وهن مستعدات وكان عددهن نحو الالفين (قال الراوى) فرجع عبدالله بعد ان اوصى اسماء ومن

معها

معها من النسوة بتحريض ازواجهن فلما صار بين الصفوف راى البطريق خارجا للبراز وسمع نداءه فعجل اليه وحمل عليه وطعنه طعنة صادقة فالقاه فى الارض صريعا يخور فى دمائه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار واخذ سلبه وجواده (قال الراوى) فلما راى الملك الابلق ذلك غضب غضبا شديدا وتفكر قليلا ثم قال لصاحب الجدار انى اريد ان ابارز بنفسى وانتقم من هذا العربى ولكن ينبغى قبل ذلك ان نتحقق هل ابنتك شعاع الشمس راضية بزواجى بها ام لا لانها كانت امتنعت فيما مضى وحصلت من اجل ذلك بيننا حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الجانبين وانت قد وعدتنى فى كتابك بزواجها غير ان ذلك لا يمكن معه القطع برضاها وعليه فانى ارى ان الاجدر بى ان لا ابدى ادنى حركة حتى اسمع من ابنتك نفسها فان هى اجابت اريك اليوم من ضروب الحرب ما يذهل العقول وها انا ذاهب اليها فى هذه الساعة (قال) فركب عدو الله جواده وسار نحو شعاع الشمس حتى اذا وصل اليها قال لها ما قولك فيما وعدنى به ابوك فان انت رضيت بى لك بعلا فانى اخرج لبراز عبد الله بن جعفر واريح منه بنى الصليب وان ابيت فلا ابارز اصلا وانت تعلمين انى ما قدمت لاعانة ابيك الا لاجلك فان تعدينى بكلمة منك صادقة اخذت هذا العربى اسيرا واتيتك به وفوضت امره اليك تحكمين عليه بما شئت ففى ذلك فخر لك ورفعة على زوجته بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة وبنات العرب جميعا (قال الراوى) فلم تجبه شعاع الشمس بشئ وكانت صامتة فكرر عليها السؤال فاطرقت براسها وابت الجواب فعند ذلك رجع الى ابيها واعلمه بانها اعرضت عنه وامتنعت من جوابه فاعتذر له وقال انها صغيرة السن وغلب عليها الحياء فلم تستطع جوابا وانت تعلم ان الابكار لا يظهرن ما يضمرن ولو كن يرغبن فيه ويملن اليه قال له لابد ان اسمع منها والا فلن اقاتل ابدا فقال ابوها الساعة ارسل اليها (قال الراوى) فارسل ابوها يقول لها بئسما صنعت كيف ياتى اليك الملك الابلق بنفسه ويخاطبك ولم تردى عليه جوابا والحال انى وعدته بزواجك به وله علي حجة بخط يدى وهو لم يات من بلاده الا على هذا الشرط فقالت هذا لا ارضى به ولا افعله ابدا ولو قطعت اربا اربا (قال) وما زال ابوها يرسل اليها المرة بعد المرة وهى مصرة على الامتناع (قال الراوى) فلما بلغ الملك الابلق مقالها وامتناعها غضب غضبا شديدا وامر جيشه بالرحيل فقال له رجال دولته ايها الملك كيف نرحل قبل

ان ناخذ الثار من العرب وقد اعتدوا علينا واسروا ابن اخيك والصواب ان لا نرحل حتى ننتقم منهم وناخذ عبد الله اسيرا كما فعل بابن اخيك فقال لهم اعلموا انى ما اتيت الى هنا الا لاجل شعاع الشمس ورغبة فى زواجها لانى مشغوف بحبها ولما اتانى كتاب ابيها فرحت فرحا شديدا وايقنت ببلوغ المراد واتيت اليه بجيشى غير انى حين حللت ببلاده لم ار من ابنته ما يحقق املى ويطمن خاطرى فاحببت ان اتحقق منها هل هى راضية بوعد ابيها ولما سالتها امتنعت من الجواب ولكن وحق اللات والعزى والصنم الادنى ان لم تجبنى وتصرح لى برضاها فان العداوة بينى وبين ابيها تبقى الى الابد ويكون ذلك سببا فى زوال ملكه وفتح الجدار (قال الراوى) فسكت ارباب دولته ولم يعارضوه بشئ ولما بلغ هذا الكلام مسامع صاحب الجدار سار اليه وقبله بين عينيه وجعل يلاطفه ويعتذر له فقال الملك الابلق لا اقبل منك عذرا لانك استخففت بى حيث كتبت لى حين استنجدتنى بانك فوضت لى جميع امرك ووعدتنى بزواج ابنتك بدون ان تشير الى كون امرها بيدها فلما اجبت نداءك واتيتك برجالى وابطالى تبين خلاف ذلك وصار الامر موكولا لارادة ابنتك ورضاها فقال له طب نفسا وقر عينا فلا يقع الا ما تريد واذا امتنعت هذه المرة فانى احرقها بالنار لانها لا تملك عصمتها وليس لها معى راى ولا اختيار (قال) ثم سار صاحب الجدار الى ابنته وقال لها وحق اللات والعزى ان امتنعت ولم ترتضى بزواجه قتلتك شر قتلة فقالت وحق الذى خلقنى وخلقك وخلق اباءنا الاولين وانشانى فى هذه الصورة ما فعلت هذا ابدا ولا نطقت ببنت شفة قال لها لعلك مسحورة والظاهر ان العرب سحروك كما سحروا بنت الملك الاكبر فسكتت عنه (قال الراوى) ولما يئس منها ابوها عمد الى جارية مثل ابنته فزينها والبسها مثلها واركبها على مطية بيضاء حتى خيل للناظرين انها شعاع الشمس وسار معها الى ان اوقفها بين النساء وابعد ابنته الى مكان لا ترى فيه واوصى الجارية وقال لها اذا اتاك الملك الابلق وكلمك فكلميه وقولى له رضيت بك بعلا ثم سار اليه وقال له امض الى شعاع الشمس وخاطبها فان لم تجبك فانى احرقها بالنار فى هذه الساعة لاجلك (قال) فسار حتى وصل اليها وقال لها ارضيت بى ام لا فسكتت قليلا ثم اجابت نعم رضيت فلما سمع منها ذلك فرح فرحا عظيما ورجع فى الحين وجال بين الصفوف وامر بضرب الطبول فضربت دفعة واحدة حتى ارتجت منها الارض ثم

ناهب للبراز فقال له صاحب الجدار الان قد مضى من النهار اكثره والصواب ان تترك ذلك الى غد حتى يكون لك الوقت الكافى للفتك بعبد الله وقومه فرجع مع صاحب الجدار وتفرق الناس الى فساطيطهم ولم يقع بين الفريقين قتال (قال الراوى) ولما كان وقت العشاء صلى عقبة بالناس صلاة العشاء ولما فرغ دعا بعبد الله فحضر بين يديه فقال له ما رايك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فى حرب غد قال الحملة على الاعداء خير لنا من البراز مالم يطلبنى الملك الابلق اما اذا طلب برازى فانى ابرز اليه حتى لا برانى الله عز وجل قاصرا عنه فقالت له اسماء بنت ياسر جزاك الله خيرا يا ابن جعفر وبينما هم كذلك واذا برجل ورد بكتاب ودفعه الى عبد الله ففتحه وقراه فاذا فيه * من شعاع الشمس الى الامير عقبة وعبد الله بن جعفر اما بعد فانى انصح الى عبد الله ان لا يبارز فى صبيحة غد عدو الله الملك الابلق وان طلبه اذ اخشى عليه منه الهلاك لانه جبار عنيد لا يطاق واتصبرا حتى ابعث اليكما لتاتيا مع طائفة من ابطالكم لتمكنكم من فتح المدينة ان شاء الله تعلى وما قصدت بهذا الكتاب الامحض النصيحة لعبد الله والله شاهد علي وكفى بالله شهيدا (قال الراوى) فلما سمعت اسماء كلام شعاع الشمس قالت لعبد الله ما قالت الا الصواب فسكت عبد الله ودعا بدواة وقرطاس وكتب يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عبد الله بن جعفر الى شعاع الشمس اما بعد فانى احمد الله الذى لا اله الا هو واصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فقد بلغنا كتابك وفهمنا خطابك فنشكرك على نصحك وحسن مقصدك غير ان مبارزتى للملك الابلق حتمية لابد منها حتى لا يرانى الله والناس قاصرا عنه ولا يكون ان شاء الله الاما تريدين لنا من الخير والظفر ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لرسولها الذى اتى بكتابها فاخذه وسار مسرعا حتى دخل عليها وسلمه اليها (قال الراوى) وبات المسلمون ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ودعا الله تعلى وامن الناس على دعائه وما زالوا كذلك حتى طلعت الشمس فاذا عدو الله ضرب طبوله ورتب جيشه فرتب المسلمون جيشهم مثله ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولبس عبد الله ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وتقلد حسامه وءالة حربه وركب جواده واذ كان سائرا الى ما بين الصفوف سبقه اللعين ونادى ابن عبد الله فاسرع اليه وقال له الان اشفى غليلى بقتلك ان شاء الله تعلى (قال) وحمل

كل منهما على الاخر وتقاتلا قتالا شديدا وضيق عبد الله على اللعين حتى اشرف على الهلاك وفرهاربا الى معسكره فتبعه عبد الله وخرق صفوفهم فلما راوه متوغلا بينهم ارادوا الاحاطة به فاسرع اليهم خيل المسلمين وحملوا عليهم بعنان واحد حملة منكرة وارتفع الغبار واظلم النهار ونادى عقبة ايها الناس اعلموا ان الله مطلع عليكم وعلى المجاهدين والصابرين فاذا نظر اليهم وقد لزموا الصبر فى مرضاته وثبتوا لقضائه امدهم بنصره وايدهم بصبرهم فسارعوا الى معانقة الحور العين فى جوار رب العالمين (قال) وكان الملك الابلق يستغيث وينادى ادركونى فانى هالك لا محالة (قال الراوى) وما زال المسلمون يقاتلون والنبال تتساقط عليهم كالمطر وهم لا يبالون بها حتى غربت الشمس وقد نكلوا بالاعداء يومئذ نكاية عظيمة ولما جن الظلام نادى رافع بن الحارث يا اهل الاسلام والايمان ويا حملة القرآن شددوا عليهم الحملة رحمكم الله فوالذى نفسى بيده انى لارجو ان يمنحكم الله اكتافهم (قال) فحملوا حملة منكرة لا يريدون غير رضا الله ورسوله فلم يلبث النصارى ان انكشفوا بين ايديهم انكشافا قبيحا وولوا كما تولى الغنم بين يدى الاسد وتبعهم المسلمون حتى ادخلوهم البلد فلما راى صاحب الجدار القوم هاربين صاح بهم ونادى يا بنى النصرانية لعنكم الصليب ما هذا الفعل القبيح كيف تركتم الملك الابلق يحارب مع عبد الله ورجعتم منهزمين فلبئس الصنيع هذا (قال الراوى) فرجع المنهزمون رجعة عظيمة عندما سمعوا توبيخ الملك وحملوا على المسلمين حملة منكرة فصبروا لهم صبر الكرام وقاتلوا قتالا شديدا وثبتوا ثباتا حسنا وزاد الاعداء فى حملتهم وتكاثروا عليهم ورموهم بنبال كالمطر فكشفوهم عن مواضعهم وعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة الى اعقابها وتبعهم النصارى الى ان اوصلوهم الى معسكرهم ثم رجعوا الى مواضعهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وقد تعب المسلمون يومئذ تعبا شديدا وفشا فيهم القتل واستشهد منهم خمسمائة فارس ختم الله لهم بالسعادة وجرح الامير عقبة ستة جروح ومات من الكفار الفان وخمسمائة وجرح من الفريقين خلق كثير وبات المسلمون تلك الليلة فى غم عظيم وكان عبد الله بن جعفر يعظهم ويسليهم ويهون عليهم الامر وبات يتنقل من فسطاط الى آخر وهو يعالج الجرحى ويشد لهم الجراح (قال) ولما اصبح الله بخير الصباح سار عبد الله الى الامير عقبة فقال له عقبة صل اليوم انت بالناس فانا لا استطيع بسبب ما بى من الجراح فتقدم

عبد الله

عبد الله وصلى بالناس ولما فرغوا من صلاتهم جلسوا يتحدثون فى امر الحرب وابدى كل منهم رايه وتاهبوا للقتال ومكثوا ينتظرون اعداء الله ولما لم يروا منهم حركة علموا انهم يريدون الاستراحة فى ذلك اليوم فقالوا ونحن ايضا فى حاجة الى الراحة فلا نقاتلهم الا اذا راينا منهم استعدادا لذلك (قال الراوى) ولم يقع قتال فى ذلك اليوم ولما خيم الظلام جمع الملك الابلق ارباب دولته وقال لهم انى اريد ان امضى الى صاحب الجدار واتحدث معه فى شان هولاء العرب قالوا الامر اليك فافعل ما تريد (قال) فلبس ثيابا رفيعة وتاجا مرصعا باليواقيت والجواهر وامر باسراج الشموع وسار بين الشموع ومباخر الطيب الى ان وصل الى صاحب الجدار فلما رآه مقبلا قام اليه ورحب به واكرم لقياه وقبله بين عينيه وفرح فرحا عظيما واجلسه عن يمينه وامر باحضار موائد الطعام والمدام والجوارى وءالات الطرب فاكلوا وشربوا (قال) وبينما كانوا يتنادمون وقد اخذ السكر من الملك الابلق كل ماخذ فاذا هو استوى قائما على قدميه ورمى التاج من على راسه وقال هكذا يفعل بنا صعاليك العرب ورعاة الابل ياتون الى بلادنا ويهتكون حرمتنا وحق اللات والعزى لا ياتى الصباح حتى اخرج اليهم بنفسى واسقيهم كاس الردى ثم قال لصاحب الجدار اريد ان ادخل هاته الليلة بشعاع الشمس فامر بزفافها فقال الساعة ارسل اليها (قال) فارسل الى الجارية الشبيهة بابنته واوصاها بان لا تعلمه بحقيقة امرها بل تقول انها شعاع الشمس وامرها ان تتزين احسن زينة ثم سار الى قصره ينتظرها (قال) فتزينت ولبست ملابس رفيعة وتطيبت وحضرت بين يديه فقال لها اذهبي الى شعاع الشمس وقولى لها لا بد ان تاتى الى الزفاف فسارت اليها فوجدتها تنظر الى السماء والنجوم وتتفكر فى صنع المالك الواحد القهار فلما راتها شعاع الشمس قالت لها ما الذى اتى بك فى هذه الساعة قالت سيدتى ان الملك اباك يامرك بان تحضرى مهرجان زفافى على الملك الابلق فى هاته الليلة فلما سمعت منها ذلك شتمتها وامرت بضربها وقالت لها ارجعى اليه وقولى كيف احضر مهرجان الملك الابلق وهل مثلى يؤم مجلسه ولعنته (قال الراوى) فخرجت الجارية كئيبة حزينة وسارت الى سيدها وعيناها تذرفان فلما دخلت عليه قال لها ما ابكاك فقالت انى لم ار ابنتك قط على حالة مثل الان فقد وجدتها هائمة وابصارها شاخصة نحو النجوم وحين ذكرت لها ما امرتنى شتمتنى وامرت بضربى ضربا وجيعا وشتمت الملك الابلق ولعنته (قال) فلما سمع

عدو الله من الجارية هذا الكلام غضب غضبا شديدا وسار اليها فقال لها وحق المسيح ان لم تذهبي قتلتك شر قتلة فقالت اجلي بيد الله لا بيدك وانت لاتدرى اقريب هو ام بعيد فقال لها سحرك العرب وحق الصليب فقالت يا ابت انهم لا يعرفون سحرا ولا غيره من المحرمات (قال) فتركها ابوها وولى مغضبا وسار حتى وصل الى الملك الابلق ولما دخل عليه قال له ابشر ففى هذه الساعة تاتيك شعاع الشمس ففرح اللعين فرحا عظيما ولبس لباسا فائقا ووضع التاج على راسه وامر بضرب الطبول والمزامير والقرون والبخور ولم يكن غير قليل حتى اقبلت العروس بين الف من الابكار وعليها من الديباج واليواقيت ما يخطف الابصار وبايدى الجوارى الشموع مسرجة وصار الليل كالنهار ولما وصلن مجلس الملك وقفن ذات اليمين وذات الشمال ووقفت العروس فى وسطهن وهى كالقمر بين النجوم فتقدم اليها عدو الله واستبشر بها وفرح فرحا عظيما واجلسها بجانبه وامر بضرب آلات الطرب وان تدار الكؤوس وطاب له الخمر وعظم السرور (قال الراوى) ثم امر بصنمه فلما اتى به قام اليه وسجد له من دون الله هو ومن معه ولم يزالوا ساجدين حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم وقال ايها الملك قد تم فرحك وسرورك فافعل ما تريد وانا انصرك على العرب (قال) فلما سمع من معبوده هذا الكلام رفع راسه واثنى عليه ثم امر الحاضرين بالانصراف واخذ بيد الجارية ودخل بها الخلوة وقضى ليلته فى فرح وسرور ولما اصبح الصباح خرج الى جيشه ورتبهم وخرج صاحب الجدار وفعل مثله فلما راى ذلك المسلمون رتبوا جيشهم ايضا واوصاهم عبد الله بن جعفر رضى الله عنه بالصبر والثبات ووعظهم بالايات البينات وبعد ان اتم الاعداء ترتيبهم خرج الملك الابلق الى ما بين الصفوف ونادى هل من مبارز فبرز اليه صاحب سطيف فلما دنا منه قال له من انت قال صاحب سطيف قال له انت مسحور قد سحرك العرب حتى تركت دين ءابائك واجدادك القديم الذى هو خير الاديان فقال خير الاديان هو دين محمد صلى الله عليه وسلم (قال) ثم حمل كل منهما على الاخر وتقاتلا قتالا شديدا ودام القتال بينهما الى الظهر غير ان صاحب سطيف لم يستطع مع عدو الله صبرا وولى هاربا فتبعه اللعين الى ان وصل صفوف المسلمين ثم رجع فصاح عبد الله بصاحب سطيف اذ رءاه مدبرا وقال له كيف تولى الادبار وتهرب من عدو الله فلما سمع ذلك صاحب سطيف خجل من عبد الله وسار اليه وقال له لا تؤاخذنى فانى لما

دنوت من عدو الله رهبت واعترتنى دهشة فوليت وها انا الان عائد اليه فقال له عبد الله فاذا عزمت فتوكل على الله فرجع صاحب سطيف وهو ينشد ويقول

لك الحمد مولانا على كل نعمة * وشكرا لما اوليت من سابغ النعم
مننت علينا بعد كفر وظلمة * وانقذتنا من حندس الظلم والظلم
واكرمتنا بالهاشمى محمد * وكشفت عنا ما نلاقى من الغمم
فتمم اله العرش ما قد نرومه * وعجل لاهل الشرك بالبؤس والنقم
والقهم ربى سريعا ببغيهم * بحق نبى سيد العرب والعجم

(قال الواقدى رحمه الله تعالى) ثم حمل صاحب سطيف وحمل الملك الابلق عليه وطمع كل منهما فى صاحبه وتقاتلا قتالا شديدا ولا يزالان كذلك الى ان اقبل الليل وولى النهار فرجعا الى معسكرهما وقد قتل كل منهما الاخر فى ذلك اليوم خمسة وعشرين جوادا وقضى اللعين ليلته فى خمر ولهو وطرب ولما اصبح الصباح امر بترتيب الجيش وخرج للبراز وخرج صاحب سطيف اليه واقتتلا حتى تهشمت دروقهما وايقن عدو الله بالهلاك فولى هاربا فتبعه صاحب سطيف حتى ادركه وضربه بسيفه فزاغ عن الضربة وعطف اللعين عليه واخذه اسيرا ورجع للبراز فخرج اليه رافع بن الحارث وحملا على بعضهما بعضا وتقاربا وتباعدا وتصادما ثم خدعه عدو الله واخذه اسيرا وعاد للبراز فخرج اليه فارس ثالث فاسره وما زال عدو الله ياخذ فارسا بعد فارس حتى اسر عشرين من ابطال المسلمين (قال) فعند ذلك خرج اليه ابن الملك صاحب المهدية وحمل عليه وتقاتلا قتالا شديدا ولم يلبث غير ساعة حتى وقع فى يد اللعين اسيرا فلما رات اخته ذلك بكت فقال لها زوجها عبد الله بن جعفر اصبرى ولا تحزنى فوحق رسول الله صلى الله عليه وسلم لا بد ان نملك بلادهم ونقهرهم جميعا ونفعل بالملك الابلق وصاحب الجدار ما نريد بفضل الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم فسكنت وزال ما بها من الجزع وندمت على ما صدر منها (قال الراوى) وبعد ان رجع اللعين من البراز ضرب الاعداء الطبول ودخلوا المدينة فرحين مسرورين بما نالوه من الفوز على المسلمين وسجنوا الاسارى فى قصر الملك ولما دخل الابلق هذا القصر تعجب من حسنه وغرائب صنعه وكان فيه اصنام كثيرة منها صنم كبير فلما دخل مكانه سجد له من دون الله وقال ايها الملك الاعظم قد جئناك لتنصرنا على العرب ولم يزل ساجدا حتى كلمه الشيطان من جوف الصنم بعد ساعة وقال انى ناصرك

عليهم فعند ذلك رفع راسه وفرح فرحا شديدا وقال لصاحب الجدار انك لمتهاون بالاصنام وكان من حقك ان تجعل لها خدمة خاصة بها لتنظيفها وتبخيرها بالعود وانواع الطيب فقال انى غير مقصر فى خدمتها ولكننى لم اجعل لها خدمة خاصة بها وامرفى الحين بتخصيص خدام لها وتبخير اماكنها بالليل والنهار (قال) ثم مضى الملك الاباق الى منزله وما استقر به الجلوس حتى اتت اليه عجوز وقالت سيدى انى اريد ان اكلمك سرا بينى وبينك فامر ارباب دولته ومن فى مجلسه بالانصراف وقال لها تكلمى فقالت ان صاحب الجدار غالطك واحتال عليك فقد زوجك بجارية من قصره شبيهة بابنته شعاع الشمس وقال انها ابنته ذاتها والحال انها امتنعت من زواجك فقال لها وهل صحيح ما تقولين قالت نعم كل ذلك وقع امامى وقد كنت حاضرة حين خاطب ابنته فى شانك واجابته بقولها لا افعل ذلك ابدا ولو قطعت اربا اربا ولقد سائنى امرها ته الفعلة الذميمة التى فعلها معك ملكا لانك اتيت لنصرتنا وللاخذ بثارنا وثار دين عيسى من صعاليك العرب ولولا ذلك ما اتيت اليك فى هذا الوقت وفعلت امرا فيه خطر على حياتى فارجوك ايها الملك ان تكتم خبرى (قال الراوى) فلما سمع عدو الله منها هذا الكلام غضب غضبا شديدا وقال لغلمانه ائتونى بجوادى فلما اتوه به ركب وامر جيشه بالحملة على جيش صاحب الجدار فلم يسعهم الا الامتثال وهجموا عليهم فى الحين واشتبكوا مع بعضهم بعضا واستعرت نار الحرب وقوى الطعن والضرب وكثر الصياح (قال) وكان عبد الله ابن جعفر فى ذلك الوقت قرب المدينة وقد خرج بعد صلاة العشاء فى جماعة من ابطال المسلمين لاستطلاع اخبارها والتدبر لفتحها فلما سمعوا الصياح دنوا من الباب فاذا هم قد صادفوا الاعداء خارجين فسلوا سيوفهم وحملوا عليهم وصاحوا بهم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة والسلام على البشير النذير وصاح عبد الله قائلا انا عبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا السيف فى اعداء الله ورسوله فلم يكن غير قليل حتى انهزموا بين ايديهم فلما ولوا هاربين قال لهم ملكهم ما وراءكم قالوا الموت القاتل فقال لا يكون هذا الا عبد الله بن جعفر ولكن فى هذه الساعة امسكه بيدى وسار اليه ولما دنا منه حمل عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها وعطف عليه عبد الله وضربه فاصابه وجرحه جرحا خفيفا ثم زاده ضربتين صائبتين فجرحه جرحين بليغين فولى عدو الله هاربا ودماؤه تسيل وهو يستغيث

ويقول

ويقول ادركوني فقد قتلني عبد الله بن جعفر فاخذوا يرمون المسلمين بالنبل حتى ابعدوهم ثم رجعوا الى ملكهم فوجدوه على اسوا حال فجمع حوله رجال دولته وقال لهم قد اضعنا خطواتنا فى اغاثة هذا الخبيث الخائن صاحب الجدار ولم يبق لنا الان الا الرحيل حيث صرنا بين عدوين خصوصا وانى مثقل بالجراح واخشى ان يظفر بى عبد الله بن جعفر ويقتلنى فقالوا كلهم ارحل بنا الى بلادنا ودع صاحب الجدار يهلك (قال) فامر بالرحيل فى ذلك الوقت فارتحلوا ولا يزالون سائرين حتى بلغوا وادى المزايات وهو وادى الزيتون فنزلوا به وحطوا رحالهم وضربوا خيامهم وقد اشتد بالملك الالم من الجراح التى فى جسده فقال لهم نقيم بهذا المكان الى ان تلتئم جروحى واشفى من مرضى لانى لا استطيع المسير (قال الواقدى رحمه الله تعالى) ولما اصبح الصباح امر صاحب الجدار بغلق الابواب واقامة الرماة على الاسوار ثم جمع ارباب دولته وقال لهم انى اريد حرق الاسارى العرب فى صبيحة غد قالوا اصبت الراى ايها الملك فعند ذلك امر العبيد الموكلين بالسجن الذى فيه الاسارى باحضار الحطب فمضوا واتوا بكثير منه وجعلوه اكواما امام القصر (قال) فلما رات ذلك شعاع الشمس قالت للعجوز التى كانت بعثتها الى الملك الابلق لافساده على ابيها والقاء العداوة والبغضاء بينهما اذهبى واسالى عن هذا الحطب الذى جمعوه امام قصرنا فغابت قليلا ورجعت وقالت لها ان اباك يريد حرق العرب الاسارى فى صبيحة غد فلما سمعت منها ذلك قامت مسرعة الى الدهليز الذى فيه الاسارى فحلت وثاقهم وقدمت لهم الطعام والشراب فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى ولما فرغوا من الاكل قالت لهم يا سادات العرب اشهدوا انى مسلمة ومومنة بالله واليوم الاخر وانى اقول بين ايديكم اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم واعلموا ان ابى يريد حرقكم فى صبيحة غد فاطلبوا النجاة والحقوا باصحابكم فى هاته الليلة قبل ان ياتى النهار (قال) ففرحوا باسلامها وشكروها وقالوا الصواب ان نبقى ههنا ونكتب الى اصحابنا ياتوننا فى هاته الليلة فقالت لهم افعلوا ما شئتم ودعت بدواة وقرطاس فكتب رافع يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم من رافع بن الحارث ومن معه من الاسرى المسلمين الى الامير عقبة بن عامر وعبد الله بن جعفر وكافة المسلمين اما بعد فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قد منّ الله علينا باسلام شعاع

الشمس بنت الملك وقد اطلقتنا من السجن وحلت وثاقنا واشارت علينا بالحوق بكم لان اباها عزم على ان يحرقنا بالنار فى صبيحة غد فساعة وقوفكم على كتابنا هذا اقدموا علينا فى ظلام هذه الليلة والسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه ودفعه لشعاع الشمس فاخذته منه وناولته للعجوز وقالت لها بلغيه الى عبد الله ابن جعفر فمضت من حينها وسارت حتى وصلت الى معسكر المسلمين ونادت يا عبد الله بن جعفر فاتى اليها رجل وقال لها ما شانك وما تريدين قالت اتيت بكتاب الى عبد الله فسار بها الى فسطاط عبد الله فلم يجده ثم الى فسطاط عقبة فوجده هناك مع جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخبره الرجل بامر العجوز فاذن لها فى الدخول فدخلت عليهم وحيتهم باحسن تحية وسلمت الكتاب الى عبد الله ففكه وقراه سرا ثم تلاه على الحاضرين فلما سمعوا ما فيه رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وحمدوا الله سبحانه وتعلى على نجاة اصحابهم وعند ذلك نهض عبد الله وسار الى فسطاطه فلبس آلة حربه وسار مع العجوز الى ان دخل القصر فوجد اصحابه منتظرين وصوله وكانوا قد تاهبوا للقتال لان شعاع الشمس بعد ان اطلقتهم ادخلتهم خزينة السلاح فاختاروا منها ما شاءوا (قال الراوى) فلما راوه قاموا له اجلالا وتعظيما وسلموا عليه وقبلوه بين عينيه وتلقته بنت الملك وسلمت عليه وقالت له مرحبا بك يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فشكرها عبد الله واثنى عليها وبينما هم كذلك واذا بالعبيد قد قرعوا باب القصر فقالت شعاع الشمس من بالباب قالوا اصحاب السجن قالت لهم ما تريدون قالوا نريد اخذ الاسارى لان الملك امر بحرقهم فلما سمع ذلك عبد الله قال لها افتحى لهم الباب ففتحته لهم فلما دخلوا هجم عليهم هو واصحابه وقتلوهم عن آخرهم ورموهم فى السجن الذى كانوا فيه ثم خرجوا الى الازقة وكل من ظفروا به قتلوه (قال الراوى) ثم رجعوا الى قصر شعاع الشمس وتشاوروا فيما بينهم فى امر المدينة فاتفق رايهم على الرجوع الى معسكرهم فقالت لهم شعاع الشمس وانا ايضا امضى معكم لئلا يقتلنى ابى فقالوا لها على الرحب والسعة فساروا وسارت معهم حتى وصلوا الى فساطيط المسلمين فلما راوهم فرحوا فرحا شديدا وصنعوا لبنت الملك ضيافة فاخرة واكرم الامير عقبة وزوجته اسماء لقياها وسر بها نساء المسلمين وضربت الطبول (قال) ولما كان الصباح وجلس الملك على كرسيه اتى اليه خدام القصر وقالوا له ان ابنتك

سحرها

سحرها العرب وقد اطلقت الاسارى وسارت معهم بعد ان قتلوا العبيد الموكلين بهم عند ما ذهبوا لجلبهم والقوهم فى السجن وخرجوا بعد ذلك الى الازقة وقتلوا كل من صادفوا فى طريقهم (قال الراوى) فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا ودعا بارباب دولته ووجهاء قومه فقص عليهم ما وقع من ابنته وقال لهم ما عندكم من الراى الرشيد فقالوا ايها الملك لا ينفع مع هولاء العرب الا السيف والرمح والنبل قال صدقتم ثم امر بالخروج للقتال وضرب الطبول واخراج الخيام (قال) فلم يكن غير ساعة حتى اجتمع لديه جيش عرمرم فخرج بهم عدو الله ولما اقترب من معسكر العرب وجدهم على قدم الحرب فنادى باعلى صوته من يقتل عبد الله بن جعفر اشركه فى ملكى فما استتم كلامه حتى خرج بطريق عظيم كل ما عليه من الذهب الوهاج وسار الى ان دنا من صفوف المسلمين ونادى هل من مبارز فخرج اليه الزبير بن العوام ولما دنا منه قال له اللعين ما اسمك ايها الفارس فقال الزبير قال له ارجع انى لا ابارز الا عبد الله بن جعفر فقال له لا يبارزك الا انا فاحمل علي او احمل عليك فقال بصوت عال لا ابارز الا عبد الله بن جعفر فلما سمعه عبد الله خرج اليه وحلف لا يبارزه احد غيره فعند ذلك رجع الزبير وحمل كل منهما على الاخر وتقاربا وتباعدا وتقاتلا قتالا شديدا والملك ينادى يا دهايج اغلظ عليه واقتله او ائتنى به اسيرا والزبير ينادى لا تخيب ظن المسلمين فيك يا عبد الله (قال الواقدى رحمه الله) فلما سمع عبد الله كلام الزبير حمل على عدو الله حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فشطره وجواده شطرين واخذ سلبه وكانت قيمته الف دينار وعاد للبراز ونادى هل من مبارز فخرج اليه بطريق اخر اسمه طيلاق وكان من صناديد الابطال ولما دنا منه قال له انت الذى تزوجت بنت الملك الاكبر صاحب المعاقة قال نعم قال له وهل بلغ من قدرك ان تتزوج بنات الملوك وانت عربى صعلوك الان وقعت فى يدى فلا اتركك تعود اليها ابدا قال له عبد الله الساعة ترى من لا يعود وحمل عليه وضربه فاصابت الضربة الجواد فسقط ميتا فوثب عدو الله على جواد عبد الله فعقره فعند ذلك هجم عبد الله عليه وضربه ضربة صادقة فارداه وعجل الله بروحه الى النار وبئس القرار فلما راى المسلمون ذلك كبروا تكبيرة عظيمة (قال) فاخذ عبد الله سلبه وعاد للبراز فخرج اليه ثالث فقتله ورابع فجندله وما زال يقتل بطريقا بعد بطريق حتى قتل اربعين فارسا من مشاهير ابطالهم فعند ذلك ذهب اليه الزبير وقبله بين

عينيه وقال له ارجع فاسترح وانا ابارز مكانك فرجع ودخل مكانه الزبير فجال بين الصفين ونادى هل من مبارز فلم يجبه احد من النصارى وقد تمكن منهم الفشل مما راوا من عبد الله ولما رآهم الملك على هذه الحالة صاح بهم وقال لهم لعنكم الصليب وغضب عنكم المسيح ما هذا الجبن ثم انه لبس آلة حربه وخرج للزبير وحمل كل منهما على الاخر واقتتلا قتالا شديدا ثم ضربه الزبير ضربة شديدة فاصابت جواده فمات وسقط الملك معه الى الارض واذ راى جيشه ذلك ظنوا انه اصيب بجرح او هلك فحملوا بعنان واحد على الزبير فتداركه المسلمون وحملوا عليهم بالتهليل والتكبير واشتبكوا معهم فى القتال وجندلوا الرجال واردوا الابطال وقد صبر لهم اعداء الله يومئذ بعض الصبر حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت النصارى منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون ياسرون ويقتلون الى ان دخلوا المدينة فقال لهم عبد الله اتركوهم الى الصباح فتراجعت المسلمون وعادوا الى اماكنهم بعد ان قتلوا منهم ما لا يعد ولا يحصى (قال الراوى) ثم اجتمع المسلمون عند الامير عقبة فقال بعضهم للزبير ما قولك فى صاحب الجدار قال انه بطل شجاع لم ار فى افريقية اخدع منه ولا اقوى باسا فقال له عبد الله ان الملك الاباق صاحب وجدة اخدع منه واشد باسا نسال الله ان ينصرنا عليهما (قال) وبينما هم يتحدثون اذ اقبلت شعاع الشمس وقالت لهم قد خطر ببالى امر اذا عملتم بمقتضاه ملكتم المدينة قال لها الامير عقبة وما هو قالت حيث تعذر عليكم قتل ابى الذى هو اقرب وسيلة للفتح فارسلوا معى عبد الله بن جعفر فى ثلاثين من ابطالكم كرافع والزبير ومسروق وحزام ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وانا ادخلهم القصر ليلا وامكنهم منه ان شاء الله تعلى حتى اكون سببا فى فتح المدينة وانال الثواب والدرجة الرفيعة فى الجنة قال لها الزبير لا يكون ذلك الا اذا بارزته ثلاثة ايام اخرى ولم اقتله فاذا عجزت عنه عملنا بمقتضى اشارتك ورايك (قال الراوى) وبات المسلمون فرحين بنصر الله حتى اصبحوا فاذا صاحب الجدار ضرب طبوله وخرج ورتب جيشه كعادته فرتب المسلمون جيشهم وخرج الزبير يريد ميدان البراز فاسرع اليه اللعين وقال له اتظن اننا كمن رايت فى الشام ومصر وبعض البلاد الافريقية وحق المسيح عيسى بن مريم انا لنقاومكم ولواقمتم الدهر كله ونحاربكم حروبا تشيب منها الولدان فقال له الزبير الافعال تنقض الاقوال ثم حمل عليه وحمل على الزبير واتى كل منهما من ضروب القتال ما حير العقول

وادهش

وادهش الحاضرين ثم ان الزبير صاح به صيحة عظيمة وضربه ضربة شديدة فاصابت الجواد فسقط ميتا ووقع اللعين من على ظهره فاسرع اليه الزبير ولما اراد ان يأسره قال له ليس هذا من شيم الابطال انظرني الى ان ناتي بجواد اخر وخذني وانا راكب مثلك ان كنت فارسا شجاعا فقال له الزبير عجل بذلك فانت هالك لا محالة (قال) فمضى واتى بجواد وحمل كل منهما على الاخر وتقاتلا قتالا شديدا وضربه الزبير فاصاب جواده فمات فمضى واتى باخر فقتل ايضا (قال الراوى) وما زال الزبير يقتل جوادا بعد جواد فلما قتل له ثلاثين سار عدو الله لياتى بجواد فخشى على نفسه الهلاك فمكث ولم يرجع والزبير ينتظره وينادى البراز فقال الملك لبطارقته ما لى اراكم ساكتين اخرجوا للبراز فسكتوا عنه ولما طال بالزبير الانتظار حمل على الاعداء وتبعه المسلمون وحمل الاعداء عليهم وقامت الحرب على ساق والتقت الابطال بالابطال والرجال بالرجال وعظم الخطب وكثر الطعن والضرب وقطعت المعاصم وطارت الجماجم فما كان غير بعيد حتى فر الاعلاج منهزمين نحو الباب وتبعهم المسلمون يأسرون ويقتلون والحجارة والسهام تاخذهم من اعلى السور وهم لا يبالون والى ذلك لا يلتفتون فلما اغلقوا ابواب المدينة وتحصنوا فيها رجع المسلمون الى فساطيطهم ولقد غنموا يومئذ مغانم عظيمة واخذوا كرسى الملك وهو من الذهب الوهاج وسرادقات جيشه وءالات حربهم وقتلوا منهم عددا كثيرا وفرحوا ونساؤهم بنصر الله فرحا شديدا وذبحوا الاغنام والبقر وصنعوا الاطعمة واكلوا وشربوا وحمدوا الله سبحانه وتعالى وباتوا يتلون القرءان ويذكرون الله ويصلون على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ولما اصبح الله بخير الصباح صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح ولما فرغوا من صلاتهم اقتسموا الغنائم واستراحوا ذلك اليوم وبعد صلاة العشاء اجتمع الامراء عند عقبة فاستشارهم بماذا يصنعون وقد صعب عليه فتح المدينة فقال عبد الله بن جعفر انا لا نستطيع دخولها لانها حصينة جدا فقال عقبة ننتظر خروج اهلها فاذا خرجوا الينا هاته المرة حملنا عليهم باجمعنا حتى اذا فروا الى المدينة دخلنا فى اثرهم وملكناها فقالوا نفعل ذلك ان شاء الله تعالى (قال الراوى) فلما اصبحوا تاهبوا للقتال وظلوا ينتظرون فلم يخرج الاعداء اليهم وكانت ابوابهم مغلقة والرماة على الاسوار وداموا على ذلك خمسة عشر يوما وفى كل يوم يناوشونهم بالقتال ويرمونهم بالنبال والاسوار رفيعة والابواب منيعة (قال) وقد اعيى المسلمين فتح المدينة فقال الزبير نسال شعاع الشمس عن

المدينة هل فيها مسالك او ابواب سرية من السور (قال) فمضوا اليها وسالوها عن ذلك فقالت انا امكنكم من المدينة وادخلكم اياها من طريق عجيب اما دخولها من ابوابها المعلومة فلا سبيل اليه لانها حصينة منيعة وبها رجال لا تحصى كلهم ابطال يحسنون الرمى بالسهام ولها سبعة ابواب فى كل باب الف حارس من الصناديد فقال لها عبد الله ومن اى طريق تريدين ايصالنا الى القصر قالت له انتخب ثلاثين فارسا ممن يقدمون الموت على الحياة ويجودون بانفسهم فى مرضاة الله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم فاذا جن الظلام يسيرون معى وانا ادخلهم البلد من مكان سرى لا يعلمه احد غير ان فى دخوله مشقة عظيمة لانه مسكن الجن قال لها عبد الله لا يعظم عليك شئ فانى بقدرة الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم اقاتل الانس مع الجن (قال الراوى) ثم انتخب عبد الله ثلاثين فارسا من اصحابه وامرت شعاع الشمس ان يؤتى اليها بحبال ثم سارت وساروا معها الى ان وقفت بمكان خلف السور وقالت لهم احفروا ههنا فحفروا حتى كشفوا عن بئر من الرخام الابيض فقال رافع انا ابدا بالنزول (قال) فربطوه بحبل وانزلوه فلما وصل الى قعر البئر انبعثت عليه روايح كريهة وشرر ونار ودخان فصاح باصحابه وقال ارفعونى ومارفعوه حتى غشى عليه فلما افاق قالوا له ماذا رايت فحكى لهم قصته وقال هيهات ان يقدر احد على السلوك منها فلما سمع عبد الله بن جعفر منه ذلك لبس آلة حربه ونزل ولما وصل الى قعر البئر اطلق عليه الشرر والدخان والروايح الكريهة فسل سيفه وزجر الجن باسماء الله وقال يا معشر الجن الساكنة بهذا المكان انا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الجن كلامه انهزمت بين يديه (قال الراوى) وعند ذلك نزلت بنت الملك واصحاب عبد الله بن جعفر رضى الله عنهم اجمعين وخرجوا من طريق بالبئر الى داخل البلد وساروا مع شعاع الشمس حتى انتهوا الى القصر فوجدوا حوله الجوارى فلما راينهم خررن اجلالا لهم وتعظيما وقبلن الارض بين ايديهم وقلن مرحبا بعبد الله بن جعفر ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى قهر الانس والجن فقال لهن عبد الله ومن اين علمتن ذلك قلن كل ذلك موجود فى تواريخنا ومنها عرفنا صفتك وعلمنا ان المدينة تفتح على يدك ونحن ما مكثنا ههنا الا لانتظارك حتى نسلم على يديك ونطقن كلهن بالشهادتين واسلمن وحسن اسلامهن ثم فرحن باصحاب عبد الله وسلمن عليهم وقلن لهم مرحبا بسكان الجنة فاثنوا

 عليهن

عليهن وشكروهن وفرحوا باسلامهن (قال الراوى) وبعد ذلك فتح الجوارى باب
القصر وادخلن عبد الله على الملك وهو نائم فتقدم اليه وايقظه واوثقه كتافا ثم خرج
وقال لشعاع الشمس اذهبي اليه وانصحيه لعله يهتدى فدخلت عليه فلما رآها بكى
فقالت له يا ابت اذا اردت ان تسعد فى الدارين وتنجو من عقاب رب العالمين فاتبع دين
المسلمين لانه هو الدين القويم فقال لا افعل ذلك الا اذا بارزنى عبد الله وغلبنى فى ميدان
القتال قالت له انك لا تقدر عليه واخذت تستميله الى الاسلام وبينما كانت تحاوله
فى ذلك اذ دخل عليهما عبد الله ومعه فرسان المسلمين فنظر اليهم وقال لهم ليس
هذا من شيم الابطال لقد اخذتمونى غدرا فقال له عبد الله لسنا من اهل الغدر
وها نحن نطلقك فقم للبراز وتقدم اليه فحل وثاقه وقال له خذ على نفسك ولا عذر
لك بعد الان (قال) فعمد الملك الى بيت السلاح فلبس درعين موزردين وتقلد بسيف
وتقدم للبراز فى ساحة بقصره فعند ذلك قالت شعاع الشمس لعبد الله لا تعجل
بقتله عسى الله ان يهدى قلبه للاسلام فقال حبا وكرامة (قال الواقدى رحمه الله)
وحمل الملك على عبد الله وضربه ضربة شديدة فاخذها فى درقته فانقطعت فى نصفين
وحمل عبد الله عليه وضربه ضربة قوية فحاد عنها ولا زالا يتحاربان حتى كل منهما
الساعدان وقد طال بينهما الحرب فصاح الزبير بعبد الله وقال له ايقظ نفسك يا ابن
عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما هذا من شانك فتحمس عبد الله وحمل على
الملك حملة منكرة واختطفه كالعصفور ورمى به الى الارض وضغط عليه وقال له كيف
حالك الان فقال لحال من وقع عليه جبل ولكن يا عبد الله الحمد لله الذى جعل
هذا سببا فى نجاتى من الكفر ولولاه ما كنت اهتدى واخرج من الظلمات الى النور
فاشهد انت واصحابك انى اقول اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له واشهد ان
محمدا عبده ورسوله واسلم وحسن اسلامه فلما سمعت ابنته شعاع الشمس منه ذلك
فرحت فرحا عظيما وقبلت يديه وقالت يا ابت الحمد لله الذى هداك الى الايمان
والاسلام ومن علي باسلامك وبقائك وفرح المسلمون باسلامه (قال) ثم سلم الملك على
الزبير والفضل ورافع وبقية الصحابة وقبل عبد الله بن جعفر بين عينيه وشكره واثنى
عليه وقال له هكذا والله تلد النساء بارك الله فيك من شاب ما اشد باسك وما احسن
وجهك فلله درك ودر ابيك ثم ادخله واصحابه بيت ملكه واجلسهم فى مجالسه واهداهم
الملابس الرفيعة والاثواب الفائقة وامر بالطعام فقدمت امامهم الموائد عليها طعام

مختلف الالوان وفيها من كل فاكهة زوجان فاكلوا وشربوا وحمدوا الله تعالى ولما فرغوا
من الاكل امر الملك بكسر الصلبان التى فى قصره ثم التفت اليهم وقال لهم ايها السادات
انى راغب فى مصاهرة عبد الله بن جعفر وعقد زواجه بابنتى شعاع الشمس فقال له
عبد الله قبلت ذلك (قال) ثم قال لهم الملك وما رايكم فى فتح المدينة قالوا الامر
اليك فما تراه صوابا فعلناه فقال لهم بل الامر اليكم وما انا الا طوع اوامركم وخادم
لابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم عبد الله بن جعفر فشكره عبد الله وقال له انت
واحد منا ولا نفعل امرا الا بمشورتك فقال جزاكم الله خيرا وزادكم عزا ورفعة
فالذى ارى انكم تكمنون فى هذه القبة بحيث لا يعلم بكم احد فاذا ناديتكم فاخرجوا
قالوا افعل ما بدا لك فنحن طوع رايك وارادتك (قال الواقدى رحمه الله تعالى)
فامر الملك بارباب دولته واعيان قومه وجميع القسيسين والرهبان وكانوا الف قسيس
وراهب فحضروا كلهم ولم يتخلف منهم احد ولما اجتمع الناس صعد الملك على منبر
من ذهب وقال ايها القسيسون والرهبان والوزراء والاعيان كلكم يعلم انى بذلت
مالى ورجالى كل ذلك لاذب عنكم وعن دينكم وعن حريمكم وقد اجتمع لكم من
العساكر والبطارقة ما لم يقدر عليه ملك من ملوك المغرب وانى اريد الان ان اسالكم
واريد منكم الجواب عما اسالكم عنه فقالوا اسال ايها الملك عما شئت قال انكم اكثر
عددا واعز مددا من العرب واكثر جمعا وخياما واعظم قوة فمن اين لكم هذا الخذلان
وكانت الملوك الافريقية تهاب سطوتكم وتفزع من حربكم وشدتكم وما من ملك
قصدكم الا ورجع منكسرا والان قد علا عليكم العرب وهم اضعف الخلق وقد
غلبوكم وفى كل مقاتلة قهروكم قالوا ايها الملك ما غلبونا ولا ملكوا البلاد الا بالسحر
فقال لهم حاشا لله ما هم بسحرة وما غلبوكم الا بايمانهم بالله ورسوله وصحة دينهم
وبركة نبيهم فهولاء العرب طائعون لربهم متبعون دينهم رهبان بالليل صوام
بالنهار لا يفترون عن ذكر ربهم ولا عن الصلاة على نبيهم وليس فيهم ظلم ولا عدوان
ولا يتكبر بعضهم على بعض شعارهم الصدق ودثارهم العبادة وان حملوا علينا لا
يرجعون وان حملنا عليهم فلا يولون وقد علموا ان الدنيا دار الفناء وان الاخرة هى
دار البقاء ولذلك نصرهم الله علينا ولابد ان يملكوا البلاد وما تحت سريرى هذا
والراى عندى ان تتركوا الصلبان وعبادة ما دون الرحمن وتدخلوا فى دينهم فانه
خير الاديان فاذا فعلتم ذلك نجوتم من الهلاك وحصلتم على سعادتى الدنيا والاخرة

قال

(قال الراوى) فلما سمعوا منه هذا الكلام غضبوا غضبا شديدا وهجوا عليه يريدون قتله فولى هاربا وصاح ادركنى يا عبد الله فتداركه عبد الله واصحابه وانتضوا سيوفهم من اغمادها وحملوا عليهم ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير ووضعوا السيف فيهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا ولم يكن غير ساعة حتى ردوهم على الاعقاب خاسرين واخرجوهم من القصر منهزمين وتبعوهم وهم يقتلون ولا يزالون فى اثرهم الى ان دفعوهم الى الباب والجاوهم الى فتحه والخروج من المدينة (قال الراوى) وكان الامير عقبة تقدم بجيشه نحو المدينة ووقف ينتظر ما سيكون من امر عبد الله واصحابه فلما راى اهلها خارجين امر بالحملة فحمل الجيش عليهم وعمل السيف بينهم الى ان دخلوا تحت الطاعة وطلبوا الامان وقد اسر المسلمون وقتلوا عددا لا يحصى من النصارى واسلم منهم يومئذ خلق كثير (قال الواقدى رحمه الله تعلى) ودخل المسلمون المدينة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وامتلكوها واستبشروا باسلام الملك واقتسموا الغنائم وبنى الامير عقبة فيها مسجدا وجعل لها قاضيا ودخل عبد الله بن جعفر بشعاع الشمس وفرح ابوها بمصاهرته واقام المسلمون بالجدار ثلاثة عشر يوما وتركوا فيها رجالا يعلمون الناس الشرائع ثم رحلوا يريدون وجدة والصلاة والسلام على خاتم النبيين وسيد المرسلين والحمد لله رب العالمين

ذكر غزوة مدينة تافس

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) واما ما كان من امر الملك الابلق فانه اقام بوادى المزايات وعالجه الاطباء الى ان برئ ثم امر بالرحيل ولما وصل الى بلده امر ان تضرب الخيام خارجها وان يقيم الجيش باطرافها ودخل قصره وهو كئيب حزين القلب مما اجراه معه صاحب الجدار من الازدراء فتلقاه الجوارى بالات الطرب والغناء فلم يلتفت اليهن وكان حيرانا متفكرا وبات منعزلا عن نسائه ولما اصبح الصباح دخل عليه وزراؤه ورجال دولته وقالوا له لا تحزن ايها الملك نحن معك وبين يديك فمهما اردت شيئا وامرت به فعلناه فقال لهم قد ساءنى جدا استهزاء صاحب الجدار بى واستخفافه بمقامى ولكن وحق الصليب وعيسى بن مريم لابد ان ناخذ شعاع الشمس رغما عن انفها وانفه ولا اتزوجها ابدا بل اتركها واجعلها خادمة لبهجة الكمال فقالوا ايها الملك طب نفسا وقر عينا فلا يكون الا ما اردت ونحن كبيرا وصغيرا نجود

بانفسنا لبلوغ مرادك والاخذ بثارك (قال) فلما سمع منهم هذا الكلام انشرح صدره وزال غمه وقام فمضى الى بيت الاصنام فاخرج منها صنما وسجد له من دون الله ولا زال ساجدا حتى كلمه وقال له لا تخف ايها الملك انا اكفيك امر العرب فلما سمع ذلك فرح فرحا شديدا وامران تبخر بيت الاصنام ودعا ببهجة الكمال فجاءت اليه وذبحت الاغنام والطيور وقدمت بين ايديهم موائد الطعام والمدام ووقفت الجوارى ذات اليمين وذات الشمال وغنت الغوانى ولا زال فى خمر وغناء ولهو ولعب وزهو وطرب مدة ستة عشر يوما (قال الواقدى رحمه الله) اما المسلمون فانهم لما ارتحلوا من الجدار ساروا حتى نزلوا بوادى المزابات فباتوا به ولما اصبحوا امر الامير عقبة عبد الله بن جعفر بان يتقدم فى عشرين الفا فسار عبد الله ومعه الزبير بن العوام والفضل ابن العباس ورافع وسليمان ومسروق وعبد الله ابن الملك صاحب المهدية وصاحب سطيف ومثل هؤلاء السادات رضى الله عنهم اجمعين وبقى عقبة مع بقية الجيش والنساء والذرارى وبينما كانوا مقيمين اذ لاحت لهم غبرة من ناحية القبلة فتامل منها المسلمون فظهرت لهم من ورائها رايات كثيرة تبلغ الالف فقال عقبة لمن هذه الرايات التى اشرفت علينا قال صاحب الجدار هى لشروان صاحب تافس ولعله اتى لنجدة الملك الاباق صاحب وجدة (قال الراوى) فعند ذلك نهض الامير عقبة فركب جواده ورتب الجيش ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ونزل شروان امام المسلمين ورتب جيشه وخرج الى عرض الميدان ودعا بالبراز وقال لا يبرز لى الا عبد الله بن جعفر الذى حدثته نفسه بزواج بنات الملوك فقال عقبة لصاحب الجدار ما نصنع مع هذا اللعين فهو لا يطلب الا عبد الله قال له صاحب الجدار انا اخرج اليه واكفيك امره فشكره عقبة رضى الله عنه وقال له سر على بركة الله وبركة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم دعا عقبة بدواة وقرطاس وكتب الى عبد الله يقول بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما من عقبة بن عامر الى عبد الله بن جعفر اما بعد فانا نحمد الله الذى لا اله الا هو ونصلى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم فحين وقوفك على كتابى هذا اقدم عاجلا مع جميع من معك من الفرسان لان الملك شروان صاحب تافس نزل علينا بجيش لا قبل لنا به ونحن الان معه فى القتال فان لم تدركنا هلكنا لا محالة وسلام عليكم ورحمة الله ثم طوى الكتاب وختمه بخاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم ودفعه الى خمسة فرسان وقال لهم

بادروا

بادروا بتبليغه الى عبد الله وعجلوا فى السير فساروا مجدين حتى لحقوا بعبد الله
وكان على مسافة غير بعيدة عن وادى المزايات فلما رءاهم قال لهم ما وراءكم فاعلموه
بخبر شروان وسلموا له الكتاب فقراه واعلم به اصحابه ومن معه من الفرسان وامرهم
بالرجوع فى الحين فرجعوا مسرعين (قال الراوى) وخرج صاحب الجدار لبراز شروان
ولما دنا منه وعاينه قال متجاهلا انت عبد الله بن جعفر فقال انا صاحب الجدار
فقال له كيف رجعت عن دين اباءك واجدادك واتبعت دين العرب وانت تضرب
بك الامثال فى بلاد المغرب فما انت حينئذ الا مسحور وقد سحرك صعاليك العرب
فقال يا شروان ان هؤلاء قوم لا يعرفون السحر وانما هى هداية من الله سبحانه وتعلى
انعم بها عليّ وكانوا هم السبب فيها ولهم عليّ منة عظمى حيث انقذونى من الكفر
والضلالة واخرجونى من الظلمات الى النور وادخلونى فى دين محمد صلى الله عليه وسلم
وهو افضل الاديان بلا ريب فقال له شروان بماذا تبين لك انه افضل الاديان والحال
انه دين محدث وديننا دين قديم قال ما بعث الله نبيا من الانبياء المتقدمين الا وامر
امته باتباع دين الاسلام وعندنا فى كتبنا ان المسيح بشر بمحمد صلى الله عليه وسلم
ولولاه ما خلقت شمس ولا قمر ولا سموات ولا ارضين ولا جبال ولا بحار ولا جنة ولا
نار من تبعه نجا وسعد ومن خالفه شقى وبعد وما خلق الله خلقا اعظم ولا اكرم
ولا ارحم من محمد صلى الله عليه وسلم فقد جاء بالحق ونطق بالصدق واتى بالمعجزات
الباهرات ومن معجزات هذا النبى الكريم عليه افضل الصلاة وازكى التسليم انه اقبل
اليه اعرابى فدنا منه فقال له صلى الله عليه وسلم اتشهد ان لا اله الا الله وانى محمد
رسول الله قال الاعرابى ومن يشهد بما تقول فقال صلى الله عليه وسلم هذه الشجرة
ثم انه دعا الشجرة وهى بشاطئ الوادى فاقبلت اليه وهى تخط الارض حتى قامت
بين يديه فاستشهدها ثلاث مرات فقالت انت محمد رسول الله ثم امرها فرجعت
الى منبتها ومعجزاته صلى الله عليه وسلم كثيرة يطول شرحها وانما ذكرت لك منها هذه
لابين لك افضلية دين العرب على سائر الاديان وانهم على الحق ومن سواهم على الباطل
وبها يتحقق لديك صحة قولى فان الحق لا يخفى على ذى بصيرة فقال له شروان لا يبعد
ان اقتدى بك وادخل فى هذا الدين وامن بمحمد صلى الله عليه وسلم فقد جذبت
قلبى اليه ولكنى لا افعل ذلك الا بعد ان ابارز ابن عم النبى عبد الله بن جعفر قال
له انك لا تقدر عليه قال ولماذا قال كيف تقاتل من قهر الانس والجان قال لابد من

ذلك قال له ان انت لم تعدل عن هذا الراى فانت والله هالك لامحالة (قال الراوى) وبينما كان صاحب الجدار يحاول شروان فى العدول عن طلب البراز ويبين له محاسن الاسلام اذ اشرفت فرسان المسلمين وفى مقدمتهم عبد الله بن جعفر والفضل بن العباس والزبير ورافع ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ولما رءاهم المسلمون كبروا تكبيرة عظيمة فقال شروان لصاحب الجدار لمن هذه السرية قال له هذا عبد الله بن جعفر واصحابه فقال يلزم الان انا بارزه (قال الراوى) ولما كمل جيش المسلمين اعاد عقبة ترتيبه ولما فرغ من تعبية الصفوف اقبل الامراء يحرضون الناس على القتال وبعد ذلك صار الامير عقبة يتخلل الصفوف ويقول الله الله الجنة تحت ظلال السيوف يا اهل الاسلام اعلموا ان الصبر مقرون بالفرج وان الله مع الصابرين والصابرون هم الغالبون وان الفشل سبب من اسباب الخذلان فمن صبر على حد السيف فاذا قدم على الله اكرم منزلته وشكر سعيه والله يحب الصابرين (قال الراوى) واصر شروان على القتال ونادى بصوت عال من يقتل عبد الله بن جعفر وما استتم كلامه حتى برز من قومه فارس شديد وشيطان مريد وهو راكب على جواد احمر من عتاق الخيل وقال انا ءاتيك به اسيرا او اقتله فى الميدان قال له الملك انت لم يكن عندنا مثلك فى بلادنا فارنا شجاعتك وافضح اليوم العرب ولا تطلب للبراز الا عبد الله بن جعفر فعند ذلك تقدم اللعين نحو الصفوف ونادى البراز لا يبارزنى اليوم الا عبد الله بن جعفر (قال) فما استتم نداءه حتى خرج اليه رضى الله عنه كالاسد الغضبان راكبا جوادا من جياد الخيل وسيفه مسلول ولما قرب منه قال له انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال انت الذى تزوجت بنت الملك الاكبر واخذت البلاد الافريقية قال له نعم قال ما اخذتموها الا بالسحر فقال عبد الله ما غلبنا كم الا بالسيف وبقول لا اله الا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم وببركة ديننا القويم لان ديننا افضل الاديان ولكن يا عدو الله ليس هذا وقت الكلام ثم حمل عليه وضربه ضربة قوية فاخذها اللعين فى درقته وعطف على عبد الله وضربه فاخذها فى درقته ايضا ولا يزالان يتعاركان ويتجاولان ولما طال بينهما البراز نادى الزبير يا عبد الله ايقظ نفسك فغضب عبد الله وحمل على اللعين حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فانقلب من على جواده فوثب عليه واوثقه كتافا وسار به الى عقبة وطرحه امامه ورجع للبراز فخرج اليه فارس اخر وقد غضب لاسر صاحبه ولما دنا من عبد الله حمل عليه وضربه فاصابت الضربة

الجواد

الجواد فوقع ميتا فالوى عليه عبد الله وقتل جواده وتعاركا راجلين وتصارعا ساعة فصرعه عبد الله واوثقه كتافا والحقه بصاحبه (قال) ولم يزالوا يخرجون اليه فارسا بعد فارس حتى اسر منهم ثلاثين فلما راى شروان ما حل ببطارقته من عبد الله غضب غضبا شديدا ولبس درعين مزردين وجعل فى وسطه منطقة من الجوهر وعلى راسه تاج تلمع جواهره كالكواكب وركب جوادا من عتاق الخيل وخرج اليه ولما دنا منه قال له عبد الله متهكما الى اين ايها الاسد الضرغام قال اليك قال له الان تلحق باصحابك وحمل عليه حملة منكرة واختطفه من سرجه كالعصفور واوثقه كتافا وسار به الى ان وضعه مع اصحابه (قال الراوى) فلما رات النصارى ذلك حملوا على المسلمين حملة واحدة واشتد القتال وعظم النزال وثار الغبار واظلم النهار وسالت الدماء كالانهار وكثر العرق وازورت الحدق ولم يستطع اعداء الله مع المسلمين صبرا ولم يلبثوا غير ساعة حتى ولوا الادبار وركنوا الى الفرار فتبعهم المسلمون ياسرون ويقتلون الى ان ادخلوهم المدينة واغلقوا الابواب ووضعوا الرماة على الاسوار فرجع عند ذلك المسلمون الى معسكرهم (قال الراوى) وبعد ان وقع شروان اسيرا ذهب اليه صاحب الجدار وقال له الم اقل لك انك لا تستطيع مبارزة عبد الله فسكت ولم يرد جوابا وبينما كان ينصح اليه ويحبب له الاسلام اذ دخل عليهما عبد الله والزبير والفضل ورافع وسليمان وحزام ومسروق فلما رءاهم شروان فزع منهم وجعل يستغيث بصاحب الجدار فقال له عبد الله لا تخف نحن لا نقتل الاسارى ولا نغدر باحد من خلق الله تعلى وشيمتنا الصدق والوفاء وحفظ العهود فلما سمع شروان ذلك من عبد الله شكره واثنى عليه وعلى اصحابه وقام اليهم وقبلهم جميعا ثم قال اشهدوا انى اقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم وحسن اسلامه ففرح الحاضرون باسلامه ثم التفت عبد الله الى بطارقة شروان الاسارى وقال لهم لا تجزعوا فان كنتم راغبين فى الاسلام عن طيب نفس وخلوص نية فاسلموا فذلك خير لكم وان كنتم تريدون البقاء على دينكم فانتم فى امان فاذا فتحنا المدينة نطلق سبيلكم جميعا فقالوا كلهم نحن مسلمون وبالله ورسوله مومنون ونطقوا بالشهادتين واسلموا وحسن اسلامهم (قال الراوى) ثم قال صاحب الجدار لشروان ما عندك من الراى فى فتح المدينة قال له نرحل اليها فى هذه الساعة ولا يكون الا ما تريدون ان شاء الله تعلى ثم ساروا كلهم الى الامير عقبة واستشاروه فاتفق رايهم على ان

ويبيتوا فى مكانهم وان يكون رحيلهم اليها من الغد (قال) فباتوا تلك الليلة ولما اصبحوا صلى الامير عقبة بالناس صلاة الصبح فلما فرغوا من صلاتهم امر بالرحيل فساروا والاعلام منشورة وعقبة امامهم وحوله عبد الله بن جعفر والفضل والزبير ابن العوام ورافع بن الحارث ومسروق بن زيد وصاحب سطيف وابن الملك صاحب المهدية وصاحب الجدار وصاحب تافس وكثير من الامراء رضى الله تعلى عنهم اجمعين ولا يزالون سائرين حتى وصلوا الى المدينة فنزلوا حولها وضربوا فساطيطهم باطرافها (قال الراوى) ثم بعث شروان الى ارباب دولته وقال لهم كيف تغلقون الابواب ولا تخرجون للعرب وهم محاصرون لكم فقالوا انت لست منا وليس لك علينا امر لانك خرجت من دين واباءك واجدادك واتبعت دين العرب وقد سحروك كما فعلوا بصاحب الجدار حتى صيروك كواحد منهم تودهم وتمشى بجانبهم فقال لهم لا تواخذونى فانى فعلت ذلك كرها واضطرارا لانى اسير عندهم وخشيت ان يقتلونى ولم افعل ما فعلت الا لانجو من الموت خصوصا وانى قد رايتهم عولوا على قتل الثلاثين فارسا الذين اسروهم قبلى لانهم ابوا ان يسلموا وفى صبيحة غد يقتلون (قال الراوى) فاقنعهم كلام شروان وقبلوا عذره فبعثوا اليه وقالوا له اذا كان نصف الليل نفتح لك الباب فاقدم علينا بالاسارى الثلاثين ولا تترك منهم احدا ولابد ان تتدبر لخلاصهم وتبذل غاية جهدك وما فى وسعك لانقاذهم وانا لنترقب قدومهم الليلة معك بحيث لو اتيتنا وحدك لما قبلناك وان امكنك ان تتحيل على عبد الله وبعض اصحابه وتقتلهم قبل مجيئك فان ذلك يوهن قوة العرب ويسهل لنا قهرهم والتغلب عليهم وذلك لا يعسر عليك لما نعلمه من اقدامك ودهائك واصالة رايك فبعث اليهم وتعهد لهم بجميع ما اقترحوا عليه وقال لهم انتظرونى عند منتصف الليل وافتحوا الباب (قال الواقدى رحمه الله تعلى) ثم سار شروان الى فسطاط عقبة فوجد عنده عبد الله بن جعفر وجماعة من الامراء فذكر لهم ما وقع بينه وبين اهل المدينة من الكلام وما اتفق معهم عليه وقال لهم انتخبوا لى ثلاثين فارسا من صناديد الابطال لندخلهم المدينة عوض الاسارى فاذا راوهم اهلها اطمأنوا وظنوا انهم الاسارى واذا دخلناها غلكناها ان شاء الله تعلى وكونوا انتم على اهبة القتال (قال) فاتفق رايهم على ذلك ولما قرب الوقت سار شروان ومعه ثلاثون فارسا من عظماء فرسان المسلمين منهم عبد الله بن جعفر والزبير

 والفضل

والفضل ومسروق ورافع وسليمان وصاحب الجدار ومثل هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ولما اقتربوا من الباب انفتح الباب وخرجت منه خيل فقالوا للمسلمين من انتم فاجابهم ملكهم وقال انا شروان فلما سمعوا صوته فرحوا فرحا شديدا وظنوا انه اتاهم بالاسارى وقالوا له وما فعلت بعبد الله واصحابه قال قتلتهم جميعا فادخلوا واغلقوا دوننا الباب (قال) فدخل شروان ومن معه ودخلوا بعدهم واغلقوا الباب وانصرفوا وسار شروان ومعه عبدالله واصحابه الى قصره حيث قضوا بقية الليل ولما اصبح الله بخير الصباح قال لهم شروان اختفوا فى هذا المكان ودخل شروان بيت ملكه وجلس على كرسيه وهو من ذهب مرصع بالجواهر فاتى اليه وزراؤه ورجال دولته واخذ كل واحد مجلسه ولما كمل عددهم وانتظمت هيئتهم قال لهم كيف السبيل الى التخلص من هولاء العرب قالوا الم تقل بالامس انك قتلت عبد الله واصحابه قال نعم مكننى المسيح منهم وغدرت بهم وذبحت بمساعدة الاسارى عبد الله وعشرين بطلا من اصحابه وهم نيام فلما سمعوا منه ذلك فرحوا فرحا شديدا وشكروه وقالوا جزاك المسيح عنا خيرا ثم قال لهم الملك ولكنى قد ندمت على فعلتى هاته لانى خدعت قوما كراما اهل عهد وصدق ووفاء ودين صحيح واما نحن فانا على ضلال مبين ولا دين الا دين محمد صلى الله عليه (قال الراوى) فغضبوا من كلامه وقالوا له لا شك ان سحر العرب اثر فيك فاتبعت دينهم واتيت لتخدعنا وتغدر بنا فقال برح الخفاء فلا دين الا دين العرب فمن اسلم فهو منى ومن لم يسلم فهو بعيد عنى فلما سمعوا منه ذلك نظر بعضهم الى بعض ومنهم من تبعه ومنهم من خالفه واسلم فى ذلك الوقت اخوته وابناء عمه وعشيرته وانقسم الناس الى طائفتين وحمل بعضهم على بعض (قال) فعند ذلك خرج المسلمون وانضموا الى حزب الملك وانتضوا سيوفهم من اغمادها ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وهجموا على الاعداء ولم يزالوا يقاتلون مع الطائفة المسلمة حتى افنوهم عن آخرهم ولم ينج منهم الا من اسلم وعند ذلك فتحت الابواب ودخل جيش المسلمين المدينة بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وامتلكوها وبنى عقبة فيها مسجدا وجعل لها قاضيا واقام بها ثلاثة ايام ثم امر بالرحيل فارتحلوا يريدون مدينة وجدة وانشد بعضهم يقول

اقمنا منار الدين فى كل جانب ❊ وصلنا على اعدائنا بالقواضب

وانا لقوم لا تكل سيوفنا * من الضرب فى اعناق سوق الكتائب
سيوف ذخرناها لقتل عدونا * واعزاز دين الله من كل خائب
قتلنا بها كل البطارق عنوة * جلاء لاهل الكفر من كل جانب
وما زال نصر الله يكشف جمعنا * ويحفظنا من طارقات النوائب
فلله حمد فى المساء وبكرة * وما لاح نجم فى سدول الغياهب

ذكر غزوة مدينة وجدة

(قال الواقدى رحمه الله تعلى) واتصلت الاخبار الى الملك الابلق ان عبد الله بن جعفر كان خرج فى عشرين الف فارس يريد وجدة ثم ارسل اليه عقبة واسترجعه فلما بلغه ذلك جمع ارباب دولته وقال لهم ان العرب كانوا قادمين علينا ثم خافوا بطشنا فولوا هاربين من حيث اتوا ولكن وحق المسيح لابد ان نقتفى اثرهم ولا نبقى منهم احدا وامر بجمع الرجال والاستعداد للسفر (قال) فنادى المنادى النفير النفير وضربت الطبول ولبس الملك آلة حربه وامر باخراج السرادقات الى خارج المدينة ولم يكن غير قليل حتى اجتمعت لديه جنود لا تحصى فقسمها الى ثلاثة جيوش فجعل جيشا على باب المدينة وارسل جيشا الى وادى المزايات وسار بالجيش الثالث الى مدينة الجدار ونزل عليها (قال) فلما راى اهلها الاعداء قادمين اليهم اغلقوا الابواب وطلعوا على الاسوار فاخذ الملك الابلق يدور بالاسوار فلم يجد فيها مسلكا فامر عند ذلك بكسر الابواب فكسرت ودخل بجيشه العرمرم المدينة ووضعوا السيف فى رقاب المسلمين وكانوا قليلين فقاوموهم اشد مقاومة الى ان ماتوا عن آخرهم وختم الله لهم بالشهادة ولم يبق منهم الا من اسر وامتلك الاعداء المدينة وهدموا المسجد الذى بناه عقبة (قال الراوى) هذا ما كان من امر الملك الابلق واما ما كان من امر الامير عقبة فانه لما ارتحل من تافس تقدمه عبد الله بن جعفر وسبقه الى وجدة فى ثلاثين الف فارس وساروا حتى اشرفوا عليها وكان ذلك بعد غروب الشمس فراى عبد الله فى انحائها نيرانا فقال لاصحابه ان القوم نازلون خارج المدينة وهذه النيران من الخيام فالائق بنا حينئذ ان نحمل عليهم باجمعنا وناخذهم بغتة فقالوا اصبت الراى يا ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فاسرع بنا اليهم (قال) فلبسوا آلة حربهم وسلوا سيوفهم وحملوا بعنان واحد وكبروا فلم يشعر اعداء الله الا وقد احاط بهم المسلمون من كل جانب ووضعوا السيوف وعلت الاصوات وارتفعت

الزعقات

الزعقات وما كان غير بعيد حتى مزقوهم كل ممزق وشتتوا جمعهم وفروا هاربين نحو المدينة فتبعهم المسلمون ودخلوا فى اثرهم وهم يأسرون ويقتلون الى ان نادوا الامان الامان فامنوهم فاسلم من بقى منهم فى الحين ثم دخل المسلمون قصر الملك وغنموا ما فيه وكسروا الاصنام وباتوا فى فرح وسرور ولما اصبح الله بخير الصباح اشرفت عليهم رايات الامير عقبة فلما راوها رفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وخرجوا للقاء المسلمين ودخلوا معهم المدينة وامتلكوها وبنوا فيها مسجدا وجعلوا عليها قيما وقاضيا (قال الواقدى رحمه الله تعالى) هذا ما كان من امر المسلمين واما ما كان من امر الملك الاباقى فانه بينما كان مقيما بالجدار اذ قدم اليه عشرة فرسان ودخلوا عليه فقال لهم ما وراءكم قالوا الموت القاتل والبلاء النازل قال ومن اين اتيتم قالوا من وجدة وقد جئناك هاربين لان العرب هجموا على جيشنا بالليل على حين غفلة وقتلوا من عسكرنا ما لا يعد ولا يحصى ولم يسلم من القتل الا من اسلم ودخل فى دينهم ولم ينفلت الا نحن العشرة وقد ملكوا المدينة (قال) فلما سمع الملك الاباقى ذلك غضب غضبا شديدا وامر بالرحيل وضرب الطبول ونادى المنادى النفير النفير وخرج عدو الله وقد كاد يتميز من الغيظ وترك الجدار وسار بجيشه حتى بلغ وادى المزايات فلام عساكره التى هناك ووبخهم وقال لهم كيف يسير العرب الى المدينة ويتملكونها وانتم قائمون هنا قالوا نحن ضعفاء لا طاقة لنا بهم فلو سرنا اليهم لكانوا قتلونا عن آخرنا فقال لهم لعنكم الصليب وغضب عنكم المسيح ما انتم ممن يعول عليكم عند الشدائد (قال) ثم امر بالرحيل فساروا مجدين ولما اشرفوا على المدينة راوا رايات المسلمين خافقة فى اعلاها فنزلوا وحطوا رحالهم وضربوا خيامهم ثم رتب الملك جيشه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين (قال الراوى) ولما راى المسلمون ان الاعداء قدموا اليهم ساروا حتى اقتربوا منهم ورتب الامير عقبة الجيش فجعل فى الميمنة بنى مخزوم وفى الميسرة بنى امية وفى القلب بنى هاشم وفى الجناحين اخلاط العرب ثم نادى الملك الاباقى من يخرج لبراز عبد الله بن جعفر ويكفينا امره فقال له قومه ما قدرت على حربه انت فكيف تريد منا ان نحاربه ونحن دونك قوة وشجاعة وفروسية فلما سمع منهم هذا الكلام غضب غضبا شديدا وحمل على الميمنة فقتل ثلاثة وعلى الميسرة فقتل اثنين واراد ان يحمل على القلب فادركه وزراؤه ورجال دولته وانكروا عليه ذلك وقالوا له بئس الفعل هذا فهلا جاءت

على العرب او خرجت لبراز عبداالله بن جعفر اما قتلت لعساكرك فليس من الشجاعة بشئ (قال) فلما سمع منهم ذلك لبس آلة حربه وسار الى الميدان فلحق به فارس شديد وبطل صنديد اسمه بهماق وهو ابن عمه وقال له ارجع ايها الملك وانا اكفيك المؤنة فرجع وتقدم بهماق ونادى بصوت عال يا عبد الله اخرج للبراز فاجابه عبد الله وقال له مهلا عليك الساعة يعجل الله بروحك الى النار (قال) فلبس عبد الله ثوب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعله مما يلي جسده وتقلد آلة حربه وسار حتى دنا منه فقال له بهماق انت عبد الله بن جعفر قال نعم قال بلغني انك شجاع فقال له الساعة تراني قال اتحمل علي ام احمل عليك قال له عبد الله احمل انت (قال) فحمل بهماق عليه وضربه ضربة قوية فراغ لها عبد الله وعطف عليه وضربه ضربة هاشمية فشطر جواده نصفين ووقع اللعين في الارض فوثب عبد الله عليه واوثقه كتافا واخذه اسيرا وعاد للبراز فخرج اليه فارس اخر اسمه قراق وكان ذا شجاعة وباس شديد اذا تكلم يخرج من فيه زبد احمر كالدم وسار حتى اقترب منه وحمل عليه حملة منكرة وضربه ضربة شديدة فاخذها عبد الله فى درقته والوى عليه فتضاربا بالسيوف وتعاركا ساعة فنادى الزبير ايقظ نفسك يا عبد الله فلما سمع ذلك حمل على قراق حملة منكرة وضربه ضربة صادقة فشطره وجواده نصفين وعجل الله بروحه الى النار واخذ سلبه وكان ما عليه يساوى الف دينار فعند ذلك قالت له شعاع الشمس استرح ودع غيرك يبارز فلم يلتفت لقولها ورجع للميدان ونادى هل من مبارز فصاح الملك الابلق برجاله وقال ليخرج واحد منكم لبرازه فلم يجبه احد ووقع الرعب فى قلوبهم مما راوا من عبد الله فنهض الملك وقال لهم ها انا اخرج اليه بنفسي فتعرض له خواصه وحلفوا عليه ومنعوه من الخروج وخرج مكانه فارس عظيم لا يمل من الحرب اسمه ساشر وقال لها انا اكفيك امر هذا الشاب وكان عدو الله عبوسا ما ضحك قط فى عمره ولما دنا من عبد الله قال له لا تظن انى كغيرى وحق عيسى ابن مريم ان لم ترجع اسرتك او قتلتك شر قتلة فقال عبد الله الميدان بيننا وفيه يظهر قولك وفعلى (قال) فحمل عدو الله عليه وضربه فاصابت الضربة كفل الجواد فقطعته وغاص السيف فى الارض ووقع عبد الله فاراد اللعين ان يضربه ضربة ثانية فحاد عنها وكانت زوجته شعاع الشمس راكبة بالقرب منه فاسرعت اليه لتعطيه جوادها فما كان من قراق الا ان حمل عليها واختطفها كالعصفور وولى بها نحو

قومه

قومه فتبعه عبد الله فلم يلحق به فرجع الى المسلمين وهو كئيب حزين فاقبل اصحابه
عليه يسلونه وقال له ابوها صاحب الجدار والزبير والفضل وشروان لا يجزعنك
ذلك فان الله ناصرك عليهم ببركة ابن عمك رسول الله صلى الله عليه وسلم وتشفى
نفسك منهم (قال الواقدى رحمه الله تعالى) وعظم الامر على عبد الله ولم يستطع
صبرا فركب جواد الملك شروان وخرج وهو يرتعد من شدة الغيظ ودعا ساشرا للبراز
فخرج اليه وحمل كل منهما على الاخر وتصادما واقتتلا قتالا شديدا ثم ان عبد الله
اراد ان يخدعه فاظهر له الفزع وولى هاربا فتبعه ساشر وطمع فيه وضربه من خلفه
فحاد عبد الله عن الضربة والوى عليه وضربه ضربة قوية فاصابت جواده فسقط ميتا
وزاده ثانية فراغ لها وضرب جواد عبد الله فقتله فتقابضا على الارض وتصارعا
ولا يزالان كذلك حتى كل منهما الساعدان وفرق بينهما الظلام فرجع كل منهما
الى قومه (قال الراوى) ولما رجع ساشر سار اليه الملك الابلق وهو يخترق الصفوف
الى ان تلقاه فصافحه وقبله بين عينيه وشكره واثنى عليه ودعاه الى خيمته فسار
معه فاجلسه لجانبه وامر بشعاع الشمس فلما حضرت بين يديه اوثقها كتافا وقال
لها وحق المسيح لاقتلنك شر قتلة واشفى نفسى منك ثم التفت الى ساشر وخلع عليه
وقال له ان انت قتلت عبد الله بن جعفر شاطرتك مملكتى فقال انا اكفيك امره
ففرح الملك ورجاله بكلامه وضربوا الطبول والمزامير والقرون واكلوا الطعام وشربوا
المدام وباتوا فى فرح وسرور وبات المسلمون فى غم عظيم من اجل وقوع شعاع
الشمس بيد الاعداء وحلف عبد الله لا ياكل طعاما حتى يقتل ساشرا او ياخذه
اسيرا (قال) واجتمع الصحابة عند الامير عقبة فقال لهم اذا كانت صبيحة غد فلا
تتركوا عبد الله يخرج للبراز لانى اخشى عليه من هذا اللعين الذى لم ار فى بلاد
المغرب اقوى منه خصوصا وان عبد الله لم ياكل اليوم ويبيت هاته الليلة على
الطوى ولا ينام وهذا لا شك يؤثر فى قواه فقال مسروق اصبت الراى ايها الامير
واستحسنه الحاضرون (قال الراوى) ولما اصبح الصباح صلى الامير عقبة بالمسلمين
صلاة الصبح وبعد فراغهم من الصلاة جلسوا يذكرون الله ويسبحون فاذا الملك
الابلق ضرب طبوله ورتب جيشه وامر ان يؤتى بشعاع الشمس وان تركب على
مطية وهى موثوقة وتقدم امام النسوة ففعلوا وعند ذلك قال لها الملك تبقى مكانك
حتى ياتى ساشر بزوجك عبد الله اسيرا ونحن كلا معا فقالت له انتم عاجزون عن

الاتيان بالرجال ولا تقدرون فى بعض الاحيان الا على غدر النساء وسيحل بكم من عبد الله بلاء عظيم فغضب ساشر من كلامها ولبس آلة حربه وركب جواده والنساء يناديته ويقلن بيض اليوم وجوهنا لكى نفتخر بك على نساء العرب فلما سمعهن ازداد حماسة ونشاطا وخرج الى الميدان وجال بين الصفين ونادى انا العبوس انا مروع الجيوش انا ساشر مفلق الجماجم وميتم الاطفال ومهلك الابطال ثم رجع الى شعاع الشمس واخذ بزمام مطيتها وقادها الى الميدان وقال قفى ههنا حتى اريك ما تنذهل منه العقول وتحير فيه الاذهان (قال الراوى) ثم وقف فى ركابه ونادى يا عبد الله بن جعفر اخرج للبراز فلما اراد عبد الله المسير اليه تعرض له صاحب الجدار وبكت زوجته بنت الملك الاكبر صاحب المعلقة وتعلقت باذياله فلما راى ذلك الزبير حلف لا يخرج اليه غيره ولبس آلة حربه وركب جواده واخترق الصفوف حتى انتهى الى الميدان فقال له ساشر من انت قال الزبير قال له لا حاجة لى بك انا لا ابارز اليوم الا عبد الله بن جعفر فلم يمهله الزبير وحمل عليه حملة منكرة وحمل ساشر عليه وتصادما وتعاركا وتقاربا وتباعدا وتقاتلا قتالا شديدا (قال) فلم يستطع عبد الله صبرا وخرج حتى دنا منهما وهما يتحاربان فلما رآه ساشر قال له ما هذا من شيم الابطال لماذا تاخرت عن البراز فهل اجزعك ما رايت منى بالامس قال له يا عدو الله لو ملئت الارض بامثالك ما جزعت وكيف يجزع منك من قهر الانس والجن وحلف على الزبير ان يرجع فرجع وحمل عبد الله على ساشر حملة منكرة وضربه ضربة هاشمية من نسل عبد المطلب فاخذها فى درقته فانقسمت نصفين وحمل ساشر عليه وضربه فاخذها فى سيفه فانقطع سيف اللعين وعطف عليه عبد الله فولى هاربا بين يديه فعند ذلك نادته شعاع الشمس وقالت خذه يا عبد الله ولا تتركه فى هذا اليوم فلما سمع نداءها لحق به واختطفه من سرجه ورماه الى الارض ونزل اليه واوثقه كتافا ففرحت شعاع الشمس وولولت وقالت هكذا والله تلد النساء والا فلا (قال الراوى) فلما راى النصارى ما حل بصاحبهم من عبد الله حملوا على المسلمين بعنان واحد كانهم السيل وحمل المسلمون عليهم والتقت الابطال بالابطال والفرسان بالفرسان وازدحمت الامم وقامت الحرب على قدم واظلم الجو من الغبرة فى تلك الافاق واعتمدوا على الضرب بالاسياف الرقاق وطعنت العرب بالرماح الدقاق ودنت الاعمار الى المحاق وبلغت الارواح التراق وعظم الانين والزعاق وصبرت الاعداء

على

على ما لا يطاق وسقاهم العرب من سيوفهم كاس الفراق وصدموهم صدمة عظيمة وردوهم على الاعقاب وحاق بهم يومئذ العذاب وتمكن عبد الله من استرداد شعاع الشمس من بين ايديهم وقد حل وثاقها ومضى بها الى فساطيط المسلمين فاستبشروا لرؤيتها وفرحوا بسلامتها وحمدوا الله على خلاصها من ايدى الاعداء وفرحت بها اسماء بنت ياسر ونساء العرب واوقفها عبد الله على البطريق ساشر وقال لها افعلى به ما شئت فشتمته ولعنته وقالت له اين شجاعتك التى تدعيها واقاويلك التى تفشيها وهو صامت لا يفوه بكلمة ومسكت لحيته وكانت طويلة جدا وجعلت تبصق عليها وتقول لعن الله هاته اللحية الخسيسة ثم ضربته ضربا وجيعا وشفت منه غليلها (قال الراوى) وبعد ان رجع المسلمون الى فساطيطهم تراجع النصارى واعادوا الحملة وحملوا على المسلمين حملة منكرة ودارت بينهم الحرب كما تدور الرحى وتكاثرت جموعهم على جهة بنى امية وغسان وحمير وطى واخلاط العرب فعادت الخيل تنكص باذنابها راجعة على اعقابها منكشفة كانكشاف الغنم بين يدى الاسد ونظرت اسماء بنت ياسر خيل المسلمين راجعة على اعقابها فنادت رضى الله عنها يا نساء العرب دونكن والرجال واحملن أولادكن على ايديكن واستقبلنهم بالتحريض فاقبلت النسوة يرجمن وجوه الخيل بالحجارة وجعلت اسماء تنادى قبح الله وجه رجل يفر عن حليلته وجعل النساء يقلن لازواجهن لستم لنا ببعولة ان لم تمنعوا منا هولاء الاعلاج وانشدت اسماء تقول هذه الابيات

يا هاربا عن نسوة ثقات * لها جمال ولها ثبات
لا تسلمنهن الى العتات * تملك نواصيها مع البنات
اعلاج سوء فسق عتات * ينلن منا اعظم الشتات

(قال الراوى) فرجعت الفرسان تحرض الفرسان على القتال وادركهم عبد الله ابن جعفر عندما سمع تحريض اسماء بنت ياسر فرجع المسلمون رجعة عظيمة ونادى الزبير يا اهل النصر والباس احملوا وحمل الزبير ومعه الفضل ورافع وسليمان ومسروق وكثير من امثال هولاء السادات رضى الله عنهم اجمعين ورفعوا اصواتهم بالتهليل والتكبير والصلاة على البشير النذير وصبر لهم النصارى يومئذ صبرا جميلا حتى اذا غابت الشمس واظلم الافق انكشفت الاعلاج منهزمين بين ايديهم وتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون كيف شاؤا وقتلوا واسروا منهم خلقا لا يحصى ثم

تراجع المسلمون وعادوا الى فساطيطهم وتفقدوا بعضهم فلم يجدوا عبد الله بن جعفر فتحيروا من اجله وخافوا عليه من الاعداء لانه كان توغل بينهم وقد عظم عليهم الامر وكثر ضجيجهم وبكت النسوة وبينما هم كذلك واذا بعبد الله قد اقبل عليهم من ناحية القبلة وهو مخضب بدماء الاعداء فلما راوه فرحوا فرحا شديدا ثم اجتمع الناس عند الامير عقبة وبعد ان صلى بهم صلاة العشاء قال لهم كيف السبيل الى اهلاك هذا اللعين الابلق فقال الزبير انا ابارزه غدا ان شاء الله وعسى الله ان ينصرني عليه ثم تفرق الناس الى فساطيطهم (قال الراوى) ولما كان آخر الليل دعا الملك الابلق بفرسانه ولما حضروا قال لهم ايكم يأتيني بجواد عبد الله بن جعفر وله عندى مائة الف دينار فقال احدهم واسمه جلباب انا آتيك به فى هذه الساعة وخرج من عند الملك ولبس آلة حربه وسار متنكرا حتى وصل فساطيط المسلمين فاخترقها بدون ان يشعر به احد وحل الجواد من مربطه وركبه ورجع من حيث اتى ومضى الى قصر الملك فوجده نائما فسلم الجواد الى حاشيته (قال) ولما اصبح الصباح افتقد عبد الله جواده فلم يجده وارسل يفتش عنه فلم يقفوا له على اثر ولا خبر وعادوا اليه واعلموه فقال لا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وعندما استيقظ الملك اعلمه ارباب دولته بامر الجواد ففرح فرحا شديدا وامر بان يسرج وان تضرب الطبول ويخرج الجيش للقتال ثم اتوه بالجواد مسرجا فركب وخرج فى جيش عظيم ولما اقترب من المسلمين رتبه ميمنة وميسرة وقلبا وجناحين ولما راى الامير عقبة ان القوم قد اخذوا اهبتهم للقتال رتب جيشه ثم ان الملك الابلق دخل الميدان ونادى بالبراز وما استتم النداء حتى خرج اليه الزبير ولما قرب منه قال له الملك الابلق من انت قال الزبير قال له قد قرب اجلك ففز بنفسك قبل ان تهلك قال له الزبير يا عدو الله الساعة ترى العذاب والميدان اصدق شاهد (قال) وحمل اللعين على الزبير حملة منكرة وحمل الزبير عليه وتقاتلا قتالا عنيفا ثم ضرب الابلق الزبير ضربة قوية فاخذها فى درقته والوى عليه الزبير وضربه ضربة شديدة فاتت غير صائبة فزاده ثانية بجرحه فلما ايقن بالهلاك اراد الفرار فهمز الجواد مرارا فانحبس فى مكانه ووقف ولم يتحرك فانظر فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم (قال) فلما راى الملك الابلق ذلك وثب من على ظهره فى الحين وولى هاربا على قدميه وسار الى عساكره وقال لهم ان العرب سحروا الجواد ولو لم اهرب لكنت قتلت

اليوم (قال) فعند ذلك اخذ الزبير بعنان الجواد ورجع به الى المعسكر وسلمه الى عبد الله بن جعفر ففرح به فرحا شديدا وركبه ولما استوى على ظهره جعل يطير بين السماء والارض ببركة وفضل سيد الكائنات واشرف المخلوقات صلى الله عليه وسلم ثم رجع الزبير للبراز فركب الملك الابلق جواده وخرج اليه وحمل كل منهما على الاخر واقتتلا قتالا شديدا وحمى بينهما وطيس الحرب فصاح به الزبير صيحة عظيمة وضربه بسيفه فقطع درقته وزاده ثانية شديدة فقطعت الدروع وجرحته ولا يزال الزبير يضربه حتى ولى هاربا نحو جيشه ودماؤه تفور من الجراح فقال له قومه ما بالك هاربا اين شجاعتك فقال الامر اشد من ذلك ووقف الزبير ينادى بالبراز فلم يبرز اليه احد فعند ذلك اتى اليه الامير عقبة وعبد الله بن جعفر والفضل بن العباس رضى الله تعالى عنهم اجمعين وشكروه وحلفوا ان يرجع فرجع معهم وعاد الاعداء الى مواضعهم وهم فى كرب عظيم مما حل بملكهم ولما كان ءاخر الليل امرهم الملك بالمسير الى المدينة فرحلوا وساروا حتى وصلوا اليها فوجدوا ابوابها مغلقة ولما سمع الحراس دمدمة الخيل ظنوا انها خيل المسلمين وان عقبة قد اقبل ففتحوا الباب فاذا الملك الابلق قد دخل مع جيشه ووضعوا السيف فيهم ودخلوا على اهلها وهم نيام آمنون ولم يكن غير ساعة حتى قتلوا واسروا جميع من فيها وسبوا النساء والاولاد ثم دخل الملك الابلق قصره فوجد الصلبان مكسرة فلما راى ذلك تغير وجهه ولم ينطق بكلمة واشغله عن قصره وما فيه جراحاته ودعا بالاطباء فحضروا وشرعوا فى معالجته وامر بغلق ابواب المدينة ووضع الرماة على الاسوار وقد تجلد عدو الله واراد ان يظهر الصحة وعدم المبالاة بما اصابه فامر بنصب موائد الطعام والمدام وحضرت لديه بهجة الكمال والغوانى ووقفت بين يديه الجوارى وبات عدو الله فى زهو ومدام وقد نسى ما عنده من الالام (قال الواقدى رحمه الله تعالى) فلما اصبح الصباح نظر المسلمون الى مواضع الاعداء فوجدوها قفراء فظنوا انهم هربوا او التجأوا الى بعض الجهات واذ كانوا يتفكرون فى امر ذلك اتت شعاع الشمس وقالت لزوجها عبد الله بن جعفر انى اريد ان اعذب ساشرا جزاء تعذيبه لى واخذا بثارى منه قال لها دونك واياه فاخذت تعذبه بانواع العذاب ووضعت فى عنقه غلا وجعلت تجره وتضرب راسه بقضيب ضربا وجيعا والنساء يسخرن منه ويضحكن فضجر من ذلك وصاح صيحة عظيمة وقال يا عبد الله ليس من شان الابطال ان تترك

شعاع الشمس تعذبنى بمثل هذا العذاب وتجعلنى اضحوكة للنسوة فقال له عبد الله ان اردت السلامة والسعادة فعليك بكلمة الشهادة فقال فى الحين اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله واسلم وحسن اسلامه (قال الراوى) فلما نطق بالشهادتين حلت شعاع الشمس وثاقه وازالت الغل من عنقه وامر له عبد الله باثواب حسنة وجواد وسلاح وهناه بالاسلام وسار به الى الامير عقبة ففرح به واجلسه بجانبه وتكلم المسلمون فى شان الملك الابلق فقال لهم ساشر لا يبعد انه سار الى مدينة وجدة لامتلاكها والتحصن بها لانه يعلم ان من فيها قليلون لا يقدرون على رده ومقاومته ولا يهمكم امره فانا اريحكم منه لكن ينبغى قبل ذلك ايها السادات ان نرحل الى الجدار ونرى ما فعل بها الملك الابلق ونترك فيها قوة عسكرية ثم نرجع اليه وناخذه حيث هو فوافقه على ذلك الامير عقبة واصحابه الحاضرون (قال) وامر عقبة بالرحيل فى الحين فارتحلوا وساروا الى ان وصلوا اليها فوجدوا ابوابها مقفلة وهى خاوية لا يسمع فيها لغو ولا حركة لان الملك الابلق عند خروجه منها اصلح ابوابها وتركها مغلقة (قال الراوى) ولما وجدها المسلمون على هاته الحالة كسروا الابواب ودخلوا فوجدوا الشوارع ملاى من القتلى والجثث مكومة ومنتشرة فى الارض وساروا الى القصر فوجدوا الاسارى مقيدين وقد نحفت اجسامهم وكادوا يهلكون من الجوع (قال) فعظم امر ذلك على المسلمين وقالوا انا لله وانا اليه راجعون ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم وحلوا وثاقهم واطعموهم ثم دفنوا الاموات وجددوا بناء المسجد وجعلوا فى المدينة قاضيا وولوا عليها ماكها وتركوا معه ثلاثين الفا من الذين اسلموا ومن اخلاط العرب وودعوهم وارتحلوا الى وجدة وضربوا فساطيطهم باطرافها وايقنوا يومئذ بان الملك الابلق غدر باهلها وتحصن فيها وكان وصولهم اليها عند غروب الشمس وبعد ان نزلوا صلى بهم الامير عقبة المغرب والعشاء ثم تفرق الناس الى فساطيطهم للاستراحة وسار عبد الله والزبير والفضل وابن الملك وصاحب سطيف وساشر نحو المدينة وجعلوا يدورون حولها ويختبرون حالة سورها ويتدبرون لدخولها وبينما هم كذلك اذ فتح باب المدينة وخرج منه ثلاثة رجال فتقدم اليهم عبد الله وقال من انتم فقالوا نحن من قصر الملك وقد كنا اسلمنا على ايديكم حين فتحتم المدينة فى المرة الاولى ولما اتاها الملك ليلا وغدر باهلها دخلنا القصر ضمن رجاله بدون ان يعلم هو ولا احد

من

من اتباعه اننا مسلمون وقد عظم علينا ما فعله بالمسلمين وتوغرت صدورنا غيظا عليه فاتفقنا على الاخذ بثارهم وفتح الباب لكم عند قدومكم وقد تمكنا باعانة الله وبركة رسوله ابن عمك محمد صلى الله عليه وسلم من ادخال جاريته بهجة الكمال فى دين الاسلام وقد اعانتنا على نيل مرادنا وبلوغ مقصودنا وادخلتنا عليه وهو فى محل نومه فاوثقناه كتافا وحبسناه فى بيت بقصره وما تممنا هذا العمل حتى اتى الحراس الى القصر ليعلموه بخبر قدومكم فسررنا بهذا النبا سرورا عظيما واسرعنا اليكم لندخلكم قبل ان توضع الرماة على الاسوار ويأخذ القوم اهبتهم لقتالكم وما ذلك الا ابتغاء مرضاة الله ورجاء ثوابه (قال الواقدى رحمه الله تعلى) فلما سمع عبد الله واصحابه منهم ذلك فرحوا فرحا شديدا وساروا الى الامير عقبة واعلموه بالخبر ففرح وامر فى الحين بدخول المدينة فزحف المسلمون اليها ودخلوها وكبروا وهللوا (قال) وكان خبر قدوم العرب لم ينتشر بين الناس فلما سمعوا الضجة من المدينة علموا انهم دخلوها فقاتلوهم وحمل بعضهم على بعض واشتغلت الابطال بالابطال وقوى القتال ولحق بالمشركين الدمار واتاهم حرب مثل النار ولا زالت سيوف المسلمين تعمل فيهم حتى امتلات الشوارع قتلى وجرت من دمائهم انهار وما كان غير ساعة حتى قتل المسلمون واسروا منهم خلقا كثيرا واسلم الباقون (قال الراوى) ثم سار عبد الله والامراء الى قصر الملك فلما راتهم بهجة الكمال تقدمت الى لقائهم وسلمت عليهم واسلمت على ايديهم وادخلتهم مجلس الملك واجلستهم واتاهم الرجال الثلاثة الذين فتحوا لهم باب المدينة بالملك الابق موثوقا واوقفوه بين ايديهم فقال له عبد الله هل لك ان تسلم وتتبع ديننا فان انت اهتديت الى ذلك ونطقت بالشهادتين كنت آمنا فى الدارين فقال الموت عندى ايسر من تبديل دينى فلما سمعت بهجة الكمال منه ذلك طعنته بخنجر فى صدره فوقع ميتا (قال الراوى) وامتلك المسلمون المدينة وغنموا ما لا يوصف من المتاع والحلى والحلل والجواهر واوانى الذهب والفضة وغير ذلك وضربوا الجزية على من لم يسلم وعقد الزبير على بهجة الكمال وذبحت الاغنام واعدت الولائم (قال) وبنى المسلمون فى المدينة مسجدا وجعلوا فيها قاضيا وامّروا عليها الملك شروان وتركوا معه طائفة من اخلاط العرب واقاموا بها ثلاثة ايام ثم ودعوهم وارتحلوا يريدون القيروان وكل بلد او قرية يمرون بها مما لم يتقدم لهم فتحها يعرضون عليها الاسلام فان ابوا اعطوا الجزية او يقاتلونهم

الى ان يحرزوا على قبول احدى هاتين الخصلتين ولما وصلوا الى القيروان اقاموا بها سبعة ايام ثم تفرقوا وسارت كل قبيلة الى جهتها التى قسمها عليهم علي بن ابى طالب رضى الله عنه وسار الامير عقبة الى الزاب ومات به ذلك تقدير العزيز العليم ورجع بنو هاشم وبنو مخزوم الى الحجاز ولم يبق احد منهم فى افريقية وامتلأت المسلمون البلاد الخضراء بنصر الله تعلى ينصر من يشاء وهو العزيز الحكيم وصلى الله على سيدنا محمد النبي الكريم وعلى آله واصحابه اجمعين والحمد لله رب العالمين * انتهى *

الحمد لله الذى ايد دينه القويم ووثق عراه * بسادة هم بيضة الاسلام وحماة حماه * والصلاة والسلام على خاتم النبيئين * سيدنا محمد المؤيد بالنصر والفتح المبين * وعلى آله وصحابته * الحائزين من الكمال اقصى غايته * (وبعد) فقد تم بعون العناية الالهية * طبع فتوح افريقية * المنسوب للامام الواقدى احد الجهابذة الاعلام * اسكنه مولاه من فضله دار السلام * فدونك سفرا اسفرت كواكب مبانيه * واينعت ازهار حدائق معانيه * وانتظمت عقود فرائده * ووشيت مطارف فوائده * اماط القناع عن محاسن تلك الفتوحات الشريفة * وافاض الاطلاع على عجائب هاتيك الغزوات المنيفة * وقيد الشوارد * واقتنص الاوابد * فهو لمطالعه جليس سمير * ولا ينبئك مثل خبير * يقص عليك كل نادرة عجيبة * وواقعة غريبة * وقد كان قبلا لا يوجد منه الا اسمه * ولا ينال ناشده رسمه * حتى يسر الله لى باعانة بعض الاخوان * واصدقاء الخلان * لاعدمت غيرتهم الاوطان * جمع ما تشتت من نسخه فى ادانى واقاصى البلدان * وما فى بطون خزائن اولى الفضل والشان * فاستخرجت هذا الكتاب من مجموعها * وجعلته اصلا وهو من فروعها * ورممت بنيان انشائه بقدر الامكان * وشيدت ما اندرس من معالم تحريراته فى غابر الازمان * وهذبت ما خطته يد العوام فى صفحاته * واصلحت ما لم يفت البصر من فاسد عباراته * مع ترك الروايات على علاتها * وحفظ معانيها واشاراتها * وابقاء الغزوات على تراتيبها * والفتوحات باساليبها * والله المسئول ان ينفع به مالكيه * وقارئيه ومستمعيه * وكان طبعه بالمطبعة العمومية * الكائنة بشارع سيدى ابى منيهل بحاضرة تونس المحمية * وقد تضوع مسك الختام * فى اواخر ذى الحجة الحرام * عام خمسة عشر وثلاثمائة والالف من هجرة سيد المرسلين * صلى الله وسلم عليه وعلى آله واصحابه الى يوم الدين *

(عبد الرحمن الصنادلى)

